

# يوسفُ النبهاني

٩ الشاعر الفلسطيني الرائد



رسالة مقدمة من الطالب

عيسى محمد علي منصور عازي

للحصول على درجة العالمية «الدكتوراه» من كلية اللغة العربية

بجامعة الأزهر الشريف

١٠٠٢٧٤٢

تحت إشراف

الأستاذ الدكتور عبد السلام سرعاجي

الجزء الأول

١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م

القاهرة



٢

العلامة الشيخ يوسف  
بن اسماعيل النبهاني ( ابو المحاسن ) شافعي



ولد سنة ١٢٦٥ هجرية الموافق سنة ١٨٤٩ ميلادية : في بلدة اجزم من  
قضاء حيفا .

نسبه ونشأته : ينسب العلامة الى قبيلة ( بني نيهان ) وهي من اعرق القبائل

العربية  
وظهرت  
بلغ الساب  
بتعطش  
علومه  
سنة ٨٩  
قص  
لصاحبها  
شغل  
الموصل .  
وفي  
جنين )  
وفي سنة  
سنة .  
سافر  
الى بيروت  
كان  
ابن قيم الج  
ومحمد عبد  
تأليفه  
قصائد شع

## الاهـداء

الى روح العالم الجليل والاديب الفذ الى روح المكافح المنافع والمجاهد المجالا عن  
بيضة الاسلام ودين المسلمين الى الرجل الذي وقف حياته على الميثاق مع ذخائر  
العلم وكنوز المعرفة الى الرجل الذي شب في مضمار الثقافة ولم يشب الى المال  
الازهرى الحبيب الشيخ يوسف النبهاني أهدي هذا البحث راجيا الله أن يسامحنسي  
في كشف الستار عما حرص على خبئه من الاسرار المتحدثة عنه المطربة له المشيدة بسـه  
في كل مجال •

بسم الله الرحمن الرحيم

قسم من آي ذكر الحكيم

يقول الله تبارك وتعالى \* يا أيها الذين آمنوا أذكروا الله ذكرا كثيرا \* وسبحوه بكرة وأصيلا \* هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور وكان بالمؤمنين رحيما \* تحيتهم يوم يلقونه سلام \* وأعد لهم أجرا كريما \* يا أيها النبي انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا (وداعيا) إلى الله بإذنه وسراجا منيرا \* وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا \* ولا تطع الكافرين والمنافقين ودع أذنهم وتوكل على الله وكفى بالله وكيلًا \* سورة الأحزاب آية (٤١ - ٤٨)

ويقول تبارك وتعالى أيضا \* الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله أضل أعمالهم \* والذين آمنوا وعملوا الصالحات وآمنوا بما نزل على محمد وهو الحق من ربهم كفر عنهم سيئاتهم وأصلح بالهم \* ذلك بأن الذين كفروا اتبعوا الباطل وأن الذين آمنوا اتبعوا الحق من ربهم كذلك يضرب الله للناس أمثالهم \* سورة محمد آية ١ - ٢

ويقول تبارك وتعالى أيضا \* ان الذين يخشون ربهم بالغيب لهم مغفرة وأجر كبير \* وأسروا قولكم أو اجهروا به انه عليم بذات الصدور \* ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير \* هو السميع \* جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور \* ألمنتم من في السماء \* أن يخسف بكم الأرض فاذا هي تمور \* أم أمنتم من في السماء أن يرسل عليكم حاصبا فستعلمون كيف نذير ولقد كذب الذين من قبلهم فكيف كان نكير \* أو لم يروا إلى الطير فوقهم صافات يقبضن ما يمسكنهن إلا الرحمن انه بكل شئ بصير \* آمن هذا الذي هو بئس لكم ينصركم من دون الرحمن ان الكافرون الا في غرور \* آمن هذا الذي يرزقكم ان أمسك رزقه بل لجوا في عتو ونفور \* آمن من يمشي مكبا على وجهه أهدى آمن يمشي سويا على صراط مستقيم \* قل هو الذي أنشأكم وجعل لكم السمع والابصار والافئدة قليلا ما تشكرون \* قل هو الذي ذرأكم في الأرض وإليه تحشرون \* ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين \* قل انما العلم عند الله وانما انا نذير مبين (صدق الله العظيم)

سورة الطلحة آية ١٢ - ٢٥



# ( بسم الله الرحمن الرحيم )

## (( شكر وتقدير ))

أشكر المولى تبارك وتعالى أن وفقني لاختصار هذا البحث وأتم على نعمته  
بإكماله وإخراجه إلى حيز الوجود .

ثم أشكر استاذي المشرف الدكتور عبد السلام سرحان الذي تفضل بالموافقة  
على مهمة الاشراف الشاقة وشاركني جميع المتاعب والمصاعب المتعلقة بهذا البحث  
في مراحلہ المختلفة موجهها ومشجعا وممهدا ومعيدا حتى صرت في بيته أحسن  
أبناءه الذين ينعمون بعطف أبوته الحانية ونظراته الرانية طوال أربع سنوات  
متوالية من التفرغ الكامل وأسأل الله أن يجزيه كل خير هو وجميع الاساتذة  
الافاضل من علماء الأزهر الشريف الذين شاركوا في تميمي ثقافيا من جميع  
الوجهات .

وأشكر للاستاذ الدكتور سليمان حسن ربيع الذي لجأت اليه كثيرًا  
لتيسير بعض الشدائد وتسهيل بعض الصعاب .

وأشكر للاستاذ الدكتور حسن جاد حسن ، مدير كلية اللغة العربية  
الحالي ما قدم لي من مساعدات ومساندات تشجيعية أو توضيحية في معترك  
الصراع العنيف الذي عشت مع الشاعر المترجم .

وأشكر للمسيد الدكتور الطبيب فاضل زيدان ابن " اجزم " البشار  
وفتاها الكمي الذي استوعب تاريخ أبحاثها وثبت أعلامها وشجعني على اختصار  
هذا الموضوع الفسيح وقدم لي من معلوماته ومعارفه عن تلك القرية وأهلها  
الكثير الكثير كما تفضل مطوعا بترجمة جميع النصوص الأجنبية التي استشهدت  
بها من اللغة الانجليزية الى لغتنا العربية كما أنه هو الذي تولاني برعايته  
وشملني بحدبه وعطفه طيلة دراستي في القاهرة .

وأشكر لفضيلة الشيخ محمد نمر الخطيب رئيس رابطة العلماء في لبنان أن عرفني  
وصحبني الى دارات جميع العلماء والشخصيات الفذة التي قابلتها في بيروت .

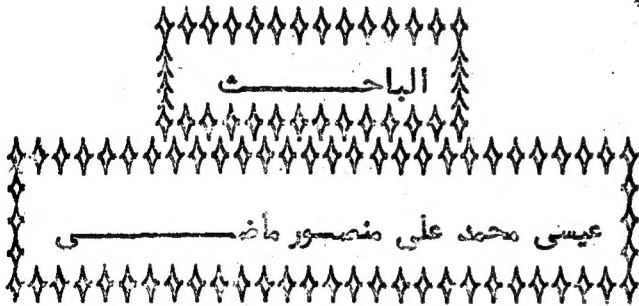
وأشكر للدكتور احسان عباسي رئيس الدائرة العربية في الجامعة الامريكية  
بيروت أن أمدني بكثير من المعلومات ووجهني الى عدد من النواحي المهمة  
بجوانب هذا البحث .

وأشكر للدكتور عبد الرحمن ياغي استاذ الادب العربي بالجامعة الاردنية  
في عمان أن زودني بكثير من المعلومات الهامة عن مدائح النبهي النبوية .

وأشكر للاستاذ محمد عطيه خميس المحامي المصري ورئيس شباب سيدنا  
محمد سابقا أن قدم الى الكثير من المصادر العلمية والأدبية عن النواحي  
السياسية المصرية التي لمع فيها أو تحدث عنها شاعرنا المترجم .

وأشكر لجميع العلماء والأدباء والاساتذء والزملاء الذين احاطونني  
بكوكبة من النصء والارشاد والتشجيع والتقدير اثناء رحلتي العلمية  
الطويلة مع كنوز الأدب وذخائره .

وأشكر لمصر الحبيبة ولجامعة الازهر الشريف ما أفاءت علي من  
ظلال وما أهدتني من معارف وعوارف وما أسدت الي من بيض الايادي  
علي أيدي أبنائها الكرماء .



بسم الله الرحمن الرحيم

### المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على خير خلق الله محمد بن عبد الله وعلى آله واصحابه

ومن وآله وبعده ..

فهذه دراسة أدبية نقدية عن الشيخ يوسف النبهاني ومدائحه النبوية أدت فيها البحث حول بيئته الجغرافية والاقتصادية والثقافية والسياسية حول حياته ومصادره الفكرية ومكانته العلمية والاجتماعية في العالم الاسلامي وكفاحه الديني وعن أدبه المنشور منه والمنظوم وعن مؤلفاته التي زادت على الستين ثم تكلمت عن المدائح النبوية - بصورة

عامة - في تاريخ الادب العربي وعن ريادته للمدائح النبوية بشكل عام . وقد شغلتنى هذه الدراسة قرابة أربع سنوات مع التفرغ الكامل للكتابة والبحث عن أخبار النبهاني ومؤلفاته المبعثرة في مختلف المكتبات وفي الفصوص وراء قصائده في غير المدائح النبوية التي أوصى بآتلافها فضاء تراث قيم من الشعر الجزل <sup>الجزلي</sup> الرصيني الذي شهد له لداته وأنداده من كبار الادباء والعلماء بالسبق والرفعة وعلو المقام .

وقد استعنت بالبحث الدؤوب المتواصل حتى استطعت أن أعثر على بعض هذه القصائد المفقودة وجعلت منها نموذجاً لقصائده الأخرى . التي كان ينافس بها أمراء الشعر في عصره .

والحقيقة أن صلتى بالموضوع لم تكن وليدة الساعة التي قررت فيها اختياره موضوعاً لتسجيل رسالة الدكتوراة فالشيخ يوسف النبهاني ولد في قرية " اجزم " التي ولدت فيها وكان معروفاً بتقواه وصلاحه حتى أصبح ممن يعتقد فيهم الولاية حيث كانت تصدر عنه بعض الكرامات التي يحفظها سكان القرية .

وعندما بلغت سن التمييز كنت اسمع والدي وأهل قريتي يتحدثون عن الشيخ يوسف النبهاني ومع توالي السنوات كانت معرفتي عنه تزداد وتتنوع وتتسع وثبت في عقلي ان الشيخ يوسف النبهاني الذي ولد في قريتي وتربطني به قرابة كان عالماً فاضلاً تقياً تصدقت به الأيام حتى صار رئيس محكمة وكان يتميز عن بقية العلماء من آل النبهاني بمكانته العلمية والاجتماعية .

ولقد أنهيت تعليمي الثانوي في الاردن واخترت كلية الشريعة في بغداد لاتباع ثقافتى الجامعية ، وكان اختيارها أثراً للتربية الدينية التي أنشأني عليها والدای جزاها

الله كل خير وتعرفت على أحد أساتذتي في الكلية وهو الشيخ يوسف عبد الرزاق أحد شيوخ وعلماء الأزهر المنتدبين للتدريس في كلية الشريعة بجامعة بغداد وهو فلسطيني الأصل مصري الجنسية \* وحين قويت الصلة بيننا قلت له اني فلسطيني من " اجزم " قرية الشيخ يوسف النبهاني وهو قريبي فرحب بي ترحيباً حاراً يفيض عاطفة ومحبة وصار يترحم على الشيخ يوسف النبهاني سائلاً الله أن يعيد أمثاله في الاسلام وأوصاني ان أكون مثل الشيخ النبهاني في العلم والتقوى وعرض على مساعدته في كل ما أحتاج اليه وكنت أزوره في بيته فيكونني ويشعرنى بعطفه ورعايته لي كلما سنحت فرصة رحمه الله وأسكنه فسيح جناته \*

ولقد كان لهذه الحادثة أبلغ الأثر في نفسي اذ أثبتت ما كنت أسمع من أهل قريتي عن الشيخ يوسف النبهاني من مجرد حفظ بعض الوقائع المتفرقة عن تقواه وفضله الى شهادة شيخ أزهري فاضل يدعو الله أن يعيد أمثاله للاسلام والمسلمين عند ما ثبت في عقلي بصفة يقينية علم وفضل الشيخ يوسف النبهاني رحمه الله \*

وفي سنة ١٩٦٩ حصلت على ليسانس شريعة وآداب من كلية الشريعة جامعة بغداد وتوجهت للسعودية حيث عملت مدرسا لمدة سنة واحدة ثم استقلت وتوجهت نحو مصر الاسلام حيث الأزهر الشريف منارة العلم الكبرى والتحق عام ١٩٧١ بكلية اللغة العربية شعبه الأدب والنقد ولا أدري كيف اخترت هذه الكلية وهذه الشعبة حيث أنني ما قدمت الى مصر الا لدراسة التصوف الذي ما فارقتنى مصادره طيلة مراحل حياتي \* ولكنها مشيئة الله والخيرة فيما اختاره سبحانه \* والتقيت بأساتذتي من علماء الأزهر الشريف وشاهدت من عظيم فضلهم وسعة علمهم ما ذكرني بزميلهم وأخيمهم الشيخ يوسف النبهاني فتوجهت بلا ارادة مني الى دار الكتب المصرية وفتشت في فهرس المؤلفين عن اسم " يوسف النبهاني " فوجدت له أكثر من سبعين بطاقة باسمه وقد كانت هذه مفاجأة اوقعتنى في دهشة فسجلت جميع مؤلفاته مع ارقامها في كراسة وطلبت الاطلاع على بعضها خاصة ديوانه " العقود اللؤلؤية في المدائح النبوية " ورجعت الى كتاب الاعلام للزركلي وكتاب معجم سركيس وكتاب معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة .. كما رجعت الى المصادر التي أثبتوها في ترجمتهم للنبهاني فتصفحت مجلتي المنار والمشرق وقرأت كتاب

رضا

المنار والأزهر لرشيد رضا وغيرها فوجدت أن الشيخ النبهاني كان شخصية متعددة الجوانب كثيره المواهب فهو رئيس محكمة الحقوق العليا في بيروت وهو فقيه له مؤلفات

والشريعة

في مسائل فقهية وهو فيلسوف مناظر للثضاري مدافع عن الاسلام بالحجة العقلية والفعلية وهو مكافح للتيارات الفكرية المتولدة من الحضارة الغربية وهو حافظ لمعالم الاسلام من أدياء التجديد والتحول من علماء المسلمين وخاصة مدرسة الأفغاني ، وهو رجل

مجتمع يقصده المظلومون وذووا الحاجات وهو الشاعر الذي مدح حكاه عصره ووجهاءه وفوق هذا كله هو الشيخ يوسف النبهاني <sup>النبهاني</sup> الصوفي المعروف بحجته <sup>الحجته</sup> للرسول صل الله عليه

وسلم حتى أصبحت لفظه \* المحب \* لدى الصوفية مصطلحاً معناه الشيخ يوسف النبهاني حيث قصر مؤلفاته على أخباره وحياته صلى الله عليه وسلم .

وقد كان لهذه الاتجاهات المتعددة المتمثلة في شخصية الشيخ يوسف النبهاني مع انقطاعي للدراسة والتحصيل في الادب والنقد ما صرفني شيئاً ما عن متابعة الاستقصاء والبحث ، وأمضيت سنتين في الدراسات العليا حصلت بعدها على درجة التخصص \* الماجستير \* في الادب والنقد وكنت أود أن يكون بحث الماجستير عن الشيخ يوسف النبهاني ولكن ضيق الوقت وتعدد الاتجاهات والجوانب في شخصيته ثبطني وصرفني للكتابة عن \* ابن زيدون عصره وحياته وشعره \* واستشرت قريبي الدكتور الطبيب فاضل زيدان في جعل رسالة الدكتوراه عن الشيخ يوسف النبهاني بمقدار أن أطلعته على ما توصلت اليه من معلومات أولية فشجعني وأبدى استعداداً لمساعدتي بما يتوفر لديه من معلومات عن الموضوعات لانه من بلدتنا \* اجزم \* ثم توكلت على الله الذي لا يخيب من رجاءه .

وكان الله سبحانه وتعالى قد اذخر لي النبهاني ومداينة النبوية لتكون موضوعاً لرسالة الدكتوراه .

وقد تكشف لي أثناء بحثي جوانب مختلفة من هذه الشخصية جعلتني أمضي قدماً في تسجيله موضوع رسالة أقدم بها للحصول على درجة الدكتوراه .

من هذه الجوانب المشجعة :-

اولا : لان الشيخ يوسف النبهاني من رجال العصر الادبي الحديث ونحن في أمس الحاجة الى دراسة رجاله وآثاره ليتضح لنا طريقنا نحو مستقبل أفضل بعد قضينا أزمانا طويلة نبديء ونعيد في تراجم السابقين ولعل قلة مراجع الدراسة لرجال العصر الادبي الحديث والتي لا تتوفر الا في مصادرها الاصلية كالدوريات أو صعوبة الرجوع الى الشخصيات العصرية التي لديها المعلومات هو ما صرف الباحثين الى تراجم السابقين الذين توافرت حولهم الدراسات والبحوث في مختلف المصور .

ثانيا : ان الشيخ يوسف النبهاني فلسطيني المولد والنشأة تعلم في الأزهر وعاش في تركيا وسورية وشمال العراق وبلاد الحجاز وتردد كثيرا على مصر واستقر في لبنان حيث توفي ببيروت ، فدراسته فيها توثيق لروابط الأخوة بين الأقطار الاسلامية التي كانت تعيش في اطار الوحدة الاقليمية لأنها واحدة .

ثالثا : ان يوسف النبهاني تعلم في الأزهر مدة سبع سنوات وكان هو النبع الاول والمصدر لثقافته ومعرفته وقد بقيت الصلة والثقة قائمة بينه وبين أساتذته وغيرهم من علماء الأزهر ، وظهرت آثارها باجازاتهم له وبما قرظوا من كتبه بالاضافة الى ان الشيخ النبهاني كثيرا ما كان يهيب بعلماء الأزهر للنهوض باصلاح الامة بعد ان فسدت ولم يكن يرى صلاحها بغيرهم بالاضافة الى اكرامه للعلماء الذين كانوا يزورون بيروت وتواضعه لهم مع علو مقامه في القضاء ، وكل هذا يدل على تمجيده للأزهر ورجالهم ورسالته .

رابعا : كان الشيخ يوسف النبهاني مثال العالم المسلم الذي ينظر الى الاسلام من حيث هو عقيدة وشريعة فالحسن ما حسنه الاسلام والقبيح ما قبحه الاسلام فكان يدعو للتمسك بالكتاب والسنة ناعيا على كل من يجتهد فيما ورد فيه نص عن أحدهما . ولقد عاش حياته المديدة فما عابه أحد في عقيدته وسلوكه حتى ممن ناصبوه العداء وأصبح رئيسا لأعلى محكمة قضائية في الولايات العثمانية فما حكم بغير الشريعة الفراء متحريرا للحق والعدل في كل سبيل .



خامسا : بقى الشيخ يوسف النبهانى مخلصا بقلبه وعاطفته للرابطة الاسلامية بين الشعوب فى دولة الخلافة العثمانية داعيا الى تقويتها بأدبه وشعره عن طريق مؤلفاته الكثيرة التى خدم بها الاسلام ليقوى فى قلوب المسلمين فيزدادوا ترابطا وتماسكا وقوة ، ولقد خيل لبعض الباحثين المحدثين انه قد نسى عرويته الأصلية ولكن سرعان ما خلق السلطان عبد الحميد وظهرت سياسة التقريب فأقبل فى حماس يذكر بالعرب وفضلهم فى حفظ الاسلام ونشرهم له وبأن الرسول عربى والقرآن نزل بلغة العرب ونفت كثيرا القوائد الطنسانية التى جعلها دعاة القومية من أناشيدهم الوطنية التى يرددونها فى وجه الدعوة الطورانية كما اتخذها بعضهم تهمة قومية يلصقونها ببعض الشخصيات الاسلامية لاسقاط مكانتها لدى الدولة العثمانية مثل قوله :-

وممت دار الملك أحسب أنها	الى الآن لم تبح الى المجد سلما
فالفيتما قد أقفرت من ربوعها	ولم يبق فيها الفضل الا توهما
حوت قوم سوء أسلموا أى نفوسهم	الى الكفر الا من له الله سلما
وألفيت فيها أمة عربية	يرى القوم منها أمة الزنج <u>أكراما</u>
وما نقموا منا بنى العرب خصلة	سوى أن خير الخلق لم ينك أعجما
ولكن حجاب الحق أعمى قلوبهم	فلم ينظروا من خلفهم حجب العمى
بنى اللؤم انى ما تكلمت هاجيا	ولكن قلبى من جفاكم تكلمما
ولو لم يكن قصدى مدح أبى الهدى	لجرعتكم لو ذقتم الهجر علقما

.....

فمن يقول مثل هذا الشعر بهذه العاطفة الفياضة لا شك أنه كان عربيا مخلصا لعرويته كما كان مخلصا لاسلامه .

سادسا : نزع الشيخ يوسف النبهانى الى منهج اصلاحى عملى فى حياته ، حيث دعا مشايخ الأزهر ان يتفرغوا لاصلاح الأمة الاسلامية ورد الشبهات التى يثيرها اعداء الاسلام من دعاة التجديد أو من تلاميذ الجامعات الغربية الصليبية ونبيههم

التاريخ

مكررة عربى

سيرة

الى وجوب ترك الحواشى والتقارير على المؤلفات القديمة التى استوعبت جميع  
مناحى الشريعة وفيها الكفاية كما انه دعا الى عدم التطلع فى علوم اللغسة  
العربية والبلاغة والمنطق وعلم الكلام وغيرها مما يسمونه علم الآلة لانها وسيلة  
وليست غاية اذ الغاية منها فهم الكتاب والسنة والتعبير بصورة فصيحة وصحيحة  
وفى عشر ما هو موجود منها كفاية بل فوق الكفاية كما يقول •

سابعاً : كان الشيخ النبهانى نسيج وحده فى آثاره الأدبية فقد خلف لنا أكثر ممن  
ستين مؤلفاً كلها فى شؤون الرسول صلى الله عليه وسلم كما خلف لنا ديوان  
شعر فى المدائح النبوية لم يثبت فيه الا ما قاله فى المدائح النبوية مع جودة  
شمره الذى قاله لاغراض أخرى والذى أوصى باتلافه لانه لا يحب ان يؤثر  
عنه الا ما قاله فى مدح الرسول صلى الله عليه وسلم وهذه ظاهرة فريدة فى  
تاريخ الأدب العربى كما أنه يمتاز فى مدائحه بطول النفس قله قصيده مكنوسة  
من الفبيت وأخرى من ٧٢٥ بيتاً وثالثة من ٥٥٠ بيتاً وليس له قصيدة فى  
مدح الرسول اقل من اربعين بيتاً وهذه أيضاً ظاهرة فريدة فى الأدب العربى  
ومؤلفات النبهانى المنشورة منها والمنظوم تعد دائرة معارف محمدية كاملة  
فلا تجد شأناً من شؤون صلى الله عليه وسلم الا وقد أفاض الشيخ النبهانى  
فى توضيحه وبيانه •

وقد كان الشيخ النبهانى يهدف من هذا الى نشر مآثر الرسول وفضائله من  
حيث هو الانسان الكامل والقُدوة الأمثل وقد كان لهذا أهمية كبرى فى عصر  
الشيخ النبهانى حيث وفدت الحضارة الغربية الى المشرق بأساليب مختلفه  
وكان دعائهم يظهرونها وكأنها قارب النجاة من كل ما يعانىه المسلمون من  
جهل وفقر ومرض ولكن الشيخ النبهانى كان ينشر فضائل الرسول ومآثره على  
أنها البديل الصحيح ، ويظهر هذا واضحاً فى مدائحه النبوية اذ كثيراً  
ما ينبه الأمة الى خطر الانزلاق وراء الكفرة وعلومهم التى لا يقصدون منها  
الا افساد عقيدة المسلمين وبالتالي ضياعهم وقد ذكر بروكلمان مثل هذا فى

ترجمته للنبهاني حيث يقول \* . . . . والذي تكشف عن نشاط أدبي خصب  
جداً صادر عن روح الاسلام القديم ابتغاءً وقايتة من تيارات أوروية المسيحية )  
فاذا كان بوركلمان يعبر عن العلوم الحديثة الواقعة بـ "تيارات أوروية المسيحية"  
فان \* أهل مكة أدري بشعابها \* كما يقولون ورحم الله الشيخ النبهاضي  
الذي تثبه لهذا الخطر العظيم ولم يتنبه له من يمولهم رؤاد الفكر الحديث

ثامنا : وقف الشيخ النبهاضي من حملات التبشير المسيحي بدارس ومؤسسها

الاجتماعية وقفة صامدة أثبت فيها عزيمة وثباتاً على الحق منقطع النظير فقد كان  
يقف لهم بالمرصاد مدافعاً عن الاسلام مثبتاً كفايته لمعالجة مشاكل العصر  
وموضحاً فساد الدانيتين اليهودية والنصرانية بالحجة والمنطق محذراً من  
أساليب مدارسهم داعياً المسلمين الى افتتاح مدارس تدرس العلوم العصرية .  
وينبغي أن نعلم أنه كان يحارب التبشير المسيحي ومدارسه في بيروت التي كانت  
مقراً للحركة التبشيرية بالإضافة الى تخطيط الدول الاستعمارية لجعلها  
عاصمة لدولة مسيحية .

وكذلك غلبة التيارات الفكرية الحديثة في بلاد الشام وضعف الدولة العثمانية  
وفقدان سيطرتها على شعوبها وتشويه صورة السلطان عبد الحميد آخر  
السلطين العثمانيين المعدودين .

ويخلع السلطان عبد الحميد فقد الشيخ النبهاضي نصيره الوحيد ولكنه يقى  
ثابتاً على مبادئه لم يغيرها على الرغم من عزله من وظيفته حيث اضطر الى الالتجاء  
الى الخديوى عباس حلى باشا الذي رتب له الف قرش شهرياً .

ثاسما : بقى الشيخ النبهاضي مغموراً في الاوساط الادبية على الرغم مما خلفه من ثراث  
أدبي عظيم في المدائح النبوية ولم أجد أحداً أقام رأسه مستقلة عنه وقصد  
ورد ذكره عابراً في كتب التراجم فقط التي شهدت له بالفضل والمقدرة الادبية  
حتى شهد له بعضهم بأنه من أشعر شعراء عصره علماً بأنه عاش زمن شوقي  
وتوفيا في عام واحد ١٩٣٢ .

فالموضوع في حد ذاته بكر لم يتطرق اليه أحد مع أنه معروف ومشهور لدى الأوساط الصوفية .

عاشرا : لقد كان اهتمام النبهاني موجها الى المدائح النبوية في أدبه أولا ، وكان ذلك ملقنا للنظر حيث تستدعي هذه الظاهرة مزيداً من الدراسة والبحث لمعرفة أعماق وأبعاد هذا الاهتمام الفريد .

فالمدايح النبوية لم تسترِع انتباه الأدباء ودارسي الأدب منذ أقدم الأزمنة ولعل جلالة قدرها ومكانة مدحها صلى الله عليه وسلم في قلوبهم ما رغبتهم عن إخضاعها لمقاييس الأدب الأخرى حفاظاً على مكانتها . وفي العصر الحديث خاض الباحثون والدارسون من الأدباء جميع مناحي الأدب بجراً ولم نجد هناك من اهتم بدراسة المدائح النبوية دراسة مستقلة واعية تناسب ما لدينا من هذا التراث الضخم الذي بدأ متصلاً من مبعث الرسول صلى الله عليه وسلم الى يومنا هذا لم ينقطع على الرغم من الظروف القاهرة التي مرت بالمسلمين ولم تضعفه بل كانت تزيد أواره .

ولعل من المدائح النبوية هو الوحيد من سائر فنون الأدب في هذا المضمون لذلك كان اهتمام النبهاني بفن المدائح النبوية ، هذا الاهتمام الذي لم يسبقه اليه غيره في العصر الحديث على أقل تقدير ، جديراً بأن يلفت أنظار الباحثين لدراسة هذه الظاهرة الأدبية المتمثلة في شخص الشيخ يوسف النبهاني .

احدى عشر : لقد أثرى الأدب الاسلامي اثراء عظيماً بما خلفه الشيخ النبهاني من مدائح نبوية نظماً ونثراً . وقد طُوِّع الشكل الشعري لهذا الغرض حتى استوعبت القصيدة الواحدة الف بيت والآخرى بلغت ٧٢٥ بيت والثالثة بلغت ٥٥٠ بيت ، وهكذا وفي هذا قوة ونهوض بالأدب الاسلامي الذي يسجل قيمنا ويحفظ اخلاقنا السيى مدى حد بعيد .

كل هذه المشجعات والدوافع جعلتني أمضى قدماً في اختيار هذا البحث ليكون موضوعي للحصول على درجه الدكتوراة بعد أن وافق الاستاذ الدكتور عبد السلام سرحان ان يكون مشرفاً وموجهاً جزاء الله كل خير .

ولقد استغرق الحديث في هذا البحث آمداً بعيدة ، وشغل آفاقاً واسعة واشتمل على أربعة أبواب وخاتمة ، وكل باب تضمن عدة فصول وأجزاء .  
أما الباب الأول فكان حديثاً تمهيدياً وإن كان ضرورياً من <sup>نحو</sup> عصره وبيئته تناولت فيه الكلام عن فلسطين من الجوانب الجغرافية والاقتصادية والثقافية والسياسية والاجتماعية وامتد بنا الحديث فيها لسبيين .

الأول أن دراسة هذه الجوانب تعد أساساً للدراسات الأصلية عن الشيخ يوسف النبهاني ومدائحه النبوية .

يقول الدكتور شكرى فيصل ( ٠٠٠٠ ) وأن الدراسات الأدبية من هنا يجب أن تتضمن هذين النوعين من الدراسات التي يكمل بعضها بعضاً ، الدراسات الجانبية أو المساعدة والدراسات الأصلية ٠٠٠ فالدراسات الأصلية ٠٠٠ فالدراسات الجانبية تتناول هذا الذى يحيط بالظاهرة الأدبية من الثقافة والسياسة والاجتماع والاقليم وما الى ذلك والدراسات الأصلية تتناول الظاهرة الأدبية بالذات ، أعنى تتناول هذا الكاتب أو هذا الشاعر أو هذا الأثر الفنى بالدراسة العميقة والبصيرة النافذة ٠٠٠ ومن تعاونهما تكون الدراسة الحققة ومن التقائهما يبرز هذا المجرى الأدبى الذى نحاول كشفه وإزاحة الضباب الذى وان عليه <sup>(١)</sup> .

والسبب الثانى أن حياة الشيخ النبهاني امتدت من عام ١٨٤٩ - ١٩٣٢ ونفى هذه الحقبة حدث الكثير من التحولات والتغيرات الاقتصادية والثقافية والسياسية التى لها أكبر الأثر فى حياة الأديب وذلك بالإضافة الى كون الشيخ النبهاني فلسطينى الأصل وفى هذه المدة بدأ اليهود يخططون رسمياً لجعل فلسطين وطنهم القومى وصدر وعد بلفور وأخيراً تحقق الوعد ، وقامت إسرائيل .

(١) مناهج الدراسة الأدبية فى الأدب العربى الدكتور شكرى فيصل ص ( ٢٣٨ )

راجع أيضاً ص ٢٢٧ وص ٢٣٠ .

وقد كان كل هذا نتيجة للظروف الثقافية والسياسية والاقتصادية التي مرت بها المنطقة ، ولقد كان من المحتم ان ارسـم صورة البيئة وأهى بيانا عن جغرافية فلسطين وطبيعتها الساحرة ، وكانت مصادري في هذا الباب هى الدوريات والكتب المتخصصة مضافة الى كتب الدراسات الأدبية التي أشارت الى بعض هذه النواحي وكذلك كتب الرحلات والحفريات الأثرية وكتابات الشخصيات المؤرخة لهذه الفترة مثل الأستاذ محمد جميل بيهم ، والاستاذ محمد عزة دروزة وغيرهما .

وفي الباب الثاني: تحدثت عن نشأته وحياته وتكلمت عن مولده وأسرته وثقافته ومكانته العلمية والاجتماعية وعن شخصيته ومبادئه وكفاحه الدينى .

وقد كانت مصادري في هذا الباب ما ذكره النبهانى نفسه عن شؤونيه فى مؤلفاته وما سمعته من والدئ ومن الدكتور فاضل زيدان ومن أحقاد النبهانى وابناء عمه الذين زرتهم فى بيروت ودمشق وكذلك من العلماء الذين عاشوا زمنه واحتكوا به مثل الشيخ مختار الحلايلى أمين الفتوى فى لبنان وأخيه عبد الله الحلايلى الملقب بأعجوبة الدهر لا تقاونه عدة علوم أو من الذين شهدوا حياته مثل الاستاذ / خير الدين الزركلى والاستاذ محمد عزة دروزة اللذين زرتهما فى بيروت ودمشق .

وفي الباب الثالث : " أدبه " تكلمت عن أدبه المنشور <sup>المنثور</sup> وأغراضه وعن شعره وفنونه بشكل عام وشهادة لـ <sup>لـ</sup>داته وأنداده له بالسبق فى الشعر ، كما تكلمت عن آثاره التى زادت عن الستين وأوضحت أهميتها من الناحية الإسلامية .

وفي الباب الرابع : " مدائحه النبوية " بسطت القول عن المدائح النبوية

وأطوارها وعن مدائح النبهانى وبواعثها وأوردت نماذج من مدائحه النبوية عارضا لخصائصه الفنية فى تلك المدائح ، كذلك تحدثت عن معارضاته فيها ومركزه الأدبى بين مادحى الرسول ، وأخيرا تكلمت عن ريادة المدائح النبوية لأنه استطاع ان يجتاز بمدائحه النبوية ما وصل اليه السابقون ويفوق مادحيه المادحون ، ومن هنا كان يحق رائد هذا اللون فنياً وان تأخر به العصر ، ولهذا كان من حقه ان يردد مع الزمن



- (ك) -  
- (ل) -

• رسول أبي العلاء المعري مفاخر الزمان

واني وان كنت الأخير زمانه <sup>لدي</sup> لان بما لم تستطعه الأوائل وهذا وقد تكشف لي فسي  
ثنايا البحث الكثير من الحقائق الخطيرة التي لو درست دراسة وافية لاسقطت الكثير  
من الافكار والمفاهيم التي تعد - حتى الان - من المسلمات لدى الكثير من الأدباء  
والمفكرين في العصر الحديث •

هذا وبهني أن أقرر أنني لم التزم منهجا معيناً من مناهج البحث لقصوره وحده  
عن الوصول الى النتيجة بل كان منهجي " وحدة في الهدف وكثرة في الوسائل " فقد  
أفدت من كل ما وصلت اليه من معلومات في سبيل الوصول الى الغاية وهي ابراز المكانة  
العلمية والادبية للشيخ يوسف النبهاني التي اغفلها الباحثون لسبب أو لآخر • • •  
وبغير عمد •

ولقد تفتحت لي جوانب من المعرفة في اثناء البحث كانت تجذبني نحوها خصوصاً  
في الناحية الثقافية والسياسية من خلال الباب الاول ، وفي كفاحه الديني وشخصيته  
ومبادئه في ثنايا الباب الثاني •

وفي معارضاته الشعرية للمدائح النبوية القديمة في الباب الرابع • ولكن هدفت في  
الاول كان توضيح صورة الشيخ يوسف النبهاني بقدر ما يسمح به البحث دون استطراد  
ما أمكن •

هذا ولقد تجمعت لي مادة غزيرة لم أستطع ان أضنها البحث وأرجو صادقا ان أوفق  
في اخراجها في دراسات مستقلة • وفي المدائح النبوية تكشف لي روائع من الشعر  
المعري الذي قاله شعراء أفذاذ حكم عليهم بالنسيان لانهم اتجهوا بأشعارهم هذا  
الاتجاه •

ولعل القارئ الكريم يلاحظ أنني في دراستي للنبهاني لم أكن متحيزاً له في موقف  
من المواقف مع حبي له وشغفي به وميلى اليه وعلاقتي الشديدة به •

ولعل لا أغلو اذا قررت أنني لقيت كثيراً من العنت ، وصادت عديداً من المتاعب  
في السير وراء المراجع ، وتجميع المعلومات خاصة ان الشيخ النبهاني - لظروف شخصيه -

حرص على طمس معالم حياته ، وربما كان ذلك خوفاً من أن يداخله عجب أو كبرياء .  
كما طمس شعره في غير المدائح النبوية لأنه عده من السيئات التي ارتكبها في شبابه  
وأيام طيشه وجهله ، ولهذا أوصى بعدم روايته ، ولكنني عثرت على بعضه لدى الشيخ  
زهير الشاويش في بيروت والشيخ النبهاني كان يث معالم حياته في أماكن مختلفة من  
مؤلفاته لذلك اضطرت لقراءة جميع مؤلفاته لأقف على معالم حياته وسافرت مرتين الأولى  
في ١٩٧٤/٦/١٢ - إلى بيروت ودمشق وعمان وبغداد وجمعت معلومات غزيرة من  
مكتباتها وقابلت الكثير من الشخصيات وصورت بعض المخطوطات . ومن قابلتهم هناك  
أحفاد الشيخ يوسف النبهاني الذين يعيشون في بيروت الآن ومع الأسف وجدتهم لا يعرفون  
شيئاً عن أحوال جدهم ذلك أن والدهم محمد شمس الدين توفي عام ١٩٣٦ فباعه  
السنين الطويلة بينهم وبين جدهم خصوصاً وقد أنغمروا في مصارعة الحياة وقسوتها لأن  
والدهم لم يرث عن والده شيئاً بل حدثني المهندس يوسف النبهاني - الحفيد - أن  
الله سبحانه قد استجاب لدعوة جدهم وهو على فراش الموت حيث قال \* اللهم لا تفنني  
ولا تفن أحداً من ذريتي \* وفي حياته جعل حق طبع مؤلفاته لجميع المسلمين .

وقد عدت من هذه السفرة الأولى في ١٩٧٥/١/١٥ ثم عاودت السفر في ٧٦/٢/٢  
إلى دمشق وبغداد وعمان وعدت ثانيه في ١٩٧٦/٤/٥ .

وأمام اتساع دائرة البحث وتشعب جوانبه حدثتني النفس كثيراً بالتوقف . ودفعني  
إلى ترك البحث في هذا الموضوع لصعوبة الحصول على مصادره ولأنني لم أجد أحداً من

الباحثين كتب عنه ولو بصورة أولية . حتى يمهّد لي معالمة . واتجنب البدء من الصفحة

وهو أمر صعب شديد ولكن استاذي المشرف رفض هذا التراجع بكل حزم وحسم وشجعني  
على <sup>قدماً</sup> المضي قوماً في الكشف عن هذه الشخصية الإسلامية الفذة التي حرص أعداء الإسلام

من أدباء النصاري وغيرهم على طمسها وأخيراً وفقني الله بمساعدة استاذي المشرف  
وتعاونه الكامل على اتمام هذا البحث واعطائه حقه في مجالات العلم والأدب ويقدر مايسمح

لي الزمان والمكان .

وسوف يجد القارئ الكريم أن هناك جوانب مختلفة من شخصية النبهاني في مدائحه

النبوية يستحق كل جانب منها أن يستقل ببحث للدكتوراه .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(( البسماب الأول ))

( عصره ويثتبه )

## الفصل الاول :

### الصورة الجغرافية لوطنه :

#### الموقع :

تقع فلسطين في القسم الجنوبي الغربي من سورية الواقعة في أقصى الغرب من قارة آسيا على البحر المتوسط .

#### الحدود :

كانت حدود فلسطين زمن الانتداب البريطاني كما يلي :  
من الشمال : الجمهورية اللبنانية ومن الشرق : الجمهورية السورية والمملكة الاردنية الهاشمية ، ومن الغرب : البحر المتوسط ومن الجنوب : جمهورية مصر العربية وخليج العقبة  
المساحة :

تقدر مساحة فلسطين بـ ٢٧ ألف كم مربع بين ماء وياسة (١) .

#### السكان :

لقد أدت هجرة اليهود لفلسطين الى زيادة ملحوظة في عدد السكان خلال مدة الانتداب البريطاني سنة ١٩١٩ ذلك لان مهمة الانتداب كانت في الواقع تحقيق وعد بلفور الذي يفرض على الدولة المنتدبة وضع كافة الامكانات لاقامة الوطن اليهودي في فلسطين واهمها تسهيل الهجرة والاستيطان أما الهجرة فتبد وخطورتها اذا عرفنا أن عدد سكان فلسطين حسب التقديرات الرسمية عام ١٩٤٤ كان ١٧٦٥٠٠٠ نسمة بينهم ٥٥٤٠٠٠ يهودي (٢) وفي عام ١٩٤٨ بلغ عدد سكان فلسطين ١٩٤٣٠٠٠ نسمة

(١) يذكر الاستاذ الدباغ أن مساحة فلسطين ٢٧٠٢٤ كم مربع " بلادنا فلسطين "

ج ١ ص ح ح

(٢) بلادنا فلسطين ج ١ ص ح ح

حتى كون ١٥ تطويل عمل  
في صفوات ليست من صميم الممنوع

تحتفظت عن تفاصيل جغرافية  
الضرورة إليها

منهم ٧٠٠ ألف يهودى بنسبة ٣٦ % من مجموع السكان بينما لم تكن نسبتهم عام ١٩١٩ غير ٨% فقط (١) .

ونلاحظ أن زيادة اليهود عامى ١٩٤٤ - ١٩٤٨ هى ( ٠٠٠ ١٤٦ ) نسمة بينما زيادة العرب لم تتجاوز ٣٢ الف نسمة فقط مع ملاحظة الفارق بين الاصيل والدخيل منهما " وقد كانت هذه الزيادة هى المهمة التى كلف بها المندوب السامى البريطانى " وهو " هيرت صموئيل " وهو أحد زعماء الصهاينة فى بريطانيا فقد كانت مهمته الاولى هى العمل على تسهيل الهجرة والاستيطان لليهود (٢) .

### التضاريس الطبيعية لتقسيم فلسطين من حيث تضاريس طبيعتها الى اربعة أقسام :

أولاً : أ - السهول الساحلية المشرقة على البحر الأبيض المتوسط وهى سهل عكة

ب - سهل منج ابن عامر

ج - سهل سارون

د - سهل يافا

هـ - سهل غزة

ثانياً : المرتفعات الوسطى :

أ - القسم الشمالى :

وهى عبارة عن جبال الجليل التى يتراوح عرضها بين ٤٠ - ٥٠ كم وتكاد تكون تكون تكمة لجبال جنوبى لبنان التى تقع شمالها وتمتد من شمال صفد الى جنوب الناصرة ومن سهل عكة الى سهل الحولة وتبلغ اقصى ارتفاعها فى جبل انجرمىق قرب صفد ويبلغ ارتفاع قمته ( ١٢٠٨ م ) وهو أعلى جبال فلسطين ، وفى جنوبها جبل طابور ويبلغ ارتفاعه ( ٥٦٢ م ) وتتكون غالبية جبال الجليل من الصخور الجيرية وهذا النوع من الصخور قلما يحتفظ بمياه الأمطار ، هذا مع فقر التربة الناجمة عن تفتت هذه الصخور وجعل الانتقال الزراعى محدودا الى درجة كبيرة .

ب - القسم الجنوبى :

١ - جبال الكرمل

٢ - جبال نابلس

٣ - جبال القدس

٤ - جبال الخليل

(١) جغرافية فلسطين ص ١٠ بتصرف .

(٢) حديث الهيئة الاذاعة البريطانية صباح يوم ٢٨ / ٢ / ١٩٧٧ بتصرف

### ثالثا : سهل الفجور :

وهو يشمل ٥% من مساحة الاراضى الفلسطينية ويتراوح عرضه بين ٤ - ١٥ كم وقد دعى بهذا الاسم لانخفاضه فى معظم اجزائه عن مستوى سطح البحر . ويعتقد علماء طبقات الأرض أن هذا الانخفاض بين مرتفعات غربية وشرقية نشأ عن حركات عنيفة فى القشرة الارضية فى العصور الجيولوجية ..... وما سهل الفجور الا قطعة ضيقة من القشرة الارضية انخفضت مئات الأميال عن سطح البحر من جهتي الشرق والغرب وهو فى أقصى شماله عن سهل الحولة يرتفع نحو مترين عن سطح البحر . وتقدر مساحة سهل الفجور بنحو مليون دونم ويشتهر مع زراعة الحبوب بالموز والنخيل والقطن وقصب السكر والثمار .

### رابعا : النقب :

وهو عبارة عن هضبة يتراوح ارتفاعها بين ( ٥٠٠ ) و ( ١٠٠٠ ) م كما تبلغ مساحتها نصف مساحة فلسطين التى تشكل القسم الجنوبي منها ، ويكسب النقب يكون على شكل مثلث قاعدته الشمالية خط يمتد بين غزة والطرف الجنوبي من البحر الميت ورأسه الجنوبي العقبة ولقلة الامطار التى تسقط فى هذه المنطقة تقل فيها الزراعة جدا وكثيرا ما تتجسس الامطار فيعم القحط . أما الثروة الحقيقية فى هذا الجزء <sup>(١)</sup> فهى ما يحويه من معادن واثرة أهمها الاورانيوم والفوسفات .

### الانهار والبحيرات :

#### ١- الانهار الساحلية وهى :

- ١- نهر الكابرى
- ٢- نهر النعامين
- ٣- نهر المقطوع
- ٤- نهر الزرقاء
- ٥- نهر الموجة وهو أطول الأنهار الساحلية وتكثر على ضفافه الحدائق والرياض .

- ٦- نهر روبين
- ٧- نهر سكرير
- ٨- وادى الحسى

- ٩- وادى غزة

#### ٢- الأنهار الداخلية وهى :

- ١- نهر الحاصباني
- ٢- نهر دان أو اللدان
- ٣- نهر يانيس
- ٣- نهر الأردن وهو أطول الأنهار الداخلية .

## البحيرات :

١- بحيرة الحولة : كانت مساحة هذه البحيرة ذات المياه المذبة قبل النكبة ( ١٤ ) الف دونم وقد جففها اليهود للاستفادة من تربتها في الزراعة ولم يعد لها من أثر الا المجرى الذى يسير فيه نهر الاردن .

٢- بحيرة طبرية وتبعد عن سابقتها نحو ١٧ كم الى الجنوب وتكثر فيها الاسماك التى تعيش فى المياه المذبة وكان صيد الاسماك قبل النكبة مصدر عيش ورخاء لكثير من السكان العرب الذى يسكنون على ضفافها وتبلغ مساحتها ( ١٦٥ ) الف دونم وهى ذات مناظر خلابة لموقعها الاخاذ وماؤها أزرق رقيق تحيط به الجبال الشاهقة .

٣- البحر الميت : وكان يعرف قديما ببحيرة لوط وهو نهاية المطاف لنهر الاردن حيث يصب فى أقصى شماله وقد سوى بهذا الاسم لاستحالة وجود الاحياء فيه بسبب ارتفاع نسبة الاملاح فى مياهه الى درجة تجعل طعمها مرا كالملح وتبلغ مساحة هذا البحر ( ١٠٥٠ ) دونم وأقصى طوله ٧٦ كم ومتوسط عرضه ١٥ كم وأما عمقه فكبير فى الاقسام الشمالية خاصة حيث يصل الى ٤٥٠ م بينما نجده فى أقصى الجنوب المعروف بالفور الصافي ٠٠ لا يتجاوز مترا واحدا وتزداد نسبة الاملاح فيه سنة بعد سنة لأن الكمية الهائلة المتبخرة من مياهه بسبب اشتداد الحرارة على هذا الانخفاض الهائل عن سطح البحر ( ٣٩٢ ) مترا وهو أقصى انخفاض عن سطح البحر فى الكرة الارضية لا تعوضها المياه التى يصبها فيه نهر الاردن وتبلغ درجة الملوحة فيه ٢٥% بينما هى فى سائر المحيطات تتراوح بين ٢% - ٤% .

وهذه الملوحة لم تترك مجالا لادنى أنواع الحيوان وأيسر اشكال الحياة للظهور فيه فكان أن لزمه اسم " البحر الميت " ولكن هذه الاملاح التى سببت اطلاق هذا الاسم عليه هى فى الوقت نفسه مصدر ثروة اقتصادية هائلة خاصة البوتاس الذى يقدر الخبراء أن مياهه تحتوى منه على الفى مليون طن والبوتاس من المواد الهامة للصناعة أما ملح الطعام فيقدر ما يوجد منه فى مياهه ~~الف~~ ألف مليون طن وهذا كلة غيظ من فيض كما يوجد فى مياه البحر الميت كثير من كنوز المواد الكيماوية التى تقدر قيمتها بمليارات الجنيهات . ولذا يعد وان كان " ميتا " بالنسبة لعدم وجود الاسماك والاحياء المائية الاخرى فيه عوننا كبيرا على أفضل أنواع الحياة اذا ما استثمرت كنوزه كما يجب

الخبراء

✍



## الينابيع :

تنتشر الينابيع في فلسطين انتشارا كبيرا وتسمى عيونا ومن أعظمها العيون  
الآتية :-

(١) عين جارود قرب بيسان (٢) عين السلط قرب اريحا

(٣) عين الجدى على الشاطئ الغربى من البحر الميت

(٤) ينابيع السهل الغربى :-

أ - نبع الكابر قرب عكة ب - نبع كردانة شرق حيفنة

ج - رأس العين شمال شرق يافا د - نبع قرية فراضية في قضاء صفد

هـ - نبع قرية البعنة في قضاء عكة وهناك عدد من الينابيع المعدنية منها

نبع المقل ونبع الريح وهناك ينابيع معدنية في طبرية اسمها "الحارة" ينابيع  
وهناك نبع "عين مالح" في قضاء نابلس ونبع "عين عصب" جنوبي  
البحر الميت .

## المناخ درجة الحرارة :

تقع بلادنا المفتتمة فلسطين في المنطقة المعتدلة الشمالية ولكن طبيعة تضاريسها  
الارضية جعلت المناخ فيها على الرغم من صغر مساحتها متنوعا يختلف من بقعة الى  
اخرى فجدده في فصل الصيف معتدلا في السهل الساحلى وأكثر اعتدالا في منطقة  
المرتفعات الوسطى أما في فصل الشتاء فالجودا في نوعا في السهول الساحلية دافئ  
تماما في النور .

## أ - الرياح :

شأن فلسطين شأن جميع الاقطار الواقعة في المنطقة المناخية المعروفة بمنطقة  
( البحر الابيض المتوسط ) أى أنها تتعرض للرياح ذاتها التي تتعرض لها  
هذه المنطقة وهى :-

(١) الرياح التجارية الشمالية الشرقية الجافة .

(٢) الرياح العكسية التي تهب في فصل الشتاء قادمة من البحر فتسقط أمطارها  
على المرتفعات ، ولهذا يعد فصل الشتاء فصل الأمطار .

(٣) الرياح الشرقية حيث تتعرض فلسطين في أوائل الصيف الى رياح تهب من  
الصحراء وتكون هذه الرياح جافة شديدة الحرارة مشحونة بالرمال والأتربة  
الدقيقة الخائقة فتضيق الناس وتضر المزروعات وتساعد على نشر الامراض

ولها عدة أسماء ( الخماسية ) أو ( الخماسينية ) أو ( الشلوق )<sup>(١)</sup> .

### الأمطار :

تسقط الأمطار في فصل الشتاء من هبوب الرياح العكسية ونتيجة طبيعة لذلك كانت أكثر الأماكن أمطاراً في فلسطين الجهات ( الشمالية والغربية ) والمناطق الجبلية وأكثرها تسقط بدون انتظام بين شهري تشرين أول ونيسان حسب مرور الأعاصير وعدم انتظامها ، هذا من حيث الكثرة والقلة ومن حيث تباين موسميها أو تأخره مما يجعل مصير المواسم الزراعية غير مضمون الوجود أو غير مؤقت بأي من الأوقات<sup>(٢)</sup> .

### التندى :

ويتكون ليلاً لدى ملامسة الهواء المشبع بالرطوبة للأرض الأبرد ، وأكثر ما يتكون في فصل الصيف ويكثر في السهول ويقل في الأماكن المرتفعة .

### الثلج :

قلما تتساقط الثلوج في فلسطين وإذا سقط فقلما يستمر طويلاً وقد حدث أن تساقط الثلج بكثرة عام ١٩٢٠ وبمقادير وافرة هدمت كثيراً من الأبنية القديمة وكسرت ألوفاً من الأشجار وسدت طرق مدينة القدس لمدة أسبوع وعطلت الأعمال فيها ولكن هذا من النوادر فلا يقاس عليه<sup>(٣)</sup> .

---

(١) جغرافية فلسطين ص ٣١ - ٣٢ يتصرف

(٢) المصدر السابق ص ٣٢ - ٣٣ يتصرف

(٣) المصدر السابق ص ٣٣

- ٧ - حتى صفحة ٤٢ تفاصيل اقتصادية  
(الفصل الثاني) لاصلة لرا بلب البحث

## الحياة الاقتصادية :

فلسطين بلد زراعي من الدرجة الاولى فقد كانت الحاصلات الزراعية هــى عماد الاقتصاد الفلسطيني شأن باقى البلاد العربية وكان ثلثا أهالى فلسطين يعيشون على الزراعة وتبلغ مساحة الأراضى الزراعية مليون دونم أى ثلث مساحة البلاد ومن أهم ثروات فلسطين :-

### ١- الثروة النباتية :

وهى :

( أ ) الأحراج فقد كانت المساحة التى تكسوها الغابات حتى أواخر عهد

الانتداب ٣ ٪ من مساحة البلاد .

( ب ) المزروعات أهمها الحمضيات التى كانت تزرع على الساحل وتقدر مساحتها

بـ ( ٣٠٠ ) ألف دونم وقد قدر عدد أشجار البرتقال قبل النكبة بـ ١٥

مليون شجرة زاد انتاجها السنوى على ٧٠٠ ألف طن .

( ج ) الحبوب وتعتمد فى زراعتها على مياه الامطار ويقدر متوسط ما تنتجه الارض

الفلسطينية من القمح والشعير والسمسم والذرة بـ ٣٠٦ ألف طن سنويا .

( د ) الزيتون ويصل محصوله حوالى ٤٥ ألف طن سنويا وقد ينخفض الى ٥ الاف

طن .

( هـ ) الخضروات ومعظمها يعتمد فى زراعته على مياه الابار وفلسطين مكتفية

ذووبا منها - ما عدا البطاطس - وتوجد فيها الفواكه بأنواعها والتبغ .

### ٢ - الثروة الحيوانية :

أهتم المزارع الفلسطينى بتربية الأبقار والأغنام والماعز ويقدر عددها بربع مليون

رأس لكل منها وقد كان لقرى ومدن فلسطين الساحلية نشاط هام فى صيد

الاسماك خصوصا سواحل بحيرة طبرية (١) .

(١) جغرافية فلسطين ص ٤٠ .

### (٣) الثروة المعدنية :

~~إقليم البحر المتوسط والشرق الأوسط~~  
وأهمها الفوسفات والكبريت ومواد البناء وهي الصخر الكلسي والجير وهناك  
الأملاح المعدنية وأهمها ملح الطعام والبوتاسيوم والكالسيوم والمنغنسيوم  
وجميع الأملاح موجودة في البحر الميت .

### (٤) الثروة الصناعية :

لم تنشأ في فلسطين صناعة معدنية لعدم اكتشاف الحديد والفحم الحجري  
وقد قامت صناعات خفيفة تعتمد على الخامات الموجودة في البلاد وأهمها  
استخراج الزيوت من الزيتون والسهم وصنع الحلوى بأنواعها وطحن الحبوب  
وصناعة الشمع وصناعة الصابون والمنسوجات القطنية والحريرية وصناعة التحف  
الخشبية من خشب الزيتون وهناك صناعات أخرى مثل الأسلاك والانايبسب  
والمسامير وشعيرات الحلاقة ولكن على نطاق ضيق (١) .

هذا وإن كانت الصفة الرئيسية للاقتصاد الفلسطيني قائمة على الزراعة ولكن  
الصناعة التي نشأت فيها لا يستهان بها بالنسبة للبلاد المجاورة (٢) .

### التجارة :

كان لموقع فلسطين المتوسط بين ثلاث قارات أثر في نشاط التجارة فيها منذ  
أقدم الأزمنة وكانت تصل إليها البضائع من الشرق الأقصى ومن مصر والحبشة  
لتنقل منها إلى أوروبا وقد كانت القوافل العربية القادمة من اليمن والجزيرة  
العربية تلتقي في غزة منذ آلاف السنين (٣) .

وكان ميناء حيفا وعكة ملتقى قوافل الشرق ومنهما تنطلق السفن محملة بالبضائع  
المختلفة إلى موانئ البحر المتوسط وقد كان لتجار حيفا وعكة وكلاء في فرنسا  
وايطالية واسبانية ويونان وكان التجار الأجانب من أيطاليين ويونانيين  
مسيطرين على التجارة الخارجية بفضل الامتيازات التي كانت تمنح لحكوماتهم

(١) جغرافية فلسطين ص ٤٣ - ٥٠ .

(٢) مجلة الطريق ج ١٦ ص ٢١ .

(٣) التعليم والتحديث في فلسطين ص ٣٥ .

الى أن صدر القرار السلطاني لعام ١٨٥٦ والذي قبل وصاية الدول الأوروبية على الاقليات المسيحية في الشرق<sup>(١)</sup> ومنحهم بعض الامتيازات فأقبل المسيحيون الوطنيون على التجارة الخارجية وساعد هم على ذلك انتشار العلم عن طريق الارساليات الاجنبية واتقنهم للغات الأوروبية • كما أن الضغط الأوروبي على الدولة العثمانية جعلها تقبل برسوم جمركية زهيدة وقد استغل موظفوها القنصليات الاجنبية من الوطنيين في المدن العثمانية والشرق عامة وكلهم من المسيحيين وظائفهم لاستيراد بضائع بأسم القنصلية وبيعها بأسهم وذلك تهربا من دفع رسوم الجمرک أو الاسراع في ادخال السلع دون دفع رشوة وزاد من شراء التجار المسيحيين اهتمام مصانع الحرير في مدينة ليون بالانتاج اللبناني السوري عامة خصوصا ما بين ١٨٤٥ - ١٨٨٠ فكانوا هم الوسطاء لتصدير هذا الانتاج ومن خلال احتكاكهم بالاسواق الأوروبية وقد انشأت بعض الارساليات المسيحية خصوصا الفرنسية صفوفًا لدراسة العلوم التجارية • فقد استفاد عدد كبير من العائلات المسيحية من الظروف المواتية التي مكنتها من الدخول في جميع المجالات الاقتصادية الممكنة<sup>(٢)</sup> •

هذا وقد كانت الحمضيات تشكل ٧٠٪ من صادرات فلسطين وهي عماد الاقتصاد الفلسطيني ثم الصابون والبطيخ والشعير والذرة والسمسم • أما الواردات فهي المنسوجات والالات والمأجولات • وللماكولات

### التجارة الداخلية :

بين المدن والقرى حيث كانت تقام أسواق أسبوعية مثل سوق الاثنين في اللسد وسوق الاربعاء في الرملة وبيسان وسوق الخميس في المجدل وغيرها<sup>(٣)</sup> •

---

(٢) التعليم والتحديث في المجتمع العربي الفلسطيني ج ١ ص ٣٦ - ٣٧ •

(٣) تاريخ فلسطين ص ٢٦٠ •

### طرق المواصلات :

يوجد في فلسطين مختلف طرق المواصلات فالسكك الحديدية تمتد من الشمال الى الجنوب ومن الشرق الى الغرب وهناك خطوط داخلية أخرى يبلغ طول هذه الخطوط ٥٨٣ كم وجميع هذه الخطوط أنشئت في العهد التركي وفي عهد الانتداب البريطاني لم يزد أى شىء وهناك موانئ مهمة في حيفا وبافنة وغزة وكان في فلسطين ثلاثة مطارات هي مطار اللد ومطار غزة ومطار قلنديسة في القدس .

### الاقتصاد الفلسطيني قبل الاحتلال الانجليزي :

كانت فلسطين معرضا تجاريا لسلع ومضائق دول اوروبية شأنها شأن باقي البلاد العثمانية فقد كانت المعارض التجارية المتجولة تطوف بالموانئ تعرض المصنوعات الخيرية بأنواعها (١) وكانت التجارة مقيدة بسلاسل الامتيازات الاجنبية ومنفولة بأغلال المذاهب الدينية التي كانت مدعاة للتدخل الأجنبي في شؤون الدولة العثمانية وكان أصحاب المذاهب الدينية يتمتعون بامتيازات كثيرة ويعفون من دفع بعض الضرائب في حين أن المتوطن العثماني المسلم تقع على كاهله ميزانية الدولة العثمانية كلها فقد شاهد عالم الآثار لوريت نفسه كيف أن أحد المشرفين على أملاك آل سروسق قرب الناصرة يهدم بمساعدة الجند بيت أحد الفلاحين لأنه لم يستطع دفع الديون الى صاحب الأرض كما ألقى القبض على الفلاح وتركت أسرته في العراء وعلى الرغم من أن أكثر هذه الحوادث جرى في حوالى سنة ١٨٨٠ ظلت هذه الحالة كما هي حتى الحرب العالمية الاولى (٢) وقد ادى هذا الوضع الى العجز عن السيطرة على اقتصاد البلاد بشكل عام وفلسطين بشكل خاص لكثرة المذاهب الدينية وللأطماع الاستعمارية المركزة فيها لموقعها الاستراتيجي والديني الذي افادها تقديسا من الاديان الثلاثة .

القبض

- (١) مجلة النقائق العصرية ج ٤ مجلد ٢ ١٩١٠ ص ٢٤٢ - ٢٤٤
- (٢) توطنه : اتخذه وطننا . أما وطنه فمحمناه : واقفه على الامر ، والاولى وافقه ادق في المعنى المراد . د . عبد السلام سرحان .
- (٣) نقلا عن كتاب التعليم والتحديث في فلسطين ص ٥٣ بتصرف



ومن مظاهر هذا المعجز أنها كانت غير قادرة على نشر نقودها في مملكتها  
من توحيدها وترويجها بسعرها القانوني . لذا أخذ كل بلد يتداولها  
كما يريد وتفاوتت الاسعار وتعددت الموازين واختلقت المكاييل .

فالمسافر الذي يزور فلسطين يحتاج الى درس طويل واختبار كبير لمعرفة النقد  
واسعاره وفهم الموزونات والمكيلات . . . فكيف به اذا ساج في جميع الاقطار  
العثمانية<sup>(١)</sup> فاذا كانت القوضى قد بلغت هذه الدرجة في الموازين والمكاييل  
والاسعار . . . فكيف تكون الحالة بالنسبة للجوانب الاقتصادية الاكثر أهمية ؟  
أضف الى هذا أن الضرائب كانت تجبى بالمزاد العلني مما يعطى الوالى  
التركي في المدينة وأمرء الاقطاع في القرعة الحرة في استرداد ما دفعوه من  
اتاوات للحكومة من الفلاحين وزيادة . . .

الحرية

وتصور كتب الرحالة أوليفنت ماسى حالة الفلاحين في المقدين الثامن والتاسع  
من القرن التاسع عشر أدق تصوير فقد حدثه الاهالى عن فقرهم الزائد وشاهد  
هو نفسه نفوذ الملتزمين واضطهادهم للفلاحين وتأمر شيخ القرية مع الملتزم  
في افقار القرويين وسلب الارض منهم مع اعطاء الشيخ حصة منها<sup>(٢)</sup> .

والرحالة أوليفنت أرسلته وزارة الخارجية البريطانية لدراسة امكان استيطان  
اليهود في فلسطين فدعا بحماس لهذا التوطين على الرغم من تقديره للفلاحين  
العرب الا أن النظرة الاستعمارية أوجت له بامكان الاستفادة من هذه اليد  
العاملة في المزارع المقبلة وأما المشاعر النصف الحضرية فيمكن عزلها كما حصل  
في الولايات المتحدة وكندا<sup>(٣)</sup> .

(١) تاريخ فلسطين ص ٢٥٧ - ٢٦٠



## الاقتصاد الفلسطيني بعد الاحتلال الانجليزي :

لقد تبدلت الأحوال في فلسطين بعد احتلال الانجليز ونشطت الصناعة نشاطا ملحوظا وتركزت بأيدي عدد قليل من أصحاب رؤوس الاموال لأنها اتجهت نحو الاحتكار وتركز الثروة وقد أصبحت نسبة عدد المشروعات الصناعية الكبيرة في فلسطين عام ١٩٣٧ ٢٧,٧% من مجموع الصناعات ونسبة المشروعات الصناعية الصغيرة ٧٢,٣% ونسبة عدد العمال المشتغلين بالصناعات الكبيرة ٧٣% وفي الصغيرة ٢٧% وقد بلغ عدد المؤسسات الصناعية في فلسطين عام ١٩٢٩ ( ٢٤٧٥ ) مؤسسة وزاد العدد الى ( ٥٦٠٦ ) عام ١٩٣٧ وتضاعف رأس المال السي خمسة أمثال وتضاعف الانتاج الى أربعة أمثال .

وقد أصبحت فلسطين مركزا لتوظيف رؤوس الاموال الاجنبية وأنشئت عدة بنوك منها البنك الانجليزي الفلسطيني والبنك الصناعي وبنك العمل .

وقد كانت تشترط هذه البنوك الاشراف على المؤسسات الصناعية لاجل مدهسا بالقروض اللازمة .

وبعد الحرب العالمية الثانية أنشئت مصفاة البترول في حيفا وقد تحسن الاقتصاد في اثناء الحرب الثانية نتيجة لاختفاء أملاح البوتاس التي تصنع منها المفرقات فتضاعف دخل الفلسطينيين منه وارتفع سعره الى أربعة أمثال (١) .

وكان نصيب العرب من هذه الصناعات قليلا فنسبة المشتغلين في صناعة الصابون العربية ٥% من السكان وقد كانت السياسة البريطانية تتجه الى دعم الصناعات اليهودية عن طريق تهيئة الظروف الصعبة أمام الصناعات العربية (٢) وقد بلغت أرباح شركة ( تنوفا ) التي كانت تحتكر الاتجار في المنتجات الزراعية في المنطقة اليهودية مليوناً من الجنيهاً الفلسطينية وقد كانت الصناعات الفلسطينية تقع تحت السيطرة الملكية للأسماال الاجنبى .

فقد كانت شركة بوتاس فلسطين انجليزية ومالكة لشركة فلسطين للكهرباء ، وكان الاشراف على مالية البلاد من عدة شركات بنكية معظمها انجليزية وكان المسيطر

(١) مجلة الطريق مجلد ج ١٩ ص ٤٠٣

(٢) مجلة الطريق مجلد ٥ ج ٤ ص ٢٦ - ٢٧ .

الفعلى على تداول النقد فى فلسطين هو ( بنك باركليز ) فى لندن .<sup>(١)</sup>

ولكن هذه النهضة الاقتصادية لم تستفد منها البلاد كثيرا لانها كانت موجهة لخدمة القضية الصهيونية من اولها ومن جهة أخرى كانت استثمارة انجليزية لأجل الربح وليس لانعاش البلاد وتقدمها اذ أن البلاد لم تكن سير على سياسة اقتصادية سليمة " ٠٠٠٠ اذ أن دخول السلع الحديثة سوق فلسطين وتقبل الناس لهذه السلع وما نتج عنه من تغيير فى الاستهلاك أجبر العديد من المصانع على اقفال أبوابها وترك العديد من الحرفيين لمعملهم ، كما أن السياسة الاقتصادية الاستعمارية أقلت أبواب الأسواق العربية المجاورة أمام الصناعة الفلسطينية التقليدية ويؤكد تقرير سيمسون هذا الوضع .

أوفى الوقت ذاته كانت البطالة منتشرة بكثرة آنذاك بين الصناع العرب<sup>(٢)</sup> وتفاقم الحال بعد ١٩٣٠ اذ بدأت العصابات الصهيونية بتشريد آلاف العمال العرب لتشغيل العمال اليهود مكانهم وأكثرهم من المهاجرين الجدد ونتج عن هذا الوضع انخفاض فى الاجور نتيجة المناقصة الكبيرة بين العمال ))

ولتكوين صورة واضحة عن الوضع من مصادر أصيلة يستحسن الاعتماد على تقرير سيمسون عام ١٩٣٠ وشهادة جورج منصور أمام اللجنة الملكية عام ١٩٣٧ .

يقول الخبير سيمسون فى تقريره " أمام هذه المعلومات المستقاة من مصادر مستقلة لا مناص لنا من الاستدلال بأن البطالة بين العرب فى الوقت الحاضر أصبحت من المظاهر الخطرة فى حياة البلاد الاقتصادية ولقد عرض على أناس معلومات كثيرة من تلقاء أنفسهم عن حالة أجور العمال من العرب فظهر لى أن البطالة قد أثرت فى مستوى المعيشة وهذا أمر طبيعى بين العمال غير المنظمين ومستدل من هذه المعلومات على أن أجرة الصناع الحاذقين والنجارين والنحاتين قد انخفضت نحو ٥٠% وأصبح الصانع الداهر يشتغل بـ ١٥ قرشا الى ٢٠ قرشا فى اليوم أما العامل الفلاح فيقتنع بشمانية الى عشرة قروش وقسا لى حاكم مقاطعة القدس أن أسعار العطاءات لمناقصة بلدية القدس فى سنة ١٩٣٠ كانت نصف أسعار سنة ١٩٢٩ وقد نجم هذا النقصان فى الأكثر عن

(١) مجلة الطريق مجلد ٤ جزء ١٦ ص ٥ - ٦ = ٢١ - ٢٢

(٢) تقرير سيمسون ص ١٩٢

التعليق

عن سقوط أجر العامل المصري ومن يسمع أقوال العمال العرب يتأثر لآحوالهم ويرثى لهم فقد كان كثيرون منهم في الايام السالفة يتمتعون بقسط وافر من البجوحة والرخاء <sup>قديما</sup> ، تأحوالهم في السنوات الاخيره (١) .

اما شهادة النقابى جورج منصور فكانت دقيقة وشاملة تعطى صورة محزنة لوضع الطبقة العاملة الكادحة ، فقد جاء في التقرير الذى قدمه :

" فقد قمنا باحصاء آخر في شهر تشرين الثانى نوفمبر سنة ١٩٣٦ لالفا عامل فى يافا لمعرفة معدل دخل العامل الشهرى فحصلنا على النتائج الاتية :-

٧٥٠ عاملا دخل العامل منهم الشهرى يقل عن ٢٧٥٠ جنيه

٢٤٥ عامل دخل العامل منهم الشهرى يقل عن ٤٢٥٠ جنيه

١٢٠ عامل دخل العامل منهم الشهرى يقل عن ٦٠٠٠ جنيه

٤٥ عامل دخل العامل منهم الشهرى يقل عن ١٢٠٠٠ جنيه

١٥ عامل دخل العامل منهم الشهرى يقل عن ١٥٠٠٠ جنيه

وقمنا باحصائه <sup>ى</sup> اخر لمعرفة نسبة المدينين فوجدنا أن ٩٥% من العمال مدينون . اما لأصحاب الاعمال أو لأصحاب الحوانيت . . . وقد تساءلنا كيف يمكن للعامل أن يتدبر أمر معيشته على الرغم من ضالة هذه الاجور فوجدنا أن الاسرة فيها عددا من الافراد المنتجين وهؤلاء جميعا يتعاونون فى الانفاق على البيت واذا كانت الاسرة خاوا من الافراد المنتجين فان ، المرأة وأطفالها يشتغلون خدما فى البيوت وأجرة المرأة الشهرية تبلغ من جنيه الى جنيهين والولد من ٢٥٠ ملجم الى جنيه . أما تكاليف المعيشة فى يافا فغالية جدا وقد قدرت الحكومة النفقات التى تحتاجها الاسرة المتوسطة من عشرين مادة غذائية ضرورية فوجدت انها بلغت ٥٠ هـ جنيهات واذا اضفنا الى هذه ثلاثة جنيهات للسكن وجنيها ونصفا للملبس وجنيهين للنفقات الاضافية ( التسلية / المرض / النقليات ) وجدنا الاسرة المتوسطة تحتاج الى ( ١١٥٠٠ جنيه ) على أقل تقدير وهذا يؤكد أن ٩٨% من طبقة العمال يعيشون فى حالة دون الوسط بكثير وهذا الرقم يفسر أيضا السبب فى اتخاذ العمال السرايب والتخاضيب

مسكناً لهم والاكتفاء بالمواد الغذائية الفقيرة طعاماً لهم <sup>(١)</sup>.

ولا بد من القول أنه منذ اليوم الذي وضعت فيه فلسطين تحت الانتداب البريطاني انتهجت البلاد سياسة اقتصادية واجتماعية يمكنها من تطبيق نصوص وعد بلفور التي تلزم الدولة المنتدبة بوضع فلسطين في "أحوال تمكنها من إقامة الوطن القوي لليهود في فلسطين وكانت أولى تلك المحاولات أن عينت "هربرت صموئيل" مندوباً سامياً لبريطانية في فلسطين وهو أحد زعماء الصهيونية في بريطانيا • وتحت وطأة الظروف الاقتصادية الصعبة التي كانت تعيشها البلاد أمرت الحكومة بتكوين "لجنة لدراسة أحوال المزارعين الاقتصادية في فلسطين • لتقدم تقريرها السنوي إلى جامعة الأمم <sup>(٢)</sup> برياسة و • ج • جونسون • ل أندروز مفتش منطقة نابلس و • أ • أ • ليز مفتش منطقة حيفا وغيرهم من كبار الموظفين الانجليز في فلسطين • وقد نشر الاعلان عن اللجنة في الجريدة الرسمية عدد ٢٥٨ المؤرخ في "ايار سنة ١٩٣٠" <sup>(٣)</sup> وقد تجولت اللجنة في مختلف انحاء فلسطين وأقامت دراستها على القرى المذكورة في احصاء ١٩٢٢ وعددها ٨٤٤ قرية وقد ورد في ذلك الاحصاء أن عدد سكان فلسطين يبلغ ٧٥٧١٨٢ نسمة منهم ٣٨٩٥٣٤ من سكان القرى عدداً مناطق العشائر وتبين اللجنة أن معدل الزيادة السكانية في الريف بلغت  $\frac{1}{3}$  ٣٣% <sup>(٤)</sup>.

(١) الشهادات الاساسية أمام اللجنة الملكية في فلسطين ص ٢٨٧ - ٣٠٢

(٢) النظام الاقتصادي في فلسطين سعيد حماد المقدمة

(٣) حكومة فلسطين تقرير اللجنة التي عينت لدراسة حالة المزارعين الاقتصادية في فلسطين والتدابير التي تتخذها الحكومة بشأن الضرائب بالنسبة لتلك الحالة

(٤) المصدر السابق ص ١

ونحن لا يمكننا في هذا المقام ان نفصل ما أورده اللجته من مختلف التقارير عن أحوال المزارعين في الريف الفلسطيني ولذلك نكتفي بالإشارة إلى التقارير التي تبين المعوقات القائمة في طريق تقدم المزارع الفلسطيني وأهمها الضرائب الفاحشة ونظام ملكية الأراضي ثم إهمال الدولة للمزارع من حيث تقديم القروض اليه أو إرشاده للزراعة الحديثة ، والمنافسة الأجنبية لمحاصيله وقد ختمت اللجته تقريرها بتوصيات أهمها :-

أ : على الحكومة أن تعتمد إلى القيام بتجارب زراعية على مرأى من المزارعين تدرب القرويين على اتباع أساليب زراعية أفضل من التي يتبعونها الآن وأن تعين هيئة استثمارية لايجاد الأسواق يعهد اليها بإسداء النصح والمشورة للمزارع بشأن تصريف حاصلاته وبيعها .

ب : وجوب تأسيس هيئات تعاون في القرى يعهد اليها بإصدار قروض زراعية وبعدئذ شراء اللوازم الزراعية وتحسين الزراعة في القرى وإيجاد أسواق للحاصلات وتعين خبير لإسداء النصح للحكومة بشأن الطرق التي تؤدي إلى تحقيق هذه الغاية .

ج : التخفيف قليلا عن دافعي الضرائب في الأرياف اعتبارا من أول شهر كانون الثاني سنة ١٩٣٠ بتزيل ضريبة العشر الـ  $\frac{1}{4}$  ورفع ضريبة الأملاك في المدن لتلافي هذا النقص .

د : على الحكومة أن ترصد في سنة ١٩٣٠ مائة ألف جنيه فلسطيني لتوزيع قروض قصيرة الأجل على صغار المزارعين لتمكينهم من زراعة أراضيهم فسي الموسم المقبل (١) .

هذا بعض ما أورده اللجته بخصوص المزارع العربي في فلسطين . ويجدر بنا أن نذكر ما أورده اللجته بخصوص المزارع اليهودي لتكون الصورة الاقتصادية شاملة .

ذكرت اللجته تحت عنوان حالة المزارع اليهودية المالية قبل ١٩٢٩ :

٩ ..... ومن رأينا على العموم أن الدخل الاجمالي للمزارع اليهودي هو تقريبا ضعف المزارع العربي من أرض بنفس المساحة ومن الجهة الأخرى نجد أن ما ينتقه على الانتاج وعلى معيشته يزيد كثيرا على ما ينتقه المزارع العربي وبالتالي نرى المزارع اليهودي ملزما بالاجاد مبلغ كبير من المال لتحسين أرضه ولدفع فائده القروض التي استدانها ثم أن الزراعة اليهودية منظمة تنظيما جيدا كما أن لدى المزارع اليهودي طرق عديدة - للاستقراض ~~والاستثمار~~ نرى حالة المزارع اليهودي ميسورة ولديه العدد والأدوات الزراعية لتحسين زراعته أكثر مما هي ميسورة لدى المزارع العربي ومستوى معيشته أرفع وهو يتمتع بوسائل اجتماعية وثقافية مجهولة لدى المزارع العربي (١) \* (١) .

### عبء الضرائب على المزارع اليهودي :

جاء في تقرير اللجنة \* ..... فان ما يدفعه للمزارع اليهودي من الضرائب بالنسبة الى دخله الصافي أقل مما يدفعه المزارع العربي بالنسبة الى دخله الصافي وهذا رأى مزارعي اليهود في المستعمرات يؤيد هذه النظرية فقد أفهموا اللجنة أنهم لا يعدون الضرائب نبذة مهمة من نفقاتهم بالنسبة لغيرهم (٢)

### حالة المزارع اليهودي المالية في الوقت الحاضر :

" لا مندوحة لنا عن القول بأن المزارع اليهودي كالمزارع العربي قد عانى من هبوط أسعار الحاصلات في المدة الأخيرة ومع ذلك قيل في إحدى المستعمرات أن هبوط الأسعار عاد بالفائدة وليس بالضرر على المزارعين ذلك لأن أسعار الحاجيات الأخرى هبطت أيضا وأصبح في وسع المزارع أن يحسن مستوى معيشته مع هبوط قيمه حاصلاته .

مثال ذلك متى ارتفع ثمن البيض شعر المزارع أنه مضطر الى بيعه جميعه أما متى كانت رخيصة فانه يبيعه له ولأسرته " (٤) (١)

أقول هذا صحيح بالنسبة للمزارع اليهودي لأنه يجد الوكالة اليهودية تسدد له نفقات معيشته الأخرى متى احتاج لذلك فانه يغتبط بهبوط " الأسعار لأن الحاصلات ستكون من نصيبه ونصيب عياله أما المزارع العربي فليس له مورد آخر سوى حاصلاته .

كما أرسلت الحكومة الانجليزية أيضا الى فلسطين لجنة للبحث في تشكيك ادارة فلسطين وفي الطرق التي تؤمن زيادة الواردات ونقص النفقات . فكتب الأستاذ محمد

(١) تقرير اللجنة التي عينت لدراسة حالة الموارد الاقتصادية في فلسطين ص ٦٩

(٢) تقرير اللجنة ص ٧٠ . أقول لانه ليست الضريبة بحد ذاتها هي العبء بل

عزة دروزة عدة مقالات جريدة الجامعة العربية ثم جمعها في رسالة واحدة تحت عنوان " كتاب مفتوح الى اللجنة المالية الانجليزية " وقد نوه في مقدمة الكتاب بالآمال المعلقة على اللجنة منيها الى الضرائب الفاحشة التي يدفعها المكلّف الفلسطيني والتي أكثر من ٦٠ ٪ من الانتاج العام طالبا موازنة الوضع المالي في سورية ولبنان لتشابه الظروف السياسية والاجتماعية والمعيشية والعمرانية مع غرض النظر عما في سورية من أرض واسعة ومدن كبرى مما يجعلها أقوى اقتصادا من فلسطين ثم يدعو الى المقايسة بين ما هو موجود في فلسطين وما هو موجود في سورية ولبنان من تشكيلات ومرتبات ونفقات وايرادات وضرائب وسكان وثروة وانتاج .

### مقايسة بين ميزانيات سورية ولبنان وفلسطين :

يقول الأستاذ دروزة " ٠٠٠٠٠٠ " وأريد أن أقدم بعض نماذج لتري - اي اللجنة - كم أن الفلسطينيين معذرون حينما يعتقدون أنهم مظلومون جدا دون اخوانهم في سورية ولبنان وأن أعباءهم المالية أشد جدا من أعباء أولئك الاخوان " ٠٠٠٠٠ " أريد أن أقول ان عدد سكان لبنان حسب آخر احصاء ٠٠٠ ٨٢٥ نسمة تقريبا وسوريه ٠٠٠ ١٦٣٠ نسمة تقريبا وفلسطين ٠٦٤ ٨١٦ نسمة تقريبا كما جاء في الكتاب الأزرق سنة ١٩٢٩ عدا البدو والرحل والى هنا نرى أن عدد سكان فلسطين يتقارب مع عدد سكان لبنان .

ان اعتمادات نفقات الحكومة اللبنانية ١٩٢٩ ( ١٤٧٨٤ ٠١ ) جنيهه فلسطيني ، واعتمادات الحكومة السورية ١٩٢٩ ( ٨٠٨٥٢٢ ٠١ ) جنيهه فلا طيني .

واعتمادات نفقات حكومة فلسطين ١٩٢٩ ( ٢٧٨٣٦٤٦ ) جنيهه فلسطيني . واذا أنزلنا من هذا الرقم اعتمادات السكك الحديد التي ليس لها مقابل في ميزانية لبنان وسورية والنفقة ( ٣٩٢ ٠١ ) وكذلك دائرة المكوس والجمارك ( ٦٦٨٠٤ ) والبالحة فان الصافي لاعتماد حكومة فلسطين عام ١٩٢٩ هو ( ٢٣٢٤٦٥٠ ) جنيهه فلسطيني أي أكثر من اعتمادات حكومة لبنان وأكثر من اعتمادات حكومة سورية التي سكانها ضعف سكان فلسطين بنسبة ٣٠ ٪ للبنان و ١٢٩ ٪ لسورية ومضاعفة هذه

مقدار دخل المزارع هو العيب فان اسرائيل اليوم تتقاضى ٧٥ ٪ من الايراد العام كضرائب ومع هذا فان مستوي المعيشة في اسرائيل مرتفع جدا .  
(٢) تقرير اللجنة ص ٧١ .



النسبة لتضاعف المكان تصبح ٢٥٨% واطن أن هذه المقاييس البسيرة كافية لتصوير الظلم الذي كان يقع على أهل فلسطين من جراء النفقات التي تتقاضاها منهم ادارة حكومتهم (١).

أسباب الفروق بين نفقات سورية ولبنان وبين فلسطين :

أولا - رواتب الموظفين :

في لبنان ٤٧ موظفا فرنسيا رواتبهم ٢٠٤٣٩ ر. جنيه فلسطيني ١٩٢٩ وفي فلسطين ٢١٣ موظف انجليزي عدا الموظفين اليهود من الانجليز رواتبهم ١٦٠ الف جنيه فلسطيني عدا ميزانية المندوب السامي وموظفي دائرته مع التخصص الاضافي مبلغ ٨٧٤٠ جنيه فلسطيني فيكون مجموع ما يتقاضاه الموظفون الانجليز الكبار ١٧٠ الف جنيه فلسطيني تقريبا فتكون نسبة الموظفين الانجليز في فلسطين الى ما يوجد في لبنان ٤٥٣% والى ما يوجد في سورية ٢١٥% .

واذا ضاعفت النسبة تصبح ٤٣٠% أي ٠٠ ان راتب أعلى قاضي فرنسي في سورية ١٠١٤ جنيه فرنسي وهو أعلى راتب يتقاضاه موظف فرنساوي في سورية ولبنان على الاطلاق وأعلى راتب يتقاضاه قاضي فرنساوي في لبنان هو ٦٣٧ جنيه فلسطيني بينما راتب أعلى قاضي انجليزي في فلسطين ١٦٠٠ جنيه فلسطيني وفي مصلحة الأملاك والاراضي راتب أعلى موظف في سورية ٦٧٣ جنيه وفي لبنان ٧٢٣ جنيه وفي فلسطين ١٤٠٠ جنيه (٢) وهكذا يستمر الاستاذ دروزة في سرد فروق الراتب بين سورية وفلسطين ولبنان ثم يقول الاستاذ دروزة .

"ويمكنك أن تقيس رواتب الموظفين الآخرين بهذا المقياس طبعا وأحسب أن يلاحظ القارئ انني ذكرت الرواتب مجردة عن العلاوات وبدلات السكن وبدلات الاعتبار وعليه أن يقدرها ما يتقاضاه الانجليزي والفرنسي من ذلك بحسب ما يوجد بين رواتبهم من فرق عظيم ويكفي ان اذكر مثلا واحدا على هذه العلاوات وهو ان السكرتير العام لفلسطين الذي يتقاضى ١٦٠٠ جنيه فلسطيني يتناول ايضا ١٢٤٧ جنيه باسم بدل اغتراب بينما لا يوجد الا شيء زهيد جدا في ميزانيتي لبنان وسورية يصرف علاوات للموظفين الفرنسيين ، مثلا تعويض سكني لرئيس محكمة ١٠٣٣ ليرة سورية وتعويضات أسرية ٩٨٣ ليرة لخمس قضاة فرنساويين في ميزانية

(١) كتاب مقترح الى اللجنة المالية الانجليزية ص ٧

(٢) المصدر السابق ص ٨ - ١٠ .

١٩٢٩ وكذلك يلاحظ أن دائرة المفوض السامي الفرنسي في سورية ولبنان وما يتبعهما من تشكيلات خاصة به وبوكلاء أو مندوبين له خارج بيروت التي هي المفوضية يتقاضى مخصصاتها من ميزانية الدولة الفرنسية لا من خزانه الحكومة الوطنية بينما تدفع مالية فلسطين كل شيء لكل موظف انجليزي سواء في ذلك دائرة المندوب السامي أو غيرها من الدوائر . (١)

وبعد أن يوازن الأستاذ دروزة مديري الناحية والقائمية والأطباء وغيرهم بين فلسطين وسورية ولبنان يقول : الموازنة " وأظن أن هذه الأمثلة تكفيثنا مثونه موازية ذكر أمثلة ومقاييس أخرى للدوائر الأخرى فان مقاييس الرواتب والدرجات في كل دائرة من دوائر فلسطين مع مثيلاتها من دوائر سورية ولبنان تؤدي بنا الى النتيجة نفسها وهي أن رواتب فلسطينيين مع لحقاتها مرة ونصف مرة ومترتين ونصف مرة أحياناً على مثيلها التي في درجتها في سورية ولبنان ثم يستمر الأستاذ دروزة في عمل مقاييس بين لبنان وسورية وفلسطين في تشكيل الحكومة وعن موظفيها وفي الأمن العام ونفقاتها الفاحشة موازناً بين رواتب الانجليز والفلسطينيين ممن هم في الرتبة نفسها وكذلك سائر دوائر الحكومة ثم تطرق الى عجز البلاد المالي وأن هذا العجز يسد من الضرائب الفاحشة التي يدفعها الشعب دواوين بين سمر الحاجيات في فلسطين وسورية ولبنان وكذلك دواوين رسوم المحاكم الفلسطينية والسورية واللبنانية ثم يوضح الأستاذ دروزة في خاتمة التقرير مقابلة الانجليز عندما يواجهون بهذه الحقائق حيث أن الضرائب قد وصلت الى ٦٠% من انتاج البلاد وهم يقولون ان النسبة نفسها تؤخذ أيضاً من الانجليز في بريطانيا بل وزيادة وعلى حد المثل " من ساواك بنفسه ما ظلم " يقول الأستاذ دروزة " ان هذه الحجة مقابلة إذ أن فلسطين يجب أن تقاس بأمثالها من حيث الظروف والثروة والقدرة على الانتاج مثل سورية ولبنان . أما جزر بريطانية فانها تجني لها خيرات امبراطورية تبلغ ٤٠٠ مليون نسمة وفيها من المصانع والمعامل والمشايع ما يفدى أسواق هذه الامبراطورية العظيمة وهناك فرق بين انسان يكسب الف جنيه فيدفع مائتين والف جنيه ويبقى له ٨٠٠ جنيه تقوم باود <sup>١</sup> وزيادة وبين رجل يكسب أربعين فيدفع منها ٢٤ ويبقى له ١٦ جنيه لا تكاد تبلغ كلفة قوته علماً بأن أكثر الناس وهي أسر العمال والمزارعين لا يزيد معدل كسبها عن ٣٠ جنيه أو ٢٠ جنيه فاخذ ٦٠% من هذا الكسب الزهيد (١) المصدر السابق ص ١٠ - ١١ يتصرف

هو في منتهى الظلم والقسوة التي لا تجيزها اى عاطفة انسانية (١) .

اقول ومن خلال هذه الظروف الاقتصادية الصعبة خطط الانجليز واليهود لامتلاك الاراضى الفلسطينية فقد كتب أو سبشكين وهو من زعماء اليهود في احدى مجلاتهم عن اقتداء اليهود للاراضى المقدسة فقال :-

" ..... فان لم نستملك نحن ايضا اراضى فلسطين ونستثمرها بأنشاء القرى فلا أمل في أن نجعل فلسطين وطننا لنا وستبقى عربية وليس صعبا على اليهود عاجلا او آجلا أن يحتكروا التجارة والصناعة والتعليم أما امتلاك الاراضى فليس فسى وسعنا انما هو منوط بالبائع ٥٥٠ اننا نرى العرب قد انشئ فكرهم الى صالحهم واصبحوا يشعرون بكيانهم ومن ثم نحسب كل تأخير في امتلاك الاراضى الفلسطينية جرما لا يغتفر ، ان مساحة الارض في فلسطين تبلغ عشرين مليون من الدونمات للحكومة ٣٠ % ، املك الفلاحين ٣٥ % للملاكين الاغنياء اما من اذن فئة الافندية والاغنياء الذين لا يأبون بيع املكهم ان وجدوا ربحا في بيعها وغايتنا خاصة امتلاك سهل اسدرلون " مرج ابن عامر " وساحل البحر والبيسلاط الممتدة بين يافا والقدس من هؤلاء الافندية (٢) .

من هنا يظهر لنا ان مستقبل الاراضى الفلسطينية كان بأيدي الانجليز وكبار الملاكين وقد تسربت املك الحكومة وأملك الافندية من العرب خارج فلسطين أمثال سرسق والجميل وغيرهم الى اليهود واشتروا ارض الناصرة من الحكومة (٣) .

اما كيفية انتقال هذه الاراضى الى سرسق والجميل وغيرهم من المائلات النصرانية فهي في منتهى الخرابسة .

---

(١) كتاب مفتوح الى الحكومة الانجليزية ص ٢٦ - ٢٧ بتصرف

(٢) نقلا عن مجلة المشرق عدد ٢ ص ٢٧ سنة ٢٣ شباط ١٩٢٥

(٣) تاريخ الناصرة ص ٩٧

حدثني الشيخ طه المولى المستشار الصحفى والثقافى لسفارة تشاد فى بيروت  
فى ١٣ / ١١ / ١٩٧٥ فقال :-

"وذلك ان الدولة العثمانية منذ ان بدأت الدول الغربية فى التسلط عليها  
وحماية الاقليات الدينية فيها حتى ان هذه الاقليات كانت تعفى من دفع الضرائب  
وعند ما كان يأتى محصل الضرائب لأخذ حق الدولة من المحصول الزراعى كان  
الفلاحون يتهمون من دفع هذه الضرائب بادعاء ان هذه الاراضى ليست ملكهم  
وهى ملك سرسق مثلاً وما هم الا فلاحون لخدمة الارض كان الموظف المختص يسجل  
هذا فى سجلاته حتى عرفت هذه الاراضى أنها ملك لهذه الاسر بصفة رسمية  
عند الدولة ولما خضعت فلسطين للاحتلال الانجليزى انتقلت هذه السجلات والقيود  
اليهم ولما بدأت المنظمات اليهودية فى امتلاك الاراضى لتكوين مستعمرات لتثبيت  
أقدامهم توجهوا الى هذه الاسر فى لبنان والتي فوجئت بأن لها اراضى واسعة  
فى فلسطين وتم البيع فما كان من الانجليز الا أن طردوا هؤلاء الفلاحين الأبرياء  
من اراضيهم التى فوجئوا أيضا ببيعها وليس لهم ذنب الا سدا جثتهم " .

ويخبرنا أوليفانت فى أحد كتبه ان بيت سرسق اشترى عام ١٨٧٢ مـج ابن عامر  
بـ ١٨ الف جنيه ولم يدخل صندوق الدولة العثمانية الا ستة آلاف جنيه بسبب  
الرشوة والسرقة وقد دخل هذه الاسرة السنوى من السهل وعن طريق استغلال  
الفلاحين ٢٠ الف جنيه وقد اشترى هذا السهل الصندوق القومى اليهودى فى  
أوائل العقد الثالث من القرن الحالى (١) .

وهناك بعض التجار الذين استغلوا الدعوة القومية والاصلاحية فى سبيل  
اطماعهم ولو دققنا النظر فى أسماء أمضاء الجمعية الاصلاحية فى بيروت عام ١٩١٣  
لوجدنا بينها أكثر التجار الكبار الذين أدوا دورا كبيرا فى الصفقات التجارية  
والمالية وكانت قد الحت فى طلب اللامركزية واحلال اللغة العربية محل اللغة  
التركية .

بل ان بعض رجال الجمعية العمومية مثل سليم على سلام ومختار بهبهسم  
وأخرين استفلوا ايجابية الاتحاد بين في الاستانة نحو مطالبهم بالحصول على  
الترام تجفيف مستنقعات الحولة ومساحتها ٥٠ ألف دوغم وبعد الحرب طلب  
سليم من الأمير فيصل التدخل خلال اقامته في لندن لدى الحكومة  
البريطانية لتثبيت هذا الالتزام وتنازل في ١٩٣٤ للصندوق القومي اليهودي  
(١) مقابل مبلغ جسيم .

وقد حدثني الشيخ طه الولى المستشار الصحفى لسفارة تشاد في بيروت  
بأن السيد سليم سلام لما عرض عليه الصندوق القومي اليهودي شراء أراضى الحولة  
بمبلغ مئة ألف ليرة اتصل بالمرحوم الحاج أمين الحسينى مفتى فلسطين وزعيم  
نضالها لأجل شراء الأراضى فاجابه المرحوم الحسينى بأن هذه الارض ليست  
ملكاً له لانه لم يشتريها بماله ولم يرثها عن آبائه وأضاف الى ذلك أن صندوق الجهاد  
الفلسطينى لا يملك هذا المبلغ ولكن الصفقة تمت مع الصندوق القومي اليهودي (٢) .

فى مثل هذه الظروف الاقتصادية فى فلسطين عاش الشيخ يوسف النبهانسى  
وسوف نرى أن هذه الظروف قد أثرت فى مسارات حياته وفى تكوين شخصيته .

---

(١) القضية الفلسطينية فى مختلف مراحلها ج ١ ص ٩٥ - ٩٦

(٢) المقابلة تمت فى بيروت فى ١٣ / ١ / ١٩٧٥

## ( الباب الأول )

عصره وببسته

### الفصل الثالث :

#### الحياة الثقافية :-

عاش الشيخ النبهاني زمن الخلافة العثمانية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر وفي النصف الأول منه كانت البلاد العربية التابعة للخلافة تعيش أضعف عصورها الثقافية . وإلى هذا يشير الأستاذ بطرس البستاني بصف حال الثقافة في زمانه سنة ١٨٥٩ وما قبلها في أسلوب تهكمي حيث يقول :-

\* لو كلفت الوقوف أمام سيادتكم لأجل الكلام عن هذا الموضوع - الثقافة والتعليم - نحو ثلاثين سنة قبل الآن لكتبت أحجل .. لأنني حينئذ كنت ألتم أن أجول في أسواق هذه المدينة - حتى لا أقول في كامل البلاد التي كانت في الأزمان السابقة مزرعة للآداب وسريرا للتمدن - وأفتش باجتهاد على من يقدر أن يكتب مكتوبا أو كما يقال يفك الاسم \* ثم يقول \* وأما الآن فإنه يوجد أمور كثيرة تقوى أماننا في المستقبل ومع أننا ملاينون في أكثر هذه الأمور للغرب ، يمكننا أن نرفع رؤوسنا بما وجد عندنا من الثقافة مع قطع النظر عن مصدرها \* (١) .

وفي هذا القول دلالة على مدى الجهل الذي وصلت إليه هذه البلاد وفيها إشارة إلى مطلع نهضة ثقافية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر مع الإشارة إلى مصدر هذه النهضة التي كان من بواعثها :-

#### أولا : التعليم :

كان التعليم في الدولة العثمانية في أواخر القرن الثامن عشر يكاد يكون دينيا فهناك معاهد دينية يتعلم فيها الصغار ومعاهد أخرى للكبار وكان بعضها ملحقا بالمساجد وبعضها مستقلا في مبان مشيدة لهذا الغرض مع مساجد خاصة بهما وكان أسلوب التعليم فيها قديما لم يتغير منذ عدة قرون بل تقهقر إلى تعليم

(١) مجالي القرر لكتاب القرن التاسع عشر ص ٣٨

عشر عشرة صفحة عن التعليم  
حتى ع ٢٨ تطويع بالإبداع

العلوم النقلية فقط ونتيجة للاحتكاك بالدول الأوروبية في النصف الأخير من القرن الثامن عشر والاول من القرن التاسع عشر فقد تفتحت أنظار المفكرين الى عدم كفاية هذا النوع من التعليم اذا ما أرادت الدولة أن تواكب حضارة العصر .

ولعل الضرورات الاجتماعية المتولدة عن هذا الاحتكاك هي التي أوجت بضرورة هذا التحديث في التعليم " وليس الترتيب المنطقي " .

كما ان المفروض أن الهزائم العسكرية المتلاحقة التي منيت بها الدولة العثمانية أمام الجيوش الأوروبية جعلتها تفكر في أسباب هذه الهزائم فوجد المفكرون أن السبب الأصلي يعود الى اختلاف نظمها وتغيير وسائلها عما في البلاد الأوروبية مما جعل رجال الحكم على اقتباس هذه النظم والوسائل لجعل الجيش قادرا على الصمود أمام الجيوش الغربية الحديثة ولما كان تعليم الفنون العسكرية الحديثة تحتاج الى معرفة الكثير من علوم الرياضة والطبيعة وشمس غير قليل من مبادئ التاريخ والجغرافية نشطت هذه العلوم في المدارس العسكرية أولا فأنشئت الاعدادية العسكرية ثم الرشيدية (١) العسكرية ليتمكن الطالب من التأهل بالطوم الكافية ليلتحق بالمسندارس العسكرية الاختصاصية التي تقسم مقام المدارس العليا التي كان مركزها عاصمة الدولة .

وقد أخذت البلاد العربية بنصيب وافر من هذه السياسة ولذلك رأينا الكثير من أبنائها يدرسون في تلك المدارس العسكرية الاختصاصية في العاصمة . أما المدارس التعليمية الحديثة " الملكية " التي لم تتسم بسمعة عسكرية فلم تنشأ الا لتخريج الموظفين الذين تحتاجهم الدولة في مختلف المصالح الحكومية .

هذه هي بواعث النهضة التعليمية الحديثة - بشكل عام - في مختلف الولايات العثمانية ومنها فلسطين وينبغي التنبيه - هنا - الى أن التعليم في المدارس الابتدائية والثانوية والعالية التي أنشأتها الدولة العثمانية في البلاد العربية كان يجري باللغة التركية بوجه عام وقواعد اللغة العربية كانت تدرس في هذه المدارس بقدر ما كانت تدرس وكما كانت تدرس في الولايات التركية لأنها كانت من جملة

---

(١) أي الثانوية العسكرية

القواعد المستعملة في التركية فكان لابد من معرفتها لفهم الآداب التركي واتقسان الانشاء التركي <sup>(١)</sup> ونظرا لان الرابطة التي تجمع الشعوب العثمانية هي الرابطة الدينية كانت سلطة الدولة وقوانينها موجهة الى المسلمين مباشرة أما الطوائف الأخرى فقد ضعفت سيطرة الدولة عليهما في المدة الأخيرة نتيجة لتدخل الدول الغربية في شؤونها الخاصة حتى جعلت من هذه الطوائف مركزا لاطماعها أولا ثم وسيلة للتدخل الاستعماري بحجة حمايتهم ثانيا .

### التعليم الطائفي في الدولة العثمانية :-

يقول الاستاذ ساطع الحصري \* ان السياسة الداخلية التي كانت متبعة في الدولة العثمانية تعد كل طائفة من الطوائف الدينية والمذهبية - من غير المسلمين - جماعة قائمة بنفسها \* فكانت تمنح تلك الجماعات امتيازات خاصة في كل ما يمت بصلة الى الشؤون الدينية والمذهبية وكان الرئيس الديني - البطريرك أو الأسقف أو المطران - يعد رئيسا للجماعة ويمثل بالاتفاق مع \* مجلس ملي \* خاصا يتألف من فرعين : أحدهما \* روحاني والثاني جسماني \* وكانت هذه المجالس العلمية بمثابة السلطة الشرعية في كل ما يتعلق بشؤون الكنائس والأديرة وفي كل ما يتعلق بالاحوال الشخصية وقد جعلت الدولة العثمانية شؤون التعليم من جملة الأمور المرتبطة بالأديان والمذاهب فحولت جميع الطوائف المسيحية والاسرائيلية حق تأسيس المدارس وادارتها ايضا .

ولهذا السبب أخذت الطوائف المختلفة تؤسس معاهد خاصة تعليمية بها وتدبر هذه المعاهد كما يروق لها . وكانت هذه المدارس الطائفية في بادى الأمر من نوع المدارس الدينية حقيقة غير أنها تبدلت بعد ذلك بسرعة وتحولت الى \* معاهد تعليمية عصرية \* بكل معنى الكلمة وكانت هذه المدارس تسير على مناهج

---

(١) حواشي الثقافة العربية ساطع الحصري ص ٧ - ٩



خاصة بها تختلف باختلاف أديان الجماعات ومذاهبها ولا تمت بأية صلة الى مفاهيم المدارس الحكومية واتجاهاتها ، وكثيرا ما كانت تستلمهم خططها ومناهجها من المدارس الاجنبية المؤسسة داخل البلاد العثمانية أو من المدارس العثمانية نفسها وذلك حسب العلاقات الدينية أو المذهبية التي كانت تربط الجماعة بتلك البلاد الاجنبية .

ولقد كانت الحقوق الممنوحة للجماعات في أمر التعليم تشمل " لغة التعليم " أيضا فكان يحسب لكل جماعة أن تعلم أبناءها باللغة الشائعة بينها فكان للارمن أن يعلموا باللغة الأرمنية وللبلغار باللغة البلغارية ولذلك كان للمسيحيين العرب أن يعلموا باللغة العربية .

وهكذا نرى ان السياسة التي سارت عليها الدولة العثمانية في هذا المضمار أدت الى نتائج غريبة جدا بالنسبة للبلاد العربية . فكان نظام الجماعات السدى ذكرناه خاصا بغير المسلمين فلم يتمتع المسلمون العرب بشئ من التنظيمات والامتيازات التي كان اخوانهم المسيحيون يتمتعون بها في أمور المدارس والتعليم . يتمتعون

ولذلك انحصرت المعاهد التعليمية المفتوحة أمام هؤلاء في المدارس الوقفية القديمة التي لم تتل أي حظ من الإصلاح وفي المدارس الرسمية التي كانت تعلم باللغة التركية في حين أن اخوانهم المسيحيين كانوا قد كونوا جماعات منظمة بأسم القانون وأسسوا مدارس خاصة بهم وجعلوا اللغة العربية لغة التعليم فيها . ولهذا السبب انتشر التعليم العربي الحديث بين المسيحيين قبل المسلمين ولهذا السبب أيضا كان معظم الكتاب والمؤلفين والخطباء الذين ظهوروا في الولايات العربية في العهد العثماني مسيحيين على الرغم من قلة هؤلاء بالنسبة للمسلمين .

ومما يلفت النظر أن المدارس الاجنبية أيضا أثرت تأثيرا مماثلا لذلك في هذا المضمار حيث انها أخذت تهتم باللغة العربية بغية اجتذاب أبناء الشعب من جهة وتسهيل التأثير فيهم من جهة أخرى ، ومما انها كانت في بادئ الأمر من نوع المدارس التبشيرية عامة التي - تأخذ طلابها من غير المسلمين بوجه عام وهذا ساعدت على انتشار التعليم العربي بين هؤلاء أكثر من انتشاره بين المسلمين وقد أدت المدارس الاجنبية في العهد العثماني - دورا خطيرا في البلاد العربية حيث تأسست في بادئ الأمر على أيدي الارسلالات الدينية وكانت كل واحدة من هذه الارسلالات تعتمد على حماية دولة من الدول الأجنبية وتصبح واسطة لنشر لغة تلك الدولة بجانب تعليم المسلمون المختلفة من جهة وتعليم اللغة العربية من جهة أخرى غير أن تأثير هذه المدارس لم يكن يحصر في الطلاب الذين ينتمون ودرسوه فيها بل كثيرا ما كان يتعدى ذلك لطلاب مدارس

٢٨٠  
(١)  
الجماعة نفسها لأن هذه المدارس الأجنبية كانت تزود تلك المدارس الطائفية بالكهنة والمعلمين والكتب المدرسية وكانت تواصل التأثير الى درجة ترجمة مناهج الدروس وأساليب التدريس المتبعة فيها أيضا .

وهكذا أصبحت المدارس الأجنبية من الادوات السياسية الفعالة التي تستخدمها الدول لنشر لغتها في البلاد وبسط نفوذها على الجماعات . وقد كانت فرنسية أنشط الدول في هذا الباب فقد حلت نفسها حامية الكاثوليك فأوفدت الى البلاد العربية كثيرا من الرساليات الكاثوليكية وأنشأت بواسطتها كثيرا من المدارس الفرنسية كما أنها أخذت تحصى وتساعد وتوجه المدارس التي تنشئها الطوائف الكاثوليكية وأنشأت عن طريقها كثيرا من المدارس الفرنسية وأخيرا حاولت أن تجتذب السى مدارسها أولاد المسلمين وأولاد الطوائف غير الكاثوليكية أيضا . ولذلك أوجدت " الرساليات العلمانية التي تلتزم " الحياد " في الأمور الدينية فلا تدخل في مناهجها أي دين من الأديان وتوافد على البلاد العربية في الوقت نفسه كثير من الرساليات البروتستانتية وكان بينها الإيرلندية والدانمركية والانجليزية والاميركية .

وكانت الرساليات الانجليزية والأميركية أغناها وأنشطها بطبيعة الحال فصارت أداة فعالة لنشر اللغة الانجليزية والثقافة الأنجلو سكسونية في بعض البلاد العربية . ومن جهة أخرى أخذت روسية وهي تعد نفسها حامية الأرثوذكسى تنشئ مدارس خاصة بالطوائف الارثوذكسية وأنشأت مدرسة للمعلمين في الناصرة لتخريج وتنشئة المعلمين الذين تحتاج اليهم المدارس المذكورة وأخيرا وافقت المانية أيضا أثر الدول المذكورة فأخذت تنشئ بعض المدارس الألمانية في بعض المدن العربية بغية تعليم لغتها ونشر ثقافتها وبسط نفوذها فيها وقامت ايطالية أيضا بأعمال مماثلة لكل ذلك وأخذت تنشئ المدارس الايطالية تارة بصورة مباشرة وتارة بواسطة الرساليات الدينية .

ويظهر لنا من ذلك كله ان المعاهد التعليمية القائمة في الولايات العربية في أواخر السلطنة العثمانية كانت في غاية من التنوع والاختلاف : فمدارس رسمية تعلم باللغة التركية ولا تبالى باللغة العربية ، ومدارس طائفية تختص بكل جماعة دينية ومذهبية على حدة تعلم باللغة العربية وتتأثر في الوقت نفسه بالمدارس الأجنبية التي تشاكلها في الدين والمذهب ، ومدارس أجنبية تنتسب الى مختلف الدول الغربية تعلم لغة الدولة التي تنتسب اليها وتعنى في الوقت نفسه باللغة العربية

" وقد تجاوب مسيحو الشرق مع هذه الارساليات الأجنبية خصوصا من كان قريبا من الطوائف المسيحية الوطنية واستفادت اللغة العربية من المنافسة القوية بين الكتلة الأوروبية والبرتستانتية الانجليزية والأميركية والأرثوذكسية الروسية " .

" ان سعت كل واحدة منها الى اظهار تمايزها عن الدولة العثمانية " بمفهومها التركي بتشجيعها اللغة العربية . ولم تغير الارساليات الأجنبية من سياستها الا عندما بدأت تدرك أن عليها الآن توجيه المسيحيين بعيدا عن فكرة العروبة ، وفي الوقت نفسه ربط بعض الفئات أو مجموعة بكاملها بالدولة الأم ، وقد سعت لتحقيق ذلك بعد تقسيم المشرق العربي أو كما سعت فرنسا من قبل لجعل هؤلاء مرتبطين ثقافيا وفكريا ولفويا وماديا بالدولة الغربية . . (١) وفي الواقع ان الدولة العثمانية أرادت أن تغير من سياستها التعليمية بعد الانقلاب الذي حدث سنة ١٩٠٨ م وحاولت أن تفرض رقابتها على المدارس الطائفية والأجنبية ، غير أنها لم تستطع أن تغير شيئا من هذه الأوضاع تغييرا فعليا لأن المدة التي مضت بين حدوث هذا الانقلاب ونشوب الحرب العالمية الأولى لم تتجاوز ست سنوات .

لذلك استمرت هذه الأحوال حتى انحلال الدولة العثمانية وانقراضها (٢) تماما .

هذه هي أحوال التعليم في البلاد العربية التابعة للدولة العثمانية ومنها فلسطين التي كانت تعد الجزء الجنوبي من سورية . وقد كانت بلاد الشـمـر العربي - سورية الكبرى والعراق - متشابهة في أوضاعها التعليمية والاقتصادية مما أدى الى تكاتف مشترك في العمل السياسي لتحقيق الأهداف المشتركة .

فمثلا عندما تأسست جمعية الحرية الفتاة في باريس عام ١٩١١ كان من مؤسسيها محمد رستم البعلبكي وعوني عبد الهادي النابلسي وجميل مردم الدمشقي ومحمد الحمصاني البيروتي وعبد الغنى الفرسي البيروتي ورفيق التميمي النابلسي العربي وتوفيق السويدي البغدادي وانضم الى هؤلاء بعد ذلك عدد كبير من المثقفين

(١) التعليم والتحديث في المجتمع الفلسطيني ص ٦١ - ٦٢

(٢) حولية الثقافة العربية ص ١٢ - ١٤ .

المرب من مدنيين وعسكريين وكانت هذه الجمعية أول حزب عربي يعمل بطريقة سرية ويدقق في الانتسابات وأدت هذه الجمعية دورا كبيرا خلال العهد الفيصلي إذ كان الأمير فيصل عضوا فيها <sup>(١)</sup> نلاحظ أن أعضاء هذه الجمعية من فلسطين ولبنان وسورية والعراق وقد كان التعليم والتنقل متاحا لجميع العرب في كل الولايات فالامكانات التعليمية الموجودة في العراق يستطيع أن يستفيد منها الفلسطينى والسورى وغيرهما . لذلك كان واضحا ان فصل أى قطر عن الآخر سوف يؤدى الى نقص فى مراحل وأوضاع التعليم المختلفة فى كليهما وما أننا فى صدد بحث التعليم فى فلسطين بحدودها السياسية المعروفة سنكتفى بذكر المدارس التى كانت موجودة .

فى سنة ١٨٥١ أنشئت مدرسة صهيون الداخلية للصبيان فى القدس وقد خرجت منذ انشائها حتى ١٨٨٣ - ٣٤٠ ) تلميذ وفى سنة ١٨٥٥ أنشئت فى القدس مدرسة المصلبة للروم الأرثوذكس بعناية كيرلس الثانى بطريرك اورشليم على نفقة دير الروم وكان فى القدس أيضا أربع مدارس لجمعية انتشار الانجيل بسين اليهود فيها ( ١٣٨ ) تلميذ ، وثلاث مدارس لجمعية المرسلين الكنسية فيها ( ١٣١ ) تلميذ ، وخمس مدارس للجمعيات الألمانية فيها ( ٣٣٩ ) تلميذ ، وثلاث مدارس للروم الأرثوذكس فيها ( ٢٩٤ ) تلميذ و ( ١١ ) مدرسة للاتين فيها ( ٧٦٥ ) تلميذ ومدرسة للروم الكاثوليك فيها ( ١٠ ) طلاب وثلاث مدارس للأرمن فيها ( ٣٦٠ ) تلميذ ( ١ ) .

أما مدارس نابلس فكانت ثلاثا للمسلمين ومعلموها ثمانية عشر وتلاميذها ( ٥٢٦ ) واشهرها الرشدية وفى نابلس للمسلمين مدرسة للبنات فيها معلمتان ومائة تلميذة ونحو اثنى عشر مكتبا فيها ( ٤٦٠ ) تلميذ أما مدارس المسيحيين فكانت خمس مدارس للصبيان فيها ستة معلمين و ( ٩٥ ) تلميذا كما كان للبنات مدرستان فيهما معلمتان و ٤٢ تلميذة وأقدم هذه المدارس أنشئ سنة ١٨٥٠ . وفى جوار نابلس فى جنين مدرسة فيها ٨٠ تلميذا ومعلمان .

(١) المقتطف ج ٨ - ٩ ١٨٨٣ ص ٤٧٠ ٤٧٥ ٥٣٢

أما في عكة فقد أنشئت المدرسة الرشدية سنة ١٨٧٦ هـ وبلغ تلاميذها الخمسين ومعلموها أربعة وهناك خمسة عشر مكتبا للمسلمين فيها ٢٠٠ تلميذ وفي سنة ١٨٨٩ أنشأت الجمعية الأدبية الخيرية مدرسة بلغ عدد تلاميذها الخمسين وكان معلموها أربعة كما أنشأت الجمعية لمدرسة للبنات ومدرسة للراهبات اليسوعيات فيها سبع معلمات ونحو من ( ١٥٠ ) تلميذة . هذا وكان للطوائف المسيحية أيضا نحو من أربع مدارس للصبيان فيها سبعة معلمين ونحو من ٢٠٠ تلميذ .

أما فيما جاور عكة كحيفة وغيرها ففيها نحو من عشرين مدرسة وعشرين معلما وأربعمائة تلميذ . . وقد أخذ طلب العلم يزداد ويتسع الاقبال على المدارس كلما تقدم الزمن من القرن العشرين .

أما صفد فقد أخذت المدارس تتكاثر فيها منذ ١٨٦٠ ففيها نحو من عشرة مدارس وخمسة عشر معلما وثلاثمائة تلميذ أما طبريا ففيها ست مدارس وثمانية معلمين ومائتا تلميذ .

هذه صورة عن المدارس في هذه المدن التي ذكرناها في النصف الأخير من القرن التاسع عشر . ويقول الدكتور عبد الرحمن ياقى : " وإذا كانت جمعية واحدة هي ( الجمعية الامبراطورية الأرثوذكسية الفلسطينية ) في فلسطين لها في أنحاء البلاد خمس وعشرون مدرسة بلغ تلاميذها الصبيان في سنة ١٩٠٧ م ( ٨٠١ )<sup>(١)</sup> ادركنا مدى تأثير هذه المدارس الأجنبية في كيان هذا الوطن الصغير .<sup>(٢)</sup>

أما مجموع المدارس الابتدائية الرسمية في الألوية الثلاثة ( القدس ، نابلس ، عكة ) في مطلع القرن العشرين بل في السنة ١٩١٣ - ١٩١٤ وهي السنة التي سبقت الحرب فكان ( ٩٥ ) مدرسة ابتدائية رسمية معلموها ( ٢٣٦ ) معلما ومعلمة وتلاميذها ( ٧٧٥٨ ) تلميذا وتلميذة .

---

(١) تاريخ الجمعية الامبراطورية الارثوذكسية الفلسطينية ص ٢٠١ - ٢٠٢

(٢) حياة الادب الفلسطيني ص ٦٦ - ٦٧ .

وتذكر النشرة الرسمية لوزارة المعارف العثمانية أن مجموع الأطفال الذين كانوا في سن التعليم الإلزامي يبلغ ( ٧١٦٣٢ ) مما يدل على أن المدارس الابتدائية الرسمية ما كانت تضم من هؤلاء إلا نحو العشر أما المدارس الثانوية الرسمية فكان في القدس منها ( مكتب سلطاني ) وفي كل من عكا ونابلس ( مكتب اعدادي ) وكان عدد طلاب المدارس الثانوية المذكورة ( ٤٧١ ) وكانت كل واحدة مشهرا تضم صفوفًا ابتدائية وفقا للنظام المتبع في جميع الاعداديات والسلطانيات العثمانية وكان مجموع طلاب هذه الصفوف ( ١١٠ ) وكان المكتب السلطاني في القدس ( مكتبا اعداديا ) أنشئ سنة ١٨٨٩ ولم يتحول الى مكتب اعدادي الا في سنة ١٩١٣ .

أما المكتب الاعدادي في عكا فقد أنشئ سنة ١٨٩٥ وأما المكتب الاعدادي في نابلس فقد أسس سنة ١٨٩٧ .

ويتبين من أرقام النشرة الرسمية العثمانية أن مجموع المدارس الابتدائية الأهلية والطائفية في المتصرفيات الثلاث كان ( ٥٠٠ ) وعدد المعلمين والمعلمات ( ٧١٩ ) معلما ومعلمة أما التلاميذ والتلميذات فيبلغون ( ١٥٧٧٣ ) منهم ( ٨٧٠٥ ) في المدارس الخاصة بالمسلمين و ( ٣٤٤٥ ) في الخاصة بالمسيحيين و ( ٢٦٢٣ ) في المدارس الخاصة بالاسرائيليين .

وبما أن المدارس الرسمية تكاد تكون خاصة بالمسلمين فان مجموع الطلاب المسلمين في جميع المدارس كان ( ١٤٦٦٣ ) (١) ومجموع الطلاب المسيحيين ( ٣٤٤٥ ) والاسرائيليين ( ٣٦٢٣ ) .

هذه صورة موجزة عن التعليم والمدارس في العهد العثماني وقد امتد اطار هذه الصورة حتى شمل المدة الواقعة بين منتصف القرن التاسع عشر ونهاية الحرب العالمية الأولى مع فتور داخل في حدود هذا الاطار الى انتعاشة في عهد الدستور الى ازدهار في المدارس الأجنبية في مدة ما قبل الحرب .

---

(١) حولية الثقافة العربية السنة الثالثة ص ٤ - ٩ .

## فترة الانتداب البريطاني :-

بعد الحرب العالمية الأولى انحلت السلطة العثمانية وانفصلت الولايات العربية عنها انفصالا نهائيا .

وقد أصبحت بعض الولايات العربية تحت الاحتلال الفرنسي وبعضها تحت الاحتلال البريطاني ونتج عن ذلك بطبيعة الحال نتائج خطيرة من حيث اتجاهات الثقافة ونظم التعليم ، فان اللغة الفرنسية أصبحت اللغة الالزامية في المدارس الابتدائية والثانوية والعالية في منطقة الانتداب الفرنسي وترتب على ذلك ان المنطقة المذكورة اتصلت أكثر ما اتصلت بالنظم الفرنسية والمطبوعات الفرنسية والمناهج الثقافية الفرنسية وصار الشبان الذين يريدون اتمام دراستهم خارج بلد هم يذهبون الى فرنسا وينتسبون الى جامعاتها وكل ذلك ساعد على جعل النظم الفرنسية والمناهج والثقافة الفرنسية سائدة على معارف البلاد وثقافتها ، وقد انضم الى هذه النتيجة الطبيعية الجهود التي بذلتها فرنسا لمبسط نفوذها المعنوي في البلاد فزاد ذلك مسن سيطرة الثقافة الفرنسية سيطرة كبيرة .

النتيجة

وقد حدث ما يماثل ذلك بالنسبة الى اللغة الانجليزية في مناطق الانتداب الانجليزية حيث أصبحت هذه اللغة هناك الزامية في المدارس الابتدائية والثانوية والعالية وترتب على ذلك ان المناطق المذكورة اتصلت أكثر ما اتصلت بالنظم الانجليزية والمطبوعات الانجليزية والثقافة الانجلوسكونية وصار الشبان الذين يريدون اتمام دراستهم خارج بلادهم يذهبون الى انجلترا وأمريكا وينتسبون الى جامعاتها وكل ذلك ساعد على سيادة الثقافة الانجلوسكونية في المناطق المذكورة وقد انضم الى هذه النتيجة الجهود الخاصة التي بذلتها انجلترا وأمريكا لنشر هذه الثقافة في البلاد فأكسب ذلك الأوضاع المذكورة قوة كبيرة .

هذه سياسة التعليم في الولايات العربية بعد الحرب العالمية الأولى اذ خضعت كل من سورية ولبنان للاحتلال الفرنسي والعراق والأردن وفلسطين للاحتلال الانجليزي . وبخصوص فلسطين أدار الانجليز شؤون المعارف ادارة مباشرة ووجهوها الوجهة التي أرادوها دون أن يلاقوا أية مقاومة .

ولهذا السبب نشأ في فلسطين نظام تعليمي خاص يختلف عما نشأ في سائر الاقطار العربية أختلافا كبيرا وكان هذا النظام أكثر تأثرا بالنظم الانجليزية الاصلية بطبيعة الحال .

## التعليم في فلسطين في عهد الانتداب البريطاني

حسب الإحصاء السكاني لعام ١٩٣١ كان عدد السكان العرب أو بالأحرى عدد سكان فلسطين من غير اليهود ( ٨٥٩ ) ألف نسمة من أصل ( ١٠٣٣٠٠٠ ) نسمة<sup>(١)</sup> وبلغ عدد المتعلمين منهم أى الذين دخلوا المدارس حوالى ( ١٢٠ ) ألف نسمة<sup>(٢)</sup> وإذا أسقطنا من هذا العدد مقدار ( ٢٠٠٠ ) شخص من الأجانب الغربيين غير اليهود يكون المعدل حوالى ( ١١٨ ) ألف نسمة من المتعلمين العرب ونستطيع انقاص هذا العدد ( ٢٠٠٠ ) شخص من حجم السكان فيكون عدد العرب حوالى ( ٨٥٧ ) ألف نسمة .

ونتيجة لذلك تكون نسبة المتعلمين العرب ١٣٫٧٥ ٪ من عدد السكان وهذا الرقم يعطى صورة كئيبة للوضع الثقافى فى فلسطين عام ١٩٣١ غير ان هذا المعدل لا يعطى الصورة الحقيقية اذ كان هناك تفاوت فى التعليم بين العناصر الاسلامية والعناصر المسيحية . فقد توفر للمسيحيين عدد كاف من المسد ارس سهل عليهم الانتساب اليها بسبب تجمع الاكثرية منهم فى المدن وللا امتيازات ، المنوحة لهم من الدولة العثمانية ثم لكثرة الارشاليات الأجنبية وما تقدمه من مساعدات تعليمية وغيرها لذلك كانت الاحصاءات والدراسات التعليمية فى فلسطين تقوم أساساً على مذهبى فالمسلمون فى فلسطين يمثلون ٦٧ ٪ من سكان فلسطين<sup>على</sup> احصاء ١٩٣١ - و ٨٠ ٪ من السكان العرب - فتعداد المتعلمين المسلمين حوالى ٧٥ ألف من أصل ٦٩٣ ألف نسمة أى حوالى ١١ ٪ من السكان بينما النسبة لدى المسيحيين هى ٤٧٫٥ ٪ وان ال ٨١ ٪ من المتعلمين المسلمين درسوا أقل من ست سنوات ونسبة التعليم عند المسيحيين العرب هى ٢٩ ٪ .

من هذا نلاحظ ان نسبة المتعلمين ضئيلة ولكن اذا أخذنا هذه النسبة فى الاطار العام لرقى المجتمع الفلسطينى نجد ان نسبة المتعلمين لا بأس بها

و(١) ترجمة الدكتور فاضل زيدان  
I) Survey of palestine I948 Vol I P. I41  
2) Censuse of palestine I93I p.92.



وليس هذا الفضل راجعا لحكومة الانتداب اذ ان التعليم كان قد توسع ففى  
اواخر الحكم العثماني وأول سنى الحرب كثيرا خصوصا فى ولاية القدس اذ ففى  
عام ١٩١٤ كان هناك ٩٥ مدرسة ابتدائية وثلاث مدارس ثانوية يعلم فيها  
(٢٣٤) معلما وتعداد تلاميذها (٨٢٤٨) منهم (١٤٨٠) تلميذة وكان  
يوجد (٣٧٩) مدرسة تقليدية أكثرها كتاب يعلم فيها (٤١٧) معلما ويزورها  
(٨٧٠٥) تلاميذ منهم (١٣١) تلميذة (١).

وقد توفر للشعب الفلسطينى فى العشرينيات حد أدنى من فئة الجامعيين  
قليلا تخرج من الجامعات الأوروبية والأميركية كما أن الضالة الكبيرة كانت ففى  
نسبة المتعلقات الراشحات من الشعب الفلسطينى فى تلك الحقبة (٢) ولو ألقينا  
نظرة على ازدياد الطلاب المسلمين لرأينا أن الفرق بينهما شاسع بالنسبة لتعداد  
السكان ففى عام ١٩٢٠-١٩٢١ كان عدد الطلاب المسلمين (١٨١٢٦)  
والمسيحيين (٧٤٣١) وفى عام ١٩٤١-١٩٤٢ كان عدد الطلاب المسلمين  
(٦٩٠٣٥) والمسيحيين (٢٥٨٠٨) .

وقد كان الاهتمام الأكبر فى التعليم عند المسلمين عن طريق المجلس  
الاسلامى الأعلى .

والجهات الاسلامية الأخرى حيث ارتفع عدد المدارس من ٤٢ مدرسة عام  
١٩٢١-١٩٢٢ الى (١٩٠) مدرسة عام ١٩٣٤-١٩٣٥ وارتفع عدد التلاميذ  
من ٢٢٨٧ عام ٢١-١٩٢٢ الى ١٥٣٨٩٦ تلميذ عام ١٩٤٠-١٩٤١ أى حوالى  
ستة أضعاف، بيد أن الاكثية العظمى من المدارس الحكومية عام ١٩٤٤ كانت  
ابتدائية تحتوى على الابتدائية الأدنى الى الرابع الابتدائى . ولم يكن الوضع  
كذلك فى القرى فقط بل كان فى المدن - ايضا - وتصل نسبة التلامذة فى هذه  
المرحلة الى مجموع التلامذة الكلى ٩١% ، والنسبة المئوية الباقية تتوزع بين الدراسة  
الابتدائية العالية والدراسة الثانوية ويتضح أن الأكثية الكبرى من تلامذة المصارف  
كانت ترك الدراسة بعد الصف الخامس الابتدائى عدا قلة بينها قسم ضئيل يكمل  
الدراسة فإذا كان التلميذ من المتفوقين استطاع الانتساب الى الصفوف العليا  
الحكومية ، وتشدد شروط الانتساب للدراسة الحكومية العادية الثانوية اذ ليس

الأكثية

(١) ترجمة الدكتور فاضل زيدان

I) Arab education in Mandatory  
palestine 1956, P.20 .

(٢) التعليم والتحديث فى فلسطين ص ١٠٧ - ١١٣ .

هناك الاثلاثة مدارس حكومية تحتوى على صفوف حتى الثانوية العامة وجميعها  
فى مدينة القدس وهى الكلية العربية والمدرسة الرشدية وكلية البنات وكانت  
الكلية العربية تقصر المجال للطلاب الثلاثة الاوائل فى المدارس الاخرى  
الاكمال فيها ولما كثر عدد الطلبة توازى مع ازدياد المدارس التى تحتوى  
على المرحلة الثانوية الاولى سعى خلال الاربعينات الى توسيع المدرسة  
الرشدية .

ولقد كانت الكلية العربية وكلية البنات وكلية المعلمين وبالإضافة الى هذه -  
الكليات أُلشئت مع الوقت فصول ثانوية زراعية فى طولكرم عام ١٩٣١ وثانوية  
تجارية فى حيفا (عام ١٩٣٦) ومنذ بدء الانتداب البريطانى أسست فصول  
لدراسة الحقوق ينتسب اليها موظفوا الدولة ويدرسون خمس سنين يحصلون  
بعدها على ( دبلوم ) وتخرج عدد لا بأس به من الشباب الفلسطينى العربى  
ولكن ليس لدينا أحصاء دقيق عن عدده .

وقد اتجه الطلبة أبناء الطبقتين الوسطى والوجيهة القرية للدراسة  
فى الجامعة الاميركية فى بيروت وكان الطلاب الفلسطينيون يكونون ٢٠ - ٢٥ %  
من عدد طلبة الجامعة ويأتون عددا بعد الطلبة اللبنانيين وانتسب طلبة  
آخرون الى الجامعة اليسوعية خصوصا من درس منهم فى المدارس الفرنسية  
فى فلسطين . وذهب فريق من الطلبة الى القاهرة حيث انتسب طلبة العلوم  
الدينية الى الأزهر وانتسب آخرون الى دار العلوم حيث تخرج منهم  
( ٤٠ ) طالبا بين ١٩٣٢ و ١٩٤٧ (٢) كما التحق بعض الطلبة بالجامعات  
الانجليزية فكان عددهم فى الثلاثينيات عوالى ( ٢٠ ) طالبا (٣) وفى عام  
١٩٤٨ (٢٥) طالبا (٤) .

( ١ ) التعليم فى فلسطين كاتول جبرائيل ص ٦

( ٢ ) الشجر الجديد فى ماساة فلسطين ١٢٥

39 Arab Education in Mandatory palestine 1956 P:II2

### نظرية التعليم في مدارس المعارف :-

لقد سمى الانجليز للحصول على اعتراف دولي بانتدابهم على فلسطين ليس للقيام بواجب انساني حسب ما جاء في البيانات والمواثيق الدولية الصادرة عن اجتماع فرساي عام ١٩١٩ وما بعده بل نتيجة تصميمهم على استعمار فلسطين حفاظاً على امبراطوريتهم وزيادة في نفوذهم خصوصاً في الشرق الاوسط حيث بدأ الذهب الاسود يوطد نفوذه الاقتصادي ولم تكن الصهيونية الاممية لمبتغاهم الاستعماري . .

ان نظرتهم الى الشعب العربي الفلسطيني لم تكن تختلف عن نظرتهم الى العرب المصريين أو أبناء الهند وشعوب شرق آسيا عامة ويستشهد الدكتور عبد القادر يوسف بفقرة من كتاب همفري بومن يقول فيها \* فهذا لويد جورج رئيس وزراء بريطانيا واللورد بلتور يعدان الحرب قوما صحراويين لاقية لهم يومئذ انهم سوف يقنعون ببعض التوكيدات والضمانات التي تعطيهم لهم الحكومة البريطانية فاذا لم يقنعوا فقد يقومون في البداية ببعض حركات الشغب ولكنهم سرعان ما يعودون لصوابهم ويخلدون للسكنينة بعد ان يروا رأس العصا على غرار قبائل الهندود الشمالية الغربية في الهند (٢)

بهذه الرؤية لشعوب المستعمرات تبدأ بريطانية سياستها التعليمية ومن الجدير بالذكر ان بريطانية استمدت فلسفة النظام التعليمي في فلسطين من تجربتها في الهند وبعد ذلك في مصر اذ ان النظام التعليمي الفلسطيني أخذ في جوهره من النظام المصري وهذا بدوره مستمد من التجربة الهندية وتتضمن هذه الفلسفة التعليمية تربية فئة ممتازة تدخل السلك الاداري الحكومي لتنفيذ السياسة الاستعمارية ويسمى الى تنشئة هذه الفئة لترتبط بالاستعمار ثقافياً وفكرياً والطريق الامثل هو اختيار معظم افراد هذه الفئة من الأقليات أو أبناء الطبقة الوجيهة لترويضهم وربطهم مصالحها به ان أمكن . فسعى الاستعمار في البدء الى توظيف عدد

(١) التعليم والتحديث ص ١٣٩

(٢) مستقبل التربية في العالم العربي في ضوء التجربة الفلسطينية ص ٩٥ هذه النظرية الصهيونية الاستعمارية في الماض والحاضر والمستقبل لم ولن تتغير وهي نفسها التي أشار إليها الرئيس أنور السادات في مذكراته حيث يقول

كبير من اليهود وبعد ذلك من المسيحيين خصوصا من الفئة المتخرجة من المدارس الانجلوسكسونية وحين بدأ الشعب الفلسطيني خصوصا المسلمين يحتجسون على هذا الوضع سعى الى توظيف أبناء الطبقة الوجيهة وأما التوسع في التعليم الابتدائي فمردّه الى التجاوب مع متطلبات المجتمع التجارى المستهلك لسلعها والرضوخ الشكلي للمطالب الشعبية أن النظام التعليمي في الريف كسان أقرب الى التجهيل منه الى التعليم .

وتدل إحصاءات المعارف على أن النسبة الهائلة من التلاميذ كانت موجودة في الصفوف الابتدائية الخمسة الاولى بينما كان عدد هم في الصفوف الثانوية ضئيلا جدا وقد ربط التعليم الثانوي لتخريج مدرسين لجميع المستويات خصوصا الثانوية وقد كانت الوظائف الادارية العالية يعين لها خريجي المدارس الاجنبية (١) هذه هي السياسة الاستعمارية في التعليم إذ تسخره لما يخدم يخدم أغراضها ويثبت وجودها بدلا من جعله أداة لرفق الشعوب والاخذ بيدها حسب رسالة الانتداب .

هذا وقد كشفت الايام أن السبب الحقيقي وراء سياسة التجهيل هو ماورد في المادة ( ٢٤ ) من صك الانتداب البريطاني على فلسطين والتي نص فيها على أن توضع فلسطين في أوضاع سياسية واقتصادية واجتماعية تمكن اليهود من إنشاء وطنهم القوي فيها .

#### ثانيا : الطباعة :

لقد كانت الإرساليات الاجنبية أول من فكر في ضرورة اصطحاب المطابع معهم الى هذه الديار المقدسة وقد عرفت الطباعة على أيدي اليهود في سنة ١٨٣٠ حيث أنشأ " نسيم باقى " مطبعة في القدس كانت تطبع كتباً دينية باللغة العبرية وفي المدة ما بين ١٨٣٠ - ١٨٥٠ نشأت ثلاث مطابع كبيرة ساعدت على نشر آداب اللغة العربية في بلاد الشام الاولى مطبعة الأمير كان التي نقلت سنة ١٨٤٣ من مالطة الى بيروت والثانية الكاثوليكية

= في معرض كلامه عن مدى استخفاف إسرائيل بالعرب قبل معركة أكتوبر بيوميين . . . . . لدرجة أن أبا أبيان وزير خارجية إسرائيل في ذلك الوقت قال الروجرز :-

أن أمريكا تقصم نفسها في أمور لا تسهمها ولا يجد ر أن تهتم بها ثم عبر

- ظهرت سنة ١٨٤٨ في بيروت والثالثة مطبعة الآباء الفرنسيين في القدس سنة ١٨٤٨ بأنشائها الأب سيثيان فر تخنر النموى الاصل وقد نمت هذه المطبعة حتى أصبحت من أكبر المطابع الشرقية في أول القرن العشرين وكان باكورة المطبوعات في هذه المطبعة كتاب " التعليم المسيحى " بالاطالية والعربية وكانت أدوات الطباعة كلها من النمسة . وحين جاءت -
- الرساليات الانجليزية أسمى جماعة منهم سنة ١٨٤٨ مطبعة في القدس أسموها الأنشأ مطبعة لندن لطبع الكتب الدينية من أجل نشر الانجيل بين اليهود . وأنشأ الارمن الفرموريون في القدس المطبعة الامنية في جوار جبل صهيون حيث مقام أسقفهم وكنيستهم الكبرى وأنشأت جمعية القبر المقدس " اليونانية مطبعتهما في دار البطريركية الارثوذكسية وكان ذلك على عهد البطريرك كيولى الثانى . دلائل
- وقد وجدت في هذا الوقت المطبعة الوطنية في القدس لصاحبها الفونس أنطون الوصو ثم مطبعة ( جورج حنانيا ) وللجمعية البروتستانتية مطبعة صغيرة بدأت في الجزء الثانى من القرن التاسع عشر . وفي المقتطف سنة ١٨٨٣ جدول يبين نشأة المطابع في القدس (١) وهى ١ - مطبعة الآباء الفرنسيين التى أنشئت سنة ١٨٤٧ وطبعت ( ١٠٣ ) كتاب مابين مجلدات وكراريس بلغات أجنبية .
- ٢ - مطبعة دير الروم الارثوذكسى التى أنشئت سنة ١٨٨١ وطبعت ( ٦٥ ) - كتابا منها ( ٣٦ ) بالعربية والباقي باليونانية .
- ٣ - مطبعة دير الارمن التى أنشئت سنة ١٨٦٦ وطبعت ( ١١٥ ) كتابا بلغات مختلفة أغلبها الارمنية .
- ٤ - مطبعة جمعية المرسلين الكنائسية الانجليزية التى أنشئت سنة ١٨٧٩ وطبعت اثنين وعشرون كتابا بالعربية . وعشرين
- ٥ - مطبعة لندن لانتشار الانجيل بين اليهود وقد أنشئت سنة ١٨٤٨ وكانت تطبع كراسة دينية شهريا وأعلانات دينية وقد وجد في بيروت مطبعة دار الايتام السورية التى كانت تدار بالبخار وكانت على درجة عالية

= أبا أبيان عن رايه في العرب بأن قال أنهم قوم متخالفين ولن تقوم لهم قائمة ولا يعرفون اللغة البطش ولرب وقد حان الوقت الذى سيأتون فيه وأكفمن مستسلمين لاسرائيل التى تعرف جيدا كيف تعاملهم " مذكرات الرئيس أنور السادات الاهرام ٢٤/١٠/٧٥ الجمعية عدد ٢٢٤٥٩ ص ٣٠

## الطالبات

من الاتقان لكثرة الطالبات التي كانت تردّها من مصر وحلب وبيروت ودمشق وطرابلس والشام وحيفا والناصرة وبيافه وكانت تطبع فيها مجلة النفائس ولم يكن ينافسها في اتقان الطباعة الا مطبعة أو مطبعتان في بيروت (١) ومن يراجع أماكن الطباعة في " الكتاب العربي " - الفلسطيني " يجد أن المؤلف الفلسطيني طبع كثيرا في أستانبول وفيينا ولندن ونيويورك وباريس وواشنطن وبيروت ومصر والشام وحلب وبغداد وعمان ومكة وغيرها .

وبعد إعلان الدستور كثرت المطابع الوطنية في مختلف البلاد فكانت أول مطبعة دخلت حيفا هي المطبعة الوطنية لياسيل الجديع سنة ١٩٠٨ ثم مطبعة جريدة الكرمل سنة ١٩٠٩ لنجيب نصار ثم مطبعة جريدة النفيس لايلازكا وغيرها ثم أنتشرت المطابع في مختلف أنحاء فلسطين . وما ينبغي ملاحظته أن الطباعة دخلت فلسطين عن طريق الارشاليات التبشيرية الدينية لطباعة الكتب الدينية ثم لطباعة كتبها المدرسية الى أن كثرت المطابع كثرة عامة في مختلف أنحاء فلسطين لأغراض تجارية .

## ثالثا الصحافة :

لقد كان ظهور الصحافة في فلسطين عن طريق الارشاليات الاجنبية شأن التعليم والطباعة فقد نشرت الجمعية الالمانية الفلسطينية في مجلتها مختلف المطبوعات التي يدور بحثها حول فلسطين ثم توقفت عن سعيها سنة ١٨٩٤ . وقد قام الدكتور بيتر تومسون فألف كتابا مستقلا أودعها قائمة المطبوعات الفلسطينية من سنة ١٨٩٥ وما بعدها ظهر منها حتى سنة ١٩١٦ ثلاثة مؤلفات بعنوان Die palestine literature

كما ظهرت مجلة بطريكية القدس الارثوذكسية والمجلة الالمانية لصاحبها الدكتور بييرز . (١)

ونظرا للمركز الديني والسياسي لفلسطين حظيت آثارها بأهتمام علماء التحقيق فقد كانت هناك " مجلة التحقيق عن آثار فلسطين " وهناك مجلات -

( ١ ) التعليم والتحديث في المجتمع العربي الفلسطيني ص ١٣٨ - ١٤١ .

( ٢ ) المقتطف ج ٨ ص ٤٧٢ راجع أيضا تاريخ الطباعة في الشرق العربي ص

٢٩٩ : ٣٠٣

( ٣ ) النفائس العصرية جزء ١٢٦ سنة ١٤ ١٩١٢ ص ٥١٦ .

أنجليزية والمانية أيضا وكان للفرنسيين المجلة الكتابية التي كانت تلخص كل ما نشر  
في المجلات الاثرية عن فلسطين (٢) ونظرا للاحوال التعليمية السيئة التي كانت  
تعيشها فلسطين حتى مطلع القرن العشرين كان ظهور الصحف متأخرا حيث  
يعتمد رواجها على كثرة القراء ولعل أول جريدة في القدس كانت جريدة "القدس  
الشريف" وهي جريدة حكومية محلية صورت سنة ١٩٠٤ باللفتين المربيعتين  
والتركية • ولما جاء الدستور ١٩٠٨ ظهرت الصحف في القدس وبافه وعكا وحيفه  
وغيرها فقد وجد في فلسطين خمسون صحيفة تقريبا ما بين سنتي ١٩٠٤ -  
١٩٢٢ (١).

وفى كتاب تاريخ الصحافة العربية " للكونت فيليب طرازي نجد فهرسى  
وجد أول للمجلات والجرائد التى صدرت فى فلسطين الى نهاية عام ١٩٢٩  
بلغت احدى وثمانين ما بين صحيفة ومجلة صدرت فى القدس وحيفه وعكة ويافه وبئر  
السيح وهذه صورة مركزة للصحافة فى داخل فلسطين أما فى خارجها  
فكان لابناء فلسطين مشاركة فيها أيضا هذا عاصم بسيسو وأحمد عزت الاعظمى  
يصدران فى الاستانة مجلة المنتدى الادبى فى ٢٧ شباط ١٩١٤ وأصدر عارف  
العارف جريدة عربية هزلية ( ناقة الله ) ١٩١٦ فى معتقل سيبيريا وأصدر -  
الاستاذ أحمد شاكركرمى مجلة باسم " الميزان " وأصدر الشاعر الشيخ -  
أبراهيم الدباغ مجلة " الانسانية " فى القاهرة (٣) وكان الاستاذ محمد  
على الطاهر قد أصدر جريدة " الشورى " فى القاهرة يتبين لنا من عدد  
الصحف والمجلات أن لابناء فلسطين نشاطا ملموسا فى مجال الصحافة  
سواء فى داخل فلسطين أو خارجها بالإضافة الى أن الكثير من أبناء فلسطين  
كانوا يكتبون فى " المشرق " و " المقتطف " و " الهلال " وغيرها وقد كانت  
بعض الصحف الفلسطينية تطرح موضوعا أدبيا وتعطى جائزة لاحسن من يكتب فيه  
وبعضها كان يصدر أعداد ممتازة لدراسة نواح خاصة من البلاد (٣) .

كل هذا يوضح لنا دور الصحافة الفلسطينية في نهضة هذا القطر الثقافية

( ١ ) مجلة الزعماء مقال الدكتور نجيب الساعاتي " انتشار الصحافة في فلسطين

( ٢ ) وحى الشاطئين\* ص ٩٩

( ٣ ) حياة الادب الفلسطينى الدكتور يافى ص ٨٩ - ٩٠ بتصرف

٤ - الاندية والجمعيات الادبية :-

من أقدم الجمعيات في فلسطين جمعية "سوسنة صهيون" أنشئت سنة ١٨٧٧ وجمعية الخيرة المسيحية "للروم الارثوذكس وكلتاها في المقدس (١) وفي ثلاث جمعيات هي جمعية "شعبة المعارف" و "الجمعية الادبية" الخيرية " وجمعية "مارفصور" ومن الجمعيات التي عنت بنشر المباحث المطبوعة في مختلف شؤون فلسطين "الجمعية الالمانية الفلسطينية" وقد وقفت عن نشر المطبوعات الفلسطينية ولم تقف عن نشر المباحث الخاصة بشؤون فلسطين (٢) كما أنشئت الجمعية الارثوذكسية الفلسطينية سنة ١٨٨٢ التي أولت عناية خاصة لدراسة أحوال فلسطين درسا تفصيليا (٣) كما أنشئت جمعية ترقى الاداب الوطنية في يافة سنة ١٩٠٨ لتهديب الشباب وتربيتهم وكانت تصدر نشرة بأعمالها السنوية (٤) وقد كان الفضل لعقد أول مؤتمر فلسطيني رسمى أقرت به الحكومة البريطانية لجمعيتين في حيفا - الاسلامية <sup>والمسيحية</sup> حيفه الشيخ محمد مراد والمسيحية ورئيسها الاستاذ فؤاد سعد وكان انعقاد اللجنة في حيفه من ١٣ - ١٩ كانون الاول سنة ١٩٣٠ برياسة موسى كاظم الحسينى وقد كان تشكيل المؤتمر باقتراح - الشيخ سليمان التاجى الفاروقى . (٥) وكان في حيفا أيضا "جمعية القهبة المسيحية وهي جمعية أدبية أنشئت من أجل بحث الامور الادبية وكان رئيسها الاستاذ أديب الجديع . وقد كانت معروفة قبل الحرب باسم "نهضة فتيان الروم الكاثوليك" وأعيد تأسيسها في ١٧ تشرين الثانى ١٩١٩ وفي حيفا أيضا جمعيتان نسويتان الاولى "جمعية السيدات" المسيحية والثانية "جمعية تهذيب الفتاة الاسلامية" كما تأسست "جمعية النهضة الاقتصادية العربية" وكان من المنادين بتأسيسها السيد نجيب نصار صاحب جريدة الكرمل وقد أفتتحت في ٢٢ شباط ١٩٢٢ . ومن صلاحيات هذه الجمعية بموجب نص قانونها أن تشكل هيئات فرعية في القرى تربطها جميعا لجنة عليا ينتخبها المؤتمر الذى يعقد بعد تنظيم هذه الهيئات

( ١ ) مجلة المقتطف ج ٨ ص ٤٧٠ ١٨٨٣ .

( ٢ ) مجلة الزهرة - معرقل الاقاليم - عدد ٢٣ ص ٤٩٥ .

( ٣ ) مجلة النفائس العصرية ج ٨ سنة ١٩١٩/٧ ص ٦٥ .

( ٤ ) مجلة النفائس العصرية ج ٥ سنة ١٩١١/٣ ص ٥٤٠ .

( ٥ ) مجلة الزهرة عدد ٢٣ ص ١١٤ .



وقد بدأت بتشكيل نقابات لكل مهنة وضعة وفن . . وكان من بين النقابات ( حلقة الادب ) وغايتها تعزيز اللغة العربية وتشجيع فن الخطاية والنظر في كل نقیصة من نقائص مجتمع حيفه الادبي واصلاحه والعناية بالتعليم ونشر الكتب الادبية ولم تكن الحلقة تقبل بين أعضائها الا حملة الاقلام والخطباء ومن مارس في الادب نثرا ونظما وكان أعضاؤها الفخريون من بيمن الذين يميلون الى الادب وينشطونه وقد قامت فكرة تأسيس هذه الحلقة في رأس الكاتب توفيق زبيق واستشار بشأنها الادباء من أصدقائه فاستحسنوا فكرته وشجعوه ولكنهم أمهلوه الى أن تأسست جمعية النهضة الاقتصادية العربية قباشرها تأسيس الحلقة وسنواها نظاما في جلسة تمهيدية عقدت في ٢٨ نيسان سنة ١٩٢٢ عقدتها توفيق زبيق ورفيق التميمي والدكتور قيصر الخوري وأديب الجدع ويوسف الخطيب وعبد الرحمن رمضان وجميل البحري .

وقد أحدثت الحلقة نشاطا كبيرا وكانت تقيم الحفلات وتنظم المحاضرات وتنشئ المسابقات للتأليف المسرحي وغيره وكانت تقوم بدور كبير في الحياة الادبية بما ترجمه أعضاؤها وما حاضروه وما أنشأوه (١) وكان لموظفي السكة الحديدية في حيفه ناد يجمعهم كما أقام نخبة من شبان طائفة السمر الكاثوليك أدباء وموظفين وعمالا ناديا باسم ( النادى الكاثوليكي ) (٢) سنة ١٩٢٢ كذلك قامت الجمعيات التعاونية في القرى كجمعية تعاون القرى التي اتخذت مركزها في حيفا أيضا ومع عنايتها بشؤون الفلاح أقامت كغيرها من الحفلات الادبية حيث يلقي الشعر وتقوم الدراسات حول شؤون القرية . وتأسس في حيفة أيضا " النادى العربى " الذى كان أعضاؤه من الشبان المسلمين والمسيحيين لممارسة الفنون الادبية والرياضية كما كانت هناك نواد مختلفة للاسر . وقد كان لهذه النوادي دور كبير في الحياة الادبية وفي بيت لحم نشط نادى الشبيبة حيث كان يقيم الحفلات لتكريم الادباء المستشرقين وفى غزة أعنى النادى الاثوذكسى بالتمثيل (٣) .

( ١ ) حياة الادب الفلسطينى ص ٩٦ - ٩٧

( ٢ ) مجلة الزهرة عدد ٢٥ ص ١٣ .

( ٣ ) النفير عدد ٢٥ ص ١٣ .

وكان النادي العربي في القدس يقيم مسابقة أدبية باسم " سوق عكاظ " سنة ١٩٢٤ وفي موسم النبي موسى يوزع الجوائز على الفائزين في الشعر (١) ومن مظاهر نشاط هذه الجمعيات والنوادي إقامة الحفلات لأكرام الشعراء والادباء فقد زار الشاعر خليل مطران فلسطين سنة ١٩٢٥ للاصطياف في رام الله فأقيمت له حفلات التكريم في القدس وبيت لحم وياقا والبيرة وطولكرم وقلقيلية ورام الله (٢) وكتب سليم سرקيس الى خليل بيدس عند ما زار القدس سنة ١٩٢٠ والتقى فيها بالرصافي الشاعر العراقي " وقد سرنى من القدس الشريف أن فيها ( جامعة للادباء ) لم أوفق الى مثلها في دمشق وحيفة فقد قضيت نحو أربعين يوما في عاصمة المملكة السورية وقابلت فيها عددا كبيرا من الادباء ولكن شملهم متفرق فلا يجتمعون في مكان معين أو زمان شأننا في مصر وأما في القدس فإن ليوث الادب يأوون الى عرين خاص يتمهيبه من لم يكن من طبقته وهذا القهيب والوقار يساعد انهم على المزلزمة ويبعد انهم عن الغفوة . وقد بلغ من أعجايي بمجلسهم في القدس أنني كما تعلم كنت أول من حضر وآخر من أنصرف حتى لا يفوتني جمال مجلسكم وفائدته لو أن بينكم من يحدو حدوى في مجالس ادباء مصر لاجتمع لديه الشيء الكثير من ثمرات الحقول التي تليق يوما ما أن تكون حديث المجالس لانك تنال من الادباء وقد أرسلوا على سجيتهم — مالا تناله من ثمرات العقول اذا هم تأفقوا في الحديث وتأهبوا له فهنيئا لكم ولمجلسكم بكثير من الحسنات وفي مقدمتها ( مجلس الادباء ) (٣) .

وقد كانت النوادي الرياضية أيضا تقيم الحفلات أحتفاء بالادباء والمفكرين فقد أقام نادي الالعاب الرياضية بالقدس في آذار ١٩٢٠ حفل تكريم للاستاذ الاستاذ سليم سرקيس التي فيها الاستاذ أسعاف النشاشيبي كلمة رائعة كما ألقى الاستاذ الرصافي قصيدته السينية المشهورة وكانت الحفلة في مدرسة روضة المعارف . (٤)

( ١ ) ديوان مشاهد الحياة ص ٢٠٣ .

( ٢ ) الزهرة عدد ٤ ص ٢١٣ .

( ٣ ) النفائس ج ١٧ ص ٢٥١ - ٢٥٢ .

( ٤ ) الحياة الادبية في فلسطين ص ١٠٠ .

## خامسا الاذاعة :

وهي من العوامل الفعالة لنهضة الام في مختلف نواحي الحياة يقول  
الاستاذ عجاج نويهض \* أن الاذاعة أرقى أسباب التواصل بين الام وهي  
تجعل المعمور الانساني في مسمعك وعما قريب على مرأى منك في لحظات  
هي أعجل من لمحات البصر فالمذيع رسول انقلاب في البشر لا يعلم إلا الله  
مدى حدوده وأنبساط أفاقه ومهما يكن للمذيع اليوم وغدا من شأن عظيم في أحداث  
الانقلاب في المجتمع فمن أخص ما نرى من مميزات أن له رسالة مقدسة كتبت  
عليه أن يؤديها الى الام والى العرب في جميع أقطارهم الا وهي رسالة  
نشر الثقافة الصحيحة كأوسع معانيها ويشترك في هذا العالم والمؤرخ والاديب  
والكاتب والشاعر والباحث والناقد والممثل والمفتي والمطرب من رجـال  
ونساء (١) .

تأسست الاذاعة في فلسطين مبكرا إذ أسست حكومة فلسطين محطة لاسلكية  
وأختارت الشاعر أبراهيم طوقان لادارة البرامج العربية وفي ٢٩ مارس ١٩٢٦ -  
نقل الاثير لأول مرة صوتا عربيا هو صوت أبراهيم طوقان وقد كان الناس يتطلعون  
بقلوبهم الى أبراهيم لوضع الاذاعة في خدمة القضية الفلسطينية للظلم  
الذي كانت تلاقيه من حكومة الانتداب والصهيونية الآثمة " ..... وضع  
أبراهيم خطته لخدمة الجمهور ، وخدمة التراث العربي الادبي وأصطدمت  
الفائتان ..... واثارت الصهيونية وأمتدت الرقابة الى كل ما يذيع  
أبراهيم والى كل ما يعمد من تمثيلات وآحاديث وقصص قد أذاع على الناس  
تحقيقا أدبيا أثبت فيه بالوثائق التاريخية أن السموم الشاعر الجاهلي اليهودي  
كان ذائقة يهودية من حيث جبهه للمال وأن هذه النزعة هي التي دفعت الى إثارة  
الذبح لابنه خارج الحصن ولم يكن في الامر عامل الوفاء وإنما كان ذلك من أجل  
مال جسيم وعده به أمروء القيس اذا أستجاب لطلبه وقد أذاع هذا التحقيق  
بنفسه في ٢٠ سبتمبر ١٩٣٦ فاهتاجت الصهيونية ..... وظلت تدبر له حتى

دفعته

( ١ ) الحياة الادبية في فلسطين ص ٠٠٠

( ٢ ) أبراهيم طوقان المحاسن ص ٢٧٠

(١) انتهى الامر باقصاء ابراهيم .

وقد أعدت محطة الاذاعة سلسلة من المحاضرات الوطنية موضوعها " شخصية فلسطينية بارزة ولما تولى الأستاذ عجاج نويهض مراقبة البرامج العربية في الاذاعة الفلسطينية أخذ يعد برامج يستدعي لها كتابا وباحثين من فلسطين والبلاد العربية للقاء المحاضرات والبحوث فتقدم الاخطال الصغير - بشارة الخسوري بثحية شعرية لفلسطين في مساء الخميس ٢ نيسان ١٩٤٢ وحاضر الاستاذ عبد اللطيف الطيباوي عن الجيش في التاريخ الاسلامي ثم عن التربية والتعليم في العصور الاسلامية وكانت محاضرات كل من الاستاذ عبد السلام البرغوثي والاستاذ عباس محمود العقاد عن معارك ١٩٣٩ وحاضر قبله في الموضوع نفسه الاستاذ عبد القادر المازني وأذاع الشيخ عبد العزيز البشري حديثه عن الدولة الاموية والاستاذ محمد كرد علي حديثه بعنوان " هل تمدنا " كما قدم الاستاذ خليل تقى الدين مدير المطبوعات في جمهورية لبنان حديثه رمضان حول الادب العربي وتحدث الاستاذ نسيم يزبك حديث بعنوان نظرة في مستقبل العمر وتحدثت السيدة أسها طوبى عن تربية الطفلة وتحدثت السيدة ماري صروف عن التربية في الاسرة العربية وتحدثت الآتسة قدسية خورشيد عن شخصية المرأة وقدم الاستاذ خليل بيدس حديثا بعنوان " الى فتياتنا " وقدم أيضا قصة عنوانها " البطلة " (٢) كما استقدمت محطة الشرق الادنى للادب العربي في فلسطين علماء وصحفيين مثل الشيخ عبد الله العلايلي والاستاذ الموماني والاستاذ أكرم ملحم كرم . (٣)

هذه هي العوامل المباشرة المساعدة في النهضة الثقافية في فلسطين . وقد تفاعلت هذه العوامل مع عوامل داخلية أخرى فتولدت أنشطة ثقافية مختلفة فقد كثرت النوادي والجمعيات التي ساعدت على إيجاد نهضة تمثيلية مسرحية . نمت وازدعرت بظهور الاذاعة التي جعلت لها جانبا من برامجها . وقد ظهرت في حيفا " جمعية التمثيل الادبي " في مطلع القرن العشرين وكانت محاولة جادة لاهياء التمثيل (٤) وقد نشط في هذا الجانب الاستاذ جميل البحري

( ١ ) ابراهيم طوقان المحاسني ص ٢٧ .

( ٢ ) حياة الادب الفلسطيني ص ١٠١ - ١٠٢ .

( ٣ ) مجلة الاديب ج ٣ ص ٥٩ .

( ٤ ) ولاية بيروت ص ٤٩ .

فأخذ يتبع روايته حلقات أخرى وتمثيليات غيرها يقدمها الى رؤساء المدارس لتمثل على المسارح المدرسية والى معاشر عشاق التمثيل الادبي سدا للفراغ (١) وفي بيت لحم قام نادى الشبيبة بتمثيل روايات للجمهور مثل رواية "عواطف" الاجتماعية وقد أعد رئيس نادى الشبيبة الارثوذكسى بيانا خاصا بالتمثيل ومعه رئيس اللجنة التمثيلية ومعض الاعضاء (٢) ومما ساعد النهضة التمثيلية ظهور أفراد أفذاذ فى مجال التمثيل وقد كتبت مجلة النفير تقول " أن هناك شابا شرقيا عربيا يكاد وطنه يجهل شخصيته بينما دوائر برلين الادبية ومسارحها التمثيلية تتفنن بمبقرته وقد بذل جهدا فى سبيل نشر الادب العربى فى أنحاء المانيا فوضع الروايات التمثيلية الحافلة بماثر الحرب بالكتابة فى صحف المانية عن التراث العربى وبالشاء الشعر العربى فى الاندية الالمانية ..... وذلك الشاب هو عزيز ضومط وأخر رواية وضعها " والى عكله " التى مثلت لأول مرة على مسرح بلدية ( شتر السون ) فالت أستحانا كبيرا وقد عدوه فى الطبقة الاولى من شعراء المانية وأقاموا له حفلة تكريم القى فيها بالالمانية ترجمات شعرية لكل من مطران وشوقى وحافظ وهو من أبناء حيفه (٣) ومن الجمعيات التمثيلية فى هذه الفترة " جمعية الفنون التمثيلية " فى القدس وقد مثلت على مسرح مدرسة الفرير رواية " عنزة " (٤) وللمرة الاولى تظهر المرأة على المسرح عندما مثلت فرقة من شبان القدس رواية ماجدولين على مسرح سينما صهيون وقد مثلت فرقة الشبان المسلمين الكبرى فى يافا رواية " دموع يائسة " على مسرح قهوة " أبوشاكوش " وفى الثلث الاول من القرن العشرين نشأت الفرق التمثيلية الجواله فى فلسطين والاردن كما فعل فريق الهيئة التمثيلية لنا دى الشبيبة فى بيت لحم حيث مثل " رواية الاستبداد " (٥) .

وقد عنيت جريدة النفير بتشجيع التمثيل وفرقة وتتبع أخبار الممثلين والجمعيات التمثيلية من ذلك حد يشها عن النهضة التمثيلية فى حيفه بمناسبة حضور أكبر فرقة تمثيلية عربية اليها وهى فرقة رمسيس المصرية بقيادة يوسف وهبى وجورج أبيض حيث تذكر أن أول من غرس نواة هذه النهضة فى حيفه هى جمعية الرابطة الادبية

( ١ ) الزهرة عدد ٩ ص ٢٥ .

( ٢ ) النفير عدد ١٠ ص ٥٥ .

( ٣ ) النفير عدد ١١ ص ١٣ .

( ٤ ) النفير عدد ٢٣ ص ٨ .

( ٥ ) النفير عدد ٣٣ ص ١١ .

وقد جعلت حفلاتها التمثيلية عامة ومجانية فأقبل عليها سكان حيفه على اختلاف  
 مللهم وحلهم ثم تبعتها الجمعية الاسلامية فمثلت على مسرح زهرة الشرق  
 رواية ( فهد الطرابلسي ) فلاقت ماستحقه من الاستحسان ٠٠٠٠٠٠٠ وقام  
 أعضاء النادي الرياضي الاسلامي بتمثيل رواية " مطلع النساء " وكلها عبث  
 للنساء ولكن للأسف لم تحضر أى واحدة من النساء ثم مثلت فرقة كشافة حيفه  
 رواية ( الاسود والنعمان ) وفي خلال الثلاثة أشهر - شباط - آذار - نيسان  
 ١٩٢٩ مثل الاعضاء مايزيد على ثمان روايات (١)

هذه لمحة خاطفة عن نشاط الفرق التمثيلية في فلسطين حتى الثلاثينيات  
 الاول من القرن العشرين ولم تكن حكومة الانتداب تشجع التمثيل في فلسطين  
 لكونه يضر بوجودها . وفي يافا كانت فرقة نادى الشبيبة الارثوذكسية انشط  
 الفرق التمثيلية في فلسطين (٢) ثم نشطفن التمثيل فدخل المدارس ومختلف  
 النوادي والجمعيات ثم ظهر العنصر النسائي بشكل واضح في تمثيل رواية " هملت "  
 لشكسبير التي قامت بها فرقة الكرمل التمثيلية ومن بين المثلثات اللاتي أجسدن  
 أدوارهن " أسيا " خورى وثريا أيوب (٣) وقد تفاعلت هذه العوامل وأسهمت  
 في فتح نوافذ على الحياة الغربية فازدهرت الترجمة التي كانت من أكبر هذه  
 النوافذ لكثرة الرسائل الاجنبية التي كانت تعلم باللغة الفرنسية والانجليزية  
 والاطالية والروسية والالمانية واليونانية حيث وجدنا أن أول مترجم سنة ١٨٦٠  
 تأليف دينية ( مرشد الاولاد ) لفرنسيسكو سوانفيواس وقد عربه مينا يوسف  
 دباس اليافوى وطبع في مطبعة القبر المقدس اليونانية (٤) وطبعت مطبعة  
 الالباء الفرنسيسكان في القدس قبل القرن العشرين مائة وعشرين كتابا بالعربية  
 والتركية والارمنية والعبرانية واليونانية فضلا عن اللغات الاوربية كالايطالية  
 واللاتينية والفرنسية والاسبانية (٥) وفي مطلع القرن العشرين وجدنا موضوعات  
 غير دينية مثل كتاب " الامومة عند العرب " ترجمها عن الالمانية بندلى صليبيا  
 الخورى وطبع في قازان سنة ١٩٠٢ (٦) . حتى اذا ظهرت الصحف اتجهت  
 الترجمة نحو الحكايات والقصص والروايات . حيث أخذت الطابع الادبي وكسان  
 الاستاذ خليل بيدس من أوائل من مارسوا الترجمة الادبية حيث كان يتقن اللغة

( ١ ) النفي ر عدد ٢٩ ص ٢٩

( ٢ ) النفي ر عدد ٢٩ ص ١٣

( ٣ ) النفي ر عدد ٢٩ ص ١٣ ( ٤ ) م : النفي ر عدد ٣٠ ص ٣

( ٥ ) المشرق عدد ٢ سنة ١٩٠٢/٥ ص ٧٠ ( ٦ ) المشرق عدد ٢ سنة

الروسية فترجم عنها الكثير وفي أعداد مجلته النقائس كان ينشر العديد من الروايات والقصص كما ترجم رواية المملوك الشارد \* لجورجي زيدان الى الروسية ومن أوائل المترجمين أيضا الاستاذ أنطوان بلان أحد أساتذة السينما - الروسية في الناصرة حيث نقل رواية " في سبيل الحب " ١٩١٢ (١) وخواطر من كتاب " طريق الحب " لتولستوى (٢). وغيرها كثير وقد وجدت جميعها في مجلة الاستاذ خليل بيدس " النقائس المصرية " ومن الذين ترجموا عن الروسية أيضا سليمان بولس إبراهيم جابر ، وعبد الكريم سمعان ولطف الله الخوري ، وكلثوم نصر عودة وفارس نقولا مدور الذين نشروا قصصهم في مجلة النقائس المصرية ، ومن الذين لمعوا في الترجمة عن الادب الروسى الاستاذ نجاشى صدقى . كتب للاستاذ ميخائيل نعيمة رسالة بتاريخ ٣ آب ١٩٤٤ جاء فيها " أما الفصول التى تطلعت وقرأتها لى من الدراسة التى تمدها عن بوشكين فقد تركت فى ضميرى كثيرا من السرور مع شىء من الامتنان لك ذاك لانك قمت ببعض الواجب الذى كان ممن المفروض أن أقوم به أنا نظرا للصلة المتينة التى بينى وبين الآداب الروسية .

فقد رشفتها صافية من منابعها الصافية ولكم تمنيت أن يباح لى نقل بعضها الى لغتنا كيما ينعم أبناء الضاد ولو بنفحات من طيوبها النادرة المنال بين آداب الامم . . . . . وهأت أنت (٣) تأخذ الكسندر ريوشكين أعظم شعراء الروس وقصة باسقة من قصص الشعر الباسقات فى الارض فتنتقل الى قراء العربية أخبصار حياته القصيرة والحافلة بكل جليل ومد هش من الاخبار . . . . . وما يزيد فى قيمة عملك أنك وقد حصلت قصصا ليس بالقليل تستقى معلوماتك من مصادرها الاصلية ومن ذاك ما يفرينى بالامل وقد فرغت من حياة بوشكين أن أراك تتصرف الى نقل بعض المعالم الادبية الى العربية فمن المخجل أن تبقى الى الآن محجوبة عن العرب . . . . . وما من أمة حية - كبيرة كانت أو صغيرة - لا تتمتع اليوم بنصيب من جمالها الفتان وعناها المفرط ودوحها الانسانى العميق (٤) وقد كانت مجلة النقائس لمنشئها الاستاذ خليل بيدس النافذة الواسعة التى يطل منها الادب الروسى ويعد الاستاذ أنطوان بلان - والاستاذ نجاشى صدقى ممن أسهموا فى ثراء الادب العربى الفلسطينى بالادب الروسى على صفحات النقائس كما أسهم

( ١ ) المشرق عدد ١٢ سنة ١٩٠٢/٥ ص ٥٧٣ .

( ٢ ) النقائس المصرية جزء ٧ سنة ١٩١٢/٤ ص ٣٤٢ .

( ٣ ) النقائس المصرية ج ٧ سنة ١٩١٢/٤ .

( ٤ ) بوشكين أمبرا سوا روسيا ن سلسلة أقرأ رقم ٢٨ المقدمة سحر

( ٥ ) كذا والصحيح " ها أنت ذا تأخذ " د . عبد السلام سرحان .

الاستاذان محمود سيف الدين الايراني وعارف العزوني في نقل الادب الروسى المترجم الى اللغات الاوربية الى الادب العربى على صفحات " الطليعة " (١) كما نشط الاستاذ جبران مطر في ترجمة القصص عن الالمانية ونشرها في مجلة النفائس المصرية وكذلك الاستاذ الياس نصر الله حداد ترجم رواية ( ناثان الحكيم ) عن الالمانية للشاعر الالمانى لسنخ وطبعها في مطبعة دار الايتام فى القدس (٢) ومن أوجه نشاط الترجمة أيضا ما كان يفعله المجلس المختلط للطائفة الارثوذكسية حيث أعضاؤه اثنا عشر عضوا منهم ستة من الرهبان وستة من العلمانيين وكان من بين العلمانيين الاستاذ خليل بيدس عن الناصرة وكان البطريك يتلو خطابه فى المجلس باللغة اليونانية ثم يقوم عضو من الاعضاء ويقرا على المجلس الترجمة العربية للخطاب . وكان الاستاذ توفيق اليازجى يترجم فى مجلة ( الادب ) - قصيدة الخمرة المزوجة ( للشاعر اليونانى يوانس بوليتسى (٣) أما اللقطة التركية فقد توجهت الترجمة اليها فى وقت مبكر ولم يستفد الادب العربى كثيرا من الادب التركى بالنسبة لطول الزمن الذى دخل فيه العرب تحت الحكم التركى وذلك يعود أما لضعف الثقافة العربية والترجمة حيث لم تنهيا الدوافع للترجمة أو لطفيان الادب التركى على الادب العربى بحيث لم يترك للاخير الفرصة لاستظهار الادب التركى والاستفادة منه . وأما لعدم شعور العرب بالفارق بينهم وبين الاتراك لان الشعور بالشخصية وتلمسها كان رد فعل لنزعة التتريك التى دعا اليها حزب الاتحاد والترقى بعد أسقاط السلطان عبيد الحميد ومع هذا عرب المؤرخ - الفلسطينى البحاتة عبد الله مخلص كتاب نامق كمال ( سيرة الفاتح ) السلطان محمد الثانى (٤) كما عرب الكاتب الاديب حسن صدقى الدجاني رواية ( حذار (٥) كما عرب الاستاذ عارف العزوني ( ترانتابابو ) من رسائل شاب حبشى الى زوجته للشاعر التركى الكبير ناظم حكمت (٦) وعن اللغة الانجليزية يترجم ابراهيم حنا حكاية عن حذاقه الفرنساويين وأدراك الانجليز وتترجم روزحسون حكاية عن زهرة البرتقال فى النفائس وهناك ترجمات دينية ترجمها بولسى صدقى من القدس عن كتاب " تسعة أمثال

( ١ ) الطليعة الاعداد ٦ ٧ ٨ ٩ ١٠ سنة ٢ ص ٥٦٧ - ٥٨٠ ٥٩٣ ٦٦٩

( ٢ ) الهلال جزء ١٠ سنة ٤ ص ١٤٨٣

( ٣ ) النفائس المصرية جزء ١٢ مجلد ٢ ص ٩٢ - ٩٤

( ٤ ) النفائس المصرية جزء ٢ سنة ٣ ص ٩٥

( ٥ ) معرض أقلام الزهرة عدد ٣ سنة ٢ ص ٩٢

( ٦ ) الطليعة عدد ٤ سنة ٣ ص ٢٤٢



لربنا يسوع المسيح (١) ومن أشهر المترجمين أيضا الاستاذ توفيق الزبيبي  
الذى ترجم مقالا وقصصا لمجلة النفائس (٢) كتاب "ميزان النفس" حيث (٤)  
نشر فصولا منه فى معرض أقلام الزهرة (٣) كتاب "الحرية والمعيشة" (٤)  
وكتاب حديث المائدة للكاتب الاجتماعى الكبير دوزن (٥) وترجم الاستاذ  
أحمد شاكر الكرمى فى الكرميات التى صدرت سنة ١٩٢١ (للساعر الانجليزى شلى)  
( فلسفة ) الحب و ( الحرية ) و ( الثقلب ) كما ترجم قصة " الفلسفة الشرقية "  
للكاتب الفرنسى برنارد دين دوسان بيبر عن الانجليزية وقصة ( ما أغلاه ) للكاتب  
الفرنسى جى دى موياسان نقلها عن الانجليزية ( أسطورة العمل والموت والمرضى )  
للفيلسوف الروسى تولستوى عن الانجليزية و ( أسطورة العمل والموت والمرضى ) -  
للفيلسوف الروسى تولستوى - عن الانجليزية و ( أسطورة الزهرة ) - فينوس  
عن كتاب الصور لمارك تويين وترجم للساعر الانجليزى بوب " روايته ص أو الخريف  
والربيع " ونشرها فى مجلة الرابطة الادبية فى دمشق سنة ١٩٢١ وترجم  
قصة ( خالد ) للروائى الاميركى ماريون كروفود وقد كان للاستاذ وديع البستاني  
مجموعة كبيرة من الكتب المترجمة عن الانجليزية فى السياسة والاجتماع والشعر  
والادب . أما الاستاذ أحمد سامح الخالدى فهو من أشهر من نقل عن  
الانجليزية بحوثا فى التربية فقد اعتمد فى وضع كتابه ( ادارة الصفوف ) على بحوث  
بجلى " Begley " طبع فى القدس ١٩٢٨ واعتمد فى وضع كتابه ( اركان  
التدريس ) على كتاب ( الاشارات المعلمين ) الذى نشره مجلس التعليم البريطانى  
وطبع فى القدس ١٩٣٧ ونقل كتاب الحياة العقلية لمؤلفه وود وورث .....  
كما نقل كتاب ( الطريقة المنشورية فى التربية والتعليم ) وطبع فى القدس ١٩٢٥ -  
وترجم الى جانب ذلك ( أقتعة الحب ) للدكتور وليم شيتكل ومدايرة التحليل النفسى  
طبع فى القدس ١٩٤٦ كما أن زوجته غنيرة سالم الخالدى قد قامت بنصيبها فى الترجمة  
عن اللغة الانجليزية فقد كانت تنشر فى ( الكشاف ) سنة ١٩٢٨ سلسلة مقالات -  
مترجمة بعد ذلك الياذة هو ميروس عن الانجليزية ونشرتها فى المطبعة المصرية  
فى القدس سنة ١٩٤٦ وهى منقولة عن ( قصة الياذة ) لالفرد تشرش . ومن أشهر  
المترجمين عن الانجليزية أيضا الاستاذ عجاج نويهض اذا ترجم كتاب حاضر العالم

- 
- ( ١ ) النفائس المصرية جزء ١٢ سنة ٢ ص ١٠٠  
( ٢ ) فن التمثيل فى خلال قرن يوسف داغر ص ٤٥١  
( ٣ ) النفائس المصرية جزء سنة ٣ ص ١٩٨  
( ٤ ) معرض أقلام الزهرة عدد ٢ سنة ٢ ص ٢١٩  
( ٥ ) النفائس المصرية جزء ٢ سنة ٦ ص ٧٣ ( ٦ ) الزهرة عدد ٢ سنة ٥ ص ١٧

الاسلامي لوثروب ستوارد طبع في القاهرة سنة ١٩٢٤ وهو الكتاب الذي علق على أصوله تعليقات وافية الامير شبيب أرسلان فجاء في أربعة مجلدات وترجم الاستاذ عجاج نويهض كتاب ( النظام السياسي ) نظرياته وأشكاله ( في القدس ١٩٣٣ وترجم الاستاذ عبد الرحمن بشناق رواية في سبيل المجد الاثركويلر كلوتش في القدس ١٩٣٩ وترجم الاستاذ جبيرا أبواهيم جبيرا ( قصة حياة شلى ) لاندريه موروا وترجم قصة ( البلبل والوردة ) لارسكاروايلد وقصة ( عاشق ) - لجورج موسى وله ترجمات غير ذلك (١) .

### الترجمة عن الفرنسية :-

لقيت الاداب الفرنسية عناية من الادباء الفلسطينيين الذين تعلموا في المدارس الفرنسية توازي ما لقيت الاداب الانجليزية ولعل الاستاذ محمد روحى الخالدي يعد من أوائل الذين عنوا بالترجمة عن الفرنسية الى العربية وفي كتاب " فكتور هوجو علم الادب عند الاو فرنج والحرب ترجمات تاريخية وأدبية وعرض وتصوير واقتباس لكثير من آراء فكتور هوجو في الشعر والنثر ثم دخلت الترجمة مرحلة جديدة يظهر الصحف حيث أخذت الصحف تترجم بعض القصص والروايات التمثيلية ومن أشهر الصحف التي أعتت بالترجمة " النفيير " " الزهرة " ومن أشهر المترجمين الصحفيين الاستاذ جميل بحرى الذي خصص القسم الاول من " الزهرة " للروايات التي كان معظمها منقولاً عن اللغات الاوربية . وقد كان لظهور الاستاذ عادل زعتر فاتحة عهد جديد للثقافة الفلسطينية على الثقافة الفرنسية فمنذ كان في باريس سنة ١٩٣٣ طالباً في الحقوق وهو ينقل الروائع من الثقافة الفرنسية الى العربية في مختلف المجالات من أدب وسياسة واجتماع وتاريخ وفلسفة وقانون حيث ترجم سبعة وثلاثين كتاباً ونحن لا يسعنا أن نذكر جميع المترجمين في مختلف اللغات لكثرتهم ولكن يمكننا أن نتصور عدد هم اذا علمنا أن فلسطين كانت مجالا خصبا للارسلالات الاجنبية لمكانتها المقدسة وما كانت تسعى اليه كل ارسلالية من نشر ثقافتها عن طريق لغتها وما تقدمه من مساعدات في هذا السبيل . واذا علمنا أن كل دولة أجنبية لها ارسلالية في أكثر من مكان واحد مثل بريطانيا وفرنسه وأمريكا وإيطاليا واليونان والمانيّة

( ١ ) حياة الادب الفلسطيني ص ١١٤ - ١١٥

( ٢ ) حياة الادب الفلسطيني ص ١١٤ - ١١٨

وروسية اذا علمنا هذا أدركنا مدى انتشار الثقافات الاجنبية بلغاتها في فلسطين لذلك بدأت الترجمة بالكتب الدينية ثم المدرسية وقد كانت هذه الارشاليات ترسل المتفوقين من طلابها الى وطنها الأم في بعثات دراسية ليزدادوا اطلاعا على ثقافتها واتقانها للفتها .

### أثر الارشاليات التبشيرية في الحياة الثقافية بفلسطين :-

بعد أن استعرضنا الحياة الثقافية ببواعثها المختلفة نلاحظ ان الارشاليات التبشيرية الاجنبية قد أسهمت في هذه البواعث اسهاما كبيرا ان لم تكن قد هيمنت عليها تماما . فلقد أحدث ضعف الدولة العثمانية سياسيا وثقافيا في البلاد العربية فراغا سرعان ما ملأته الدول الغربية الطامعة في البلاد العربية وقد كان لموقع فلسطين الجغرافي والتاريخ الأثر الأكبر في تركيز هذه المطامع عن طريق زيادة نشاط الارشاليات التبشيرية . ~~والتاريخي~~

ولقد كانت مهمة هذه الارشاليات الأولى هي قطع الرابطة التي تربط بسين العرب والخلافة العثمانية عن طريق استغلال مظاهر الضعف في الخلافة ثم اضمصاص البواعث الدينية في نفوس الشبيبة العربية لذلك كثيرا ما كانت تتظاهر باسم التفكيسير الحر والبحث العلمي والتسامح الديني للطعن في المقدسات والتراث الروحي متخذة من المواقف السلبية للخلافة العثمانية - اتجاه العرب - حجة لها ونحن نلاحظ انه لم توجد في فلسطين دعوة اسلامية حرة تلفت الأنظار الى قداسة هذا البلد التي بارك الله فيها في قوله تعالى " سبحانه الذي أسرى بعبد له ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا انه هو السميع العليم " (١)

لتبعث في نفوس المسلمين العظة والعزة التي بها يرفضون كل ثقافة غير اسلامية لانها اجنبية بكل صورها والوانها . بل رأينا بواعث الحياة الثقافية المختلفة تصبح بصيغة تبشيرية فدارس الارشاليات التبشيرية تنتشر في كل فلسطين ويتهاافت الطلاب المسلمون عليها وهي لا تدرس شيئا عن الاسلام بل وتدرس لهم اشياء عن المسيحية حسب الطائفة التي تنتمي اليها هذه الارشالية وكذا الطباعة فأول

---

(١) سورة الاسراء الاية الاولى

ما عرفت عن طريق اليهود سنة ١٨٣٠ حيث أنشأ " نسيم أق " في القدس أول مطبعة في فلسطين أما الصحافة • فقد كان للمسلمين فيها نشاط ملموس ولكن الموضوعات التي تشرقت كانت بعيدة عن التوعية والثقافة الإسلامية وهذا يعود اما الى مؤسسى هذه الصحف ضعيفى الثقافة الدينية بسبب تعلمهم فى مدارس تبشيرية او ان الموضوعات الدينية لم تلق رواجا بسبب ضعف الثقافة عند المسلمين وكذلك الجمعيات والأندية فقد انتشرت فى فلسطين باسماء مسيحية لكل الطوائف وتعد هذه الجمعيات بنشاطها ثمرة للمدارس التبشيرية كما يعد التعليم نشاطها النظرى وكذلك الاذاعة فان أثرها لم يكن فعالا كأثرها اليوم لقلة من يملك أجهزة الراديو ثم ابراهيم طوقان الذى درس فى الجامعة الأميركية فى بيروت لا أجد فى ديوانه قصيدة واحدة تشير الى أى أثر للدين فى تفكيره ثم التمثيل الذى هو أبعد ما يكون عن النزعة الدينية ثم الترجمة التى نشطت فى فلسطين نشاطا ملموسا أظهر مدى فاعلية المدارس التبشيرية فى الناشئة الفلسطينية ويكفى أن الأستاذ عادل زعير وحده قد ترجم سبعة وثلاثين كتابا عن الفرنسية •

كل هذا يلقي ضوءا على البيئة الثقافية التى نشأ فيها الشيخ يوسف النبهانى الذى نشأ فى بيئة ثقافية فى قريته - أجزم - التى تختلف عن البيئة الثقافية الفلسطينية العامة • فقد كان تعليمه بعيدا عن متناول المدارس التبشيرية فى قريته وعلى والده الأزهرى فقط حتى اذا بلغ السابعة عشر من عمره رحل الى الأزهر الشريف لمشرّب من النبع الدينى صافيا من أيدي علماء الذين حرسوا هذا الدين فى أحلك المصور وأظلمها وما زالوا يفعلون •

ولعل هذا كله يفسر لنا كيف أن النبهانى لم يستخ مؤثرات الحضارة الغربية فى عصره والتى كانت تفتح قلوب المثقفين فى بلاد الشام لها بكل قوة ولكنها لم تستطع ان تؤثر فى الشيخ النبهانى ليسمعها فقط بل لقد زادت من عنافا وكبرياء عليها وكان لا يلتفت لها الا بعد أن ينظر حكمها فى القرآن والسنة حتى اذا وجدهما يرفضانها ضرب بكل المسوغات التى أخذ الناس بها عرض الحائط ومن هذه المسوغات تغير الأحوال والازمان والضرورات - الاجتماعية ومقتضيات العصر وغيرها ثم يعود ليتخفى بشخصية الرسول صلى الله عليه وسلم تمجيدا وتبجيلا وكأنه يرى فيه وحده الأنموذج الذى يجب أن يحتذى وانه الانسان الكامل بما دعا اليه من تعاليم الاسلام التى بها وحدها خلاص البشرية من مشاكلها والامها •

ولعل المفارقة الثقافية بين حالة العصر وما عليه المثقفون المسلمون من تفهم وأستيعاب وأحيانا من انتقال للمؤثرات الثقافية الأجنبية المسيحية وبين الواقع الثقافي الاسلامى الذى نشأ عليه النبهانى ولا يعرف غيره

ولعل هذه المفارقة بين الثقافتين قد ولدت كبتا فى نفسية النبهانى وغريسة طرد وحشيتها بالالتجاء الى الرسول صلى الله عليه وسلم جاعلا منه متنفسا لهذا الكبت ورفيقا فى هذه الغربة فأثمرت عقلية الواسعة الأفق الدائمة النشاط ~~تاليف~~ كثرية وقصائد مطولة - فوق العمالة - كلها تدور حول موضوع واحد وهو مدح الرسول صلى الله عليه وسلم ، وقد ظهرت هذه النزعة واضحة وصريحة فى بعض مدائحه النبوية مثل قوله :-

واذا ليل غراى أظلم	ولنفسى لم أجد من مؤنس
أجد الراحة فى شعري فما	نفس الكريمة الا نفسى

وأما شعوره بالغربة فهو واضح فى كثرة شكواه من الزمن وقد أفردنا له غرضا مستقلا من أغراض شعره والنبهانى بشافته ومواقفه من ثقافة عصره يعد ظاهرة فريدة فى تاريخ الأدب العربى لم تتكرر فى غيره فيما أعلم .

ولعل أفرادها وعدم تكرارها راجع لعدم تشابه الظروف بينه وبين غيره اضافة الى اسبابها الشخصية وهذا نستطيع ان نفسر قول الدكتور عبد الله كنون :-  
\* أن النبهانى قد تأخر به عصره وهذا ندرك كيف عاش النبهانى غريبا ومات غريبا " وطوى لنفسه " \* .

.....

## الباب الاول

( عصره وبيئته )

### الفصل الرابع :

#### الحياة السياسية والاجتماعية :

#### النظام الادارى :

عندما استولت الدولة العثمانية على بلاد الشام اناطت الحكم فيها بولا كانت تعينهم من بعض الموظفين الذين ترافقهم قوات عسكرية وقسمت البلاد الى ايلات : الشام وحلب وطرابلس الشام ، وعلى رأس الالة موظف يعرف بالوالى يعود بأموره الى وزير الداخلية فى استانبول ، وكل ايلة تشتمل على عدة ألوية أو متصرفيات يحكمها الولى أو المتصرف ، وتتألف المتصرفية من عدة أقضية يحكم كل قضاء منها قائم مقام وكل قائم مقامية تتألف من عدة نواح يحكم كل ناحية منها مدير ناحية وتضم الناحية عدة قرى ينوب فى كل منها عن مدير الناحية أحدها ويعرف بالمختار وكانت ولاياتها هى :-

( ١ ) ولاية حلب وتشمل شمال البلاد السورية :

( ٢ ) ولاية طرابلس الشام وتشمل وسط البلاد وتضم طرابلس وحماه وحمص والسلمية وجبله .

( ٣ ) ولاية الشام وتشمل جنوب البلاد وكانت تتألف من دمشق والقدرس وغزة ونابلس وتدمر وبيروت وصيدا وفى عام ١٨٦٠ م أنشئت ولاية صيدا لتضم مدن السواحل وعلى أثر الفتنة بين الدروز والنصارى استقل جبل لبنان ( ولا يضم بيروت ) استقلالاً ادارياً بوحدة ادارية خاصة يتولاها متصرف برتبة وزير مرتبط برئيس الوزراء الذى كان يعرف بالصدر الاعظم ، وحوالى عام ١٨٨١ أنشئت متصرفية القدرس وصارت تتبع وزارة الداخلية فى العاصمة استانبول مباشرة ، والحق بها أقضية ياقه وغزة والخليل ونهر السبع . كما أنشئت فى السنة ذاتها ~~ذ~~ متصرفية بدير الزور ، وفى سنة ١٨٨٨ أنشئت ولاية بيروت لتحل محل ولاية طرابلس وصيدا ويتبعها متصرفيتا نابلس وعكة ، وكانت تضم متصرفيات حماه وحروران والكرك التى أنشئت سنة ١٨٨٧ وعجلون ويتبع حروران متصرفية

### الكرك أفضية السلط ومعان والطفيلة •

وفي سنة ١٩١٠ كان قضاء عجلون يتألف من مدينة واحدة هي أرسد ومن ناحيتي كفر نجة والكورة كما أن متصرفية الكرك كانت تشمل ثلاثة أفضية وهي السلط ومركزه السلط ويتبعه ثلاث نواح هي مادبا والطفيلة وعمان وتسع قرى و ١٢ مزرعة وقضاء معان وقصبته معان ويبقى ناحية الشوبك وقضاء الطفيلة المؤلف من الطفيلة وقراها (١) •

يقول الاستاذ خليل طوطم " ٠٠٠٠ أما في القرن التاسع عشر فقد أُنْتَاب

فلسطين تقلبات إدارية كثيرة نلخصها فيما يأتي :-

كانت عكة حاضرة فلسطين الإدارية الوحيدة ثم أقتطعت صيدا قسما منها وبعد حين أخذت الشام نابلس وبلادها وظلت البقية تابعة لمكة ثم التحقت جميعها بالشام مركز الحاكم العام " باشا الدورة " أما النظار والمتسلمون " حكام البلاد " فكانوا وطنيين من أبناء فلسطين يحكمون مقاطعاتها ويجبون الضرائب ويجمعون الجنود ويطوف عليهم " باشا الدورة " فيأخذ منهم ما تعهدوا به فلما اعتزم السلطان محمود الإصلاح ألغى فرق الانكشارية وأبادها ومحا الطوائف الأخرى واستبدل بها فرقا منظمة وغير العمامة بالطربوش الرومي وتزيا بالزى الأوروبي وأمر باتخاذ زيا رسميا وعسكريا ثم جاء بعده من السلاطين من نفوا بعض النظار من أمراء الاقطاع الى طرابزون وحولوا النظارات والمتسلميات الى مديريات على رأسها وطنيون ثم ألغيت المديريات وتجرد المشايخ من الوظائف المحلية الاقطاعية واستولى الاتراك على البلاد فعلا فأمرؤا بتحرير النفوس وطوبوا الأرضين ونظموا ادارة الامن العام وأسسوا العدلية فكانت محاكم فلسطين تستأنف الحكم الى عدلية الشام ثم تحولت الى عدلية بيروت وامازات القدس فصارت متصرفية تخابر الأستانة مباشرة في الأمور الادارية وفي ابتداء القرن العشرين تأسس فيها محكمة استئناف فأنضم اليها لسواء نابلس وظل لواء عكة ملحقا ببيروت ومن ثم حكم العثمانيون البلاد بلا واسطة فأرسلوا <sup>مأمورينهم</sup> الاتراك وقبضوا على دفة الادارة واتصلوا بالشعب ولكنهم تقربوا من أصحاب النفوذ وراعوا امتيازاتهم القديمة لا ستمتلتهم فتعادوا في غطرستهم واستعانوا بقوة الحكومة واتخذوها آلة لتنفيذ مآربهم وتسابقوا الى الطاعة وترويع أوامر الحكومة ابتغاء الحظوة عند المأمورين وكان من كسب ثقتهم وظفر بودهم يعمد

(١) بلادنا فلسطين - الديار النابلسية - ج ١ ص ٩ - ١٠ • بتصرف

سميد لأنه يستفيد من صحبتهم بغض أبصارهم عن أعماله مهما كانت فيبسط ويستبد<sup>(١)</sup> .

وخلاصة القول أن فلسطين قد قسمت الى ثلاث متصرفيات في العهد العثماني

هي :-

- (١) متصرفية القدس ومركزها القدس وهي تتبع الاستانة مباشرة وتشمل مسكن ووبلاطة غزة ووبلاطة ووبلاطة السبع واللد والرملة ورام الله وبيت لحم والخليل والمجدل .
- (٢) متصرفية نابلس : وتتبع ولاية بيروت وتشمل مناطق نابلس وقلقيلية وطولكرم وجنين وغور الفارعة .

(٣) متصرفية عكة وتتبع ولاية بيروت وتشمل مناطق عكة والناصره وصفد وطيرة<sup>(٢)</sup>

ومما تجدر الاشارة اليه ان الخلافة العثمانية لم تكن تميز او تفاضل بين ولاياتها عربية كانت او غير عربية وعلى هذا نصت المادة الثانية من القانون الاساسي الذي اصدره الخليفة العثماني بكتاب توجيه الى وزيره في ٧ من ذي الحجة ١٢٩٣ على ما يأتي :-

#### الفقرة الاولى :-

" ان الدولة العثمانية تحتوى على الممالك والقطع الحاضرة وعلى الايلات الممتازة وجميعها جسم واحد لا يمكن تجزئته بوقت عن الاوقات أو بسبب من الاسباب " .

#### الفقرة الثانية :-

" ان مدينة استانبول هي عاصمة الدولة العثمانية<sup>(٣)</sup> ومقرها غير معفاة أو ممتازة عما سواها من جميع البلاد العثمانية " وعند ما خضعت فلسطين للاستعمار البريطاني بعد الحرب العالمية الاولى قسمت الى ستة الوية وضمت ستة عشر قضاء على النحو التالي :-

(١) لواء القدس ويضم : القدس والخليل وبيت لحم ورام الله ووبلاطة وبيت ساحور والمبيرة .

(٢) لواء غزة ويضم المجدل ووبلاطة السبع والفارعة واسدود وخان يونس ورفع والنقب ومركزه غزة .

(١) تاريخ فلسطين الاستاذ خليل طوطح ص ٢٦١ - ٢٦٣

(٢) جغرافية فلسطين محمد سلامة النحال ص ١١٣

(٣) كنز الرغائب في منتخبات الجوائب ج ٦ ص ٥ جميعليم فارس الشدياق وكذلك الجوائب عدد ٨٣٦ يوم الخميس ١٩ ذي الحجة ١٢٩٣ هـ .



- (٣) لواء اللد ومركزه يافة ويضم ثل أبيت واللد والرمة ويافة •  
 (٤) لواء السامرة ومركزه نابلس ويضم جنين وطولكرم وقلقيلية •  
 (٥) لواء الجليل ومركزه الناصرة ويضم صفد وطبرية وخطين وسقوريا وترشيحا وسلمة  
 وبيمان •

- (٦) لواء حيفا ومركزه حيفا ويشمل مناطق حيفا وعكا وشفا عمرو •  
 وفيما بعد أعادت حكومة الانتداب تقسم فلسطين الى أربعة ألوية هي : ١-  
 (١) اللواء الجنوبي ومركزه يافة •  
 (٢) اللواء الشمالي ومركزه حيفا •  
 (٣) لواء الجليل ومركزه الناصرة •  
 (٤) لواء القدس ومركزه القدس •

### المسألة الشرقية :

وهي عبارة عن أطماع الدول الغربية لاقتسام املاك الدولة العثمانية - الجبل المريض - بحجة حماية الأقليات الدينية وتحرير الشعوب ولعمل المسألة الشرقية تبدي واضحة بعد ثورة اليونان على السلطنة عام ١٨٢٥ فأتجهت أنظار الساسة الأوروبيين الى تركيا وهم يمين طامع فيها يود تقسيمها ومحافظة عليها يود أن يجعلها ترسا لمصالحه ، وقد كانت هذه الأدوار تتوزعها روسية والمانية وفرنسة وبريطانية حسب مصالحها غير أن الدول الأوروبية كانت على اتفاق بصدد تحرير اليونان عملا بمبادئ الثورة الفرنسية ظاهرا وتحقيقا لتحرير العناصر والدول المسيحية من رقعة حكم الاسلام باطنا ، ولما رفض الباب العالي تدخلهم أحرقوا الاسطولين العثمانيين والمصري في موقعة نافارين باليونان وزحفوا روسية لتحرير مكدونيا وما حولها ومسح هنا كانت بداية " المسألة الشرقية " في عرف الدول الغربية وهي في الواقع رجعة الى الحروب الصليبية من جانب أوروبا حيث أخذ بعضها المطالبة بالاصلاح وحماية ومساواة الأقليات في الحقوق حجة لتدخله وكانت روسية تطالب باجلاء المسلمين عن سائر أوروبا المسيحية • ولما تقدمت جيوش ابراهيم باشا المصرية سنة ١٨٣٩ م واحتلت سورية كلها ودخلت تركية متوجهة الى دار الخلافة وقفت الدول الأوروبية الى جانب تركية وأعادت سورية لدار الخلافة ، وعندها أصبح مصير تركية بين أيدي ساسة أوروبا عندها أعلن السلطان عبد المجيد " فرمانا سلطانيا " وعدة اصلاحات لتحسين وضع الأقليات كانت تسير ببطء لقلّة الكفاء من رجال الدولة بالاضافة الى

ان رعاياها كانوا عقبة كأداء في سبيل تحقيقها ، وقد أشار فيكتور يرار الى هذا فقال " لقد كان المسلمون يطلبون الأفضلية التي يجب أن تكون من نصيب المؤمنين وحدهم في بلاد الخلافة بهذا كان النصارى يحرسون على الحقوق والامتيازات الموروثة التي كانت لطوائفهم ولكنائسهم وكان وراء المسلمين الاسلام وعطف الدولة وكان خلف النصارى الدول الأوروبية ودساتيرها وتدخل جيوشها (١) .

وقد أدت روسية دورا مهما في عرقلة مساعي الإصلاح واثارة الدول الأوروبية لتجزئة السلطنة واثارة الفتن في أمصارها عن طريق تزويد دول البلقان بالسلاح (٢) ولما أشهرت روسيا الحرب على تركيا في حرب القرم عام ١٨٥٣ وقفت تركيا وفرنسة وأجبرتا ضد هذا ففشلت مطامع روسية ولكن هذه الحروب حملت الخلافة عجزا ماليًا جعلتها تقدم على أول قرض من أوروبية ، وقد اضطرت السلطنة لان تصدر فرمانا بأسم " الإصلاحات الخيرية " مؤكداً لمضمون الإصلاحات التي أعلنت على أثر الحملة المصرية ترضية لباريس ولندن وهو المشهد نفسه الذي حدث حين قامت فتنة في بلغارية في عام ١٨٧٥ وجعل الأتراك يطاردون الثوار ويتمقبونهم من مكان إلى آخر حتى لجأوا الى إحدى قرى بلغارية واسمها " بئسك " ودخلوا كنيسة القرية يلودون بمقدساتها فما كان من الأتراك الا ان صبوا عليهم البترول وأشعلوا فيها النار حتى أفتوهم عن آخرهم وقد رعد الضحايا بنحو خمسة آلاف نفس ، فلما وصل نبأ هذه الفظائع الى حكومات أوروبية ثارت ثائرتها وأعلن جلاد ستون السياسى الانجليزى الشهير قوله المعروفة " ان الأتراك يجب أن يرحلوا عن أوروبية بقضهم وقضيضهم " .

واجتمع مندوبو الدول في استانبول يتداولون ويبحثون فيما يجب اتخاذه من القرارات والضمانات حتى لا تتكرر مثل تلك المآسى في البلاد الخاضعة للسلطان خاصة أوروبية . وبينها كان المندوبون جاذبين في مداولاتهم اذا بطلقات المدافع

(١) فلسفة التاريخ العثمانى محمد جميل بيهم ج ٢ ص ١٥٩ راجع ايضا كتاب موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعبادة المرسلين ج ١ ص ٧٩ - ٨١ .  
(٢) عبد الحميد ظل الله على الارض ص ٧٢ - ٧٣ راجع ايضا تاريخ الدولة العلية ص ٣٤١ .

(٣) فلسفة التاريخ العثمانى ج ٢ ص ١٦٠ .

من قلاع استانبول تطرق آذانهم وتعلن للملاء صدور دستور جديد للبلاد عام ١٨٧٦<sup>(١)</sup> وهى بداية تولى السلطان عبد الحميد الثانى للحكم • ومن باب " الشىء بالشىء يذكر " نود أن نذكر ما لحق المسلمين البلغاريين على يد الروس من قتل وعذاب فقد نشرت الجوائب ترجمة المضبطة التى كتبها ووقعها عدة من مراسلى ومخبرى الجرائد الاجنبية نقلا عن جرائد بك أوغلى وهى " نحن مخبرى الجرائد الاجنبية الواضحين أسماءنا وامضاء نابذيل هذا الرقيم القاطنين الان فى شمل نرى من الواجب علينا ان نعيد هنا على سبيل الاجمال ما حررناه سابقا بالتفصيل الى الجرائد من جهة الفظائع المفارقة للانسانية التى جرت فى البلغار على المسلمين البريغين ونصرح بأننا رأينا بأنفسنا فى زغراد وشملتا نساء واولاداً ورجالا مجرحين بضرب السيوف ووخز الرماح من عساكر الروسية وفى بعض الأحيان من البلغاريين وسممنا أيضا منهم أن سكان عدة قرى من المسلمين قتلوا عن آخرهم وطرح جثثهم فى مواطنهم وفى الطريق وفى كل يوم يأتى كثير من المجروحين ونصرح أيضا بأن أكثر هؤلاء المظلومين من النساء والأطفال محل الامضاء فثسفرلر مخبر منشتر غارديان ساترغر كويلنغ زيتنغ وغيرهم (٢) •

أما حماية الأقليات فكما أنها أريكت الدولة العثمانية للتمييز بين رعاياها ففى الحقوق والواجبات •• ألحقت أضرارا بالغة بالمسلمين وهم الأكثرية الذين عاشوا مئات السنين مع هذه الاقلية ولم يميزوا أنفسهم عنها بشىء وقد ظهرت حاجة الأقليات التمييز نتيجة لأطماع وتحريض الدول الاجنبية التى جعلت من علاقتها الدينية بهذه الأقليات وسيلة للتدخل فى شؤون الدولة العثمانية تمهيدا لاقتسامها وقد نالت هذه الأقليات امتيازات كثيرة نتيجة لرعاية الدول الأجنبية الفنية لها فنالت حظا وافرا من التعليم والمساعدات الاقتصادية مما أهلها لأن تظهر وتملو على حساب الأكثرية المسلمة التى لا ذنب لها الا أنهم مسلمون وقد أصبحت هذه الاقلييات ركائز ثقافية واقتصادية للدول الغربية التى يتشابهون معها فى الطائفة الدينية وكانت أيضا محاطة بسور سياسى استعمارى بحراسة دول أجنبية لم تربطها بهذه الاقلية أى رابطة طيلة مئات السنين •

(١) التوجية السياسى للفكرة العربية الحديثة ص ٨٣ - ٨٤ •

(٢) الجوائب عدد ٨٨٠ ص ١٨ رجب ١٢٩٤

وأضرب مثلاً واحداً لأقلية يهودية في صفد وكيف أنهم كانوا مدللين بمفصل  
 حماية الدول الأجنبية لهم \* فقد ذكر السائح الانجليزي الموجود سنة ١٩٤٥  
 (كينج لوك King Locke) في كتابه "Eathon" في الفصل  
 الذي عقده باسم النبي دأمر يقول فيه \* سمعت وأنا في طبرية ان أهل صفد  
 متعصبون ويكرهون الأجني لذلك لم أدخل المدينة بل نصبت خيامي في ظاهرها  
 وتحت جنح الظلام زارني وفد من يهود صفد وكم ضحكت عند ما خاطبني أحدهم  
 بقوله : يا مواطني مع أنه مولود في جبل طارق باسبانية ثم قال ، ان حالتهم سيئة  
 جدا ولم يذوقوا طعم الراحة في صفد ، ولكنهم مضطرون للبقاء فيها بسبب قد استنها  
 وفي هذه السنة أصيبوا بنكبة فادحة فان أحد دراويش المدينة واسمة الشيخ محمد  
 دأمر وقف مرة في السوق وصاح بأعلى صوته \* ان اليفمة \* (الهجوم) على حارة  
 اليهود قريبة في أول ربيع سنة ١٢٥٠ هـ فمر الناس به غير مكرثين وما ان حل اليوم  
 الموعود حتى كانت جموع القرى تملأ حارة اليهود ومحمد دأمر يتقدمهم وهو يصيح :  
 هذا هو اليوم الموعود فهرب أكثرنا والذي بقي لم يتجاسر ان يبدى حراكا حتى  
 كان الولد المسلم الذي لم يتجاوز الثامنة عشر من عمره يذهب الدار وصاحبها اليهودي  
 لا يجرؤ على رفع رأسه اليه فضاعت أموالنا وأمتعتنا وكل ما نملك ثم علا نحيجه حسرتي  
 استدر عطفي ، وتكلم الثاني ورجاني أن اعمل ما في وسفي لانصافهم فقلت في نفسي  
 يجب ألا أتدخل فيما لا يعنيني ومع ذلك طيبت خواطرهم وقلت لهم سأؤسس  
 لكم عند الباشا وصدقي قنصل بريطانية فيها وصرقتهم ولكنهم عادوا بعد خطوات  
 قليلة يرجونني ألا أذكر على ألسنتهم أي شيء لأن ذلك سيؤدي الى الشدة عليهم  
 من جديد ولا فائدة من مراجعة الحكام فانهم شركاء في أموالنا من أصغر فلاح الى  
 الوالي نفسه وفي الصباح جاءتني نساءهم بأنواع الكعك والحلوى وقناني الخمر التي  
 اكتسبت لونها من حمرة خدودهن (١) وارسل وجوه صفد رسالة الى الامير خليل باشا  
 الامير بشير الشهابي الثاني صديق المصريين ذكروا فيها \* .. وحارة اليهود في  
 نفس صفد صار عليها نهب من أهالي الدبرة والجبل ... ولما علم بشير الشهابي  
 أن كل شيء تم في صفد قصد لها من الصفافة ولما وصل اليها جمع اليهود فيها  
 وسألهم عن منهوباتهم فقالوا : لا يعلم مقدار ذلك الا الله ولكن المال وحده يزيد  
 على أربعة وتسعين خزنة في كل خزنة عشرة أكياس وفي كل كيس خمسمائة ذهبية

فطلب من الأعيان تقديم هذا المبلغ فاقسموا له باغلظ الأيمان أن كل ما يملك يهود صفد لا يوازي عشر معشار ما ادعوه فلم يسمح كلامهم بل ضبط بيوتهم وأرزاقهم وأخذ يحذبهم حتى هرب كثيرون منهم إلى عكة والناصرية وغزة ودمشق ومصر وهذا سر كثرة أسماء أسيرة الصفدي \* . في خارج صفد ويقال : أنه مات عدد عظيم من الرجال تحت أسواط عذابه ثم أرسل إلى سجن عكة ثمانية عشر من ذوى المقام فيها ، ومنهم نائب صفد ( عبد الفنى النحوى ) ومفتى صفد ( محمد السلطى ) والنقيب السيد على ومصطفى العبدونى وسليم محمد القواسمى وغيرهم .

والمغرضين  
ومما تجب ملاحظته أن القناصل الأوروبيين والمؤلفين والمغرضين قد بالفسوا في الخسائر التي أصابت يهود صفد وها هو ذا جرمانوس بحرى الذى أرسل إلى صفد ليدرس حالة اليهود عاد بتقرير إلى محمد على باشا وإلى مصر يقول فيه : -  
بما أن قناصل الدول قد أكدوا لليهود أن الحكومة المصرية ستدفع خسائرهم من خزانتها فإن الكثير من اليهود قد اعتدى على الحق وبالفوا فيه ولقد بذلت قصارى جهدى في أن أحمل الحاخامين على الرجوع إلى الحق ولكن لم أنجح (٢) .

وفى هذا الموضوع كتب حنا بك بحرى إلى إبراهيم باشا كتابا هذا نصه :  
" أن شقيقى عبدكم كان قد ذهب إلى صفد بأمورية تحقيق منهويات اليهود القاطنين في الجهة المذكورة فعند وصوله إلى هناك علم أن قوائم المنهويات المقدمة من طرف هؤلاء اليهود تتضمن أشياء لا وجود لها كما أن الثمن المقدر للأشياء المدونة يبلغ الضعف لأنهم زعموا - باغواء بعض وكلاء القناصل - أن بدل منوبياتهم سيصرف لهم من الخزينة وما أن الكولونيل كامبل ( قنصل بريطانية في الاسكندرية ) قدر خسائر اليهود بسبعين ألف جنيه وهو من المقاومين لسلطان محمد على فعلى فعلينا أن نفترض على صحة ما قيل من أن محمد على لم يعتقد أن هذه الخسائر تجاوزت ٢٥ أو ٣٠ ألف جنيه وعندنا وثيقة رسمية محفوظة في السجلات الملكية في القاهرة كتبها باغوص بك الأرمنى في ٢٢ ربيع الآخر سنة ١٢٥٣ هـ بأنه علم من افادة :  
جواز إعطاء الرد بعدم ورود تعليمات عند وقوع استنفهام من قناصل الدول الأربع عما يختص بمسألة صفد ، والباعث لذلك ما ورد من سليمان باشا (الجنرال سيف

(١) من تاريخنا محمود البعايدى ج ١ ص ٢٠٧ - ٢٠٨

(٢) المرجع السابق ص ٢١٢ - ٢١٣

الفرنسي ( رئيس الجهادية وأنه قد استحب إعطاء الاجابة عند الاقتضاء هكذا " أمر من محمد علي باشا الى باشا في ٢٩ رجب ١٢٥٣ خ " قد علمت نتيجة تقارير القناصل الجنراليتين المختصة بمادة سلب يهود صفد المقال بوقوع ذلك بأدلة غير مقبولة وتصميمهم على مصادرة أملاك أناس فقراء مسلمين تلك الجهات الغير مجنوحين فيها وما أن قبول رغائب المؤام اليهم هذه أمر لا يتصور ولم يسبق تنفيذ أغراض مثل هذه في مملكة ما كما هو في أحاطة ظلمهم لكن ما دام أصدقاؤنا القناصل أصروا وصمموا على ذلك فتخلصا من هذه القائلة قد صدرت الاوامر خطيا الى سليمان باشا ببيع أملاك وعقارات هؤلاء الفقراء لتقسيم أثمانها على المدعين كذبا وتلك الاوامر مرسلة على طيبة لتسليمها الى القناصل ليوصلوها بمصرفتهم الى الباشا الموما اليه ومع كل هذه الترضيات التي قدمها محمد علي باشا الى الدول الأربع بريطانيا والنمسة وروسية وبروسية فانهم لم يرضوا عن حكومته وساعدوا الدولة العثمانية عليه ولما تكاثفت هذه القوى على ابراهيم باشا واضطر لمفاداة الشام الى مصر لحقة الجنرال جوكموز TOKMOZ من حاصبية الى صفد في أول كانون اول سنة ١٨٤١ ولما لم يدرك فيها فقد أسرع الى جنين وهكذا عادت البلاد الى الحكم التركي .

من هذه الحادثة نلاحظ دهاء اليهود وسياستهم في تقديم نسايمهم الى الرحالة الانجليزى كينج Kinglake ثم نلاحظ الشدة البالغة في عقاب أهالى صفد من قبل والى عكة الأمير خليل ابن الأمير بشير الشهابى وكأن في نفسه عقدة الخوف من أن تتخذ الدول الغربية هذه الحادثة وسيلة للتدخل والاحتلال .

ثم نلاحظ كذب اليهود في تقدير الأموال المضمومة التي لا يعقل أن تكون كل هذه المقادير منها عند هؤلاء النفر من اليهود في قرية صغيرة مثل صفد ، وقد كان كذبهم واضحا كما جاء في تقرير جرمانوس بحرى وكذلك في رسالة حنا بحرى السالفة الذكر ، وما يلاحظ من رسالة حنا بحرى من أن الوالى محمد علي باشا أمر ببيع جميع أملاك أهالى صفد لتقسيم على اليهود فيها لترضية الدول الأربع بريطانيا والنمسة وروسية وبروسية خوفا من تدخلها في أوضاعها الداخلية ليس أكثر ، ومع هذا وقفت هذه الدول الى جانب تركية واعادة سورية اليها .

واعادرت

والمسألة الشرقية قامت على أساس التعصب الدينى لفصل البلاد البلقانية عن الدولة العثمانية ولجعلها مسيحية وعن طريق امتيازات الأقليات الدينية فى البلاد العربية كل هذا كان واضحا من خلال المرائض التى كانت تنهال على الملكة فكتورية طالبة انقاذ المسيحيين من مذابح المسلمين وكان جلاد ستون زعيم حزبى الاحرار فى انجلترا يلقى الخطب ويؤلف الرسائل ناسبا الى تركية اضطهاد المسيحيين مشيرا الى السلطان عبد الحميد بقوله " الشيطان " عدو المسيح " وهذا اللورد كرومر سكرتير سفارة انجلترا فى الأستانة يكتب تقريرا مطولا عن المسألة البلقانية ينسب فيه الى المسلمين ارتكاب جرائم بشعة فى الانتقال من المسيحيين مقترحا أن يكون حكام هذه الأقاليم مسيحيين كما اقترح أحد كتاب فرنسة القضاء على المسلمين ونشئ قبر الرسول محمد صلى الله عليه وسلم ونقل عظامه الى متحف اللوفر فى باريس كل هذه الشواهد تدل على ان الروح المدايئة الغربية تجاه الخلافة العثمانية كانت صليبية عدوانية .

ولكن المسألة الشرقية لم تخل من بعض المسائل الايجابية بآثارها على الشرق يقول الأستاذ العقاد " وكانت المسألة الشرقية قد تمخضت عن دورا خرورا دور الحروب الصليبية وهو دور التفاهم بين دول الاستعمار على تركة الرجل المريض فبعد ان كان الفرض من المسألة الشرقية انتزاع الاقطار المسيحية من أملاك الدولة العثمانية اصبح هذا الفرض كما قلنا فى كتاب ضرب الاسكندرية هو تقسيم اقطارها جميعا من مسيحية واسلامية وتبادل الاعضاء عن كل نصيب متفق عليه يقسم فى قبضة الطامعين فيه من المتنازعين على التركة وصاحبها بقيد الحياة (٤) " .

" الا أن المسألة الشرقية صنعت من المعجزات فى ايقاظ الشرق مالم تصنعه الحروب الصليبية لأن الشرق العربى انتصر على الغرب فى تلك الحروب ورد عادية الدول الأوروبية عن دماره ففتح بها انتهى اليه وبقي على حاله التى هو فيها وهبط من بعدها دركا تحت درك حتى أصبحت امم بين موروث يقيد الحياة وبين ميراث

(١) عبد الحميد ظل الله على الارض ص ٧٤ .

(٢) تاريخ الدولة العلية ص ٣٣٩ .

(٣) تاريخ الاستاذ الامام ج ١ ص ٨٠١ .

(٤) محمد عبدة - العقاد ص ٩ - ١٠ .

كاسلاب الغنيمة فيمن يقدرون على السلب والاقتسام .

نعم ان المسألة الشرقية جاءت في أوانها هذا فصنعت من المعجزات ما لم تصنعه تلك الحروب وكان سر هذه المعجزات أنها فتحت اعين الشرق على مواطن عجزه ونقصه وعلمته قهرا ما كان يابى أن يتعلمه بأختياره فأدرك حاجته الى التفسير الحاجل وأدرك ما هو ألزم له من ذلك وهو حاجته الى علم يجهله واعتقاده أن أم الغرب قد انتصرت بذلك العلم عليه وأنه لا غنى له عن ذلك العلم ليستعيد القوة التي انتصر بها على أعدائه قبل أن ينتصروا عليه ويأخذوا عليه كل طريق غير طريق الفناء ومن لم يطلب التفسير بعلم يتعلمه من المنتصرين عليهم كان أبله أو أحمق فقد آمن بأن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وآمن بأن قومه غيروا دينهم فتخاذلوا واشتدوا فلا نجاة لهم بغير الرجوع الى الدين الصحيح مبرا من لوثه البدعة والخرافة سليما من شبهه الدجل والنفلة (١) .

وقد كان الشيخ يوسف النبهاني من القائلين بهذا الرأي من وجوب الأخذ بأسباب الصناعات الحديثة على ألا تكون على حساب ديننا كما سنوضحه في معالم شخصيته ان شاء الله تعالى .

#### الجامعة الاسلامية :

تسلم السلطان عبد الحميد العرش عام ١٨٧٦ وقد كانت السلطنة تعاني أشد الأزمات فقد استنفدت أموال القروض ولا سيما منذ أصبحت مشفوعة بتبذير عمه السلطان عبد العزيز في حين أن أوروبا التي كانت تلج على تركية من اجل تحقيق ما وعدت به من الإصلاحات وتهددتها اذا اجمعت وفي الوقت نفسه كانت تعمل على اشارة العناصر في كل مكان فلا تترك للدولة مالا ولا وقتا لتحقيق هذه الإصلاحات .

وقد كانت مهمة السلطان عبد الحميد عالية في تحقيق الإصلاح فمنذ ان تولى السلطة فأجأ مؤتمر سفراء الدول المجتمعة في الأستانه لتقرير نوع الإصلاح في شرق



أوروبية الميثانية فاجأهم بإعلان الدستور • ولكنه سرعان ما عاد والغاء لانه وجسد  
ان المساواة بين العناصر والمطل لم يكف أطماع روسية بل أعلنت عليه الحرب كما  
ان الدول الطامعة الاخرى لم تكف عن تحريض الشعوب على الفتن التي بهائت خلون  
فى الشؤون الداخلية للدولة العثمانية •

••••• وأخيرا خرجت تركية من شرق أوروبا بمواقفة بريطانية التي كانت تقصف  
فى وجهه اى تقسيم للسلطنة •

وقد كان السلطان عبد الحميد يقيم سياسته على أساس التوازن السياسى  
الدولى الغير الثابت مما يلحق بسيادة السلطنة خسائر فادحة كما حدث فى الممالك  
العثمانية فى شرق أوروبا فتأكد له أن لا منجاة للدولة الا بهيمنة القوة ولكنه كان لا  
يملك المال والرجال فثلاثة أرباع شعبه يتخفزون للثورة عليه والانفصال عنه • فلم  
يجد امامه الا عواطف المسلمين فى أقطار العالم الاسلامى وأنظارهم الشاخصة  
الى دولة الخلافة • ولم يكن السلطان عبد الحميد يحتاج الى مزيد دعايعة  
للجامعة الاسلامية فان هجوم كرومر الدائم على المسلمين فى بعض تقاريره وفسى  
كتابه اللذين ظهرا بعد مغادرته مصر \* مصر الحديثه \* وعباس الثانى \* (١)  
وتصورهم فى صورة الهمج المتخلفين وان الاسلام غير صالح لان يكون دينا لمجتمع  
راق ، ومما قوى فكرة الجامعة الاسلامية ايضا مخاصمة الدول الاوربية للدولة العثمانية  
باسم الدين حمية لدول البلقان المسيحية (٢) .

والحقيقة أن الشعوب الاسلامية كانت فى حالة من التمزق والتفرق والتأخر  
السياسى والثقافى لا تسمح بانضمامها الى رابطة أو وحدة فى يوم ما ، وقد كشف  
مصطفى كمال عن هذا المعنى فقال " انه لا يوجد مسلم متور يمتد لحظة واحدة  
ان الشعوب الاسلامية يمكنها ان تؤلف عصبة ضد أوروبا ان الحقيقة الساطعة الخالصة  
من كل شىء هى ان حركة الجامعة الاسلامية بالمعنى المقصود منها فى أوروبا  
لا وجود لها بالمرّة أما الشعور الموجود حقيقة وبلا نزاع عند كافة الشعوب الاسلامية  
فهو شعور انعطافها وحنانها الى بعضها البعض ، وانه لما كان لتأخر الشعوب

---

(١) مصر الحديثه ج ٢ : ص ١٢٩ عباس الثانى ص ٤٥ ٤٨٦ نقلا عن الاتجاهات

الوطنية فى الادب المعاصر ج ١ ص ٦١ •

(٢) تاريخ الدولة العلية ٣٣٩ •

الاسلامية أسباب واحدة فان نهضتهم تكون بوسائل واحدة وان الاسلام ليس عقيدة دينية فقط بل هو قانون اجتماعي (١)

وقد أشار جمال الدين الأفغانى مرارا فى مجلة العروة الوثقى الى الآمال التى يعلقها المسلمون على دولة الخلافة وأن جميع المسلمين يعدون أنفسهم رعايا هذه الدولة وان كانوا خارج حدودها السياسية خصوصا المسلمين فى الهند حيث أصبح الانجليز يخشون من اشارة السلطان عبد الحميد لدعوة المسلمين فى الهند للثورة على الانجليز (٢) . كما يبدو أن السلطان عبد الحميد بخنكته ودهائه استطاع توقيت الدعوة للجامعة الاسلامية حيث ان الاسلام كانت له شهرة عالمية بعد أن صدم العالم بالثورة الصناعية التى لم تستطع أن توفر السعادة للشعوب اذ لا بد من قيم روحية ترافقها حتى يكون الانسان قد اكمل من جانبيه الروحى والمادى وفى هذا الوقت كانت الصحف تروج احتمال اتباع اليابان للدين الاسلامى وقد تابعت الموضوع فى مجلة ثمرات الفنون التى كان يصدرها الشيخ عبد القادر القبانى فى بيروت فى مقالات مسهبه فى العدد ١٥٢٠ ص ٤ وتموز ١٩٠٦ و عدد ١٥٨٢ ص ١٤/٥ آب ١٩٠٦ وعدد ١٥٦٦ ص ١٩/١ ربيع الاول ١٣٢٤ هـ وقد أرسلت الدولة العلية كلا من محمود أسعد أفندى مستشار الحقوق فى نظارة المالية واسماعيل أفندى منا سترلى اجابة لطلب الميكادو ومن السلطان عبد الحميد الثانى .

هذا وقد كان اقبال اليابان على اختيار أحد الأديان السماوية حديث الساعة فى جميع صحف العالم . وتصور مجلة " ثمرات الفنون " أن هناك شبه اجماع من الصحف العالمية على ترشيح الاسلام منها ما نقلته عن احدى المجلات الألمانية حيث تقول " . . . . وأما الدين الذى سترفضيه اليابان فهو ما لا يمكن القطع به الآن غير ان الظواهر والأمارات تدل على أنه سيكون الدين الاسلامى بدليل أن حكومة اليابان أضحت لها خمس عشرة سنة وهى تبحث بعلمائها الى البلاد الاسلامية للبحث عن أسرار هذا الدين والتحرى عن حقائقه حتى يبات أولئك العلماء مقتنعين أن اليابان لا تتخذ غير الدين الاسلامى ديناً وهناك

(١) عبد العزيز جاويز لانور الجندى ص ١٦

(٢) العروة الوثقى ص ٣٧٢ - ٣٧٤ .

دليل آخر يبرهن على صحة هذا القول ويدل على تفضيل اليابان لدين الاسلام على سائر الأديان وهو خدماتها المهمة التي تمتها نحو المسلمين وظهورها بمظهر التعظيم والاحترام لدينهم وثمة دليل ثالث أيضا وهو اعلان حكومة الصين اجابسة لطلب اليابان ان المسلمين الذين يعدون بالملايين في البلاد الصينية هم مساوون للوثنيين في جميع الحقوق ثم ختمت الجريدة الألمانية كلامها بقولها : انــــه اذا دانت اليابان بالاسلام فانها ستحرز حياة جديدة وقوة عظيمة (١)

هذا وقد لاحظ السلطان عبد الحميد ملائمة الظروف الدولية هذه لاعلان الخلافة الاسلامية لتعزيز السلطنة بقوة جديدة ودفع المؤامرات التي تبيتها أوروسه وقد كانت أوروسه تقدر الطاعة والولاء الذي تكفه الشعوب الاسلامية للخلافة .

يقول المؤرخ عبد الرحمن الرافعي \* وقد كان من هيبة السلطنة على ممالكها خصوصا مصر - حتى بعد استقلال محمد علي باشا - ما جعل بريطانيا تؤخر اعلان استعمارها لمصر من سنة ١٨٨٢ - ١٩١٤ وقد لاحظ الزعيم مصطفى كامل ذلك فكان يدعو دائما الى الارتباط بالدولة العثمانية ولو اسما خوفا من سيطرة بريطانيا وكان العرب ولا يزالون يثمنون بقدر سية ترجع الى أنهم هم الذين حملوا رايه الاسلام وراء الرسول صلى الله عليه وسلم ثم هم لا يزالون أصحاب القرآن أنزل بلسانهم ولا يزال يقرأ في العالم بلغتهم . فقرر الخليفة الاسعثانه بهم خصوصا أنهم كانوا بعيدين عن النزعة الاستقلالية التي سرت بين العناصر العثمانية الأخرى ، ولم يفكر العرب في الاستقلال عن السلطنة الا عندما أرسل الاتحاديون حاكمهم في سورية أحمد جمال باشا الملقب بالسفاح خلال الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٦ (٢) .

قرر السلطان عبد الحميد أن يستعين بالمسلمين وذلك بالدعوة الى الجامعة الاسلامية وأن يقوى صلته بالعرب نواة المسلمين وهو يؤمل أن يهز عوا الخلافة وقت الحاجة (٣) ، وقد استهل مشروعه هذا بدعوة كل من خير الدين باشا التونسي النشأة الجركسي الأصل وجمال الدين الأفغاني - ولعل مشــــروع الخلافة الاسلامية يكون من وحي أحدهما أو دعهما لمساعدته في تنفيذ

(١) مجلة ثمرات الفنون عددها ١٥٧٠ ص ٤ ٩ تموز ١٩٠٦ .

المشروع • ومن يقرأ أعمال جمال الدين يجد أنه كان من الداعين الى الجامعة  
الاسلامية أصلاً وكثيراً ما كان يهيب بالخليفة للاستفادة من شعور المسلمين نحو  
ثم قرب السلطان فريقاً من علماء العرب وشيوخ الطرق كالشيخ أبي الهدي الصيادي  
الرفاعي من خان شيخون في جوار حلب ، والشيخ محمد ظافر من الجزائر ، والشيخ  
سميد من حمص ، والشيخ أحمد أسعد القيصري من المدينة ، كما استدعى  
بعض أشراف مكة وعلى رأسهم الحسين وعلى حيدر وعبد الله باشا وصادق وأجبري  
على هؤلاء العلماء والأشراف المرتبات وخصهم بالكفايات كما أجرى المرتبات وأجزل  
العطايا لغيرهم من المتخلفين في بلادهم المعرفين بنفوذهم كما عهد اليهم  
بمختلف الوظائف والمناصب الرئيسية في الدولة دون تفريق بين الملل فقد عيّن  
أحمد عزت باشا <sup>الحاكم</sup> العبد الكاتب الثاني في بلاطة وقد تمتع بنفوذ واسع جعله الاول  
في السلطنة وشقيق بك المؤيد المفوض في الديون العمومية • وشقيق بك الكوراني  
رئيس الضابطة وعرب حقى باشا وسليم بك ونجيب بك ملحم وقد بلغوا رتبة الوزارة  
وجميعهم من سورية ولبنان وطالب بك النقيب وأحمد باشا الزهير من أعضاء مجلس  
شورى الدولة وهما من العراق ، كما اتخذ من بعض ضباط العرب خاصه له فكان  
ياوران الفريقان محمد باشا ومحمي الدين باشا ولدا الأمير عبد القادر الجزائري ،  
وكان المشير أركان حرب شقيق باشا وأخوة الفريق وهيب من أساتذة المدارس العسكرية  
وهما من قرية المتين في لبنان وشكري باشا الأيوبي الدمشقي ناصر الأعمال  
العسكرية والدكتور يوسف الراص من لبنان وكان استاذ علم التشريح الدكتور الياس  
مطر من بيروت والأستاذ سليم يازر من بلدة دير القمر في لبنان وكان استاذاً في  
مدرسة الحقوق واتخذ من أبناء الصربية حرساً أنزلهم حول قصره وألبسهم العمام  
الخضر كما عهد الى مصاهرتهم فزوج أميرتين من أسرته من شابين عريين ورفعهم  
الى رتبة الامارة وهما الأمير عبد المجيد بن الشريف علي حيدر وصالح بك بن خير  
الدين باشا التونسي ولف حواشي طائفة من الكرد والارمن <sup>والأرمن</sup> كدرويش باشا الألباني  
أحد الياوران واسماعيل باشا الكردي فضلاً عن بعض الشراكسة كما أنشأ مدرسة  
العشائر لتربية أبنائها • كما فتح معاهد الأستاذة أمام جميع الطلبة ليقر في نفوسهم  
أنهم جميعاً يشتركون في أنهم عثمانيون وقد رحب السلطان كثيراً بفكرة أحمد باشا

والأرمن

- (١) مصطفى كامل لعبد الرحمن الرافعي ص ٣٣٧
- (٢) عبد العزيز جارش ص ٢١ - ٢٢
- (٣) فلسفة التاريخ العثماني ج ٢ ص ١٧٧

العابد بعد خط حديدى بأموال المسلمين يصل بين سورية والحجاز وقد ناسبت هذه الفكرة برنامج السلطان يجعل نفوذه الفعلى يمتد الى الحرمين الشريفين اضافة الى تسهيل الحج على المسلمين ليكسب عواطفهم فى العالم قاطبة • وفى الجملة نجح السلطان عبد الحميد فى تحقيق الجامعة الاسلامية قسدر المستطاع وقد حفظت السياسة سلطنته فى مندوبات عدة من الأخطار كما أنها استأخرت زوالها سنين عديدة أما عصا الخلافة فى تلك الحقبة التى كان يلوح بها فكانت العلم النبوى الشريف ليزحف المسلمون وراءه من كل صوب \* (١)

ولعمل فى الحادثة التالية التى وقعت لفؤاد باشا مندوبا عن السلطنة فى بيروت بمناسبة فتنه ١٨٦٠ - توضع قوة الخلافة وأثرها فى قلوب المسلمين وأن الجهاد المعلن من الخليفة هو السلاح الرهيب الذى كانت تخافه الدول الأوربية \* فقد كانت بيروت تمج بعد هذه الفتنه بسفراء الدول الذين انتدبوا للتحقيق فى المذابح التى وقعت بلبنان وشهدته الى دمشق وكان هؤلاء السفراء يتبادلون الدعوات والحفلات فيما بينهم وبين مندوبى الحكومة فتحفل هذه الاجتماعات بالتعليقات على الشؤون السياسية وتدخلها المدايح •

دخل المدعوون ذات يوم الى مائده أقيمت على ظهر سفينه أمير البحر النمى : وكان فؤاد باشا وبعض أركان الحكومة فى مقدمتهم فإذا بهم يشاهدون أعلام الدول مرفوعة على المائدة فوق رؤوس حيوانات من المعجنات وكل واحد منها يعلو رأس الحيوان الذى اتخذته الدولة رمزها فكان علم فرنسة يخفق على رأس الديك وعلم روسية على هامة الدب وعلم انجلترا على الأسد أما لواء تركية فكان مرفوعا على هامة خنزير وشاء أحد السفراء أن يتحدى فؤاد باشا على سبيل المفاكهة فأشار الى الخنزير متسائلا عن العلم الذى يرتفع فوقه فابتسم الباشا وقال له \* هذا علم تركيه المظفر فوق أرضكم الخبيثة \* وأثناء ضحك السامعين تناول الحديث سفيرنا آخر وقال بين الجاد والمزح \* لاتزالون يا صاحب الدولة تذكرون النصر والانتصار والاربعنا مصدر ذلك شجاعة جيشكم فأين لكم تأمين المال وهو عصب الحرب • \* وحينئذ استقام فؤاد باشا وتحول الى المتحدث وقال بلمهجة الجد \* حسبك فقد أخرجتنى حتى لم يبق فى وسمى كتم السر أنتم تعلمون كم مضى على المسلمين

وهم يقصدون الى بيت الله الحرام وكمن - ملايين الناس قد أدت فريضة الحج في هذه الحقبة الطويلة أما الذي لاتعلمونه وقد حملتموني على أفشاء <sup>علمكموني</sup> سره فهو أن لبيت مال المسلمين الذي تسمعون به فريضة على الحجاج يؤدونها كل منهم على قدر طاقته ولا بأس أن يكون أولئك الفريضة بتقديم الجواهر والاحجار الكريمة . وبعد فكم تبلغ ثروة بيت مال المسلمين هذه التي لاتحسبون لها أى - حساب أنها رهن أوامر الخليفة ( يضطر لخراج العلم النبوى ودعوة المسلمين للجهاد فنحن أذن يأسادة أغنياء بالرجال وبالمال أيضا (١) ثم يعقب الاستاذ بيهم على هذه الحادثة فيقول " وهذه الحادثة التي رواها لى في عهد الصبا أحد الشيخ تدل سواء كانت صحيحة أم موضوعة على أن السلطنة العثمانية كانت حتى قبيل عهد السلطان عبد الحميد المشار اليه تستفيد من الخلافة عفوا أو - تجرب أن تستفيد منها ، ولكن هذا العاهل الذكى السلطان عبد الحميد أختط طريقة عملية للجامعة الاسلامية وذلكها لسياسة الدولة حيال الاجانب واستثمرها احسن استثمار غير أن من الواجب الاعتراف بأن هذه السياسة وأن حققت لواضعها جملة من المنافع جرت وراءها كثيرا من الاخطار الداخلية والخارجية فالإتراك على وجه عام تقموا على السلطان من جراء تقرب أبناء العروبة د منهم وأنكر عليه شبابهم الموقف هذه السياسة الاسلامية لانها لاتتفق مع روح العصر ، ولاتتلائم مع العالمين التي اقتبسوها عن أوربه فأجمعوا أمرهم بينهم على أزاحتها عن عرشه حتى يتسنى لهم تطبيق الدستور القائم على مبادئ الثورة الفرنسية " (٢) وبعد أن عزل السلطان عبد الحميد ضعفت الرابطة الاسلامية بين السلطنة وولاياتها وانكشفت حقيقة حزب الاتحاد والترقى ومبادئه للاسلام " ..... بعد ما صرح رئيس وزراء الجمهورية التركية الجديدة بقوله علينا وعلى رؤس الاشهاد بأنه لم تبق لتركية علاقة بالدين الاسلامى الحنيف وبعد ما أعلن الحرب على الاسلام فألقى بالقرآن الكريم من يد من غرفته التي هو فيها وخرس المسلمين المسيحيين على - التبشير بانجيلهم في الاسلام الاسلامية لحمل المسلمين على اعتناق الدين المسيحى (٣) وبعد عزل السلطان عبد الحميد سرعان ما قسمت بريطانيا وفرنسه العالم العربى بينهم واستولت ايطاليا على ليبيا . كما اتجهت الحملات العنيفة لتشويه تاريخ

( ١ ) فلسفة التاريخ العثمانى ج ٢ ١٨٠ - ١٨١

( ٢ ) قوافل العروبة ومواكبها خلال العصور جميل بيهم ج ٢ ص ١٦ - ١٨

راجع موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعبادة المرسلين ج ١ ص ٧٩

( ٣ ) مجلة الفتح العدد ٧٠ ص ٧ السنة الثانية .

الدولة العثمانية وسلاطينها وكان مصدرها ذلك الاتجاه الذي خلفه النفوذ الاجنبى وجند له عددا من الكتاب والمفكرين ، وأغلبهم من متعصبى اللبنانيين والأتراك ورجال الدعوة ممن هاجروا الى مصر وكانوا يعملون فى عصر عابدين والسفارة البريطنانية أو الفرنسية رامين الى القضاء على الاسلام واللغة العربية علما بأن أول جريئة سرية تألفت لمقاومة العثمانيين قامت فى الجامعة الاميركية فى بيروت وقد حملت فكرة - الجهاد العربى كوسيلة للقضاء على فكرة الجامعة الاسلامية لتمزيق وأسقاط دولة الخلافة الاسلامية (١) .

وكان الشعور بالانتماء والولاء الى الجامعة الاسلامية شعورا عاما وظاهرا على جميع التيارات السياسية من خلال دعوة قادة الاحزاب والجماعات للولاء لدولة الخلافة ففي سنة ١٨٨٢ قبض أحمد فارس الشدياق بنشى الجوائب (٢) - من سفارة إنجلترا فى الاستانة مبلغ الفليرة انجليزية حتى يطبع صورة المنشور الذى صدر من الباب العالي باعلان عصيان عرابى باشا لاثارته نار الفتنة فى وادى النيل فكان ذلك سببا لانكسار عرابى وسقوط اعتباره من عيون المسلمين عامة والمصريين خاصة (٢) وقد كانت معظم الاحزاب وأصحاب الدعوات الفكرية والاصلاحية يعدون الخليفة هو الامل والنقطة من أطماع الدول الغربية فى البلاد الاسلامية وأن من واجب السلطنة حماية هذه البلاد وقد كانت هذه الدعوة واضحة فى - تصريحات زعماء الحركات الوطنية فى مصر (٣) وفى قرارات المؤتمر العربى الاول فى باريس وقيام الحكومة اللامركزية التى تعطى للوطن السورى مقدساته السياسية من غير انفصال عن الكيان الحام الذى تمثله الدولة العثمانية (٤) وحين ثار عرابى على نساد أساليب الحكم فى مصر وعلى تغفل النفوذ الاجنبى لم يخطر بباله الخروج على الخليفة فهو يعرض عليه خطوات مستمدات منه السلطة فى كل مايفصل (٤) وفى مصر كان الحزب الوطنى مثلما كان مؤسس مصطفى كامل وخليفته محمد فريد مصريا فى الدرجة الاولى واسلاميا فى الدرجة الثانية (٥)

( ١ ) عبد العزيز جاويز ص ١٩ - ٢١

( ٢ ) تاريخ الصحافة العربية فيلب طرازى ص ٦٢ ج ١

( ٣ ) مجلة النعوى الوثقى ص ٣٧٢ - ٣٧٤ .

( ٤ ) عبد العزيز جاويز ص ١٤ - ١٥ .

( ٥ ) مذكرات عرابى ج ١ ص ٧١ و ٢٢٢ .

( ٦ ) الفكرة العربية فى مصر انيس الصايغ ص ٤٩ .

وقد أكد الحزب الوطني ثلاثة أمور جعلها أسسه التي لا تتغير وهي :-

- ١ - أيقاظ الأمة المصرية من حيث حق كيان له طابعه الواضح الكامل .
- ٢ - مقاومة الانجليز ومخاصمتهم خصومة كاملة حادة لاتسامح فيها ولا مهادنة .
- ٣ - تأكيد الروابط الثقافية والروحية والسياسية مع الدولة العثمانية دولسة الخلافة <sup>(١)</sup> ويضع مستر بلانت في مقدمة برنامج الحزب الوطني - الاعتراف بسلطة الباب العالي وبيان جلالة السلطان عبد الحميد مولاهم وخليفة الله في أرضه وأمام المسلمين <sup>(٢)</sup> ومن بين المهتمين للجامعة العثمانية علماء الدين من المسلمين فهم يؤيدون السلطان يدافع من - السلطان الفيرة الدينية وهؤلاء لا يهتاجون الا لما يمس الدين ولا يرون بين الاقطار الاسلامية من يستطيع أن ينهض بعبد الذود عن الاسلام والمسلمين غير تركيه لانها اقواها وأقدرها على مواجهة مطامع الدول المسيحية ومن هؤلاء الشيخ يوسف النبهاني .

السلطان عبد الحميد ١٨٧٦ - ١٩٠٩

مفتاح شخصيته ليس أدنى على شخصية السلطان عبد الحميد مما قاله الفيلسوف جمال الدين الافغانى في وصفه حيث قال أن السلطان لو وزن مع أربعة من نوابغ رجال العصر رجحهم ذكاً ودهاً وسياسة فقد رأيناه بئذ للمايتام ملوكاً من الصغاب من دول الغرب حيث كان يعلم دقائق الامور السياسية ومرامي الدول الغربية وهو معد لك هوة تطراً على الملك مخرجاً وسلماً وأعظم ما أدهشنى ما أعدّه من خفى المسائل وأمضى العوامل كي لا تتفق أوربه على خطير في الممالك العثمانية كان يريها عياناً محسوساً أن تجزئة السلطنة العثمانية لا يمكن الا بخراب للممالك الاوربية بأسرها وكلما حاولت دول البلقان الخروج على الدولة يجرب كان السلطان بد هائه العجيب يحل عقدة ماريطوه وتفريق ما جمعه " ويقول أيضا " ضاقت أوربه ذرعا بسياسة - السلطان عبد الحميد وحيطته وثبتت من أكثر دول البلقان ، فحاولت كيدها بدس الدسائس وصرفت همتها بالاستقرار الى أخف الدويلات حلوما وأكثرها غرورا وجيشا وهي دولة اليونان فقد بدأت تتحرش بالدولة العثمانية لتتدهور با لخراب السلطان

( ١ ) عبد العزيز جاويز ص ١٢٠

( ٢ ) مذكرات عرابى ج ١ ص ١١٧



عبد الحميد (١) وينول أيضا "أماما رأيته من يقطعة السلطان وشدة حذره - وأعداده العدة اللازمة لابطال مكاييد أوربه وجسن نواياه وأستعداداته للنهوض بالدولة (الذى فيمنهضة المسلمين عموما) فقد دفعنى الى مديدى لمؤبايعته بالاخلافة والملك عالما علم اليقين أن الممالك الاسلامية فى الشرق لاتسلم من شرار أوربية لامن السعى وراء أضعافها وتجزئتها وفى الاخير أزد رادها واحدة بعد الاخرى الابقظة - وأنتباه عمومى وأنضواء تحت راية الخليفة الاعظم (٢) استولى السلطان عبد الحميد على العرش بعد خلع السلطان عبد الميز حيث - قامت ثورات فى البوسنة والهرسك والصرب والجبل الاسود ، وكريت أستنفذت القروض المعقودة وأدت الى أعين تركية أفلاسها (٣) وقد كان الجهد الاعظم فى تولى السلطان عبد الحميد الحكم مكان أخيه يعود الى مدحت باشا الذى كان يرأس - حزبا فى السلطنة - تركيه الفتاة - كانت فاتحة أعماله خلع السلطان عبد الميز وقد أشرط مدحت باشا على السلطان عبد الحميد ثلاثة شروط وافق عليها هى :-

١ - إعلان القانون الاساسى .

٢ - استشارة الوزراء المسؤولين دون سواهم فى أمور الدولة .

٣ - تعيين بعض أفراد حزبهم فى المناصب .

ولكن السلطان عبد الحميد ما أن تسلم العرش حتى أوجس خيفة من تدخل مدحت باشا وحزبه فعزل مدحت باشا من منصب الصدارة وشتت أعوانه ولكن السلطان اضطر لإعلان الدستور لان روسية وعدت الدول لإجباره على إجراء الاصلاحات المطلوبة فى مكدونية والافيه ستخذ التدابير اللازمة منفردة وقد جرى افتتاح المجلس العمومى المؤلف من مجلس الاعيان - والمبعوثان فى ١٨٧٧ وذلك يوم افتتاح مؤتمر السفراء فى أستامبول الذى أقرحته روسية ولما تسأل السفراء فى جلستهم الاولى عن سبب قصف المدافع نهض صفوت باشا وقال لهم " ايها السادة أن أصوات المدافع التى تسمعونها هى من أجل الاحتفال بإعلان القانون الاساسى وهو سيتم جميع عناصر - السلطنة الحقوق المنشودة بحيث لم يبق موجب لأعمال المؤتمر ولكن روسية -

( ١ ) الاعمال الكاملة لجمال الدين الافغانى ص ٢٤٥ - ٢٤٦ .

( ٢ ) المرجع السابق ص ٢٤٦ .

( ٣ ) فلسفة التاريخ العثمانى ج ٢ ص ١٦١ .

حملت المؤثرين على الاقتناع بوجوب متابعة أعمالهم لما أبى الباب العالي خرجوا غاضبين وأعلنت بطر سبج الحرب على تركية ولما رأى السلطان أن إعلان الدستور لم يحل دون إعلان الحرب وأن أعضاء المجلس النيابي كانوا غير أكفاء حتى لقب مجلسهم بمجلس (أوت أفندم) (١) لموافقهم على إقتراحات الرئيس دون - مناقشة بادر الى حل البرلمان وأنصرف لمواجهة الحرب الناشبة غير أن ما أصاب جيشه من الفشل منذ المعارك الاولى جعله يتحول مرة أخرى الى مصانعة كل من الدولة والاحرار من رعيته فاستقدم مدحت باشا من أوريه وأمر بانتخاب مجلس آخر نيابي وجرى افتتاح المجلس في ١٨٧٧ ثم ندم السلطان على ما فعل حينما أيقن أن أوريه لم تحدد عن سبيلها في صد د أجلاء السلطنة عن البلقان وتقليم أظافرهما في البلاد الاخرى ولا سيما التي تطالب باستقلالها فأصدر أراذته السنية بمعد شهرين من افتتاح المجلس الثاني بوقفه أيضا وشرع يطارد المتمردين من أعضائه ونفى مدحت باشا الى الطائف حيث قتل خنقا فيها سنة ١٨٨٣ . (٢) من هنا نلاحظ أن السلطان عبد الحميد كان يعترم المضي في الإصلاح لولا الفتن الداخلية التي أخذ بعضها برقاب بعض والتي كانت تستنفذ أموال الخزانة وتصرفه على مشاريعه الإصلاحية وقد كانت هذه الفتن التي ترمى الى التحرر من رقة أيد أجنبية تتستر وراء طلب الإصلاحات وهي في الواقع إنما كانت تريد تخليص الاقليات من الترتيب وتقوية نفوذها عن طريقها لاقتسام ممتلكات السلطنة فثورات كرد - وثورات أرمنية كانت تحدث مع ثورات أخرى في البلقان ومكدونية والبنانية فتصرف السلطان عن أمانيه الإصلاحية وتشير بالتالى الشكاوى ضده كما أن أفلاسل لخزنة بسبب هذه الفتن حمل النقرة على السلطان الى صفوف جيشه فانقلب عليه وازاحه عن عرشه \* (٣) .

الاسباب التي كونت سياسة عبد الحميد :-

أولا : الخطر الاوروبى منذ أواسط القرن التاسع عشر شرعت روسيه تفكر في أجلاء السلطنة عن الاراضى الاوروبية والعمل على تجزئة أمصارها بمساعدة كسل ممن أنجلترة والنمسة يظهر هذا من قول قيصرها نقولا الأول عندما زار - الدول الاوروبية لاقتناعها بالتقسيم وخصوصا أنجلترة المعارضة " يوجد

( ١ ) . أوت معناها عشب . أفندم سيد أو مخترم .

( ٢ ) . فلسفة التاريخ العثمانى ج ٢ ص ١٦٢ - ١٦٣ .

( ٣ ) . فلسفة التاريخ العثمانى ص ١٦٢ .

بين وزرائي وأيان بشأن تركية فبعضهم يصحح بأنها بلغت حالة الاحتضار وبعضها -  
 يعلن أنها لقيت حتفها ، وعلى كل فلاشئ يحول دون مماتها العاجل وفي مناسبة  
 أخرى يقول القيصر للسيد هملتن سيمور سفير إنجلترا في بطرسبرج  
 أود أن أصارك بأنه إذا أتيج لهذا المريض أن يتخلص منا في يوم من الايام -  
 فممكن من أسباب البلاء على أوزمية ولا سيما إذا حصلت هذه المفاجأة دون أن -  
 تتأهب <sup>لها</sup> هذه التصريحات تبين لنا النوايا العدوانية الأوروبية ممثلة في تصريح قيصر  
 روسيا وأن كانت أجلته المتعارض - في بادئ الامر - فكرة تقسيم ممتلكات الدولة  
 العثمانية وربما أستعجلت موتها لذلك كما حدث في مساعدتها لتركية في حرب التوم <sup>المرم</sup>  
 وقد قدرت السلطنة موقف بريطانيا فتدخلت لها عن جزيرة قبرص لتكون لها من بعد  
 نقطة حربية للدفاع عن بقية الامصار العثمانية . ولكن بريطانيا كشفت عن عدايتها  
 للسلطنة بعد أن حصلت المانيا على امتياز مد خط حديد الاستانة بغداد الذي -  
 ينتمى الى الخليج العربي .

ثانيا : تدخل الدول في شؤون السلطنة : - لقد كان لضعف الدولة العثمانية  
 العام خصوصا من الناحية العسكرية أثره الواضح في فرض ارادة الدول الأوروبية عليها  
 عن طريق حماية الاقليات الدينية أو عن طريق العمل العسكري كمساعدة دول البقان <sup>البلقاء</sup>  
 وغيرها على الاستقلال وقد اتخذ هذا التدخل شكله السافر بعد مؤتمر باريس -  
 ١٨٥٦ لما قدمته كل من إنجلترا وفرنسه وسر دينية من المساعدة في حرب التوم ثم  
 ازداد هذا التدخل بعد أنقاذ السلطنة من حملة محمد علي باشا وفي هذه الحملة  
 وقفت فرنسا ضد السلطنة ووقفت إنجلترا معها مما أدى الى فشل الحملة وبلغ هذا  
 التدخل الى حد اجتماع الدول الأوروبية في مؤتمرات لايجاد حلول لمشاكل تركية  
 دون أن تشترك فيها ومن ثم تطلبها بتنفيذ مقرراتها وكان آخرها اجتماع ريفال في  
 ( ١١ حزيران ١٩٠٨ ) وقد كان عجز السلطنة عن سداد ديونها للدول الأوروبية  
 قد أدى الى أستخفاف هذه الدول بالسلطنة من جهة ولتساج السلطنة حيال تدخلها  
 في شؤونها خصوصا ما يتعلق بالاقليات من رعاياها .

ثالثا : الوعي القومي عند العناصر : لقد تسرب الوعي القومي من أوروبية للعناصر

الخاضعة للسلطنة فهي لا ترى جهودا في المساعي الاستقلالية الا زادتها اضطراما وقد غمر الوعي القومي المثقفين من العرب فعملوا على الاستقلال وقد كانت الدول الأوروبية تقدم لهم كل المساعدات في هذا الاتجاه علما بأن معظم المثقفين العرب المعاصرين هم خريجو المدارس التبشيرية المسيحية .

رابعا : فراغ الخزانة - كانت الاموال التي اقترضتها السلطنة طيلة عشرين سنة حتى ١٨٧٥ قد بلغت ثلاثة مليارات وثلاثة عشر مليون فرنك ذهبي وكانت خزانة السلطنة قد أعلنت الافلاس في عهد السلطان عبد العزيز ، وهكذا استلم السلطان عبد الحميد الحكم والبلاد في حالة افلاس ولم يستطع أن يقترض من المالبين في أوروبا بسهولة يتولى الاستاذ محمد جميل بيهم " كانوا اذا اقدموا على شراء الأسهم تلك القروض كأنهم يبتاعون أسهم " اليانصيب " وما كان يخريهم بشراء تلك الأسهم الا الفوائد الباهظة ومع ذلك رأينا القروض التي استطاع عبد الحميد أن يدرجها ذهبت فريسة الحروب الخارجية التي كان أكثرها وأخطرها مع روسيا أو في سبيل تهئية الفتن الداخلية وقد استنفدت هذه الحروب أموال الخزانة فم تتترك مجالا للصالح والتعمير .

هذه هي المؤثرات في السياسة الخارجية للسلطان عبد الحميد وقد كان - في معظمها طرنا ضعيفا لذلك اعتمد على أسلوب ترضية دولة لتقف معه في وجه دولة أخرى عن طريق منحها بعض الامتيازات أو الولايات .

سياسة السلطان عبد الحميد الداخلية :

لقد سار السلطان عبد الحميد في سياسته الداخلية على سياسته قديمة الخوف وعدم الثقة من عناصر شعبية أو عماله لذلك أجرى تغييرات كثيرة بحيث تصبح جميع السلطات بيده وقد كان للاحوال السياسية الخارجية في المنطقة أكبر الاثر في توجيه السياسة الداخلية أن لم تكن تجاوبا وصدى لها . فمن مظاهر سياسته الداخلية :-

١ - نقل السلطة العليا الى المالبين : فقد عبد تدرجها على نقل السلطة من الإدارة العظمى ومجلس الوزراء الى المالبين فأصبح الحد والعقد ومنح الامتيازات من اختصاص سراى يلدز أما الوزراء فكان عليهم تنفيذ ما ييسر وقد كان النفوذ يتناوبه الكاتب الاول والكاتب الثانى ومأمور الشفرة تبعا لثقة صاحب الجلالة وكثيرا ما كان المشايخ المقيمين ينازعون هؤلاء - سلطتهم فكان الشيخ أبو الهدى الصيادى يتمتع بالنفوذ تارة وطورا أحمد عزت باشا العابد الكاتب الثانى وكلاهما عرب ولما نجح الاخير في مد الخط

الحديدي الحجازي عن طريق الاكتاب به من جميع المسلمين • علانجه ولم يعد  
يعلموه في النفوذ أحد الا الخليفة نفسه أو كان رئيس الجواسيس فهم باشا يلقي  
العرب في قلوب الرعية وكان بعض رجال السراي أمين وقليل منهم يحسنون اللغات  
الاجنبية وأقل منهم من يتمتعون بخبرة سياسية ودون هؤلاء وأولئك : من -  
يعلمون للمصلحة العامة (١) .

٢ - النضال بين السلطان والدستوريين : ارتقى عبد الحميد العرش بمساعدة  
مدحت باشا دستورا يا حيث كان صدرا أعظم لدى السلطان عبد العزيز  
ولكن عبد الحميد أوجس خيفة من الحزب ( تركية الفتاة ) الذي كان يتزعمه  
مدحت باشا وكان ينسب اليه حادثتين ذهب ضحيتها عمه السلطان -  
عبد العزيز وأخوه السلطان مراد كان السلطان يعتقد أن هناك أيدى خفية  
انجليزية وروسية وراء خلع وقتل عمه عبد العزيز لذلك أعلن بعد فترة وجيزة  
من إعلان الدستور سنة ١٨٧٦ تعطيل العمل به ونفى مدحت باشا وشرذ  
أنصاره وانتهى الصراع بين عبد الحميد وأتباعه وختم بخلع عبد الحميد  
ومبايعة أخيه محمد الخامس ١٩٠٩ - ١٩١٨ .

٣ - سياسة التفرقة بين العناصر : قضى على السلطنة العثمانية أن تعيش  
مفككة الاصال متنافرة العناصر والطوائف منذ عهد واحد من الدول -  
الاجنبية الى توجيه هذه الطوائف الى التناوب بين بعضها لبعض -  
وذلك بغية وصول هذه الدول الى نيل نصيبها على وجه أتم من تركة " -  
الرجل المريض \* وقد كان لاعلان السلطان عبد الحميد سياسة الجامعة  
الاسلامية أثر بالغ في ألتفاف عواطف المسلمين حوله ومقاومته للدول الاجنبية  
التي تتستر بحماية الاقليات المسيحية عواطفها • وقد أدى هذا بطبيعة  
الحال الى انشقاق الطوائف على بعضها لانها تعد السلطان عاجلا -  
للمسلمين أكثر منه ملكا للعثمانيين • وقد فصل السلطان الكنيسة البلغارية  
عن البطريركية الارثوذكسية بينما كانت أوروبا للمسيحيين - روسية والنمسا  
وفرنسة - تعمل جاهدة لتوحيد هذه العناصر ضد السلطنة • كما ألقى  
السلطان عبد الحميد ببذور التفرقة بين العرب والمسيحيين (١) خوفا  
من تعاونهم ضده خصوصا بعد ظهور الوعي القومي الذي كانت الارشاليات

( ١ ) لقد كان السلاطين الاوائل لا يعترفون بين مسلم ومسيحي وكانت التفرقة  
منشأها من عمال الولايات حيث أن الفتن والمذابح التي حدثت بين ١٨٦٠  
لم تكن بقصد أحد من السلاطين أو رجال دولتهم الا مناء بل من العمال -  
الارد ياء كتاب حشر اللثام ص ٢٣ .

والقنصليات الاجنبية تغذيه • وقد نالت بلاد الشام قسطا كبيرا من هذه السياسة لوجود الطوائف المسيحية فيها أكثر من غيرها لهذا يرجح كثير من الباحثين أن تكون المذابح بين المسلمين والنصارى في مطلع القرن العشرين بتدبير من السلطنة على يد بطلمها الوالى رشيد بك الذى رقى بنقله الى رتبة أعلى من رتبة الولايات يقول الاستاذ محمد جميل بيهم : ولازلت أذكر تلك الفتنة التى وقعت بين المسلمين والنصارى فى قرية بتاتر فى الشوف عام ١٩٠٥ وكان حدوثها فى نفس اليوم الذى وقعت فيه مذبحه المزرعة فى بيروت برهانا على أن الفتنة فى الولاية بالمساحل وفى المتصرفية فى الجبل كانت من عمل يد واحدة مخفية (١) وقد انعكست هذه السياسة فى ميدان التربية والتعليم فكانت للمدارس الاجتبية والإرساليات فرصة استثنائها من رقابة الدولة فعملت على القاء الرعب من المسلمين فى أفئدة طلابها النصارى بقصد تنفيرهم من الدولة واكتساب قلوبهم مستعينة ببعض التآليه التى تطعن فى الاسلام والرسول صلى الله عليه وسلم وفى المقابل كانت المدارس الرسمية لا تقتصر على رسم صورة قبيحة للاجانب وإخطارهم بل تتعدى الى بث روح البغضاء بين الملل والطوائف (٢) وأما فى البلاد التى لم يكن فيها غير المسلمين كجزيرة العرب فإن السلطان كان يغرى ابن رشيد وابن سعود ويجند أشراف مكة ضد أمام اليمن ويلقى الخصومة بين أمام اليمن وأسياد عسير ، كذلك بين الاكراد والارمن وبين السوريين والشراسة فى بلاد الشام • لقد كان الشعب العثمانى عبارة عن مجموعة أعداء يترص بعضهم الدوائر بالعض حتى اذا أطبقت اللسنة بأعلان الدستور بالبعض أنكشفت السرائر وظهر من ثم تفسخ فطبع بين الصفوف يستحيل معه بقاء هذه الكتل المتنافرة تحت سماء وطن واحد من هذه الزاوية كان السلطان عبد الحميد يحد من إطلاق حرية العناصر المختلفة ولا سيما الأعداء منهم حفاظا على سلامة السلطنة كما كان يحكم الرقابة عليها عن طريق جواسيسه ليطلع على نواياهم ومن ثم يوجه اليهم الضربة قبل أن يتحدوا ضد السلطنة •

٤ — الخيانة والاتحاد الاسلامى : قلنا فيما سبق أن السلطان عبد الحميد لجأ لدعوة الخلافة لاستغلال العاطفة الاسلامية من حيث هى سلاح يحصى به

( ١ ) فلسفة التاريخ العثمانى ج ٢ ص ١٧٦

( ٢ ) راجع كتاب حسر اللثام ص ٣٦ وما بعدها •

السلطنة من أعداء<sup>١</sup> في الخارج الذين تألبوا عليه باسم العاطفة المسيحية (١) التي لاجلها عملوا في مساعدة الاقليات الدينية على نيل حقوق وأمتيازات خاضعة لها أما دول شرق أوروبا العثمانية فقد كانت تتأدى - أي الدول الأوروبية الطامعة جهاراً وبسوء ظن - لتخليص للمسيحيين من الحكم العثماني المسلم وخروج الميثاقين من شرق أوروبا أجمالاً . ولقد كان في الدعوة إلى الجامعة الإسلامية تحريضاً لمسلمي الهند ضد بريطانية وهم شديدو العاطفة نحو الخلافة وقد كانت نسبة كبيرة منهم تعمل في الجيش البريطاني . مع مسلمين آخرين من بلاد أخرى واقعة تحسنت النفوذ البريطاني وكذلك في فرنسا فقد كانت نسبة كبيرة في جيشها من مسلمي السنغال والمغرب والجزائر وغيرها من المسلمين الأفارقة وهم يشكلون خطراً في كل من فرنسا وبريطانية إذا ما تحرك فيهم الشعور الإسلامي نحو دولة الخلافة (٢) وبالأجمال كانت هذه الملاح هي السمة العامة لشخصية السلطان عبد الحميد المؤثرة في سياسته الخارجية والداخلية وفي هذا المعنى يقول - الأستاذ محمد جميل بيهم " أن السلطان عبد الحميد لم يكن مصدر هلاك - السلطنة كما يزعمون بل أن السياسة الخارجية التي اختارها هي التي أمدت - في عمرها نحو جيل وأن السياسة الداخلية التي مارسها كان مصوقاً اليه بمسائل بموامل خارجية وداخلية كثيرة وكان بعضها لا يخلو من حكمة وبصيرة ذلك أن - السلطان عبد الحميد لم يرتفع إلى عرش أجداده إلا بعد أن تزعمت أركانه وأشرف على الانهيار (٣) وفي مقابلة شخصية مع الأستاذ محمد جميل بيهم قال " . . . . السلطان عبد الحميد أنشأ حوله أعداءه من الأتراك والترقي هالة مظلمة غير أن كان في الواقع على غير وصفه<sup>ما</sup> به ومن المؤسف أن هذه الدعايات ضد السلطان عبد الحميد أنتقلت إلى بلاد وتبناها كثير من أدبائنا المعروفين فضلاً عن أدباء الدولة

( ١ ) نقل شيخ الاسلام مصطفى صبري في كتابه وموقف العقل والعلم ج ٢ ص ٨١ ذكره . " أنكلهارد " أحد سفراء فرنسا في تركيا في مقدمة كتابه ( تركيا والتنظيمات ) في تاريخ أصالح الدولة العثمانية يقول " وكان الفرض من - التنظيمات تقريب الحيلة الاجتماعية الإسلامية إلى الحياة الاجتماعية المسيحية فقد كان العامل في وقف الامبراطورية العثمانية في موقفها بالقرون الوسطى الذي تحسها يوماً عن يوم في ظلام تلك القرون الكثيفة والذي سينتج في يوم من الايام أندراسها بقاء الحكومة العثمانية منفردة في خارج الهيئة الدولية الأوروبية وكان السبب الحقيقي لهذا الانفراد هو الدين (٠) .

( ٢ ) للتوسع في هذه الفكرة راجع كتاب " الحرب الصليبية والأوربية التاسعة ص ١٣٨ : ١٤٥

( ٣ ) فلسفة التاريخ العثماني ج ٢ ص ١٦٩ .

العثمانية التقليدية " (١) ومن أولئك الاستاذ عمر الدسوقي الذى يقول " -  
استولت الدولة العثمانية على الشام فى القرن السادس عشر وساسته مع بقية البلاد  
العربية التى سيطرت عليها سياسة متعصبة فشددت على الاقليات وحرمتها الكثير  
من حقوقها وانتقل استعمال الشدة من الاقليات الى الجميع حتى قال بعض الباحثين  
ظلمت مصر وبلاد العربىة ثلاثة قرون تحت حكم الاتراك وهى فى ظلال داس وجهل  
فاضح تعاني مرارة الظلم وقسوة البغى . قلب ماشئت من أسفار التاريخ يترى الا -  
صفحات سوداء قاتمة تنبعث منها روائح الاستبداد والبطش . . . . . (٢) .

ومنهم أيضا الاستاذ ولى الدين يكن الذى يقول " لم يهمل عبد الحميد شاردة  
ولا واردة مما كتبه الاحرار فى صحفهم وأسفارهم الا أحاط به خبرا وأحصاهما ونظرفية  
وتأمل قريبة وعميده وفكر فى جليلة وخفية فماراه حجة عليه تلطف فى أزالته غير مظهر  
أنه أزاله خوفا من هجاء الاحرار ومالم يكن كذلك تركه على حالة غير مبدل من حاله  
شيئا ولكن أمرين كانا شديدين على نفسه شهوة ولزوما : إعلان الدستور والتخلص  
عن الاستبداد هذان أمران ما حدثته نفسه أن يرضى فيهما الله ولا عباده وكان -  
كلما ذكر له خصومة مثلبة من مثالبه غلت مراجلة وهاج غضبه فى خوف تبد و على وجهه  
آثاره وأن بالغ فى تكتمه " (٣) هذا وينبغى أن نذكر أن ولى الدين يكن كان -  
ماسونيا ومن الاعضاء البارزين فى حزب الاتحاد والترقى حيث القى فى حفل نيازي -  
فى القاهرة بمناسبة افتتاحه قصيدة مطلعها .

يا عصر قد حسدتك اليوم أعصار	الامر شورى وكذل الناس احرار
ختمها يقول : هنئتكم بأخاء كان مختفيا مخفيا	بين القلوب فحان اليوم أظهار
لم يستجد ولكنا نكسرره	وهكذا يستديم الامر تكرار
كما القى الاستاذ نعم شقير / رئيس محفل نيازي - وهو مسيحي وكان -	
سكرتيرا لحاكم السودان الانجليزى قصيدة مطلعها :-	
فتى الاحرار لا تخش الصعابا	ولا تحسب لنا عبة حسابا
ختمها يقوله : نشير بأدعياء الدين حريبا	ونكشف عن ذوى الظلم الحجابا
ونثبت فى الجهاد الحق حتى	نلاقى عند خالقنا الثوابا

( ١ ) مقابلة الاستاذ بيهم فى بيته فى بيروت فى ١٥ / ١ / ١٩٧٥ .

( ٢ ) فى الادب الحديث ج ١ ص ٩ راجع محاضرات فى نشوء القومية العربية

ص ١٠٨ راجع أيضا تاريخ فلسطين خليل طوطم ص ٢٦٨ - ٢٧٢ .

وعبارة وصفحات سوداء : خطأ نحوى واضح والصواب أسود . د عبد السلام سرحان

( ٣ ) مناهل الادب ولى الدين يكن ص ٩٢ .



جاء في آخره قد عقب أحد الكتاب الماسونيين على هاتين القصيدتين في مجلة المقتطف بقال \* ولا تظن أن أحدا يطالع هاتين القصيدتين الا ويرى فيهما روح الماسونية والفرع الذي ترمى اليه وهو التعاون على البر والنفع العام وهذا شعار الماسونية \* (١) من أدبائنا الذين تبين الهجوم على السلطان عبد الحميد — الاستاذ المؤرخ محمد رفعت — وزير المعارف المصرية سابقا أن يقول مشهكما : —

\* ورسمه أي عبد الحميد لا يبرح أنظارهم — أي العثمانيين — ومخيلاتهم وهو يتراعى لهم في صورة المطبوعة المعلقة على جدران بيوتهم ومتاجرهم وفي مجال أعمالهم ولكن أسم السلطان لا يطرق أسماع الناس حينذاك الا مقترنا بالفاظ الجلالة فهو أمير المؤمنين وظل الله على الارض وهو خليفة المسلمين كافة ومع ذلك فأن هذا السلطان الذي مجده الناس كادوا يؤلهونه لم يكن في حقيقة الامر الا طاغية مستبدا لم يتورع عن الظلم والفردوس سفك الدماء حتى انحدر اسمه في التاريخ منسجوتا بـ " السلطان الدامي " أو " السلطان الاحمر " (٢) والحقيقة التي أظهرت السلطان عبد الحميد بهذه الصورة هي أنه كان حازما في عمل كل ما يصون الدولة من الانهيار أمام الاسباب المتكاثرة عليها سواء أكانت داخلية أم خارجية ويتساءل الاستاذ الفرجاني فيقول \* وأنتي لا سأل المعترضين على هذا ( الاجتهاد ) الذي ( أجتهد به ) — السلطان عبد الحميد وعمل بمقتضاه أين هو الدستور المعمول به في هذا المشرق بعد مرور أكثر من ستين عاما على خلع عبد الحميد (٣) وقد أظهر أعداء الدولة والسلطان هذا الحزم وكأنه سفك دماء ومجازر وظلم خصوصا وأن معظم أعمال الدولة الخارجية منها كانت بيد الحاقدين من رعيته والى هذا يأخذ جمال الدين الافغانى على العثمانيين تساهلهم مع القوميات والطوائف المختلفة فهو يلاحظ أن مستشار وزارة الخارجية العثمانية كان أرمينيا وهو أرتين باشا وسفيرها لدى أنكلترا كان روميا \* موزوروس باشا \* وحاكم جزيرة كريت هو قسطاكي باشا ويتسأل الافغانى فيقول \* فهل يمكن أن نرى مستشار خارجية بريطانية مصرية أو هنديا ويقول صفوت باشا \* أن سبب انفصال الولايات المسيحية عن الدولة العثمانية كان نتيجة لحسن معاملة السلطنة لأهلها وترك التقاليد الأصلية حرة \* وقد تكلم فضيلة الشيخ مصطفى صبرى عن هذا وأشار الى ما كتبه الأمير شكيب أرسلان في الخلاصة التي كتبها \* جوفارا لكتابه \* مائة مشروع لتقسيم تركية \* حيث يقول \* كانت السلطنة العثمانية سلطنة — عسكرية محضة مستندة على شرع سماوى \* وقال \* العداوة الحقيقية كانت عداوة النصارى

( ١ ) مجلة المقتطف ج ٣٦ ص ١٥٧

( ٢ ) التوجيه السياسى للفكرة العربية الحديثة محمد رفعت ص ٨٣

( ٣ ) الحزب الصليبية الأوروبية التاسعة ص ١٠٥

(٥) للمسلمين برغم تصامح المسلمين في الحرية الدينية التي يتمتع بها المسيحيون في السلطنة العثمانية " وقال : " مدة ستة قرون متتابعة كانت الشعوب المسيحية تهاجم الدولة العثمانية " (١) كما أشار المستر وليم للكراف في كتابه " المسألة الشرقية " ص ١٠ - ١١ ما تعريبه بالحرف الواحد " أن المسلمين أمنا ذوو عهود وحرمة وبيثاق بخلاف غيرهم كبعض الارمن واليونان والمالطيين فأنهم مفترون مختلفون لا كاذيب وأقاصيص لا أصل لها أفترأ على المسلمين وعلى دولتهم ولسوء الحظ فأنا نرى هؤلاء الافاكين هم التراجمة الذين يرافقون السياح الاجانب في البلاد - العثمانية والغريب أن هؤلاء السياح أيضا يعتقدون أقوال أولئك النمامين كآيات بينات ينشرونها في أوروبا فقتلناها الأمم الأوروبية قضية مسلمة فتزداد إذا ذاك - ضلالا على ضلال " (٢) وقال في صحيفة ٢١ ما مناه " لقد كثر المفترى عن - سلوك الجنود العثمانيين مع أننا إذا رافقناهم الى المدن والقرى التي بدخلونها أو المعامع التي يخوضونها أو المعامع التي يخوضونها ألفيناهم بأبظالا أمنا مسوئين (٤) صبورين على احتمال المشاق كما يشيعه اليونان أفترأ عليهم فالمقصود منه تضليل الشعوب الأوروبية لا غير ومن ذا الذي لا يحجب عنده ما يرى أن الكذب - ليس تجارة لليونان فقط بل للسفارات الأوروبية بواسطة تراجمتها الشرقيين " (٣) وعن معاملة الدولة العثمانية لوعاياها على اختلاف مللهم ونحلهم معاملة حسنة بدون تفريق : قال الكونت هنري كرسنسكى في كتابه المدعو " تاريخ قوزاق - الاقرين " ص ٥٣ " ولقد ندم ( خمياالنسكى ) أمير القوزاق أن لم يجعل بلاده من أملاك الدولة العلية عوضا عن ضمها الى روسية وكان آخر كلامه وهو على فراش الموت سنة ١٦٥٦ م قوله " الهى لقد أقترضت ذنبا عظيما وأحرقته بهم اعتذر عنه إذ جهلت قومي تحت سلطة من لارحمة في قلوبهم ولم أجعلهم تحت حكم الدولة العثمانية الرحيمة برعاياها لقد غدرت بقومي ولم أنصحهم إذ لم أجعلهم تحت حكم

راحت رفعت

( ١ ) موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعبادة المرسلين ج ١ ص ٨٢

٠ ٨٩

( ٢ ) مجلة ثمرات الفنون عدد ١٢٠٢ ص ٨٣ رجب ١٣١٦ هـ .

( ٣ ) المرجع السابق .

( ٤ ) مسومين - لهم علامات (٥) كذا والصواب " على الرغم من "

(٦) كذا والصواب " تنهجسم "

(٧) هذا جمع خاطئ كل الخطأ والصواب : صبر

(٨) الصواب : بوساطة . كثير وغير وغفور وغفر . الخ .

سلاطين آل عثمان الكرام \* وقال فى مكان آخر \* وكانت البلاد العثمانية خير حصن  
ياوى اليه من رماه الدهر بالارزاء من الاوربين جميعا ولما أُعيد بلاء قوزاق (الزبوروكسى) <sup>راشدر</sup>  
التجأوا مع أميرهم الى الدولة العثمانية فأحسنّت اليهم وأعطتهم عقارات وأراضى فسيحة  
يزرعونها ويقتاتون من ريعها (١) وفى هذا تأييد لرأى جمال الدين الافغانى الذى  
أوردناه بهذا الشأن .

السلطان عبد الحميد ضحية فلسطين وشهيدها الاول :

بدأت نهاية الدولة العثمانية <sup>تتبع</sup> وقف السلطان عبد الحميد فى وجهه —  
المطامع اليهودية عن تحقيق أهدافها فى فلسطين وحتى نتمك من فهم دور اليهود  
فى أسقاط السلطان عبد الحميد الذى به أنتهت دولة الخلافة وهيبتهما يجب أن  
نبدأ من القرن التاسع عشر حيث كانت الدولة العثمانية تعطف على اليهود عملا  
بتوجيهات الدين الاسلامى الذى يوصى بأهل الذمة خيرا وقد رحبت بالمهاجرين  
اليها منهم عند فرارهم من وجه الظلم الاوروبى ولعل فيما كتبه صاحب ثمرات الفنون  
يوضح مدى القسوة التى كانت تعامل بها الطوائف من قبل الدول الاخرى . فقد  
أورد صاحب ثمرات الفنون خبرا جاء فيه \* وقال الكونت المذكور — هنرى كرسنسكى  
فى كتابه تاريخ القوزاق الاقويين — فى وجه ١١١ ما حصله \* وشرع الروس يقتلون —  
اليهود والكاثوليك والروتستانت نساء ورجالا وأطفالا لا وكانو يشفقون الرجل البولونى  
الكاثوليكي ويقره رجل بروتستنتى ويشفقون بينهما كلبا مبالغة فى الاحتقار وفى  
سنة ١٧٦٧ حرقوا بالنار الوفا من اليهود دون أن يرحموا صغيرا أو كبيرا الى أن  
قال فى وجه ١٣٠ أما العثمانيون فلم يبد منهم الا الاحسان لكل من أم بلادهم  
وما دخلت الدولة العثمانية بلدا الا وعمرها عدلها وصانها شرعا وقد نشرت ووسية  
أعلانا عموميا بالامان <sup>ممن</sup> طن يروم العودة الى وطنه فعدت بعض القوقاز الذين أحتمو  
بالبلاد العثمانية قولها فعادوا نحو أوطانهم فما استقرت أقدامهم بالبلاد الروسية  
حتى أسقوا كئوس الموت الزؤام ولم ينبج منهم أحد (٢) وفى مكان آخر ذكر صاحب  
ثمرات الفنون فى المعنى نفسه قول المسترفون والمستر واهويلم فى كتابهما المدعو \*

( ١ ) مجلة ثمرات الفنون عدد ١٩٢ ص ٣ .

( ٢ ) مجلة ثمرات الفنون ج ١١ ٩٨ ص ٢ .

"الكتاب الاوربي" وجه ٢٠٨ ما تعريبه بالحرف الواحد " أن أبناء جلدتنا - يتخطفون المسلمين زه من كل جانب ومع هذا نرى هؤلاء يحسنون اليهم ويحمونهم من بعضهم البعض ويحرسون معابدهم وروايتهم الروحانيين فكان المسلمين لم - يذوقوا مرما فعله متوحشوا أوروبية من الفضايح فيا فضيحة من يقول أننا قوم عادلون وهذه أعمالنا التاريخية تشهد علينا بعكس ذلك " .

وقال في وجة ١٥٥ من الكتاب نفسه " لقد قتلت الوف من اليهود نساء - أو أطفالا أو رجالا في أزقة أشهر المدن الاوروبية ولم يعد لاولئك المساكين مأوى أمين الا بلاد الدولة العثمانية فهي بلاد الراحة والامن والسلام .

وجاء في الكتاب المدعو " تاريخ اليهود " وجه ٥٤٨ مانصه " لقد كثر قتل اليهود وحرقتهم بالنار دون أستثناء الصغير منهم والكبير في كافة المدن - الاوروبية ولم ينج من العذاب الا القاطنون في بلاد الدولة العثمانية بسلا - الامن والسلام (١) ومن الادلة على عطف الدولة العلية على اليهود وحمايتهم لهم أن " يهودا - حثسيد " حاخام طائفة الاشكاز أستدان مبالغ كبيرة من أهالي القدس - لينفقها على شؤون طائفته ثم عجز أو أنه تظاهر بالعجز عن تسديدها فأصدر السلطان محمود الثاني إرادته السامية عام ١٨١٦ بإعفاء الاشكاز من هذه الديون وفي عام ١٨٥٠ كان عدد اليهود في كافة أنحاء الدولة العثمانية لا يزيدون على ١٥٠ ألف يهودي كانوا يعيشون في نظام خاص بهم منهم سبعة عشر ألفا في - فلسطين وينتشرون في القدس وياffe وطيزيه وصقد . وبدأ شعور الدولة يتبدل نحو اليهود في أواخر عهد السلطان عبد المجيد ١٨٦١ حيث بدأ أعوانه يشتبهون في اليهود وسلوكهم ألا أن تدابير صارمة لم تتخذ بحقهم بل أكتفى بفرض المراقبة على نشاطاتهم . أما فكرة إنشاء الوطن القومي اليهودي في فلسطين فقد تبنتها بريطانيا منذ أنشأت قنصليتها في القدس عام ١٨٣٩ - ١٨٤٠ وأعلنت فيسه حمايتها لليهود مع حملة صحفية بريطانية تؤيد أملي اليهود في فلسطين ظهرت في مقالات التايمز في السابع عشر والسادس والعشرين من أغسطس ١٨٤٠ تحدثت

فيه عن إمكان قيام دولة يهودية بجهد بريطاني (١) وزار السيد لورنس أوليفانت البريطاني فلسطين عام ١٨٧٩ وقام خلالها بدراسة سرية لشئون الزراعة والميرى والثروات الطبيعية ثم عاد الى لندن ليتقدم للحكومة البريطانية وكانت برئاسة اليهودى دزرائيلى - بمشروع للاستفادة من الاراضى المحيطة بنهر الاردن على أن يقوم اليهود باستثمارها والسكن فيها فوافقت عليه الحكومة البريطانية وتبنته ولما عاد أولفانت الى الاستانة وأجرى اتصالات مع الحكومة العثمانية بشأن مشروع استدعاء السلطان عبد الحميد وأفهمه بصراحة أنه لن يسمح لليهود مطلقا باستعمار فلسطين لاعتقاده بأن غرضهم الحقيقى هو إقامة ملكة لهم فيها أساسها الدين . . . . . وأضاف . . . . . أن اليهود يستطيعون بسلاهم وأطمئنان أن يعيشوا فى أى جهة من الدولة العثمانية ماعدا فلسطين فاستجد لورنس أوليفانت بمصيرى بريطانية وأمريكة لمساعدته على إقناع السلطان لتغيير موقفه ولكن السلطان رفض تدخلها وأمر بإخراج أوليفانت من البلاد . . . . . وقام السفير الأمريكى المسترد الاس بمساع جديدة لحمل السلطان على السماح لليهود بالهجرة الى فلسطين واستملاك الاراضى فيها فأفهمه السلطان بصراحة وحزم أن لا أمل لليهود فى فلسطين وأنه إذا كان اليهود يريدون عملا خاليا من أى غرض وهدف سياسى فأمامهم مايشاءون من سهول العراق وسوريا والاناضول . ولم يكف السلطان عبد الحميد بالرفض بل وقع قانونا عام ١٨٨٠ يمنع الهجرة اليهودية الى فلسطين وأستملأهم الاراضى فيها ويعد ذلك يعامين أحتلت بريطانية مصر وأعلن فى الوقت نفسه عن قيام الحركة الصهيونية فضاغف هذان الحاد ثان من قلق الدولة العثمانية ومخاوفها من المطامع اليهودية . . . . . وأد لاحت بعض التحايل من قبل اليهود على القانون<sup>هنا</sup> استطاعوا بالتعاون مع الدول الاجنبية وبمساعدة بريطانية وأمريكا خاصة مواصلة التحايل على القوانين العثمانية مستغلين ماكان يسود الادارة العثمانية آنذاك من تدهور ورشوة فلم يجز السلطان بدأ من أن يتدخل بنفسه وأصدر أوامره - الشخصية المشددة بمنع أى يهودى من دخول فلسطين الا اذا كان يحمل جوازا رسميا يحمل تأشيرة تركية للدخول كما أمر بطرد جميع اليهود الذين اثبت أنهم دخلوا أراضى الدولة العثمانية بصورة غير شرعية فتدخل السفير الأمريكى تنفيذا لتعليمات مشددة تلقاها من واشنطن وباريس ليضغظ على الحكومة لالغاء الاوامر فم يفلح بأكثر من أن الصدر الاعظم سعيد باشا وافق على السماح لليهود الذين يحملون جوزات

بحر

مفر قانونية بالاقامة في فلسطين مدة أقصاها ثلاثة أشهر وظل السلطان عبد الحميد مشددا في منع اليهود من الهجرة الى فلسطين وأستلاك الاراضى فيها ووقف العديد من المساعى والجهود التى كان ممثلو بريطانية وأمريكة يذلونها باستمرار لحمله على الحدول عن خطته واستمر هذا النشال العنيف مدة عشرة أعوام تقريبا دون أن تستطيع الدولتان الفوز بأمنيتهما ، وفى عام ١٨٩١ أرسل قنصل أمريكا الى حكومته رسالة يقول فيها أن تركية المسلمة لن ترضى باقامة مملكة لليهود في فلسطين وفى عام ١٨٩٣ أصدر السلطان عبد الحميد أوامرجديدة بمنع اليهود من شراء الاراضى في فلسطين . ثم دخلت المفاوضات بين السلطان عبد الحميد والصهيونية مرحلة جديدة أكثر جديّة وصراحة وتصميما من قبل مشول تيودور هرتزل الزعيم الصهيونى بين يدى عبد الحميد سنة ١٨٩٣ وكان يرافقه موسى لاوى الحاخام الاكبر للدولة العثمانية وبعد مقدمة مليئة بالرياء والنفاق والتلقى ببنا له حاجة أمتهم للحماية والرعاية التى تلقاها من الدولة العلية ثم دخلا فى صلب الموضوع الذى جاء من أجله بمناورة كلامية بحسناتها فكان - السلطان الداهية حريصا على أن يسبر غورها ويكشف أمرهما دون أن يظهر عليه أى أثر للانفعال ويضفى اليهما برحابة صدر وهذو .

فقال أحدهما : أن عبيدكم اليهوديا اصحاب الجلالة مدينون لكم ولا جدادكم العظام وللشعب التركى المجيد بحسن الضيافة والمعاملة التى يلقونها ولن ينسى التاريخ مالىة الشعب اليهودى من العطف والرعاية التى رأوها وهم يدعون لكم بطول العمر " (١) .

قال السلطان : أريد معرفة مقاصدكم الحقيقية التى طلبتم مقابلتى من - أجلها : فأجابا بتواضع وتحفظ " أننا نجبرو بالبيان لسد تكم الصمونية ، أن عبيدكم اليهود المشمولين بالظافكم المملوكية <sup>بحسرة</sup> وحاجة الى وطن يلم شعقتهم ولا ينسون لكم هذه المنّة والفضل مدى الازمان وسيذكرونه لكم بالتمظيم وبالاكبار والتبجيل . . . " فقال السلطان : " كنا نظن أن اليهود في مملكتنا - يتمتعون بكل عز ورفاه مشمولين بالعدالة والامن كما كنا نظن بأنكم ممنونون من - حسن المعاملة التى يلقاها اليهود أسوة ببقايا الرعايا العثمانيين لهم مالههم عليهم بدون تمييز فهل لكم شكاية من معاملة غير عادلة لانصرفها نحن " فأجاب به برهبة وخشوع " نستغفر الله يا صاحب الجلالة أن رعاياكم اليهود يتمتعون بكل

( ١ ) كان اليهود يجتمعون للصلاة والدعاة للسلطان راجع الجوانب عدد

٨٥٦ السنة السابعة عشر الاحد ٢٢ ربيع الثانى ١٢٩٤ .

طمانينة وأمتنان ولا توجد لهم أى شكاية وكل ما هنالك أننا نسترحم منكم ولو قطعة أرض رمزية لتكون لهم مركزاً دينياً يحجون إليه فى ظل دولتكم وليقوموا فيه - بالصلاة والدعاء والشكر لسد تكم العلية ودوام حياة جلالتكم " فأجابهم السلطان باقتضاب " لا يمكننا أن نعمل أكثر مما عملناه حتى الآن تجاه أمنكم التى تتمتع بخيرات البلاد كمواطنين عثمانيين بل وأكثر وأظنكم تذكرون ما كان يلقاه اليهود قبل لجوئهم الى بلادنا من الحقاروة والذل والاضطهاد فى مختلف البلاد التى هاجروا فيها " وأدار السلطان وجهه الى الخاخام موسى لاوى بنظرة جادة وقال له " أليس ذلك باخاخام أفندى " فأجابة الخاخام بتلكوت وتمتعة : الله يزيد فى عور جلالتكم " وتكلم تمودور هرتزل فقال " هل لى أن أقدم بعرض على جلالتكم بأن تقدر أن تحسبوا ما ستسبوه من ثمن للأراضى التى تعود ملكيتها الى جلالتكم فى فلسطين بشرط أن يدفع اليهود بدلها نقداً مع الزيادة مهما بلغ وأرتفع الثمن من ملايين الميراث الذهبية وهنا هوى الدم فى عروق السلطان وصاح بهما : " هل وصل بكم الامر لتعرضا على ثمن لقطعة أرض عزيزة من أرض الوطن المبدولة فيها دماء الشهداء التى لا تباع - ولا يمكن التفريط فى شبر منها بل نحن على استعداد لكى نبذل المزيد من الدماء للمحافظة عليها أكثر مما بذلناه حتى الآن " ثم نهض علاوة أنهاء المقابلة فانسحب هرتزل ولاوى بجرران ذبول الخيبة ، ويقال أن اليهود تدارسوا فيما بينهم نتائج هذه المقابلة ودعوا الى مؤتمر عقدوه فى مدينة بازل فى سويسرا عام ١٨٩٧ ضم أكثر من تسعمائة شخص يمثلون ستمائة جمعية يهودية وفى هذا المؤتمر اتخذت مقورات ( بروتوكولات حكما صهيون " المشهورة ويقال أن هرتزل قد عرض فى هذا المؤتمر فكرة إقامة وطن قومى لليهود فى غير فلسطين فى أوفندة مثلا ..... بعد أن يش من السلطان عبد الحميد الا أن - بقية المؤتمرات قرروا الزحف الافرادى المتواصل الى فلسطين للتمركز فيها والسكن فى تلك البقاع المقدسة بصفة زائرين أو مجاورين وفى ذلك العام زار - الاستانة الامبراطور غليوم الثانى الالمانى ومنها توجه الى زيارة القدس فاعظم اليهود الفرصة ورجوه التوسط مع مضيفة لمنحهم ما يريدون <sup>الامبراطور</sup> الامبراطور فعلا ولكن السلطان عبد الحميد لم يتزحزج عن موقفه قيد أنملة بل على العكس من ذلك جعلته هذه الوساطة يحس بالتركيز اليهودى على فلسطين ويتوجس خيفة فأصدر أوامره المشددة لتقييد اليهود الزائرين للاماكن المقدسة بـ ( البطاقات الحمراء ) التى مالبثتان عرفت باسم ( الجواز الاحمر ) وهذه لا تباع بقاء اليهودى الزائر فى فلسطين أكثر من شهر واحد ومع هذا لم يياس اليهود -

فأوفدوا اليه نائب سالفونيك عمانوئيل قره صو أفندي ليعرض على السلطان خمسة ملايين ليرة ذهبية عثمانية للخرينة السلطانية الخاصة ويبلغ أكبر تحدده - الحكومة العثمانية ويحطى لها كقرض بلاقائدة والى أجل غير مسمى مقابل أعفاء واعطاء اليهود المثلث القائم بين يافا والبحر الميت وكانت الدولة تخوض فى ذلك الحين حربا مريرة مع روسية وتجتاز أزمة اقتصادية خانقة ومع هذا غضب السلطان وطرده من خضرتسه .

وتقول بعض المصادر التاريخية أن تيودور هرتزل مالبت أن أعاد الكرة وقابل السلطان بعد توسط سفيرى بريطانية وأمريكة وعرض عليه أن ينشئ اليهود لدولته أسطولا حربيا وتجاريا يفوق ويستلب من الاسطول البريطانى سيادة البحار . . . فابلغه السلطان أنه يرفض جميع العروض اليهودية من أساسها وأنه لن يسمح لهم باستعمار فلسطين والثابت قطعا أن مكاتبات جرت بينهما حول هذا الموضوع وأن السلطان ظل متمسكا بموقفه حتى النهاية طالبا الى اليهود أن يحتفظوا بملايينهم الى الحين الذى يستطيعون فيه الحصول على فلسطين ولكن . . . . . على أنقاض دولته العلية العثمانية (١) .

وضاق اليهود ذرعا من تصلب السلطان عبد الحميد الثانى تجاههم فاتخذوا - مقررات جديدة خلاصتها محاربة السلطان عبد الحميد وبذل كل جهد لازاحته عن العرش (٢) واللجوء الى الاغتيال اذا لزم الامر فبدأوا يثبون الدعايات - ضده عن طريق جنسياتهم السرية والماسونية فى الصحف الاجنبية وأعدوا مامرة لاغتياله (٣) بوساطة فوضوى أرمنى كان السبب فى اختياره خوفهم من عدم نجاح هذه المامرة فلا يلحق حينئذ باليهود أى ضرر . . . . . وفعلا انفجرت -

( ١ ) الحرب الصليبية الاوربية التاسعة ص ١١٢ - ١١٤

( ٢ ) لمصرقة حقيقة الدفعة الماسونية فى عزل السلطان عبد الحميد عن طريق الاتحاد والترقى راجع كتاب حقيقة الماسونية للدكتور محمد على الزغبى ص ١٧٤ - ١٧٥ وكتاب الماسونية فى العراق للدكتور محمد على الزغبى ص ١٧٤ - ١٧٩ حيث ذكر ضبط أحد جلسات محفل سالانيك -

الأكبر التى تم فيها المطالبة والتخطيط لاسقاط عبد الحميد كما ورد فى مجلة التحرير " العدد الثانى كانون الثانى ١٩٣٩ التى تصدر فى قمم وتنطبع فى مطابع الترقى فى دمشق .

( ٣ ) وعم الذين كانوا كثيرا ما يدعون له كما جاء فى صحيفة الجوائب " المحرم . كما -



قبلته موقوته في عربة السلطان بعد ظهر الجمعة ٢١ تموز ١٩٠٥ وللصادفة البحث بل العناية الالهية كان السلطان قد وقف مع شيخ الاسلام خلافا لعادته يبادله بعرض الحديث فتأخر بذلك عن المركب فترة من الوقت انفجرت القنبلة خلالها وكان من نتيجة هذه المواجهة المذابح التي تعرض لها الارمن وثورتهم في ذلك العام .

وعندما فشل اليهود في محاولتهم هذه توسلوا بوسائل دينية أخرى - فلفقوا قصصا وحكايات لايزال الكثيرون من الناس يؤمنون بها وكأنها حقائق - ثابتة . . . . . منها أن السلطان قد أغرق ثلث أو نصف أعضاء مجلس المبعوثان العثمان الاول في البوسفور . . . . . وأنه ما لبث أن أغرق المئات من طلاب الجامعات والزعماء المعارضين في البحر عن طريق ربط أرجلهم بالحجارة الثقيلة ورميهم فيها من سراي بروني (١) ومنها قصة وجود سوء استعمال وسرقات وفي مشروع سكة حديد الحجاز واحتفاظ السلطان لنفسه بالاعلانات التي جمعت بمعرفته من أقطار العالم الاسلامي مع أنه حينما استتب الامر للاتحاديين لم يعلن قسما عن اسم نائب أو زعيم أو طالب قد رعى في البوسفور أو يكون مفقودا لم يعرف مصيره هذا من جهة ومن جهة أخرى أشادوا برجالهم أمثال مدحت باشا وسموه أبا الاحرار وهو رئيس جمعية ( تركيا الفتاة ) اليهودية التي أطاحت بالسلطان عبد الحميد (٢) وكان عملهم لتقويض الدولة العثمانية والسلطان عبد الحميد في ميدانين ( ميدان خارجي بما لهم من نفوذ ومؤسسات وتحكم في الدولة الأوروبية وميدان داخلي في تغذية الروح القومية الانفصالية لمناصر المملكة المختلفة من عرب وأكراد وشركس وأرناؤط وأرمن وغيرهم وأحزاب وجمعيات سرية زودتها الصهيونية بـ ( عقائديات ) حسنة الظاهر ولها في كيان الأمة فعل الديناميت المفجر حتى أتت الحركات والجهود المختلفة ثمارها فجعل حزب - الاتحاد والترقي ( اليهودي الماسوني ) مركز عمله سرا في ( سلانية ) وقد اختارها لان فيها عدا الجاليات الاجنبية الكثيرة عددا من المحافظين الداسونية كانت عوناً لهم على تشكيلاتهم وعلى كتمان مساعيهم ثم قويت حركات المعارضيين

بالاعلانات

١/ السبب اجتمع الاسرائليون في معبدهم وتلو أدعية خيرية بطول بقضاء مولانا وسلطاننا المعظم وتأييد دولته العلية ونصره ومكره الحوائب عدد ١٨٥٦ لسنة ١٧ " ربيع الثاني ١٢٩٤ .

( ٢ ) " رار الماسونية للجنرال جواد رفعت أتلخان ص ٥٩ .

( ٣ ) راجع كتاب الثورات سلامة موسى ص ٧٢ - ٧٩ .

حتى صارت علنية بعد السرية وتجاوب مع معارضي ( سلاتيك ) الارمن وسائر -  
الاقليات تحت شعار ( الدستور ) (١) أما الشبان العرب فقد أهداهم  
التجسس القومي الذي كان الاجانب يورثونه لهم (٢) من حيث لا يشعرون -  
بهم وكانت الارشاليات الاجنبية ومدارسها والقنصليات زر رملة الوحي نزار  
القومي . . . . . وأعتنت المدارس الاجنبية المنتشرة في المملكة فرصة -  
استثنائها من رئاسة الدولة فألقت في أفئدة تلاميذها النضال العربي من  
المسلمين لتنفردهم من الامبراطورية العثمانية ولتكتسب قلوبهم مستحينة على ذلك  
ببعض التأليف التي لم تتورع عن الطعن في الاسلام والتشهير برسوله . . . . . (٣)  
ثم جاء الظرف الذي اضطر فيه السلطان عبد الحميد للعمل بموجب الدستور  
العثماني في ٢٤ تموز ١٩٠٨ وفي هذه المناسبة قال الامير شكيب فصيده -  
مطلعها :-

الايا بني عثمان حسبكما شكرا      لقد جاد رب العرش بالنعمة الكبرى  
ويصف الخليفة بأنه ظل الله حيث يقول :  
والهم مولانا الخليفة ظلمه      قياما على الدستور في الملة الفسرا  
تداركها رمقا باكسير ناظر      أن امال نحو الترب سيره تسبرا . . .  
الى أن يقول :

وقد وا أميرا مؤمنين بأنفس      كتبت الى عثمان نسبتها فخرا (٤)  
ويسجل الاستاذ خليل طوطح شيئا عن تاريخ هذه الحقبة فيقول . . . . .  
وكان شعار الناس قاطبة حرية عدالة مساواة فكثرت الفساد وعم التعدي وضعفت  
الادارة الملكية وسابت الفوضى وضوئت هيئة الحكومة وطمح الناس الى احتقار  
الحكام وجعلوا معنى الحرية فظنوها الاشتراكية أو الفوضوية فكان الرجل ينهب  
مال غيره ويستيد بالضعيف وأذا غفته أو زجرته قال حرية مساواة " (٥) ولكن  
سرعان ما عاد السلطان والى الدستور والحمل به ولكن جمعية الاتحاد والترقي  
كانت قد تغلغلست وأستشرت وزجفت فرقة من الجيش نحو العاصمة أستانبول بقيادة  
محمود شوكت باشا الفاروقى " وهنا يسجل السلطان عبد الحميد موقفا حقن به

( ١ ) مجلة العربى عدد ٢١٩ مقال الاستاذ سعيد الافغانى .

( ٢ ) التأثير الاغراء بين القوم وأيقاد النار .

( ٣ ) مجلة العربى عدد ٢١٩ مقال الاستاذ سعيد الافغانى

( ٤ ) ديوان شكيب أرسلان ص ١٠٢ - ١٠٣ .

( ٥ ) تاريخ فلسطين الاستاذ خليل طوطح ص ٢٦٩ .

الدماء في الوقت الذي كان يستطيع أن يقاوم به حرس قصره ويرد هذه الفرقة ويشمخه  
فرقة تحضر فرقة الجيش الأخرى لنصرة السلطان (١).

ويقول الأستاذ سعيد الأفغاني أيضا " يحفظ المعمرون في دمشق عن أحد  
باشوات الدولة العثمانية المرحوم " زاهد باشا الهبل " وكان يروى لجلسائه  
آخر ما أتى السلطان في قصره يوم الخلع قال : لما اضطربت الحوادث وتمردت  
( سلانيك ) أخبر الصدر الأعظم سلطنة بعضيان جيش سلانيك فقال السلطان  
( طيب ) ولم يزد عليها ثم أخبره باتجاه العصاة نحو العاصمة ( استانبول )  
فقال ( طيب ) ولم يأمر بشيء ثم أخبره بدخولهم العاصمة ٠٠٠٠ ثم باتجاههم  
نحو قصره ٠٠٠٠ ثم بحصارهم القصر وفي ذلك كله يقول ( طيب ) ولا يزيد عليها  
وكان الصدر الأعظم شديد الهيبة للسلطان ثم دخل أمر القوى في القصر يستأذن  
السلطان بضرب العصاة والمقاومة فنضحه ثم عاوده القول بأنهم يريدون أذنه -  
بالمقاومة لهم فقال أعرف جيدا ما يريدون هو خلعي أو قتلي وأنا شخص واحد فإذا  
أمرتكم بالمقاومة سقطت مئات القتلى منكم ومنهم وأنتم جميعا أفراد من هذه الأمة  
والأمة تحتاج اليكم فيما ينزل بها من شدائد ثم دخل العصاة ولم يقاومهم  
أحد " (٢) كان ذلك في ٣١ آذار ١٩٠٩ .

وتولى بعده أخوه محمد رشاد الذي لم يكن له من الأمر شيء حتى التوقيع  
أو الختم فقد وضعت جميعها بيد أنور باشا وأصبح بيهود الدرنة والماسون يحكمون  
من وراء ستار عن طريق كبار رجالهم أمثال " جاويد بك والمستر سالم " وصانوييل  
قرة صو " ولم يكن خافيا على أحد تغافل وسيطرة الماسونية على جمعية الاتحاد  
والترقي يقول صاحب الدقطف " ٠٠٠ وحسبك شاهد ما فعلته جمعية الاتحاد  
والترقي العثمانية وأكثر أعضائها من الجمعية الماسونية المرتشدين بأرشادها " وعا نويس

كما أشار إلى دور الانجليز أيضا في خلع السلطان عبد الحميد في مناسبة  
افتتاح حفل نيازي في مصر برئاسة نعيم بك شقير مكان الحفل فندق كوتنتنسل  
وحضر الحفل أديس بك أغيب مدير المحافل الماسونية المصرية وإلى يمينه نعيم بك

( ١ ) ولكن الدكتور محمد محمد حسين يقول " ٠٠٠٠ ويلجأ زعماء الاتحاد بين

في الجيش إلى العنف فيقتحمون الاستانة ويحاصرون يلدز ويشتبكون مع  
رجال عبد الحميد في معركة كبيرة تنتهي بالتسليم " الاتجاهات الوطنية  
في الأدب المعاصر ج ١ ص ٤٦ ولكنه لم يذكر المراجع .

( ٢ ) مجلة العربي عدد ١٦٩ ( ص ١٥٤ ) مقال الأستاذ سعيد الأفغاني

شقيق رئيس محفل نيازي ثم حضره ستاك بك وكيل حكومة السودان وحضرة القائم مقام برتوبك من أعضاء جمعية الاتحاد والترقي . . . . فاديرت الوان الطمام الفاخرة وتداول الجلوس المسامرات الفكاهية ثم شربوا نخب الجنب العالي والحضرة السلطانية وجلالة ملك الانجليز رئيس المحافل الماسونية والانجليزية السابقة . . . وخطب برتوبك بالتركية وأثنى الثناء العاطر على الحكومة الانجليزية والامة الانجليزية لانها ساعدت العثمانيين في هذا الانقلاب المبارك — ضد عبد الحميد — الذي فرض أساس الاستبداد ووطن أركان الحرية في الممالك العثمانية وقال صريحا " أن الماسونية كانت المحرك الاول والمرشد الاكبر للجنة الاتحاد والترقي وأظهر الذين تكلموا بالحرية فضل الماسونية في تأليف القلوب بين كل الامم على اختلاف أجناسهم ومذاهبهم مستشدين بذلك <sup>سنة ١٩٠٩</sup> الاجتماع الذي جمع كثيرين من المصريين والانجليز والترك من المسلمين والمسيحيين على اختلاف مذاهبهم وكلهم أخسوان تجمعهم رابطة الحرية والاخاء والمساواة " (١)

هذا وفي ١٤ نيسان ١٩٠٩ أوفد البرلمان العثماني هيئة مكونة من الرئيس حكمت باشا وثلاثة أعضاء هم أسعد الطوبتالي باشا وغالب باشا وعمانوئيل قره صو أفندي الى سراي يلدز لابلاغ السلطان قرار الخلع وقد كانت أمارات التردد — والتهميب على وجوه رجالها وكانت النشوة ظاهرة على ملايح قرصو وعندما أبلغه عارف حكمت باشا قرار الخلع أجابه عبد الحميد " ذلك تقدير العزيز العليم وبعد أن صمت برهة تابع يقول " لا بأس فليكن ذلك لقد أممست قيادة الامة يخطط أرفع من خيط القطن مدة ثلاثة وثلاثين سنة دون أن ينقص فأتعنى لكم النجاح أكثر منى ، وأعلموا أن المسؤولية التي تحملونها ثقيلة جدا وأستغرق في تفكير عميق كمن يستعرض الاسباب الحقيقية التي أدت الى خلعه والرهبة آخذه بأعضاء اللجنة كل مأخذ وفجأة أنتفض عبد الحميد وأشار الى قوة صوتسائل " ماهو عمل اليهودى فى مقام الخلافة ؟ ( . . ) ثم التفت الى بقية أعضاء الوفد وصاح بهم " بأى قصد أتيتم بهذا اليهودى الى هنا ؟ أنا أفهم حقكم كمسلمين —

(ملقط)

فى خلق سلطانتكم وخليفة لبيكم ولكن ٠٠٠ ما هى علاقة هذا اليهودى بالسدى  
جئتم من أجله ٠٠٠ ؟ " •

وهناك ساد الارتباك أعضاء الهيئة وارتعدت مفاصل زعيم يهود سالونيك  
وفى رواية ان السلطان انتهره وأخرجه من المجلس (١) " •

لقد كان مجى زعيم يهود سالونيك ضمن اللجنة التى تبلغ السلطان قرار  
الخلق أكبر دليل على اليد الطولى لليهود فى خلق السلطان (٢) وقد كان لموقف  
السلطان المتعنت اتجاه المطامع اليهودية فى فلسطين السبب الأول فى موقف  
اليهود منه موقف العداء والعمل على خلعها وإذا استبعدنا هذا الفرض لم نجد  
هناك سببا مباشرا لهذا العداء فهم بأعترافهم كانوا يعشون أرغد عشرون فى  
ظل الدولة العثمانية فى الوقت الذى يضطهد ويحرق فيه اليهود فى أوروبا •

وفى رسالة السلطان عبد الحميد الرشيد الشيخ محمود افندى أبى الشام  
شيخ الطريقة الشاذلية فى عصره حيث كانت تتم بينهما المراسلات عن طريق  
أحد الحرس - على السلطان عبد الحميد - الذين أخذوا العهد والطريقة  
من الشيخ أبى الشامات أثناء وجوده فى استانبول فى غلفة ( راغب رضا بك )  
مدير القصر السلطاني كما أخذ عنه عدد من وجهاء استانبول وموظفى القصر  
السلطاني وجروحه وحراسه وهى حجة دامغة فى بيان دور اليهود فى عزل  
السلطان عبد الحميد (٣) وهذا نصها :

(١) الحرب الصليبية الاوربية التاسعة ص ١١٢ - ١١٨

(٢) راجع الماسونية فى العراق ص ٢١٨ - ٢٢٢ • وكتاب حقيقة  
الماسونية ص ١٧٤ - ١٧٦

(٣) يقال ان الذى مول الفتنة التى قضت على السلطان عبد الحميد  
يهودى يدعى ناثان رئيس بلدية روما راجع كتاب مصطفى كمال  
تأليف جو بورت فون تعريف كامل مسيحه ص ٢١

يا هــو

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد لله رب العالمين وأفضل السالم وأتم التسليم على سيدنا محمد رسول رب العالمين وعلى آله وصحبه أجمعين والتابعين الى يوم الدين أرفع عريضتي هذه الى شيخ الطريقة العلمية الشاذلية الى مفيض الحياة هـ الى شيخ أهل عصره الشيخ محمد افندي ابي الشامات وأقبل يديه المباركتين راجيا دعواته الصالحة •

بعد تقديم احتراسي أعرض انني تلقيت كتابكم المؤرخ في ٢٢ مارس في السنة الحالية وحمدت المولى وهكره أنكم بصفة وسلامة دائمتين •

سيدي :

انني بتوفيق الله تعالى مداوم على قراءة الأوراد الشاذلية ليلا ونهارا وأعرض انني مازلت محتاجا لدعواتكم القلبية بصورة دائمة • بعد هذه المقدمة أعرض لرشادكم والى أمثالكم أصحاب السماحة والعقول السليمة المسألة المهمة الآتية كآمانة في ذمة التاريخ \* انني لم أتخل عن الخلافة الاسلامية لسبب ما سوى انني - بسبب المضايقة من رؤساء جمعية الاتحاد المعروفة بأسم ( جون ترك ) وتهديدهم - اضطررت واجبرت على ترك الخلافة وان هؤلاء الاتحاديين قد أصروا وأصروا عليّ \* بأن أصادق على تأسيس وطن قومي لليهود في الأراضي المقدسة ( فلسطين ) ورغم إصدارهم فلم أقبل بصورة قطعية هذا التكليف وأخيرا وعدوا بتقديم ( ١٥٠ ) مليون ليرة انجليزية ذهبا فرفضت هذا التكليف بصورة قطعية أيضا وأجبتهم بهذا الجواب القطعي الأتي :

انكم لو دفعتم ملء الدنيا ذهبا - فضلا عن ( ١٥٠ ) مليون ليرة انجليزية ذهبا فلن أقبل بتكليفكم هذا بوجه قطعي • لقد خدمت الملة الاسلامية والأمة المحمدية مما يزيد على ثلاثين سنة فلم أسود صـ أثف المسلمين آبائي وأجدادي من السلاطين والخلفاء العثمانيين •

لهذا لن أقبل تكليفكم بوجه قطعي ... • وبعد جوابي القطعي اتفقوا على خلعي وأبلغوني أنهم سينفونني الى ( سلانيك ) فقبلت بهذا التكليف الأخير هذا وحمدت المولى وأحمدته انني لم ألتخ الدولة العثمانية والعالم الاسلامي

اصرار

بهذا المار الأبدى الناشئ عن تكليفهم بإقامة دولة يهودية في الأراضى المقدسة  
فلسطين ..

وقد كان بعد ذلك ما كان ولذا فأنى أكرر الحمد والثناء على الله المتعال  
واعتقد أن ما عرضته كاف في هذا الموضوع الهام وبه أختتم رسالتى هذه ألسن  
يدكم المباركتين وأرجو وأسترحم أن تتفضلوا بقبول احترامى بسالى الى جميع  
الاخوان والأصدقاء .

يا أستاذى المعظم :

لقد أطلت عليكم التحية ولكن دفعنى لهذه الاطالة أن تحيط سماحتكم  
علما وتحيط جماعتكم بذلك علما أيضا والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

فى ٢٢ ايلول ١٣٢٩

خادم المسلمين

عبد الحميد بن عبد المجيد

.....

هذا وقد نشرت هذه الرسالة ضمن مقال طويل للاستاذ سعيد الافغانى  
فى مجلة العربى عدد ١٦٩ وذكر الأستاذ الافغانى أن هذه الرسالة مترجمة  
عن النسخة الأصلية بخط السلطان عبد الحميد باللغة التركية وقد نشرت  
مجلة انجليزية اسلامية نص الرسالة بالانجليزية بعد مقدمة طويلة ففضلنا  
الاعتماد على الترجمة العربية المأخوذة عن التركية مباشرة بدلا من ترجمة  
النص الانجليزى الى العربية والمجلة اسمها

Impact International fortnight London  
23 March - 12 April 1973 Vol 2:21.

ونشرت مجلة العربى أيضا فى عدد ها رقم ١٧٨ ص ٥٢ - ٥٨ مقالا  
فى الرد على الأستاذ سعيد الافغانى بعنوان " السلطان عبد الحميد  
طاغية وليس خليفة " للاستاذ عبد الله أحمد حسين يعتمد فيه على المراجع

التي روجت ما أدعته جمعية الاتحاد والترقي من بطش وظلم واستبداد عبـد الحميد علما بأن موقف هذه الجمعية من القومية العربية وقضاياها موقف لا تحسد عليه .

وينبغي لنا ان نقول : ان هذه الرسالة لم تضاف اى جديد فى موضوعها سوى انها وثيقة من السلطان عبد الحميد لاثبات دور اليهود فى الاحزاب والجمعيات التي كانت تشور على السلطان منادية بال دستور والحرية فى الظاهر وهى تسعى لهدم الخلافة العثمانية فى الباطن . حتى أتت شرارة الخلاف سافرة أمام رفض السلطان عبد الحميد الموافقة على اقامة الوطن القوي اليهودى فى فلسطين حيث قدم السلطان المؤمن عرشه ليكون الثمن ، وقد كان هذا معروفا بحقيقته لمثقفى الأمة العربية أمثال الأمير شكيب أرسلان والشيخ محمد عبده ورشيد رضا والشيخ يوسف النبهانى والمؤرخ الأستاذ محمد جميل بهيم وغيرهم من الذين بقى ولاؤهم للدولة العثمانية حتى اللحظة الأخيرة من حياتهم .

وما ان تسلم الاتحاد والترقى الحكم حتى أنطلقت القوائد والتأييدات ترحيبا بالاحرار والدستوريين او شماته فى السلطان عبد الحميد أو رثاء له .

هذا شوقى يقول فى قصيدته :-

سل يلد ز ذات القصور	هل جاءها نبأ البـدور
شيخ الملوك وان تضعف	فى الفؤاد وفى الضمير
نستغفر المولى لـ	والله يعفو عن كـثير

الى ان يقول :

عبد الحميد حساب مثلك	فى يد الملك الغفور
سدت الثلاثين الطوال	ولسن بالحكم القصير
تتهى وتامر ما بدالك	فى الكبير وفى الصغير
لا تستشير وفى الحمى	عدد الكواكب من مشير



ثم يشيد بالجيش فيقول :

يا أيها الجيش المذى	لا بالدعى ولا الفخـور
يخفى فان رجع الحمى	لفت البرية بالظهور
كالليث يسرف فى الفعل	وليس يسرف فى الزئير
فى مدح أنورك الجرىء	وفى نيازك الجسور
يا شوكت الاسلام بل	يا فاتح البلد المسير (١)

وهذا حافظ ابراهيم يرى السلطان فى قصيدة تفيض حزنا حيث يقول :

لا رعى الله عهدا من جدود	كيف أمسيت يا ابن عبد المجيد (٢)
فرح المسلمون قبل النصارى	فيك قبل الدروز قبل اليهود
شمتوا كلهم وليس من الهمة	أن يشمت الورى فى طريقـد
خالد أنت رغم أنف الليالى	فى كبار الرجال أهل الخلود

الى ان يقول :-

حاولوا طمس ما صنعت وودوا	لو يطيقون طمس خط الحديد
ولى الأمر ثلث قرن ينادى	باسم كل مسلم فى الوجـود
كلما قامت الصلاة دعا الدا	عى لعبد الحميد بالتأييد
فاسم هذا الأمير قد كان مقرو	ما باسم الرسول والتوحيد (٣)

ولكن حافظ ابراهيم سرعان ما انقلب الى الهجوم على السلطان عبد الحميد فى قصيدة ألقاها فى الأزبكية فى احتفال بعيد الدستور العثمانى وذلك بعد عزله بثلاثة شهور يوليو ١٩٠٩ .

(١) انور و نيازى وشوكت من كبار قادة الانقلاب الشوقيات ج ١ ص ١٣٦

(٢) الجندود جمع جند ( بفتح الجيم ) وهو الحظ

(٣) الديوان ج ٢ ص ٤٢

يقول :

ولم يخفن عن عبد الحميد دهاؤه  
ولم يخفه عن أعين الحق مخدع  
وأصبح في منقاه والجيش دونه  
يناديه صوت الحق ذق ما أذقتهم  
مضى عهد الاستبداد واندك صرحه  
ولا عصمت عبد الحميد تجاريسه  
ولا نفسق في الأرض جم ماسيسه  
يغالب ذكرى ملكه وتغالييسه  
فكل امرئ رهن بما هو كاسيسه  
(١)  
مات عقاربيسه

وهذا شعر يدل على نفاق الشاعر أو على جهله بحقائق الأمور . مع الأسف الشديد (١) .

وهذا الشاعر أحمد محرم يغلب الوفاء عليه في قصيدته ويرى الناس الذين تزلقوا لعبد الحميد بالأمس يأكلون لحمه اليوم فيقول :-

ثوى عائر الآمال يؤنسه الأسى  
كان جلال الملك لم يبد حوله  
كان رؤوس الصيد لم تك خشعا  
كان بنات الشعر لم تفش بابه  
وشوشه أوطاره ومآربيسه  
مهيبا ولم تضرب عليه مضاربيسه  
لدى بابه المرجو بالأمس حاجبيسه  
بمستحليات تزدهيها مناقبيسه

الى أن يقول :

أرى الناس من يقعد به الدهر ينقموا  
الم يك ظل الله في الامس بيننا  
أنظريه قهارا ونؤذيه مرهقا  
ألا راحم ؟ هل من شفيع ؟ أما كفى ؟  
أكان يريد السوء بالملك ؟ أم يسرى  
أكل مآتيه ذنوب ؟ أكليسه  
أكل ذوى التيجان بالعدل قائم ؟  
أليس الأولى غشوه أجدر بما لأذى  
عليه وان كانت قليلا معايبيسه  
نلوذ به والخطب ضحك مذاهبيسه  
كفى الليث شرا أن تخل مخالبيسه  
أكل بنى الدنيا عدو يفاضيبيسه  
مسرته في أن ترن نوادييسه  
عيوب ؟ ألا من منصف ان نحاسبه  
أما فيهم من لا تعد مثالييسه  
وأولا هم بالشر من هو جالبيسه

وأما ولي الدين يكن وهو من حزب الاتحاد والترقي ، فقد حمل حملة شعواء على السلطان عبد الحميد ولا يرى له أى حسنة وقد نقض قصيدة شوقي = الرائية السابقة - على نفس الوزن والقافية معتقدا أن كل حسنة ذكرها شوقي للسلطان عبد الحميد ، هي في الحقيقة سيئة يقسول :

هاجتك خالية القصور	وشجتك آفلة البصور
وذكرت سكان الحمى	ونسيت سكان القبور
وبكيت بالدمع الفزير	لباعث الدمع الفزير
ولوا هب المال الكثير	وناهب المال الكثير
حاشى الثغور الباسمات	مضيق أهلة الثغور <sup>(١)</sup>
أهدى الفتور لقلبه	ما باللواحظ من فتور
والجند عارية من	كبها مقصة الظهور
قص البطون من الطوى	دقت فعادت كالسيور <sup>(٢)</sup>
باتت على خشن الثرى	من بعد مضجعتها الوثير
كانت زهور شيبية	لهفى على تلك الزهور
كم خلفها من صبية	تبت ومن شيخ كسير
يتربصون بأبها	ان المآب الى النشور
من كان يستحلى الشرور	يموت من تلك الشرور
لما أدبل من السور	بكاه عبدا السور
نذروا النذور لموده	هيها تيرجع بالنذور
أسفوا عليه وانما	أسفوا على المال الدير <sup>(٣)</sup>
طلبوا له عفو الغفور	وشمد عن عفو الغفور
قلص ظلالك راحلا	ودع البرية فى المهجير

- 
- (١) الثغور الاولى اقواء الحسان والثانية البلاد التى على الحدود  
 (٢) السيور جمع سوير وهو الذى يقدر من الجلد .  
 (٣) الدير المكتنز الخلق المقتدر او السريع من الدواب والمقصود هذا المال  
 الدير اي الكثير .

أما الشيخ يوسف النبهاني فلم أجد له قصيدة في هذا الغرض لضياح جميع شعره الذي قاله في غير الأغراض الدينية البحتة - إلا القليل - لأنه أوصى باتلافه أيضا - والذي نراه أنه لا بد أن يكون قد نظم عينا في هذا الشأن لأنه بفضل حبه للسلطان عبد الحميد وولائه له أصبح رئيس محكمة الحقوق في بيروت وهو الذي يقول في قصيدة يمدح بها أحمد عزت باشا العابد بعنوان " عنوان التهانى ببلوغ الأمانى " قال في أولها " وهى قصيدة فريدة في التهنية بتوجيه رتبة الوزارة السامية من لدن مكارم سيدنا ومولانا وولى نعمتنا السلطان الأعظم والخاقان الأكرم ، امير المؤمنين وحامى حى الدين المبين حضرة السلطان الفازى عبد الحميد خان اطل الله عمره وخذ تأييده ونصره الى أبلغ كتابه الصادقين وصدق اقربائه المقربين الوزير الجليل الأصيل النبيل عابد زاده حضرة د ولتو أحمد عزت باشا الكاتب الثانى للحضرة العلية السلطانية وأحد اقربائهما الكرام وفخر البلاد الشامية وخصوصا مسقط رأسه دمشق الشام .

والقصيدة تبلغ خمسة ومائة بيت ومن الأبيات التى ذكر فيها السلطان عبد الحميد قوله :

جل المليك الذى أولاه نعمتها	وزاده الله تنويلا وتنويرا
ويلغ الدولة العليا سيدنا	عبد الحميد بها أقصى أمانيهما
هدية من عظيم القدر قد عظمت	ان الهدايا على مقدار مهديها
لله در أمير المؤمنين فقد	هيا السهام وأعطى القوس باريهما
تعجب الناس من حب المليك له	لغاية مالها مثل يساويهما
فقلت لا تعجبوا ان المليك له	عقل يعادل دنيانا وأهليهما (١)

ومما يؤكد لى أن الشيخ النبهاني كان وفيا في ولاءه للسلطان عبد الحميد اننى عثرت له على قصيدة يمدح بها أبا الهدى الصيادى وفيها يذم الترك ذمنا شنيعا ويتمهم بالكفر والعداء للحرب ما يدل على أن المقصود هو حزب الاتحاد والترقى الذى ربما يكون قد أخرج الحملة عليه لاعتقاده أن عطية عزل السلطان عبد الحميد ومجىء أخيه محمد رشاد ليست أكثر من عملية داخلية وأن الأوضاع والمفاهيم العثمانية السابقة لم تتغير ولكن يبد وأن زار الآستانة فوجد أن الأمور

(١) قصيدة عنوان التهانى ببلوغ الأمانى للشيخ يوسف النبهانى

قد تغيرت كلياً ولم يعد للسلطان محمد رشاد هبة وصوله أخيه عبد الحميد فقال معرضاً بالترك أى الاتحاد والترقى - فى أثناء مدحه لأبى الهدي الصيادى وكان هجاءه الشنيع للاتحاد والترقى هو فى حقيقة مدحا لأبى الهدي الصيادى الذى أودى ونفى بعد خلق السلطان عبد الحميد يقول الشيخ النبهانى من قصيدة مطلعها :-

تذكر دهرنا بالحقيق تصرماً  
وهبت عليه من ربا الشام نسمة  
فواصل سفح الدمع فى خد، دما  
فكاد يفيض النفس لما تنسماً

الى ان يقول :

ويمت دار الملك احسب انها  
فالفيتها قد أقفرت من ربوعها  
حوت قوم سوء اسلموا أى نفوسهم  
والفيت فيها أمة عريضة  
وما نقموا منا بنى العرب خصلة  
ولكن حجاب الحقد أعمى قلوبهم  
بنى اللؤم انى ما تكلمت هاجباً  
ولو لم يكن قصدى مدح أبى الهدي  
فانى على رأى لزوم هجاءكم

الى الآن لم تبج الى المجد سلماً  
ولم يبق فيها الفضل الا توهماً (١)  
الى الكفر الا من له الله سلماً (٢)  
يرى القوم منها أمه الزنج أكرماً  
سوى أن خيز الخلق لم يك أعجماً  
فلم ينظرونا من وراء حجب العمى  
ولكن قلبى من جفاكم تكلماً  
لجرعتكم لو ذقتم الهجو علقماً  
أرى المدح فى فرع النبوة الزاماً (٣)

كل هذا يجعلنى أجزم بوجود قصيدة للشيخ النبهانى توضح موقفه من خلق السلطان عبد الحميد .

(١) إشارة الى السلطان عبد الحميد وانصاره

(٢) إشارة الى حزب الاتحاد والترقى .

(٣) فرع النبوة : ( ابو الهدي الصيادى لانه من الصرة النبوية الطاهرة )

وسوف نذكر القصيدة بتمامها عند الكلام على اغراضه الشعرية الفصل الثانى

الباب الثالث .

وأخيرا يتضح أن شخصية السلطان عبد الحميد لم تتم دراستها على حقيقتها (١) حتى الآن ذلك أن الدعاية المضادة التي يشهها حزب الاتحاد والترقي والجهات الأخرى لأهداف دينية وسياسية صورت السلطان عبد الحميد بالطاغية وصاحب المفذات بالإضافة إلى أن المصادر الأصلية لدراسته قد ملكها الاتحاديون فزيفوها أو أتلفوها وما كان منها ففى البلاد العثمانية قد استولى عليها الاستعمار البريطاني أو الفرنسي أو الإيطالى الحاكم الجديد ونقلها إلى جامعاته ومعاهده .

أما عن الدعايات المضادة فيقول الجنرال جواد رفعت أتلخان " . . . . . " وأدى هذا الرفض - إقامة الوطن القوي اليهودى فى فلسطين - إلى إثارة دعاية يهودية عالمية ضد الطبقة الحاكمة فى الدولة العثمانية متخذة من الافتراءات والأكاذيب سلاحا لها وكانت هذه الأكاذيب والافتراءات من القوة بحيث لا يمكن للإنسان أن يقف أمام تيارها الجارف . . . . . وكانت تتضمن أمثال هذه الكلمات " لا حرية فى الدولة العثمانية " " الاستبداد يخلع عليها " " السلطان يفتك بالعناصر المثقفة ويرميهم من نوافذ القصر إلى البحر " .

يقول الجنرال جواد رفعت أتلخان وهو أحد أبطال الجيش التركى فى حرب البلقان والقرم " . . . . . وفى الواقع أن جمعية الاتحاد والترقى التى خلعت السلطان عبد الحميد عن عرشه هى التى أقامت الاستبداد بعد ذلك وشهدت البلاد من المأسى ما لم تشهده خلال ثلاثة وثلاثين سنة من حكم السلطان ولفظ مواطنون مخلصون كثيرون أنفاسهم الأخيرة على أعوان الدشائى التى نصبت فى مختلف أنحاء البلاد. أما المصيبة الحقيقية الكبرى فهى وقوع إدارة الحاكم تحسب تأثير النفوذ الماسونى اليهودى وكأن الأرض قد انشقت مرة واحدة عن مستعمرات يهودية ذوات أبنية شاهقة من مناطق حيفه وبافه والرملة والكرمل وهكذا نسرى أن اسس اسراييل قد أرسيت بأيدينا وأن طلعت باشا ( مأمور البريد السابق )

---

(١) راجع كتاب الاتجاهات الوطنية فى الأدب المعاصر

ج ٢ ص ٩٦ - ٩٧ - المباشى .

رئيس وزراء الحكومة العثمانية المسكين لم يكن على علم بخفايا الأمور لانه كبقية  
الفاقلين كان قد صدق المزاعم الماسونية التي تتفنن بالحرية والمساواة والاخاء  
البشرى والسلام العالمى ، ولقد انتهزت الدولة العثمانية ولفظ طلعت أنفاسه  
الاخيرة غريبا فى بلاد أجنبية بوصاص الماسونية اليهودية (١) .

هذا وقد أشارت المجلة الانجليزية التي نشرت نص رسالة السلطان عبد  
الحميد الى شيخه أين الشامات أشارت الى مصادر دراسة السلطان عبد الحميد  
وما دار حولها من شبهات .

---

(١) أسرار الماسونية ص ٥٨ - ٦٠ .

وأخيرا يقول الأستاذ محمد الفرحاني :

" وليس أبلغ مارش به السلطان عبد الحميد مما رواه المجاهد التركي المغفور له جواد رفعت اتلخان من انه بعد اندحار الجيوش العثمانية في كافة الجبهات وانفراط جمعية الاتحاد والترقي زار القائد جمال باشا أنور باشا في داره الكائنة في أورطة كوي في استانبول - وكان جميع رفاقه قد هربوا - وتذكرا معا في الهزائم وحللا أسباب هذه الاندحارات فقال وزير حرية الاتحاديين - أنور باشا - وقائد جيوشهم موجهها كلامه الى زائريه " أتصرفون ما هو ذنبنا الحقيقي ؟ لقد كان ذنبنا أننا لم نقدّر السلطان عبد الحميد حق قدره فأصبحنا آلة بيد الصهيونية واستثمرتنا الماسونية . . . هذا فظيع جدا ولكنه في الواقع مع كل أسف كنا الحقبة في أيدي اليهودية العالمية " (١) .

#### الحركة العربية الحديثة :

عندما بعثت الرسول صلى الله عليه وسلم الى كافة الشعوب وهو آخر الرسل كان من الطبيعي ألا يفاضل بينها الا بمقدار ما تستجيب لهذه الدعوة متمثلة لها بأفعالها وأقوالها والآيات والأحاديث في هذا الخصوص كثيرة منها قوله تعالى " أن أكرمكم عند الله أتقاكم " (٢) وقد كانت الشعوب راضية بتساويها أمام هذا الدين ولما بدأت السياسة العربية تظهر واضحة في أواخر العصر الأموي وقف الفرس الى جانب العباسيين للإطاحة بالأمويين وأخذت الشعوبية تظهر بشكل واضح على لسان شعرائها وأدبائها ممجدة لشعوبها في الظاهر نابذة للاسلام في الباطن (٣) .

وقد كان الفرس يطلقون لفظ العرب على كل من يدخل الاسلام منهم .

---

(١) الحرب الصليبية الاوروبية التاسعة ص ١٢٠

(٢) سورة الحجرات آية ١٣

(٣) راجع مجلة العربي عدد ٥٤ ص ٩٨ - ١٠٠ مقال بقلم انعام الجندى بعنوان شعوبية ابن المقفع .



يقول الدكتور عبد العزيز الدورى " ان الفتوحات نشرت السيادة للمرب وفتحت أبواب المعمورة أمام التدفق العربى ولم تكن الشعوب المغلوبة تميز فى البدء بين العروبة والاسلام فى هذا التوسع بل بقى المفهوم مترادفين لديها خلال القرنين الأولين حتى ان الداخلين فى الاسلام من الشعوب الأخرى اعتبروا ( عربا ) فى نظر من بقى على دينه منهم ويبدو أن العرب أنفسهم كانت لديهم أولدى أكثرهم مثل هذه النظرة (١) .

كما أورد الطبرى أن " أشروس بن عبد الله السامى - أمير خراسان وما وراء النهر - وعد باعفاء من يسلم من الضريبة فأقبل الكثيرون على دخول الاسلام فشكا دهاقين بخارى الى الأمير فقال " ممن نأخذ الخراج وقد صار الناس كلهم عربا (٢) " .

من هذا نفهم أن المفهوم الأول للعروبة والاسلام شىء واحد . فمن أسلم من غير العرب فهو فى طريقه لأن يصبح عربيا بقراءة القرآن والعلوم الاسلامية المكتوبة بلغة العرب وفى العصر الحديث انضم العرب للحكم العثمانى ولم يروا غضاضة فى ذلك لأن السلاطين العثمانيين لم يفرقوا بين رعاياهم خصوصا العرب الذين هم معدن الاسلام الذى باسمه تخضع الشعوب الاسلامية للسلطنة العثمانية وقد كان العرب يتميزون بنوع من التقديس والاحترام لدى السلاطين وقد لاحظنا ذلك لدى السلطان عبد الحميد كما أن العرب كانوا يفاخرون بأنهم عثمانيون كما أنهم عرب .

وقد تبدلت الأمور منذ أن بدأ الترك يفاخرون بطورانياتهم حيث استيقظ العرب يفاخرون بمجدهم القديم وأن الرسول صلى الله عليه وسلم عربى والقرآن الكريم

(١) كلمة اعتبروا خطأ شائع بالمعنى المراد منها والصواب : عدوا . د . عبد السلام سرحان

(٢) الجذور التاريخية للقومية العربية ص ١٧ .

(٣) تاريخ الطبرى ج ٥ ص ٣٩٨ راجع ايضا حول الحركة العربية الحديثة

للاستاذ محمد عزة دروزة ج ١ ص ١١ - ١٤ .

بلغه العرب اذن لا يفضلهم غيرهم من الشعوب \* وقد كانت هذه بداية  
الوعي العربى الذى عرف فيما بعد بالوعي القومى •

أما الدعوة الطورانية التى أعلنها حزب الاتحاد والترقى - بعد أن أطماع  
بالسلطان عبد الحميد - فقد كان مدعوا من قبل الماسونية اليهودية المهادفة  
الى تثبيت دولة الخلافة العثمانية عن طريق إثارة القومية الطورانية مما يؤدى الى  
ثورة القوميات الأخرى التى لم يعد شىء يربطها بدولة الخلافة بعد ان أعلنت  
انحيازها لأصلها الطورانى وتميزها عن شعوبها •

ومن جهة أخرى أخذت الدول الأوروبية تساعد هذه القوميات على الاستقلال  
لإضعاف الدولة العثمانية تمهيدا لالتفيط أطماعها فى الاستيلاء على اجزاء منها  
مدفوعة بدوافع نفسية صليبية أظهرها قوادها العسكريون عندما دخلوا القدس  
ودمشق •

هذا وقد ظهرت الروح القومية فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر تقريبا  
وقد كانت تتخذ شكل الضاداة بالاصلاحات الداخلية أو الحكم اللامركزى ضمن  
الاطار العثمانى العام ولم يكن أحد يجاهر بالانفصال عن دولة الخلافة قبيل  
اعلان سياسة التتريك من قبل حزب الاتحاد والترقى مما أدى الى نشوء ( الحزب  
الاقتلافى ) مكونا من العناصر غير التركية ومنهم العرب وانضم اليهم بعض المسترک  
من خصوم الاتحاديين (١) فتولدت لدى السلطنة العثمانية مشكلتان الأولى هى  
ثورة العناصر العثمانية مطالبة باستقلالها مثل الكرد والالبان والعرب والعناصر  
المسيحية من البلغار والارمن واليونان كما قامت النمسة وأحتلت الهرسك والبوسنة  
واحتلت اليونان جزيرة كريت واحتلت ايطالية ليبيا وأطلقت يد فرنسا فى مراكش  
بعد ارضاء المانية بأعطائها بلادا أخرى فى افريقية (٢)

(١) قوافل العربوة ومواكبها محمد جليل بيهم ص ٢٠ - ٢١ ج ٢

(٢) فلسفة التاريخ العثمانى ج ٢ ص ١٨٩ يقول الاستاذ بيهم فى مقابلة أجريتها  
معه فى بيته فى ١٥/١/١٩٧٥ \* أنشئت القومية العربية للتفريق بين  
العرب والأتراك وكانوا يسكنون كل السبل الى الهدف لإنهاء التفريق بين  
العناصر العثمانية والأتراك الحاكمين وقد كان هذا مسهلا للدعايات  
الاجنبية التى كانت تدعو بصورة سرية للتفريق بين العناصر العثمانية •

### المشكلة الثانية :

على شروع الاتحاديين في العمل على جمع شمل الأتراك حولهم حيث كانوا في روسية وبلغاريا والمجر وبulgaria وغيرها فأناروا بذلك حقائق الدول ذات الخلافة بالموضوع، وقد ساعدت هذه المشاكل الحزب الائتلافي لاستلام مقاليد الحكم ومهد إلى كامل باشا تأليف الوزارة وهو من رجال السلطان عبد الحميد غير أن هذا العهد كان قصيرا إذ سرعان ما أسقطت الحكومة الائتلافية وأبعد الضباط العرب عن البلاد العربية وتدخلوا في انتخاب المجلس النيابي سنة ١٩١٣ حيث لم يتمكنوا العرب من إرسال أكثر من خمسين نائبا بدلا من سبعين ومنذ هذه اللحظة أصبح العرب يطلبون الاستقلال التام بعد أن كانوا يطلبون الإصلاح واللامركزية ضمن نطاق السلطنة (١) .

وتولد فراغ لظهور الحركة العربية الاستقلالية لمثلها ولكن سرعان ما نشبت الحرب العالمية الأولى فوجد الاتحاديون دولتهم بحاجة إلى رعاياها من كل الشعوب فأخذوا ينادون بالخلافة الإسلامية والجهاد المقدس وأخذت جريدة الشرق التي تصدر في دمشق وهي لسان حالهم في البلاد العربية تنشر لجمال باشا قائد الجيش الرابع في الشام أقواله التي يصحح بها أن لا فرق في نظر الاسلام بين تركي وكردى وعربى وتلج بأستقلال الشرق (٢) ولكن هذه الدعوة لم تلق صدق لدى المسلمين لأن تركية كانت تحارب إلى جانب ألمانيا وربما لأن خلع السلطان عبد الحميد ترك مكانه شاغرا في قلوب المسلمين الذين استطاع أن يستلمهم مشاعرهم نحو الجامعة الإسلامية .

كان النصر في سنى الحرب الأولى إلى جانب ألمانيا وتركية فأيقن الاتحاديون أن النصر النهائي سيكون من نصيبهم فكشفوا عن دخالهم وإذا بجمال باشا ينقلب على العرب انقلاب غيره من الولاة والقادة على بقية الرعايا في الولايات

(١) قوافل العروبة ومواكبها ج ٢ ص ٢٢ .

(٢) قوافل العروبة ومواكبها خلال الحصار ج ٢ ص ٢٥ .

الآخري وإذا بالحكومة الاتحادية تستأنف نشاطها أيضا في الدعوة الطورانية (١) بشكل جدى ولكن الكلمة الأخيرة كانت للحرب حتى إذا خسرت تركيا الحرب خسرت كل شيء \* واحتلت الآستانة من قبل الانجليز عام ١٩١٨ •

وليكن معلوما أننا إذا كنا قد بدأنا الكلام عن الحركات العربية الحديثة منذ سقوط عبد الحميد وإعلان سياسة التتريك من قبل الاتحاديين فنحن لا ننكر وجود أوليات لهذه الحركة كما لا يحقل أن تكون قد انطلقت من الصفر بل كان لهذه الحركة جذور غدتها وساعدت على تكوينها فأتخذت طابع ( الوعى ) و " التنبيه " فمذ القرن الثامن عشر اتخذت اتجاهها اسلاميا ينادى باصلاح المجتمع وبالمودة الى الاسلام وقد تمثل هذا الاتجاه في الدعوة الوهابية وفى القرن التاسع عشر أخذت مظهر " التجديد " وذلك بتوضيح الاسلام بروح عصرية والاستفادة من المدنية الغربية وبالتالي اتخذت طابع الحركة القومية المعروفة •

وكانت حركة الشيخ محمد عبده اصلاحية تدعو الى استعمال الاجتهاد والفكر مع التأكيد على التراث (٢) وقد كان الاهتمام باللغة العربية الفصحى ظاهرا في هذه الاتجاه فابن تيمية (٣) قد يما دعا لجلل العربية لغة المسلمين ويرى في تعدد اللغات كوجعا ومحمد عبده حديثا دافع عن العربية الفصحى فى اللهجات المحلية وضد توسع اللغات الأجنبية • وأكدت هذه الحركة على

---

(١) يقول الاستاذ المؤرخ محمد عزة دوزة في مقابلة معه في بيته في دمشق في ١٥ / ١٢ / ١٩٢٤ \* وما كان السلطان عبد الحميد يفرق بين العرب والأتراك فالظلم عام والجهل عام والأتراك خلافا للفرس لم يكن لهم فكرة تهديم العرب ولا تهديم الاسلام تسلطهم ليس كتسلط الفرس سلوك الأتراك مع العرب سلوك اصدقاء وسلوك الفرس سلوك اعداء •

(٢) يقول فيليب حتى في كتابه تاريخ العرب مطول \* ... وكان محمد عبده لا يرى تناقضا أساسيا بين الاسلام والعلم الحديث ولقد فسر بعض الايات تفسيراً عقليا وأدرك قصور المدرسة الاسلامية ... وقد ساهم كلاهما محمد عبده والافغانى اكثر من اى كاتب عصرى في تمزيق ثوب المحافظه والرجعية الذى التف به الاسلام منذ العصور الوسطى وهو اول من هاجم بعنف تعدد الزوجات والطلاق والحجاب ص ٨٨٧ - ٨٨٨ •

(٣) الصراع بين الموالى والعرب محمد بديع شريف ص ١٢٢ - ١٤٥ •

العرب في التاريخ ودعت الى تجديده - محمد عبده ورشيد رضا لاحظا أن العرب هم الشعب البارز بين الشعوب الاسلامية لذا هم أفضل هذه الشعوب للقيادة ولاعادة الاسلام لمكانته فالتنهضة العربية ضرورة لتنهضة الاسلام .

X ويأتى دور الكواكبي في إبراز دور العرب التاريخي في المدنية ومركزهم على عرب الجزيرة بالذات فهم " أعرق الأمم في أصول الشورى وفي الشئون العمومية " وهم الوسيلة الوحيدة لجمع الكلمة الدينية بل الكلمة الشرقية " كما دعا السى شهبه اجتماعية سياسية وحمل حملة شعواء على ظلم العثمانيين ودعا الى خلافة عربية (١) .

ويتخذ الكواكبي في دعوته نبرة " قومية " مبكرة حين يقول " أيها العرب المسلمون ان أنكر المنكرات بعد الكفر هو الظلم فانهو عن المنكر ان كنتم مؤمنين وانتم ايها العرب من غير المسلمين ادعوكم الى تناسي الاحقاد وأجلكم عن الاتهتدوا الى وسائل الاتحاد وانتم المتورون السابقون ، فهذه أم أميركا قد هداهم العلم للاتحاد الوطنى دارن الدينى فما بالنا نحن لا نفكر فى ان نتبع احدى تلك الطرائق فيقول علماءنا لميرى الشحنا من الاعاجم والأجانب بيننا ، دعونا يا هؤلاء نحن ندير شأننا دعونا نجتمع على كلمة سواء الا وهى فلتحى الأمة فليحى الوطن ولتحى طلقاء اعزة " وهو يجاهر بالاستقلال اللامركزى فى قوله " من أهم الضروريات أن يحصل كل قوم من أهالى تركية على استقلال نوعى اداى يناسب عاداتهم وطباع بلادهم " .

وفى أقوال الكواكبي دلالة على تدخل الأجانب فى شئون العرب الداخلية وفيها أيضا تمهيد للدعوات اللامركزية ثم الاستقلالية عن الدولة العثمانية " (٢) . كل هذا كان وعيا عربيا خالصا وجاءت حملة نابليون فى النصف الاول من القرن التاسع عشر تحمّل معها الفارق الحضارى بين أوروبا الحديثة والشرق - العرب -

(١) كتاب ام القرى للكواكبي ص ٢١٩ ، ٢٢٢ ، ٢٢٨

(٢) طبائع الاستبداد للكواكبي نقلا عن الجذور التاريخية للقومية العربية

المتأخر أضف إليها الارشادات التبشيرية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر كل هذا أدى الى تغلغل الأفكار والمبادئ الغربية وبالتالي فرضت السيطرة الغربية فرضاً وفي هذا تبدد المفارقة بين الوعي العربي والوعي القومي ثم الحركة القومية (١) .

يقول الدكتور فيليب حتى " كان في حياة الشعوب العربية في هذا الزمن شيء من التناقض الظاهر فقد كانوا يصدون تدخل الأوربيين في شئون بلادهم بيد ويتقبلون الأفكار الجديدة الكثيرة التي استوردوها في أوروبا فكرتا القومية العربية والديمقراطية السياسية (٢) .

ويقول الاستاذ محمد جميل بيهم في مقابلة معه في ١٥/١/١٩٧٥ " . . . الدول الأجنبية بوساطة مؤسساتها اسهمت في انشاء القومية العربية (٣) .

ويقول الدكتور فيليب حتى " وقد بدأت حركة القومية العربية اول الامر كحركة (٤) فكرية صرفة وكان دعائها الاول بالاكثريين السوريين وبنوع خاص اللبنانيين المسيحيين الذين تعلموا في جامعة بيروت الاميريكية وعملوا في مصر (٥) .

هكذا نشأت الحركة القومية بجذور ثقافية وطابع ثقافي متميز ثم اتجهت الى ناحية سياسية كانت البدايات في الانتباه الى الارث الثقافي والاعتزاز بدور العرب الحضاري وفي التركيز على اللغة العربية فقد كان للمطابع الموجودة في سورية ومصر دورا ايجابيا في نشر بعض كتب التراث كما ان دور الثقافة واللغة العربية كبير في تكوين الأمة وفي تراثها تجد شخصيتها التاريخية . وقد تمثل النشاط الثقافي في الجمعيات الأولى التي تأسست في البلاد العربية كالجمعية العلمية السورية التي تأسست في بيروت سنة ١٨٥٧ والحلقة الثقافية في دمشق حول الشيخ طاهر الجزائري في أواخر القرن التاسع عشر وأشهرت في جمعية النهضة العربية ١٩٠٦ كل هذه جمعيات ثقافية في أساسها ثم ثقافية سياسية فقد ضمت الجمعية العلمية السورية أعضاءها من مختلف الطوائف الدينية (٦) .

(١) راجع كتاب حول الحركة العربية الحديثة محمد عزة دروزة ج ١ ص ٥ - ٨

فقد القى اضاءاً على هذه الفكرة .

(٢) تاريخ العرب مطول ص ٨٨٧ .

(٣) راجع ايضا كتاب حول الحركة العربية الحديثة ج ١ ص ٤ - ٥ فيه توضيح ورمط بين الحركة القومية العربية والتركية والاوروبية .

(٤) كحركة تعبير عن الخطأ الشائع - لان الشيء لا نسبه بنفسه والصواب من حيث لا سرحان

(٥) تاريخ العرب مطول ص ٨٨٩ (٦) القومية العربية مصطفى الشهابي ص ٤٦ - ٤٧

وكانت حلقات دمشق تدعو الى دراسة تاريخ العرب وقواعد العربية وآدابها وكذلك النهضة السورية أولت هذا الاهتمام الثقافي نفسه لفهضتها مع إثارة الهم لتحرير الامة العربية ومن أوليات فكرة الخلافة العربية ما صرح به أحد أقطاب - جمعية النهضة العربية - الأستاذ محب الدين الخطيب - أن يقول " ليس بين الاتراك فيما أحسب من لا يعلم أن الامة التركية ما عجلت الاعلى آثار الامة العربية وما شيدت من دعائم ملكها وما وطدت من أسسها الاعلى أنقاضها وهم يخشون أن تسرى فكرة الخلافة العربية فتتسرب في فكر الكبير والصغير ومن ثم تقوم الامور بعضها على بعض وهناك الطامة الكبرى (١) وفي هذا تحول في أغراض الجمعيات الثقافية الى أغراض وأهداف سياسية وكان التأكيد على اللغة العربية من أهم مطالب هذه الجمعيات لمواجهة انتشار الارشاليات التي كلفت الاتدخر جهدا في تعليم اللغات الاجنبية وبعد سياسة التتريك زاد التأكيد على أهمية اللغة العربية قوميا حيث يقول أحد أعضاء جمعية النهضة العربية " ولقد ثبت بالاختبار أن الرجل اذا أخذ بنصيب من العلم بغير لغته لامته لا يرجى منه في الاعم الاغلب من أحواله - أي خير لقومه ولا يدع فالفلسفة من الذرائع الكافية لتقويم الحياة القومية " ويقول أيضا " وبعد : فإن العناية بغير لغتنا والاضراب عن لغة آبائنا هو الذي سبب لنا هذا العجز الكبير في ميزان التقدم وأن هو النتيجة سوء التربية والتعليم (٢) وكان التأكيد على الدور التاريخي للعرب من أهم مظاهر الوعي القومي خصوصا في الحقبة التي بين ظهور الاسلام وسقوط بغداد وقد كان للفوضى والتأخر في الدولة العثمانية السلطان عبد الحميد اتجاه هذه الجمعيات (٣) ثم الموجات القومية الهادفة للنيل من رسالة العرب القومية وتدخل الدول الغربية في الشؤون العربية كل هذا كان له أثر في تعميق الوعي القومي • وبهذا أن السلطان عبد الحميد بذكائه ودهائه شعر بقوة هذا الوعي فأخذ يقرب العناصر العربية ويوليها المناصب الهامة في الدولة في محاولة لصد هذا الشعور ولأن العرب أقوى عناصر الدولة العثمانية من جهة الخلافة الاسلامية •

( ١ ) محب الدين الخطيب - الدكتور صلاح الدين القاسمي ص ٧٤

( ٢ ) محب الدين الخطيب الدكتور صلاح القاسمي ص ٤٥ - ٤٦ •

( ٣ ) راجع فلسفة التاريخ العثماني محمد بيهم ص ١٧٢ ج ٢ •

وقد تجلت الدعوة القومية الانفصالية في أجلى صورها في المنشور السندي أصدرته الجمعية الوطنية السورية في باريس سنة ١٩٠٥ موجهة الى الدول العظمى جاء فيه " أن العرب الذين تحكم فيهم الاتراك بتفريقهم على مسائل ثانوية تتصل بالمقيدة والشوائر أصبحوا داعين لوحدهم القومية والتاريخية والعنصرية يرغبون في الانفصال عن الشجرة العثمانية النخرة وأقامة دولة مستقلة لانفسهم وستتمدد حدود هذه الامبراطورية العربية الجديدة الى حدودها الطبيعية من وادي - دجلة والفرات الى قناة السويس ومن البحر الابيض المتوسط الى بحر عمان وستحكمها حكومة دستورية تحرة على رأسها سلطان عربي (١) .

وأخيرا نجح حزب الاتحاد والترقي - وكان من أعضائه بعض دعاة الاصلاح من العرب (٢) - في التخلص من السلطان عبد الحميد وأعيد إعلان الدستور وتوهم العرب أن عهد الحرية والأردهار تحت الراية العثمانية قد جاء واعتقدوا أن الوقت حان ليحقق العرب ذاتهم ويرفعوا كيانهم (٣) في حين أن الدستور يفرض صهر العناصر المختلفة في بوتقة عثمانية لغتها التركية وهذا يهدم الكيان الثقافي والقومي (٤) .

ولذلك جوبهت الحركة القومية بتحد وأصوار خصوصا بعد خلع السلطان عبد الحميد وسيطرة الاتحاديين سيطرة مطلقة مما أدى الى أن تعمل بعض الجمعيات جمهرا وهي معتدلة وبعضها تحمل سرا وهي أقرب للتعبير عن النوايا الحقيقية فمن الجمعيات النائية بعد إعلان الدستور جمعية المنتدى الادبي في الاستانة (١) الناشئة وحزب اللامركزية الادارية العثمانية شكلته الجالية السورية في مصر ١٩١٢ وقامت

جمعية بيروت الاصلاحية في أواخر سنة ١٩١٢ . هذه الجمعيات علنية كانت تنادي باللامركزية وعدم الانفصال عن الدولة العثمانية . أما الجمعيات السرية أهمها الجمعية القسطنطينية تأسست في الاستانة سنة ١٩١٥ والجمعية العربية الفتاة ١٩٠٩ وتأسست جمعية العهد سنة ١٩١٣ وهي جمعية عسكرية وكانت تنادي بالاستقلال التام والعمل على الوصول باللغة العربية الى مصافى الامم المتقدمة وكان رأى - الجمعيات السرية هو الرأى السائد للعرب وقت الحرب .

ثم دعت الجمعية العربية الفتاة الى عقد مؤتمر وجهة الهيئة التحضيرية للمؤتمر منشورا جاء فيه " دعوة الى أبناء الامة العربية المنتشرة في اقطار الارض تحت كلمة التضامن الاجتماعى والسياسى لهذه الامة حيث نبسط للامم الاوربية أننا أمة متمسكة ذات وجود لا ينحل ومقام عزيز لا ينال وخصائص قومية لا تنزع . . . ونصاح الدولة العثمانية بأن اللامركزية قاعدة حياتنا (٥) وكانت الاستجابة سريعة وعقد المؤتمر العربى الاول في ١٨ حزيران ١٩١٣ .

- (١) الجذور التاريخية للقومية العربية ص ٧٠ (٢) راجع مجلة المنار ج ٢ ص ٩١٣ - ٩١٩  
(٣) محب الدين الخطيب ص ٣٦ - ٤٠ (٤) التوحيد السياسى للفكرة العربية - الحديثة محمد رفعت ص ٩٤ (٥) راجع كتاب الوحدة العربية محمد عز د روزرة ص ١١٩ القومية العربية للشهاى ص ٧٠ - ٧١ الثورة العربية الكبرى أمين سعيد ج ١ ص ٨ - ٩  
(٦) كتاب (المؤتمر العربى الاول) ص ٩ - ١٠ القاهرة ١٩١٣ (٧) المصدر السابق .



وكان في قراءه تأكيد لحقوق العرب السياسية واسهاماتهم الفعالة في ادارة الامبراطورية والنص على جعل اللغة العربية اللغة الرسمية في البلاد . وفي محاضر جلسات المؤتمر تظهر لنا القومية العربية بخصائصها المميزة .

قال عبد النسي العربي " ان العرب تجمعهم وحدة لغة و وحدة عنصر ووحدة تاريخ ووحدة عادات ووحدة مطمح سياسي (١) وهنا نلاحظ استبعاد العقيدة والدين من حيث هو رابطة قوية عربية واسلامية .

قال الشيخ عبد الحميد الزهراوي رئيس المؤتمر حين سأله مراسل الطان الفرنسية فقال " هل انتم تريدون الوحدة العثمانية لأجل الرابطة الدينية ؟ فأجاب " أن ، الرابطة الدينية قد عجزت عن ايجاد الوحدة السياسية . . . فنحن لا نتمسك بالوحدة السياسية لأجل الرابطة الدينية بل رغبة منا في ايجاد مجموع عثماني قوى يرتقى فيه مجموعنا العربي بدون حائل في طريقة وأما في قيام حكومة رشيدة تكون لنا مشاركة في أمورها (٢) ثم جرت مفاوضات مع الاتحاديين وعود بالاستجابة لأهم المطالب ثم سوفوا والتزموا بقدر رضيل منها ثم أعقبه اضطهاد صار لكل القوميين كل حين . . . أدى الى صقل الفكرة الاستقلالية واتخاذ الحركة القومية طابعا استقلاليا تحريريا . كل هذه كانت ارهاصات (٣) تهيب " لثورة عربية فكانت ثورة الشريف حسين التجسيد العلني لأماليها ونواياها فلما أن أصبحت تركية شريكا في الحرب الى جانب المانية ضد الحلفاء حتى أوقف الوطنيون العرب كل نشاط لهم ضدها .

يقول الاستاذ محمد رفعت " اما الوطنيون العرب فقد استلهموا موقفهم عند نشوب الحرب من صادق وطنيتهم وما كنت تملية عليهم الحكمة السياسية والظروف الدولية . وكان أول استجابة منهم لنداء الوطنية أن أوقفوا نشاطهم السياسي ضد تركية ما دام الاتراك يحاربون ضد العرب والاستعمار وذلك الى أن يستبين لهم الطريق السوي واكثر من ذلك أن جميعياتهم السرية قد اخطرت اعضاءها عند اندلاع نيران الحرب بأن عليهم أن يعاونوا تركية في محنتها ضد العرب (٤) . وهو الموقف نفسه الذي وقفه الشريف حسين أيضا فهو على رغم من سوء العلاقة بينه وبين

(١) كتاب المؤتمر العربي الاول ص ٩ - ١٠ القاهرة ١٩١٤

(٢) كتاب المؤتمر العربي الاول ص ١٨ - ١٩

(٣) الارهاص الاثبات ارهصي الشيء اذا اثبتته واسسه .

(٤) التوجيه السياسي للفكرة العربية الحديثة ص ١٠٤ - ١٠٥

حكومة الاتحاد والترقي التي كان يتوقع منها عزله كما صرح ولده وسفيو المتجسسول الامير عبد الله (١) وعلى الرغم من المفاوضات الجارية له مع الانجليز عن طريق ولده المذكور مع " السير رونالد ستورز " السكرتير الشرقي بدار المندوب السامي البريطاني في مصر أثناء لعبة الشطرنج ثم المفاوضات الرسمية بالمكاتبة بعد دخول تركية الحرب مع السير هنري مكماهون المندوب السامي البريطاني في مصر التي أصبح بموجبها ملكا على الجزيرة العربية والعراق وسوريا مع بعض الاستثناءات .

ومع هذا لم يسارع الشريف حسين لاعلان الثورة على تركية بل بقي يناور ويداور ، بل ارسل العلم النبوي الشريف في صحبة بعثة شرفية سافرت الى دمشق حيث استقبلها أحمد جمال باشا ورجال الحكومة بالتكبير والتهليل وجنا جمال باشا أمام البيروق النبوي مقبلاً طرفه وقام حامل البيروق من الاسرة الهاشمية يدعو للجيش التركي وباركه قبل رحيل الجيش لغزو مصر عام ١٩١٥ حتى اذا قامت الحملة على مصر بقيادة جمال باشا يساعد القائد الالمانى كونسشتين وفشلت الحملة في هجومها في ٢ - ٣ فبراير ١٩١٥ وعاد جمال باشا الى سورية مهزوما وحكم على أحد عشر من زعماء ووجهاء البلاد بالاعدام في مارس واغسطس سنة ١٩١٥ حيث عشر جمال باشا على الاوراق التي يطلب هو لا فيها وضع سورية تحت الحكم الفرنسي والذي أرشده اليها هو " فيليب زلزا " ترجمان القنصلية الفرنسية في بيروت والذين ذهبوا ضحية بريئة وشنقوا ظلما ثلاثة فقط هم شكرى العسلى وعبد الوهاب الانجليزى وعبد الفتى العريس ويروى أن يوسف الهانى عندما صعد جبل المشنقة هتف وقال " أموت في حب فرنسا والوطن (٢) " ولعل هذا ان يكون قبيل ما حدث فيى تركية كما يقول الاستاذ د روزه " ..... وكان هناك بعض الرجال والنساء يسرون الغلام الحقيقي في الانتداب الامريكى والحصول عليه اعتقادا منهم بأن البلاد فى حاجة الى مساعدة علمية واقتصادية لن يجدوها نزهة الا في أمريكية كما كانوا يعتقدون أن مثل هذا الانتداب قد يحفظ للدولة وحدتها وكيانها (٣) .

وفي أبريل ١٩١٦ زحف الاتراك على قناة السويس مرة أخرى بقيادة الضباط الالمان بجيش عدد ١٨٠٠٠ جندي قابلهم الانجليز بجيش عدد ٣٠٠٠٠ جندي

(١) المصدر السابق ص ١١٠

(٢) راجع كتاب الحرب الصليبية الاوربية التاسعة ص ١٢٤ - ١٢٧ وكتاب

حياة الشرق لمحمد لطفى جمعة ص ٢٢٩ - ٢٣٠

(٣) تركيا الحديثة ص ١٤

فانهم الاتراك وكانت آخر محاولاتهم .

وفي مايو ١٩١٦ أعدم واحد وعشرون اخرون حتى اذا نعى الى الشريف حسين أن جيشا تركيا متألفا من ٣٥٠٠ جندي على وشك أن يخرق شبه الجزيرة العربية لتهدئة الحال في اليمن عندها أوجس الشريف حسين خيفة من قدوم الحملة نادى - بالثورة على الاتراك في يونيو ١٩١٦ (١) .

من هذا يتضح لنا أن الشريف حسينا وقف الموقف نفسه الذي وقفه وطنيــــــــــــــــو الجمميات العربية وبقى يماطل في اعلان الثورة على الرغم من اتفائه مع الانجليز على قيامها وهذا يدل على شخصية الشريف حسين وحكمته فقد كان رجلا عنيدا أوتــــــــــــــــى كثيرا من الحنكة والدربة السياسية وقد أمسك العصا من الوسط مدة طويلة على الرغم من توالي الاحداث متيحاً لنفسه الاستفادة من الطرفين الحلفاء والمحور - ولمـــــــــــــــــه انضم الى الحلفاء تعبيرا عن المشاعر السياسية العربية التي كانت امام موقفــــــــــــــــين الاول : أن يفتتحو فرصة دخول تركيا الحرب فيساندوها ويدابوها باستقلالهم بعد الحرب ثانياً ، والثاني : أن ينضموا الى الحلفاء للحصول على الاستقلال اذا كسب الحلفاء الحرب (٢) .

وقد تحقق الموقف الثاني نتيجة لمواقف الاتراك السابقة في اتجاه القضايا العربية وكان خاتمة هذه المواقف اعلان السياسة الطورانية من قبل الاتحاد والترقي لذلك كان وقوف الشريف حسين الى جانب الحلفاء تجسيدا للسياسة العربية المصرية على أسس ثقافية واجتماعية أسهمت في تكوينها جهود الحلفاء عن طريق سفاراتهم وبعثاتهم التبشيرية في المنطقة (٣) كما أن القيادة العربية كانت تتطلع الى حياة أفضل بمساعدة الحلفاء لهم في مختلف المجالات متى كسبوا الحرب .

كل هذا لم يمنع وجود تيار عربي مضاد لثورة الشريف حسين حدد موقفه نتيجة لشعوره الاسلامي اتجاه دولة الخلافة .

فهذا مصطفى كامل يقول " ..... ولذلك رأيت انجلترا أن بتاء السلطنة العثمانية يكون عقبة أبدية في طريقها ونشأ للمشاكل والعقبات في سبيل امتلاكها

(١) التوجيه السياسي للفكرة العربية الحديثة ص ١١٢

(٢) المصدر السابق ص ١٠٤ - ١٠٥

(٣) راجع فلسفة التاريخ العثماني ج ٢ ص ٧٦

امتلاكها مصر وأن خير وسيلة تضمن لهم البقاء في مصر ووضع يد هم على وادي النيل هي هدم السلطنة العثمانية ونقل الخلافة العثمانية الى أيدي رجل يكون تحت وصاية الانجليز ومثابة آله في أيديهم . ولذلك أخرج ساسة بريطانيا مشروع الخلافة العربية مؤمنين به استمالة للعرب لهم حتى يقوموا بالمصيان في وجه الدولة العلية (١) .

ويقول شوقي من قصيدة ضجيج الحجيج التي رفعها الى السلطان عبدالحميد في ١٤ أبريل ١٩٠٤ شاكيا فيها اضطراب الامن في ربوع الحجاز بسبب تمرد شريف مكة :

واستصرخت زنها في مكة الامم  
خليفة الله أنت السيد الحكم  
للشريف عليها أم لك العلم  
في المعقوع فاسق فضل ولا كرم  
بين البفاة وبين المصطفى رحيم  
وفتنة في ربوع الله تضطرب  
نعمي الزيادة ما لا تفعل النقم  
فمن أراد سبيلا فالطريق سدم

ضح الحجيج وضج البيت والحر  
قد صمها في حماك الضرفاقض لها  
لك الربوع التي ربح الحجيج بها  
أدبه أدب أمير المؤمنين فما  
لا تنج فيه وقاراً للرسول فما  
في كل يوم قتال تقشعر لسه  
من الشريف ومن أعوانه فملست  
عز السبيل الي طه وتربتسسه

النسب أن يقول :

بها الذئاب وضل الراعي الغنم  
وقسموه كارت الاميت وانقسموا  
فان للسيف يوما ثم ينصروم (٢)

رب الجزيرة ادركها فقد عشت  
أرزي الشريف وأحزاب الشريف بها  
فجرد السيف في وقت يفيد بسسه

هذا ولا يعقل أن يكون الشريف حسين راضيا عن قطع الطريق على الحجيج وانما هو ضعف سلطة الشريف على أطراف الحجاز بالاضافة الى مبالغات الشعراء

ويقول حافظ ابراهيم يهنئ السلطان عبد الحميد في عيد جلوسه سنة ١٩٠٨ -  
يشير الى ما يضمه شريف مكة من عصيان

(١) المسألة الشرقية مصطفى كامل ص ١٩

(٢) الشوقيات ج ١ ص ٢٦٣ - ٢٦٦ .

منى على دار السلام تحية  
وعلى الاولى سكوا الى الحسنى سوى  
ما للشريف المنى حسبنا السى  
أسمى بمائه وينصر غيـه  
والله لو جند تما رمل النقا  
وغرستما ارض الحجاز أسنة  
وأقمنا فيها المعازل منعة  
لدها كما وركم وذراكمـا  
ان تأتيا طوعا والا فأتيا  
وعلى الخليفة من بنى عثمان  
ذاك الذى يدعوا الى المصيان  
خير البرية من بنى عثمان  
وضلاله بحثا لـه العريـان  
ونزلتما بمواطن المقيـان  
وأسلتما بحرا من النيـران  
من ارض نجد الى خليج عمان  
ماحى الحصون وماسح البلدان  
كرها بلا حول ولا سـلطان (١)

ويقول محرم فى قصيدة له فى حرب طرابلس سنة ١١١٢ ..

ألا أن من شق العصا لمدمم  
ومن كان يأبى أن يوالى امامه  
سيعلم من خان الخليفة أنه  
أطاع هواه واستزله فتسه  
له الويل ما ذا هاج من نزواته  
تباركت ربى كيف يعصيك مسلم  
تباركت ان المسلمين كما ترى  
وان الذى يبغى الفساد لآثم  
طواعية والاه والانف راغم  
مواقع أمر سره متفاقم  
عضوض تلوى فى لهاها الاراقم  
فثار يرامى ره ويراجـم  
فيوقع بالاسلام ما أنت عـالم  
تفريق منها مستطير ورازم (٧)

ويقول الكاشف من قصيدة قالها فى عيد الدستور العثمانى :

ما أختص أحمد فى الخلافة أمة  
أولى بها من صانها من بعد ما  
علما بأن الدائرات تسد ويـ  
عبثت مقادير بها وعصـور (٣)

ويقول من قصيدة أخرى يهنئ \* الخديو اشرعوده من الديار الحجازية حاجا سنة  
١٩١٠ .

(١) الديوان ج ١ ص ٤٩

(٢) الديوان ج ٢ ص ٣٧ مستطير من الطيران رازم : البعير يعجز  
عن النهوض من الاعباء وانضعف مستطير ورازم : كناية عن تفرق الكلمة  
وتشتت الرأى .

(٣) الديوان ج ٢ ص ٢٨ .

يناصر الاسلام كيف مكانه  
أينما يكون على الخلافة قيادة  
الله قد رها لهم وأعزهم  
فليسكن العرب الكرام اليهم  
هل يفقدونها والخطوب جلائل  
من عرب تلك البيد وهو العادل  
لولا هم زال الخلافة غائل  
ما دام فيهم قانت ومقاتل  
وليربأن بنفسه المتطاول  
من لم يضنها والخطوب قلائل (١)

ولعل في هجمات كرومر الدائمة على المسلمين في بعض تقاريره وفي كتابه الذين ظهر  
بعد مفاد رته مصر " مصر الحديثة " " عباس الثاني " وتصويرهم في صورة  
الصح المتخلفين ومهاجمة الاسلام وتصويره دينا رجحيا لا يصلح لأن يقوم على  
أساسه نظام اجتماعي راق (٢) كل هذا قد مكن كراعية الانجليز في قلوب المسلمين  
خصوصا في مصر التي اکتوى شعبها بالاحتلال الانجليزي ، ولذلك لم تجد ثورة  
الشريف حسين تأييدا لها في مصر كما وجدت في بلاد الشام وربما كان ذلك لان مصر  
لم تكن تحت الحكم العثماني مباشرة بل خرجت منه منذ زمن بعيد أو لأن المصريين  
بقوا على فطرتهم وایمانهم حيث لم تنشط بينهم المدارس التبشيرية وموثرات الحضارة  
الغربية ليستسيقوا الوقوف ضد الدولة العثمانية في جانب دولة أجنبية بالاضافة  
الى المشانق التي نصبت لوجهاء البلاد في الشام على يد الوالي العثماني أحمد  
جمال باشا مما أوفر الصدور وجعلهم أحوج الناس ليدوا أيديهم لكل من ينقذهم .

كما أن هناك علماء الدين من المسلمين الذين لا يهتمون الا لما يصدر عنهم  
ولا يهتمون من يستطيع أن ينهض بعقب الذود عن الاسلام غير تركية لأنها أقواها  
وأقد رها على مواجهة مطامح الدول المسيحية بالاضافة الى ورود الأحاديث المديدة  
التي تنهى بل وتزجر عن الخروج على السلطان . علما بأن نوايا الاتحاد بين  
الخفية ضد الخلافة الاسلامية في تركية لم تكن قد ظهرت بعد فما كاد الاتحاد يسون  
ينجحون بثورتهم عام ١٩٠٦ ويظهروا مقدمات نواياهم حتى واجهتهم الحرب العالمية  
الأولى ١٩١٤ مما اضطرتهم الى اعلان الجامعة الاسلامية من جديد والدعوة  
الى الجهاد الديني وتقريب العرب بل والتسود اليهم كما ذكرنا .

(١) الديوان ج ٢ ص ٦١ .

(٢) الاتجاهات الوطنية في العرب المعاصر ج ١ ص ٦١ .

ومن هؤلاء العلماء الشيخ يوسف النبهاني والشيخ محمد عبده والشيخ رشيد رضا والامير وشكيب ارسلان الذي يقول " لم يضمننا من الاشتراك في الثورة العربية سوى اعتقادنا أن هذه البلاد العربية سوف تصبح نهياً مقسماً بين إنجلترا وفرنسة وتكون فلسطين وطناً قومياً لليهود (١) وهناك عامة الناس الذين لا يرضون لهم راعياً غير الخليفة امام المسلمين لاننا لا يعرفون ما الوطن وما الوطنية فهذا والسدي الذي جاوز الخامسة والثمانين من عمره ما سمعته مردداً في دعائه الا " اللهم انصر الاسلام " أو " اللهم انصر المسلمين " وما سمعته قط يدعو " اللهم انصر العرب " أو " اللهم انصر العربية "

وقد ذكر الاستاذ رشيد رضا من محاسن الخديوي " أول ما عرف الناس من محاسنه ما يسمى في عرف المصريين بالوطنية (٢) .

ويذكر الاستاذ محمد الفرحاني ما دار من حديث له مع المفطور له رمضان باشا الشلاشي الذي كان من أوائل الملتحقين بالثورة العربية يقول الاستاذ الفرحاني سائلاً رمضان باشا : وماذا تقول في الشهداء الذين أعدمهم الطاغية السفاح جمال باشا ؟ فأجابني رمضان باشا بكل رضا وهدهو " جمال باشا يا ولدي ليس طاغية ولا سفاحاً والشهداء ليسوا شهداء بل خونة مجرمين لقوا جزاءهم العادل ولو كنت مكان جمال باشا لما كنت فعلت غير ما فعل ..... بل ما كان جمال باشا يستطيع أن يواجه اليهم من الأذى قيد أنملة وفيهم النواب ~~وغيرهم~~ وفيهم الوجه البارز في المجتمع لو لم يجد في الوثائق التي وقعت في يديه ما يدعى منهم " وهتفت وشرف مكه باشا فقال " لقد أغرى بالذهب ..... نعم ... أغرى بالذهب الكثير ولا حول ولا قوة الا بالله (٣) "

ويقول الاستاذ الفرحاني ايضاً " وجلست يوماً الى الرئيس السوري الجليل السيد الحكيم فقلت له : " هل هناك من عهد وعهد مكتوبة غير الرسائل المتبادلة بين شريف مكه ومكاهون ؟ فأجابني بالنفي ثم قال " الواقع لقد وجدنا أطفالاً في السياسة " ويضيف الاستاذ الفرحاني فيقول ومثل هذا الكلام نسب الى النجاشي

(١) الحرب الصليبية الاولى التاسعة ص ١٣٥ .

(٢) تاريخ الاستاذ الامام ج ١ ص ٥٩٢ راجع ايضاً كتاب عبد العزيز جابوش تاريخ الاستاذ أنور الجندی ص ١٥ حيث يوضح أوليات " الوطنية " والقومية العربية .

(٣) الحرب الصليبية الاولى التاسعة ص ١٣٦

الأكبر لصاحب رصاصة مكة حيث قال " لم تكن سوى بداية بسطاء لم يسبق لنا قبل الثورة أن دخلنا في الحياة الدولية أو علمنا الا جانب أو اتصلنا بهم من قريب أو بعيد ولقد جاءنا الانجليز الى الحججاز ولم نذهب اليهم ، جاءونا بورقة بيضاء في ذيلها ختم الامباطورية وقالوا لنا هذه ورقة فأكتبوا فيها ما تشاءون ونحن مستعدون للتنفيذ والتلبية فصدقناهم وقاطعنا الى جانبهم ، ولكنهم ما لبثوا أن خانونا وقد روا بنا (١) " ولكنني أعوذ بالله ما قلته في السابق من أن شريف مكة بقي ينتظر انتصار المحرور ومعت بالراية النبوية لجمال باشا ومكث شهرين بعد الحرب ينتظر وذلك بالاضافة الى ما كان قد أعلنه الاتحاديون من عداة العرب والاسلام وسلب الخليفة كل سلطانه حتى الختم ولم يكن الشريف حسين يقصد ابدال " الطغيان العثماني " طغيان فرنسي أو بريطاني " ولم يكن انتصار الحلفاء بسبب مساعدة الشريف حسين لهم فقد ارتدت جيوش جمال باشا مع الالمان مرتين عن قناة السويس قبل أن يعلن الشريف ثورته ، والحقيقة كما أعلنها النجل الأكبر للشريف أنهم كانوا على القطرية صادقين ليس لهم ممارسة بالسياسة الدولية والا يسيبها وموقف شريف مكة من الحرب يشبه موقف تركية من الحرب أيضا يقول الاستاذ د روه " اعداء الدول والسياسة العثمانية الحرب كان الافضل ولكنه ليس ممكنا لانه لا بد أن تكون الدولة الحيادية مسلحة وأن تسد المضائق وهذا وذاك ليس في مقدورها (٢) " كذلك نقول ان مساعدة الشريف حسين للحلفاء لم تكن هي الفصيل في الحرب وقد كان من الطبيعي أن ينضم للحلفاء للحصول على الاستقلال من الحكم التركي كما وعدت بريطانيا في تجزئتها الاولى مع الشريف حسين .

والحقيقة أننا لا نستطيع أن نحكم على الاحداث بعد وقوعها فقد كان الرأي العام ضد تركية رلو انضم الشريف حسين الى تركية ثم خسرت الحرب فكان اللوم عليه بأن الحلفاء كانوا يتظاهرون بالحصول على مساعدة الحرب نحو الأخذ بأسباب المدنية الحديثة عن طريق بعثاتهم التعليمية والتبشيرية وبرز كيانهم القومي المستقل مما حدا بالبعض ان يستدعي فرنسة لحكم سورية كما قدمنا أما القليقة المتبصرة فقد كان لسان حالهم يقول :

(١) المرجع السابق ص ١٢٦ - ١٢٧

(٢) تركيا الحديثة محمد عزت د روزه ص ٢٥



مخطى من ظن يومنا أن للشعب ديننا

وأخيراً استسلمت تركيا ووقعت معاهدة الصلح في ٢٩ تشرين الأول ١٩١٨ (١) -  
وبذلك خرجت سورية والعراق من الحكم العثماني لتدخل في حكم جديد فقد أصبحت  
فلسطين والأردن والعراق تحت الاستعمار البريطاني (٢) وسورية ولبنان تحت  
الاستعمار الفرنسي . وكانت حال العرب الذين وقفوا مع الحلفاء لمساعدتهم على  
التخلص من الحكم العثماني كما قال الشاعر :

والمستجير بعمر عند كربته  
كالمستجير من الرمضاء بالنار

### ضياع فلسطين :

الحقيقة أنه كان هناك عقبتان أمام إنشاء الوطن القومي اليهودي في فلسطين  
العقبة الأولى وجود السلطان عبد الحميد ولذلك عملوا على إسقاطه ونجحوا عن  
طريق تغليبهم في جمعية الاتحاد والترقي بعد أن أعينهم كل السبل للتحيات  
على السلطان عبد الحميد حتى ضاق بهم ذرعا ونفذ صبره وقال للوسطاء (عسلى  
رواية هرتزل في مذكراته ) : " انصحوا الدكتور وهوتزل بالا يتخذ خطوات جديدة  
في هذا الموضوع اني لا أستطيع أن اتخلي عن شهر واحد من الأرض فهي ليست  
ملك يميني بل ملك شعبي لقد ناضل شعبي في سبيل هذه الأرض ورواها بدمه  
فليحفظ اليهود بملايينهم . اذا مرقت امبراطوريتي ، فلهذه يستطيعون أنذاك  
أن يأخذوا فلسطين ، بلا ثمن ولكن يجب أن يبدأ ذلك التمزق أولاً في جيشنا فانى  
لا أستطيع الموافقة على تشريح أجسادنا ، ونحن على قيد الحياة (٣)

أما العقبة الثانية فهي وجود روسية القيصرية فقد كانت الحكومة الروسية  
في العهد القيصرى شديدة التمسك بالتقاليد المسيحية الأرثوذكسية وكان الكثيرون  
من الروس يزنون الى الأماكن المقدسة في فلسطين بمعنى الايمان العميق والخشوع

(١) المرجع السابق ص ١١

(٢) راجع اثر اليهود في صياغة صك الانتداب البريطاني على فلسطين وهو من وضع  
المستشار فيلكنس فزنكوفتر الصهيوني الامريكى . قضية فلسطين العربية ص ٣٠ .

(٣) الموجدة في تاريخ القضية الفلسطينية قسطنطين ضارص ٣٨ - ٣٩ .

الشد يد ومنهم من كان يحج إليها سيرا على الاقدام وهذا ما جعلهم يؤمنون بأن تحويل فلسطين الى دولة يهودية يدنس الاراضى المقدسة ولذا كانت الحكومة القيصريّة تقام أى مشروع يرمى الى اقامة دولة يهودية في فلسطين • ولا ريب إن هذه المقاومة كانت عاملا في تأخير صدور تصريح بلفور الى ما بعد انهيار الحكم القيصري مباشرة ولهذا يقول المؤرخ البريطاني "آرنولد توينبي في كتابه ( دراسة التاريخ ) ماصناه " ان انهيار حكم آل رومانوف الامبراطوري الروسي قد أزال بالقضاء حياية أخرى عن العرب الفلسطينيين (١) \* لذلك أسهم اليهود في اسقاط أسرة رومانوف القيصريّة وقيام الثورة الشيوعية في روسيا في ٢٤ أكتوبر ١٩١٧

يقول الجنرال جواد رفعت ألتخان نقلا عن كتاب المؤامرة اليهودية " أن - المحفل الامريكاني الماسوني الذي يد ير الماسونية الكونية وكل أعضائها من أعظم رعماء اليهود عقيدوا مؤتمر اقر رفيه خمسة من اليهود أصحاب الملايين خراب روسيا القيصريّة الذين تبرعوا بالمال هم اسحق موليتمر ، وشيستر ، وليفسلسكي وروق ، وشيف •

وكان المال مرصودا للدعاية واثارة الصحافة المالية على أثر المذابح الدائرة ضد اليهود وحوالي نهاية القرن التاسع عشر (٢) " ونتيجة للجهود المكثفة التي بذلها رعماء اليهود وأنصارهم أمثال هرتزل ، وايزن ، لويد جورج بلفير ، هيرت صموئيل ، سكوت مارك سايكس ، موسى جاستر ، جيمس ماكركلم ، برانديز وغيرهم استطاع اليهود أن يحصلوا على وعد من الحكومة البريطانية للعمل على جعل فلسطين وطنا قويا لليهود وهو ما عرف بـ " وعد بلفور " الذي وجهه الى اللورد ولتر روتشيك في ٢ تشرين الثاني سنة ١٩١٧ هذا نصه :

" عزيزي اللورد روتشيك : يسرني أن أنقل اليك بالنيابة عن حكومة جلالته التصريح التالي ، متضمنا العطف على الاماني الصهيونية اليهودية وكان هذا التصريح قد رفع الى المجلس الوزاري فوافق عليه " ان حكومة جلالته تنظر بعين العطف الى انشاء وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين وسوف تبذل أقصى جهودها لتسهيل بلوغ هذه الغاية و على أن يكون مفهوما بصورة واضحة أنه

(١) الموجز في تاريخ القضية الفلسطينية ص ٢٩

(٢) كتاب اسرار الماسونية ص ٥٧ - ٥٨ طبع دار المآثر الاسلامي القاهرة •

لا يجوز القيام بأى عمل من شأنه ان يكون مجحفا بالحقوق المدنية والدينية للطوائف غير اليهودية في فلسطين ، ولا بالحقوق والاضاع السياسية التى يتمتع بها اليهودى فى أى قطر آخر وسأكون شاكرا اذا أنبأتم الاتحاد الصهيونى بهذا التصريح ”

أما عن دوافع بيوطانيا من جعل فلسطين وطنا قوميا لليهود فمنها الظاهر والمباشر مثل مكافأة الدكتور وايز من على اختراعه مادة الاسيتون <sup>لانتاج</sup> مادة توت و التى والذى رفض المكافأة الشخصية بالاضافة الى الجهود المكثفة التى بذلها زعماء الصهيونية والمحافل المأسونية . أما عن الدافع الحقيقى الذى دفع لويد جورج رئيس وزراء بريطانيا للموافقة على صدور وعد بلفور فى ما أشار اليه الاستاذ أنيس الصايح انه يقول ” ولكن الواقع أن رئيس الحكومة البريطانية لم يكن يهتم باليهود كثيرا ولم يكن يحجبهم يعترف مؤرخ فى حياته وصدى سكوت بأن لويد جورج لم يأمر بأصدار الوعد الا ليحصل على فلسطين البريطانية وقد أثبتت الاحداث العسكرية التى سبقت الوعد أن مركز بريطانيا الحربى كان قد أخذ يتحسن فكانت فكانت القوات الحليفة قد أنقذت السويس وود خلت فلسطين وانضمت الولايات المتحدة الى الحلفاء وبدأت القوات الألمانية والتركية تتراجع فى بعض الجهات (١) ” وكما جاء فى رسالة وايز من الى صحفى يناصر الصهيونية ” ان اقامة دولة يهودية قريسة الى جانب مصر يضع حاجزا ضد أى خطر يستهدف مصر من الشمال (٢) ” .

وكانت الخطوة العملية لتحقيق وعد بلفور هى وضع فلسطين تحت الحماية البريطانية وانتزاعها من الوطن الام سورية وقد وضعت فلسطين تحت الحكم المسكرى البريطانى خلال عامى ١٩١٩ - ١٩٢٠ وكانت وزارة الحرب البريطانية تصيد ر تعليماتها الى قوادها المسكرين مؤكدة لهم أن الحكومة البريطانية متمسكة بتصريح بلفور ومن واجبهم تقديم المساعدة الفعالة الصهيونية وكثيرا ما كانت تستبدلهم بآخرين من ذوى الميول الاكثر تأييدا للحركة الصهيونية .

(١) الهلثاميون وفلسطين أنيس الصايح ص ٢٢ .

(٢) المرجع السابق ص ٢٩ .

## يقول الأستاذ قسطنطين خسار :

" بعد كل هذا تأكد عرب فلسطين أن مخاوفهم من تصريح بلفور أصبحت حقيقة واقعة فهبوا يعتقدون المؤتمرات الوطنية والاجتماعات السياسية و يو إف سيون الجمعيات القومية للاعراب عن استنكارهم للحركة الصهيونية وعزمهم على مناهضتها (١) " فقد ابتدأت المظاهرات العنيفة والاضرابات الشاملة ونشبت الاصطدامات الدامية في غزة والقدس وطبرية خلال ١٩١٩ وكانت الثورة اللاهية صباح ٤ نيسان أبريل ١٩٢٠ في مدينة القدس حيث اصطدم فيها العرب مع اليهود والشرطة وقامت - (٢) لجنة بالنظر بالتحقيق وأدانت اليهود في تقريرها الذي لم ينشر إستبدال الحكم العسكري لفلسطين بالحكم المدني في تموز ١٩٢٠ تلبية لرغبة اليهود وعين اليهود الصهيوني السير هربرت صموئيل مندوباً سامياً لفلسطين وحاكماً مطلقاً لجميع السلطات التشريعية والتنفيذية والقضائية وكان وايز من يدعو دائماً " ضمونا " فملاً الوظائف الكبرى باليهود حتى بلغ عدد الموظفين اليهود أربعة أمثال الموظفين العرب وقام بتسهيل الهجرة اليهودية حتى وصلت الى ٣٠ ألف يهودي في العام ولهذا يمكن حسابه بسهولة " الباني الحقيقي والمؤسس الفعلي للدولة اليهودية وخوف العرب من النفوذ اليهودي وكانت ثورة عام ١٩٢١ في صبيحة أول مايو حيث أخذ شبان اليهود وشبابهم يسيرون في الشوارع وهم ينشدون الاناشيد الطائفية فاصطدم فريق من الشبان العرب بهم وبالقوات البريطانية وراح فريق آخر يهجم على بلدة تل أبيب ثم هجمت المستعمرات اليهودية الواقعة بين يافا وطولكرم وامتدت الثورة الى سائر المدن الفلسطينية واستشهد فيها من العرب ٣٨ شهيداً وجرحوا وبلغ قتل اليهود ٤٧ جرحا هم ١٤٦ وقد استخدمت السلطان البريطانية الحاكمة ابشع وسائل الانتقام من فرض الضرائب واتلاف الموانئ وحرق المزارع وانتصر وزير المستعمرات ونسبتن تشرشل للصهيونيين وسمى ثورة عرب فلسطين هذه الاضطرابات القذرة " ثم شكلت لجنة تحقيق برئاسة قاضي القضاة " توماس هيكرافت " واكتشنت المجرم الحقيقي " الصهاينة " ولكنها بدلا من الحكم عليه طلبت منه أن يكون معتدلاً ورؤوفاً وجعلت توصي العرب واليهود أن يتفقوا .

(١) الموجز في تاريخ القضية الفلسطينية ص ٥٧ .

وفي ٢٢ حزيران عام ١٩٢٢ أصدرت الحكومة البريطانية " الكتاب الأبيض " وقد اشتمل على دستور وسياسة عامة لفلسطين على أساس تصريح بلفور والانتداب مؤكداً أنهما لا يقبلان التغيير وقد رفضه الحزب رفضاً باتاً مع أنه ينص على أن يكون لهم في المجلس التشريعي ١٠ أعضاء من بين ٢٣ عضواً مع أنهم يؤلفون ٩٦ % من سكان فلسطين آنئذ . وقد رجبت الجمعية الصهيونية بالكتاب الأبيض وتعهدت بتسيير أعمالها وفقاً للسياسة المبسوطة فيه وقد أعترفت وايز في مذكراته أن الحكومة البريطانية عرضت على الجمعية الصهيونية قبل إصداره للاطلاع عليه وإبداء وجهات النظر التي يراها اليهود بشأنه . وقد عقد العاملون في حقل الحركة الوطنية بين عامي ١٩١٩ - ١٩٢٢ خمسة مؤتمرات كانوا في كل منها يؤكّدون تمسكهم بالوحدة السورية ورفضهم لتصريح بلفور والمطالبة بحكومة وطنية في فلسطين وهي :

#### المؤتمر الأول :

في مدينة القدس - رفض تصريح بلفور والهجرة اليهودية والانتداب البريطاني وطالب بالوحدة وتسمية فلسطين ( سورية الجنوبية )

#### المؤتمر الثاني :

دعت إليه " الجمعيات الإسلامية المسيحية " ولكنه منع بأمر السلطنة البريطانية فلم ينعقد .

#### المؤتمر الثالث :

في حيفا أكد مطالب المؤتمر الأول مع المطالبة بقيام حكومة وطنية مستقلة .

#### المؤتمر الرابع :

أكد فيه المطالب السابقة وأرسل وفداً الى لندن فأكد تشرشل وزير المستعمرات للوفد أن الحكومة البريطانية مدّمة على الوفاء بعهودها للشعب اليهودي .

#### المؤتمر الخامس :

في نابلس قرروا باجماع الراء رفض الكتاب الأبيض وعدم التعاون مع حكومة الانتداب على أساسه ثم دعت حكومة الانتداب في فبراير سنة ١٩٢٣ لاجراء انتخابات للمجلس التشريعي فقاطعها الشعب الفلسطيني مقاطعة اجمالية . ووقعت اضطرابات في يافا عام ١٩٢٤ اتهم اليهود على الشرائع العربية أثناء احتفالهم

بعيد " الساخر " وفي عام ١٩٢٥ زار اللورد بلفور القدس لافتتاح الجامعة العبرية فأضربت البلاد أغراباً شاملاً . ولما سافر بلفور الى دمشق فظاهرت فسي وجسه بشدة فخن الى ميناء بيروت حيث ركب الباخرة رأساً الى انجلترا حتى جاء عام ١٩٢٩ وقامت دائرة الاوقاف الاسلامية باصلاحات حول حائط البراق في حزيران ١٩٢٩ فنارت ثائرة اليهود وأخذت صحفهم تنشر مقالات مهيجته تدعو فيها الى أعمال العنف والثورة وقاموا بحملة دعائية في الصحف العالمية على أوسع نطاق يتهمون فيها العرب بالاعتداء على مقدساتهم وفي ٤ آب أغسطس سارت مسيرة من ستة آلاف يهودي في تل أبيب تصيح " الحائط حائطنا " وفي ١٥ آب أغسطس سارت حشود اليهود مخترقة الاحياء العربية نحو البراق وهناك قاموا برفع العلم اليهودي وانشاد نشيدهم الطائفي صاخبين معاتفين " الحائط حائطنا " وقد كانت هذه المسيرة هي السبب المباشر للاضطرابات كما أقرت ( لجنة شو ) فيما بعد وقسمه وأصل اليهود مسيراتهم الاستفزازية مقترفين الاعمال المدوانية مما أثار الشعور العربي الفلسطيني الى أقصى الحدود وكان اليوم التالي ١٦ آب ١٩٢٩ عيد المولد النبوي الشريف فخرج المصلون من الحرم الشريف في صلاة نحو البراق حيث قلبوا منضدة للشماس اليهودي ، ودفعوا به جانبا واحرقوا بعض الكتب والاستراحات (١) وفي الايام التالية هجموا على اليهود في القدس وضواحيها وقامت المسيرات في معظم المدن الفلسطينية وروعت الحكومة السلاح والعصى على المدنيين اليهود ثم هجم عرب الخليل على الحي اليهودي فقتلوا ٦٠ شخصا وقام أهل نابلس بالهجوم على مخفر الشرطة بغية الاستيلاء على السلاح وهجم أهل بيسان على بعض المستعمرات اليهودية وهجم العرب على يهود صفد فقتل منهم ٤٥ شخصا وقام اليهود بقتل امام جامع في ضواحي يافا مع افراد عائلته الستة ومثلوا بجثثهم تمسيلا فظيما كما قاموا بتدنيس قبور الصحابة فأستقدمت بريطانية بعض قواتها من قنساء السويس ومالطة وقبرص واستعملت أشد الاساليب وأعنفها للقضاء على الثورة . وفي أحرآب ( أغسطس ) كانت حصيلة الاضطرابات ١٣٣ قتيلا و ٣٣٩ جريحاً من اليهود ومن العرب ١١٦ شهيدا و ٢٣٢ جريحا وأخيرا صدرت الاحكام من قبل المحاكم البريطانية على الوجه الاتي :

(١) الاستراحات هي أوراق دعوات ، كان اليهود يلقونها ويدسونها في ثوب جدران حائط المبكى .

- ١ - حكم عليّ عشرين عربيا بالاعدام وتم تنفيذ الحكم في ثلاثة منهم • وحصول الحكم على السبعة عشر الباقين إلى السجن المؤبد •
- ٢ - حكم على ٨٠٠ عرب بالسجن لمدة سنوات •
- ٣ - حكم على يهودي واحد بالاعدام ( قاتل امام الجامع وعائلته وهو شرطى نظامى ثم خفض الحكم عليه الى عشر سنوات قضى بعضها في السجن ثم أطلق سراحه •
- ٤ - فرضت الحكومة غرامات باهظة على بعض المدن العربية وقامت بتحويلها بشتى الوسائل • وفي النهاية قرر العرب مقاطعة اليهود على أن السلطات الحكومية أخذت في التشدد في معاقبة كل من يشرف على تنفيذ هذه المقاطعة أو يحرض عليها • وألقت الحكومة المنتدبة لجنة ( شو ) كعادتها وكبت توصيات لصالح العرب ولم تنفذ بريطانية منها أى شئ • كما قضت لجنة ثلاثية وافقت عليها عصبة الامم بملكية المسلمين لحائسط البراق وملكية الرصيف الذى أمامه ثم ألقت الحكومة البريطانية ثلاثة لجسان هى لجنة سمبسون - لجنة فرنش - لجنة كروسبين • فجاءت تقاريرها كلها مؤيدة للحق العربى •

فأصدرت الحكومة البريطانية بيانا عن خطتها السياسية عرف بـ " الكتاب الابيض " سنة ١٩٣٠ فنارت نائرة اليهود لانه لم يتضمن تحيزا ظاهرا لهم فسخرها الصحافة العالمية خصوصا الانجليزية والامريكية للهجوم على الكتاب الابيض واستقال الدكتور حاييم وايز من رئاسة الوكالة اليهودية فاضطرت الحكومة البريطانية الى التراجع فأصدر رئيس وزرائها مكدونالد في ١٢ شباط ١٩٣١ رسالة الى الدكتور وايز من فيها تراجع بل نسخ للكتاب الابيض وقد أطلق عليه اسم " الكتاب الاسود " لانه وثيقة شوم وخزى وعار في تاريخ السياسة البريطانية •

والى هنا نتوقف عن السير مع الاحداث التزاما مع الزمن الذى عاشه الشيخ يوسف النبهانى حيث توفي عام ١٩٣٢ • وقد كان عام ١٩٣٣ - ١٩٣٦ سلسلة متتابعة من الاضطرابات والمظاهرات حتى كان اضرب عام ١٩٣٦ الذى استمر ١٨٣ يوما ابتداء من ١٩ نيسان ١٩٣٦ واخيرا انتهى الاضرب بواسطة السياسة والحكام العرب •

(١) الموجز في تاريخ القضية الفلسطينية ص ٤٠ - ٨٠ بالتصرف ولمزيد من التفصيل راجع كتاب قضية فلسطين العربية وضع الهيئة العربية العليا • وكتاب جهاد شعب فلسطين خلال نصف قرن للشهيد صالح بوضير والمراجع

وأخيرا تم لليهود تحقيق أملهم في انشاء وطنهم القومى في فلسطين . وصدقت  
بريطانيا في وعد ها لهم وفقدت المادة الثانية من صك انتدابها على فلسطين السنى  
نصها " تكون الدولة المنتدبة مسؤولة عن جعل البلاد في أحوال سياسية  
وإدارية واقتصادية تكفل انشاء الوطن القومى اليهودى (١) وأخيرا استجابت الدول  
العربية لقرار مجلس الامن ووقعت الهدنة الدائمة بين اسرائيل وكل من مصر وسوريا  
والاردن ولبنان وفي ١١ أيار قبلت اسرائيل عضوا في الامم المتحدة باعتراف معظم  
الدول ومعارضة الدول العربية الست وأفغانستان وباكستان والهند وايران  
وسورية والحبة وارتوية . وبذلك نجحت الصهيونية وعملاتها في اقامة دولة  
اسرائيل . وماكانت الصهيونية تتجح لولا اصرار وتصميم بريطانيا الدولة المنتدبة  
الحاكمة على قيام هذه الدولة حتى اذا انتهت مدة انتدابها وأوشكت الاجيوش  
العربية على تخليص فلسطين رأينا الدول العربية مجتمعة تضغط على الساسة  
العرب لقبول الهدنة الاولى والثانية وأخيرا الهدنة الدائمة ورأينا دول المعسكر  
الاشتراكى تقدم الاسلحة والرجال لليهود كان هذا تأمرا مشتركا لدول المعسكرين  
الشرقى والغربى على قيام دولة اسرائيل وقد أفصح الدكتور ناحوم غولد مان رئيس  
المؤتمر اليهودى العالمى في محاضرة له في مدينة مونتريال في كندا عام ١٩٤٧ قال  
" ولم يختر اليهود فلسطين لمعناها التوراتى والدينى بالنسبة اليهم ولا لان  
مياه البحر الميت تعطى بفصل التبخير ما قيمته ثلاثة آلاف ليلارد ولا رمن المعادن ،  
وأشباه المعادن وليس أيضا لان مخزون أرض فلسطين من البترول يعادل عشرين  
مرة مخزون الأمريكتين مجتمعتين . بل لان فلسطين هى ملتقى طرق أوراسيا  
وآسية وافريقية ولان فلسطين تشكل في الواقع نقطة الارتكاز الحقيقية  
لكل قوى العالم ، ولانها المركز الاستراتيجى العسكرى للسيطرة على العالم (٢)

---

في هذا الموضوع كثيرة جدا . راجع أيضا حاضره فلسطين تأليف  
اليا هو جرانت ص ٣٠ - ٣٤

(١) راجع قضية فلسطين وضع الهيئة العربية العليا ص ٣٠ راجع أيضا حاضره  
فلسطين تأليف اليا هو جراند ص ٣٠ - ٣٤

(٢) تاريخ فلسطين القديم ظفر الاسلام خان ص ٧٠



## الباب الثاني

(( نشأته وحياته ))

الفصل الأول : مولده - أسرته - وفاته

مولده :

ولد الشيخ يوسف النبهاني سنة ١٢٦٦ هـ ١٨٤٩ م في قرية أجزم الواقعة في الجانب الشمالي من أرض فلسطين بينها وبين بيت المقدس ثلاث مراحل وهي الآن تابعة لحيفا (١) .

وتبلغ مساحة أجزم ٩١ دونم وترتفع نحو ١٠٠ م عن سطح البحر ومساحتها ٤٦٩٠٥ دونم ولا يملك اليهود فيها أي شبر (٢) يقول الدكتور فاضل زيدان (٣) - وهي أكبر قسرى قضاء حيفا مساحة وسكانا فقد كان عدد سكانها عام ١٩٤٨ ما يقرب من خمسة آلاف نسمة وجميعهم مسلمون (٤) وجاء في كتاب جغرافيه فلسطين عن أجزم ٠٠٠ وهي غنية بأماكنها وسكانها كلهم مسلمون (٥) .

رسان أجزم مشهورون بحب العلم والتدين وقد تعلم الكثير من ابنائها في الأزهر ومنهم الشيخ يوسف النبهاني ووالده الشيخ اسماعيل النبهاني والشيخ سعيد

(١) هادي المرشد الى طريق الاسانيد ص ٥٦ .

(٢) بلادنا فلسطين ج ١ ق ٢ ص ٦٥٨ .

(٣) في مقابلة أجريتها معه في ٢٩ / ٤ / ١٩٧٥ م .

(٤) الدكتور فاضل زيدان من أبناء أجزم ولد في ١٨ / ٨ / ١٩١٨ انتهى تعليمه الثانوي في الكلية العربية في القدس ١٩٣٦ حصل على بكالوريوس في العربية والجغرافيه من القدس عام ١٩٣٨ وحصل على بكالوريوس طب وجراحه من القصر العيني ١٩٥٠ وحصل على ماجستير عيون ١٩٥٦ وحصل على ماجستير علم الاجتماع من الجامعة الامريكية في القاهرة ١٩٥٧ وحصل على ماجستير أشياعه ١٩٦١ وحصل على ماجستير طب الاطفال ١٩٦٧ وهو من المؤسسين لمنظمته التحرير الفلسطينية وكان عضوا في المؤتمر الفلسطيني الأول الذي عقد في القدس ١٩٦٣ ثم عضوا في المجلس الوطني الفلسطيني منذ ذلك التاريخ حتى اليوم وعضوا في اللجنة المالية لمنظمة التحرير الفلسطينية .

النهباني والشيخ ابراهيم النهباني والشيخ طه الصالح والشيخ صالح الخديش  
والشيخ محمد الخديش والشيخ طه الخديش والشيخ عبد السلام الحسن والشيخ  
رشيد الحسن ولم يعرف أحد سكان قرى حيفة طريق الأزهر فيما شعلم غير هؤلاء (١).  
ولما بدأت الهدنة الثانية بين الجيوش العربية واليهودية في صباح ١٩ تموز  
١٩٤٨ استغلها اليهود وهجموا على عدة قرى في جبل الكرمل واحتلوا قرية عين غزال  
وأجلكم في الثاني والعشرين من الشهر المذكور (٢) وخرج أهلها مشتتين في الاردن -  
والعراق وسورية ولبنان يعيشون على أمل العودة وليس على الله بيميد وفي الشهر  
الثاني في عام ١٩٤٩ أقام اليهود في بقعتها مستعمرة كازم مهرا ل  
وكان بها في نهاية ١٩٥٠ ٣٣٤ يهودي (٣).

#### موقعها :-

يقول الدكتور فاضل زيدان " تقع اجزم على مسافة ٣٥ كم جنوب حيفة وعلى مسافة  
٢٠ كم شرق البحر الابيض المتوسط وهي تقوم على مرتفع من الارض حوالي ٣٠٠ متر  
فوق سطح البحر يحيط بها من كل جانب سهل ضيق بمثابة واد يفصل جبلين ، أما  
حدودها الطبيعية فهي من الشرق تلة " شنا " التي لا يزيد ارتفاعها عن  
١٠٠ متر يفصل بينها وبين القرية سهل ضيق كان يستعمل للبيادر لسكان شرق  
القرية وتلة " شنا " وعرة مكسوة بالأشجار قليلة الارتفاع وفيها كثير من المقطيع وهي  
آبار منحوتة بالصخر هندسية الشكل يرجع عهدا الى أيام الرومان وبها عدة كهوف  
تطل على القرية لكل كهف باب يرتفع حوالي ثمانية امتار عن مستوى البيادر والى الشرق  
والجنوب من جبل شنا يتبع سهل ضيق يعرف " بماقورة " حيث تكثر المياه الجوفية

(١) مقابلة مع الدكتور فاضل زيدان في ٢٩ / ٤ / ١٩٧٥

(٢) بلادنا فلسطين ج ٧ ق ٢ ص ٦٥٨ - ٦٥٩

(٣) بلادنا فلسطين ج ١ ق ١ ص ١٩٧ .

نسبياً فيزرع الخضار والفاكهة ومن الشمال وادي النحل وهو ملتف الأشجار ضخمة  
وخاصه شجر السديان ، وتكثر فيه الوحوش المفترسة وفي شقوق صخره تكثر خلايا  
النحل وكانت الجبال في الربيع روعة في الجمال لكثرة الازهار الملونة وذوات الروائح  
العطرية . والى الشمال من القرية يقع جبل المفارة وفي جانبه وادي ضيق هو  
وادي المفارة الذي يمتلئ بالماء في أيام الشتاء وفي نهاية جبل المفارة يوجد  
الكهف المشهور الذي جرى فيه التنقيب عن الآثار القديمة فوجد فيه مدافن وأثار  
ترجع الى عهد الكنعانيين والى القرب منه يقع جبل البياض الذي يرتفع ٥٠٠ متر  
عن سطح البحر وبين هذا الجبل والقرية يقع وادي الرملة \* الذي يقع فيه نبع  
\* المين \* والى الجنوب يقع \* وادي أبي سميد \* ويحده من جهة القريسة  
جبل \* أبي سميد \* وهو مرتفع أقل من ٣٠٠ متر كثير الأشجار وعرة السطح .

وادي

هذه ملامح الصورة الجغرافية للقرية التي ولد فيها ونشأ بها الشيخ يوسف  
النبهاني .

أما أثرنا فيقول الأستاذ الدباغ نقلا عن الوقائع الفلسطينية " أجزم " سوق  
أثرى محتوياته " تل من الأنقاض تحت القرية الحديثة (١) وقد جرى مسح أثرى  
للقرية للتنقيب عن الآثار قام بها اللقائن كوندور واللقائن كشر ، وجاء في تقريرهما  
وصف شامل لكهف فيه عدة قبور ، كما أشار الى مسح آخر أجراه الأماشي أرمسترنج  
لمواقع أثرية أخرى في القريسة (٢) وقد ورد وصف آخر لمواقع " أجزم " الأثرية  
ضمن وصف جغرافي أثرى لمنطقة الكرمل وعكة مزج الناحية الجغرافية والأثرية  
الحوادث التاريخية المتعاقبة باختصار (٣)

(١) بلادنا فلسطين ج ٧ ق ٢ ص ٦٥٨ - ٦٥٩ .

2) The survey of western palestine Vol. II P.53.

3) Tent work in palestine P.88.

## نشاطه :

ترجم الشيخ يوسف النبهاني نفسه في كتابه " هادي المريد الى طرق الاسانيد " فقال " قد رأيت أن أذكر هنا باختصار ترجمتي اقتداءً ببعض الأئمة كالشيخ عبيد الباقي البجلي فأقول : أنا الفقير يوسف بن اسماعيل بن يوسف بن اسماعيل بن حسن بن محمد ناصر الدين النبهاني (١)

ثم استرسل في ذكر طلبه للعلم وأسفاره ووظائفه ، وكتابه : هادي المريد الى طرق الاسانيد " عبارة عن ثبت جامع لكل ما حصل عليه من اجازات ومن يتوصل سنده يستندهم مما سنوضحه في الفصل الثاني من هذا الباب \* وقد سلك في ذلك مسلك الفلاسفة والعلماء والأدباء والمتصوفة فهو في كتابه سعادة الدارين " - بشكل خاص وفي سائر كتبه بشكل عام - كثيرا ما يذكر بعض الفوائد التي حدثت له في الصلاة على الرسول صلى الله عليه وسلم فترجمته لنفسه هي خليط من جميع مناهج الترجمة القديمة وإذا كان النقاد المحدثون يعميرون على هذه المناهج أن أصحابها قد تحاشوا ذكر الطفولة التي تمكن على فهم الشخصية المترجمة حيث يعدونها أي - الطفولة - الأصل الذي تتخذة الشخصية أساسها في التكوين (٢) .

أما الطفولة في نظر علماء السلف فهي ملأى باللهو وهم لا يرغبون أن يعرف عنهم إلا ما يقربهم الى الله ولا يلتفتون الى ما قد ينشأ عنهم من بحوث لدراسة شخصياتهم وقد أوصى الشيخ يوسف النبهاني بأن لا يروى من شعره إلا ما قاله في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم مع أن حياته لم يتخللها فترات لهو ومجون لكنه كان يرغب في طمس معالمها \* وفي كتابه أسباب التأليف " يحدثنا عن ضياع رسائل كثيرة من العلماء يطلبون فيها الاجازة حيث يقول " ... وقد ورد لي أيضا في هذا المعنى مكاتيب

(١) هادي المريد الى طرق الاسانيد ص ٥٦

(٢) الترجمة الشخصية الدكتور شوقي هيف ص ٣٧ - ٤٤

كثيره من العلماء الأشراف وغير الأشراف سوى من ذكرتهم ، وكثير منهم طلبوا الاجازة فكتبتها لهم في آخر شيتي " هادي المريد " وأرسلتها اليهم مع البريد ، ولم أحفظ مكاتيبهم لأنى أجبتهم عنها ولم يكن فى نيتى اثبات هذه المكاتيب فى مؤلف لسف كما فعلته الآن ولو خطر لى هذا أولا لحفظت جميع المكاتيب التى وردت لى فى هذا الشأن ولكن الخيرة فيما اختار الله (١) .

وهذا الامام الغزالى يقول " لقد قضينا عمرنا فى البطالات " فقيل له اولم تكن بذلك حجة الاسلام ؟ " فقال " دعونا من هذه الترهات ، اما علمتم ان الرسول صلى الله عليه وسلم يقول " ان الله لينصر هذا الدين بالرجل الفاجر .

ومع ان الشيخ يوسف النبهانى يعد من المحدثين <sup>الا أنه</sup> كان بعلمه وتفكيره يرجع بنا الى القرنين الخامس والسادس الهجريين فهو نظرا لصوفيته وحرصه على عدم ابراز شخصيته ومآثره والتكلم عن اناة لذلك نرى ان ترجمته لنفسه ليست وافيه كما هى تراجم العلماء المحدثين من أمثال الدكتور طه حسين فى كتابه " الايام " والاستاذ محمد كرد على فى كتابه " خطط الشام " الجزء السادس والاستاذ أحمد أمين فى كتابه " حياتى " وما جاء فى كتاب " هادى المريد الى طرق الأسانيد " من ترجمة اتخذ أساسا بنى عليه كل من ترجم له دون جهد فى البحث عن أخبارها التى يشها متفرقة فى كتبه فقد وردت ترجمته فى كتاب الاعلام " للأستاذ الزركلى وفى كتاب علماء مصر للشيوخ كامل الداعوق ( ج ١ ص ١٣٠ - ١٣١ )

وفى كتاب " حليه البشر فى تاريخ القرن الثالث عشر " للشيخ عبد الرازق البيطار ( ج ٢ ص ١١٤ ) وفى كتاب " اعلام الادب والفن " للأستاذ أدهم الجندى ( ج ٢ ص ٣٤٢ ) وفى " تاريخ الشعر العربى الحديث " للأستاذ أحمد قبيش ص ٣٧ وفى " معجم الشيوخ " للشيخ عبد الحفيظ القاسى ص ١٦٢ وفى " مجلة

الأديب " البيرونية في مقال كتبه الأستاذ محمود عويدات ( البدوي المثل ) عدد يناير ١٩٦٥ م . وفي كتاب " بلادنا فلسطين " للأستاذ مصطفى مراد الدبّاغ ج ٧ ق ٢ ص ٦٥٧ وفي كتاب " الشعر الحديث في فلسطين والأردن " <sup>والأردن</sup> للدكتور ناصر الدين الأسد ص ١٨ كما وردت ترجمته في " معجم سركيس " ومعجم المؤلفين للأستاذ عمر رضا كحالة .

وقد ذكر الأستاذ عويدات في مقاله مراجع لترجمة الشيخ يوسف النبهاني منها :  
" الكرد " " عقود الجواهر " فلم <sup>أعثر عليها</sup> <sup>عليه</sup> في الموسوعة العربية الميسرة أيضا .

ومبداً لي أن من ترجم للشيخ يوسف النبهاني قد اعتمد على ما ذكره صاحب معجم الشيخ حيث أنهم وقعوا في الخطأ نفسه الذي وقع فيه حيث ذكر أن النبهاني قد توفي ودفن في بلده " أجزم " مع أن قبره يزار في مقبره " الباشورة " في بيسروت وقد زرته أما الشيخ عبد الزوّاق البيطار صاحب حلية البشر فلم يذكر وفاته لأنه كان حياً يرزق ولما رجعت الأستاذ خير الدين الزركلي صاحب " الاعلام " (١) قال " أنا نقلت من صاحب معجم الشيخ وكذلك قال الأستاذ مصطفى مراد الدبّاغ (٢) ووعداً بتصحيح هذا الخطأ في الطبعة القادمة لكتابيهما :

قبيلته :

ينسب الشيخ يوسف النبهاني إلى قبيلته " نبهان " ويقول الأستاذ مصطفى مراد الدبّاغ - وهو عالم بالانساب - والنبهاني نسبة إلى عشيرة النباهين من قبيلة الحنّاجرة . وينو نبهان بطن من " بتي سماك من لخم " (٣) وقد أورد الأستاذ علي نصيح الطاهر أربعة أنساب لبني نبهان وهي :

- 
- (١) حيث زرته في بيته في بيروت في ١٢/١١/١٩٧٤ م .  
(٢) زرته في بيته في بيروت في ١٧/١٠/١٩٧٤ م .  
(٣) بلادنا فلسطين ج ٧ ق ٢ ص ٦٥٧

- ١ - نبهان - بنو سسماك / لخم .
- ٢ - النبهان - آل الفضل / ربيعة طي .
- ٣ - آل نبهان - كثير بطنان / بنو لام / جديلة .
- ٤ - آل زميل / سنجاره / شمره (١) .

وقد ذكر بنو نبهان في كتب الأنساب منها كتاب قلب جزيره العرب ص ١٦١ -  
 ١٦٢ وفي العقد الفريد ج ٣ ص ٣٩٩ وفي كتاب الاشتقاق ص ٣٨٠ وفي كتاب " -  
 عشائر العراق ج ١ ص ١٨٧ وفي نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب ص ٤٢٩ وفي  
 جوهرة الأنساب ص ٤٤٦ وقد ذكر في مراجع الأنساب المختلفه اسم " نبهان " -  
 جاء فيها " في نسب طي بطنان الأول يرجع الى كهلان وهو طي بن أدد وأسمه  
 جلسهم بن أدد وطي بطنان جديله والفوث فمن بطون جديلة من طي : الثعالب  
 وثو غيم ، من بطون الفوث فن طي شهل ويحتر قبيلة الشاعر البحري -  
 وجرم ونبهان وبولان وغيرهم غير بولان عك . . . ومن بطون ثفل من الفوث : الجواد  
 حاتم بن عبد الله المعروف بحاتم طي ومن بطون نبهان بن الفوث : زيد الخيل  
 بن مهلهل وهو الذي قال له النبي صلى الله عليه وسلم لما وفد عليه " يا زبيد  
 كل ما وصف لي رأيته دون ما وصف لي الا أنت فاني وجدتك فوق ما وصف لي وسماه  
 زيد الخير بالراء المهملة ومن نبهان ايضا أبو تمام الشاعر (٢) .

وعلى هذا تكون شاعرية الشيخ يوسف النبهاني أصيلة فهو من قبيلة أو من صليبة  
 كان منها فحلان من فحول الشعراء العرب هما أبو تمام البحري . وقد أورد الأستاذ  
 عارف العارف في كتابه " تاريخ بئر السبع وقبائلها " قصيده قائلا يا زبيد ابو عرقوب يزيد  
حربا وقعت بين قبيلة التياها وقبيلة الترابين

قائلا يا زبيد ابو عرقوب يزيد

- (١) جوامع النسب في قبائل العرب الأستاذ علي نصوح الطاهر ج ٢ ص ٦٩٧ مخطوط  
 والمؤلف عمل وزير للزراعة في الاردن سابقا .
- (٢) طرف الاصحاب في معرفه الانساب ص ٣٦ - ٣٧ .

ابن نبهان مع قبيلة التياها مع أن قومه الحناجرة وقفوا مع الترابين • يقول سويلم أبو  
عرقوب شاعر الترابين •

البارحه قلبى شكالى وخايف ..... فى حربه كفت نجوع صحابيه  
فى بالها تفرق عزيز الولايف ..... وشى رايكو والشعور عارف مصابه  
اشوف ابن نبهان حنجورى عالبوق ناوى ..... جمعوا عقاب الليل يمشى عقبواوى  
ديب عدا على الملال واخطا مصابه ..... اولا ابن حماد فوق السلايىل  
حناجره فوق المراويج ان جـــــو ..... بواريد هم مثل الرواعيد فى الجو (١)

الى آخر القصيدة التى يصرح فيها أن ابن نبهان حنجورى • كما أورد الاستاذ  
مصطفى مراد الدباغ • وقد وقعت فى يدى أوراق يحتفظ بها الاستاذ محمد خير  
النبهاني (٢) جاء فيها ذكر النباهنه الذين يعيشون فى غزة الآن وأن جد هم هــــــ  
نبهان النباهين • وقد كان شيخ قبيلة الحناجرة التى تتألف من عدة قبائل أحدها  
قبيلة النباهين (٣) ثم ذكر أحد الفرسان المشهورين من النباهنه وهو سالم بن سلمان  
بن نبهان النبهاني (٤) حيث ناصر قبيلة التياها ضد الترابين سنة ١٨٢٤ فنفاه  
روءوف باشا التركى متصرف القدس ومكث فى سجن القدس سبع سنوات ثم يستمر كاتيب  
الأوراق فى ذكر تاريخ النباهين واشتراكهم مع الفدائيين المصريين فى حرب فلسطين  
سنة ١٩٤٨ وأخيرا ذكر وجود صلة قديمة بين عائلة النبهاني فى أجزم وغزة حيث  
يقول " • • • وقد كانت العلاقات متواصلة ومستمرة الى أيام الجد ابراهيم بن سالم  
بن سلمان بن نبهان النبهانى عند حوالى خمسين سنة تقريبا يحد ثنا

(١) تاريخ بشر السبع وقبائلها ١٨٦ - ١٨٧ •

(٢) هو ابن عم الشيخ يوسف النبهاني اجتمعت به فى دمشق فى ١٠/١٠/١٩٧٤م •

(٣) يتفق الى حد بعيد مع ما ذكره الاستاذ عارف العارف فى كتابه تاريخ <sup>بشر</sup> السبع  
وقبائلها ص ١٣٤ - ١٣٦ •

(٤) لعله المصنف فى القصيدة التى قالها الشاعر سويلم السابقي •



والدى ووالدتي أن الجد إبراهيم كان على علاقة وثيقة مع نباهنة أجزم بحكم القرابة فقد كان يركب حصانه قاطعا المسافات البعيدة في سبيل زيارة أقاربه مصطحبا فسي أغلب الأوقات معه محمود بن سلامة بن نيهان النبهاني كما أن بعض النباهنة من أجزم كانوا يبادلونه أيضا الزيارات (١)

لم أجد في كتب الشيخ يوسف النبهاني أنه أشار إلى أي صلة بين نيهان نيهاني أجزم ونيهاني بشر السبع كما أن جدوده الذين ذكرهم في ترجمته لا يشتركون مع أي جد من جدود صاحب المخطوط مع أن هذه الأوراق يحتفظ ويعترف بها الاستاذ محمد خير النبهاني ابن عم الشيخ يوسف النبهاني وقد استشرت الاستاذ مصطفى مراد الدباغ وهو عالم بالأنساب - في هذا الاشكال فقال " إذا كان أحد الطرفين يعترف بالآخر فهو صادق لأن الناس آمناء على أنسابهم وأما كون الشيخ يوسف النبهاني لم يذكر شيئا من هذا القبيل فذلك لأنه بحكم شخصيته الدينية المتشددة لم يكن ممن تعنيه هذه المسائل +

أقول فعلا وما يبرهن<sup>على</sup> صحة الملاحظة الأخيرة أن الاستاذ أمين النبهاني (٢) وهو أخ الاستاذ محمد خير النبهاني قال : سألت الشيخ يوسف النبهاني رحمه الله عن صحة ما يقال من أن آل النبهاني من الأشراف فانتهرني وقال ما معناه " أياك أن أسميها منك مرة ثانية " وأما الذين ترجموا للشيخ يوسف النبهاني فقد ذكروا أنه من قبيلة " بني نيهان " من عرب البادية استوطنوا قرية أجزم منذ أقدم الأزمان " ولم يذكر أي واحد منهم كيف توصل إلى هذا الربط •

---

(١) مخطوط بعنوان " النباهنة في منطقة غزة " أعدّه علي بن سالم بن إبراهيم بن سالم بن سلمان بن نيهان النبهاني غزة في ١٩٦٢/٨/٤ م •

(٢) كان ضابطا في الشرطة الفلسطينية وهو الآن يسكن في دمشق فابله فسي • ١٩٧٤/٨/١١ م •

أسرته :

والده : والده الشيخ اسماعيل بن يوسف النبهاني ذكره الشيخ يوسف فسي ترجمته فقال \* ..... وقرأ القرآن على سيدى ووالدى الشيخ الصالح الحافظ المتقن لكتاب الله الشيخ اسماعيل النبهاني وهو الآن فى عشر الثمانين كامل الحواس قوى البنية جيد الصحة فانه من الحفظة الماهرين الملازمين لتلاوة القرآن فى اكثر الأوقات بحيث أنه يختم فى كل اسبوع ثلاث ختمات ثم أرسلنى بعد ان حفظنى بعض المتون وسئى سبع عشرة سنة الى مصر لطلب العلم فى الجامع الأزهر فدخلته فسى غرة محرم سنة الف ومائتين وثلاث وثمانين وأقامت به نحو سبع سنوات وبعد ان حصلت على ما قدره الله لى من العلوم الثقيلة والعقلية وجعت بأمر والدى الى الوطن (١) فى شعبان سنة ١٢٨٩ هـ .

ويبدو أن الشيخ اسماعيل النبهاني كان معروفا بالعلم الذى يجيده علماء الأزهر لورود اسمه بلفظ \* الشيخ اسماعيل النبهاني \* كما فى اجازة الشيخ ابراهيم السقا للشيخ يوسف النبهاني التى جاء فيها \* فلما كان للاستاد مزيه عالية وخصوصية لهذه الآمه عالية دون الامم الخالية اعتنى بطلبه الأئمة النبلاء أصحاب النظر اذ الدعى غير منسوب والقصى غير محسوب وسليم البصيرة غير أعشى الفكر ولما كان منهم الامام الفاضل والهام الكامل الجهميد الأبر اللودعى الأريب والالمعى الاهيب ولدنا الشيخ يوسف ابن الشيخ اسماعيل النبهاني أيدى الله بالمعروف ..... الشيخ (٢)

(١) هادى المرید الى طرق الاسانيد للشيخ يوسف النبهاني ص ٥٦

(٢) هادى المرید الى طرق الاسانيد ص ٣٠

وبعد ولي أن الشيخ اسماعيل النبهاني كان ازهرياً بالإضافة الى ما قاله  
الدكتور فاضل زيدان ، ذلك أن الشيخ يوسف يصح أن والده أقرأه القرآن  
وحفظه بعض المتون ولم يكن يستطيع هذا لو لم يكن قد حفظ هذه المتون وفهمها  
ولا يعقل أن يكون اطلاعا شخصياً لعدم شيوع العلم في عصره ولقلة الكتب ولسهولة  
التعليم في الأزهر .

وقد قرأ والدي الحاج محمد علي منصور القرآن على الشيخ اسماعيل النبهاني في  
مسجد اجزم ويذكر والدي انه بينما يقرأ والشيخ اسماعيل يسمع له كان الشيخ صالح  
الخديش يتوضأ فصيح لوالدي قراءه آية فصاح به الشيخ اسماعيل وقال " يا شيخ  
صالح احفظ أدبك مش عارف مين يسمع له الولد ما غلطش أعد قراتها يا ولد فأعسار  
والدي القراء الأولي نفسها فاعتذر الشيخ صالح الخديش وقال سامحنى يا شيخ  
اسماعيل والله ما كنت احفظها الا كما رددت .

ويذكر الوالد ان الشيخ اسماعيل كانت عليه الهيبة والوقار وجميع أهل اجزم  
يجلونه ويوقرونه وكانت كلمته مسموعة حتى عند شيخ البلد من آ ما ص حيث كانت  
مقاليد الامور الرسمية بايدهم وقتها .

يقول الوالد ان أسرة النبهاني كانت معروفة بأنها أسرة علم ودين وكانوا قلعة  
في العدد بالنسبة للأسر الاخرى، ويؤيد قوله الوالد ما ذكره الدكتور فاضل  
زيدان من أن خمسة من أبناءها كانوا ازهريين مع قلة عددهم .

وقد أشار الشيخ يوسف النبهاني الى ذكر والده فقال : " وبعد أن حصلت  
ما قدره الله لي من العلوم النقلية والعقلية رجفت بأمر والدي الى الوطن (١) " .

---

(١) هادي الميريد الى طرق الاسانيد ص ٥٦ .



م  
و

الشيخ يوسف النبهاني رحمه الله  
ولد في عكا بحزم عام ١٨٤٩ وتوفي في بيروت عام ١٩٢٠



<p>أحمد فخر الدين النبهاني رحمه الله ولد في بيروت عام ١٩٠١ وتوفي في غزة عام ١٩٧١</p>	<p>أحمد فخر الدين النبهاني رحمه الله ولد في بيروت عام ١٩٠١ وتوفي في غزة عام ١٩٧١</p>
--	--

ولعل والد الشيخ يوسف قد أخذ بنصيحة الامام الغزالي للمتعلمين لان العلم هذه وسيلة لفاية هي التمكن من فهم القرآن والحديث والتزود ليوم الآخرة بالعمل الصالح فهو يهيب بطلاب العلم الا تلهيهم الوسيلة عن الفاية فكانت سبع سنين كافية لطلب العلم لتحقيق الفاية التي ارادها الامام الغزالي (١)

ومن هذا يتضح لنا ان الشيخ يوسف النبهاني قد رضع التدين والعمل للآخرة من محيطه الخاص الذي ولد فيه ونشأ ومن أسرته المخطورة على التدين ومن والده العالم التقى الذي أنشأ نشأة دينية ظهرت آثارها على ولده في مسيرة حياته الطويلة .

### (( زوجته وأولاده ))

زوجته هي السيدة صفية بنت محمد بك السجعمان من وجوه بيروت وذوى البيوت القديمة الكريمة وفيها يقول الشيخ يوسف " وهى من الصالحات الصادقات فانسى ما عهدت عليها بكذب قسطنطين (٢) .

### (( أولاده ))

رزق الله الشيخ يوسف النبهاني ولدا واحدا وثلاث بنات أما ولده فهو محمد شمس الدين وكنته ابو المكارم وأما بناته فبنات تقيّة وعائشه وفاطمة وقد ذكر الشيخ يوسف ظروف ولادة ولده محمد فقال " . . . بعد كتابتي ما كتبت من مناقب الاستاذ محمد المبكرى المذكور رضى الله عنه رزقني الله وله الحمد والمنة في مدينته بيروت غلاما من زوجتي الصالحة التقيّة النقية صفية بنت الماجد المقدم المرحوم

(١) راجع ما كتبه الامام الغزالي تحت عنوان " بيان القدر المحمود من العلوم المحموده " أحيا علوم الدين ج ١ ص ٣٤ - ٣٧ ونفس المصدر ج ١ ص ١٣ - ١٥ وما كتبه في " المنقذ من الضلال " الذى ضمنه خلاصة تجاربه في العلوم وفي رسالته " ايها الولد " بيدوا اكثر وضوحا لاهدائه وبرايميه .

(٢) افضل الصلوات على سيد السادات ص ٤٧ .

محمد بك السجمان من وجوه مدينة بيروت وذوى البيوت القديمة الكريمة فيها  
 فسميته " محمداً ولقبته شمس الدين وكنيته أبا المكارم تبركا باسم النبی صلی اللہ  
 علیہ وسلم وهو المقصود الاصلی واسم سیدی محمد البکری المذكور ولقبه وكنيته رضى  
 الله عنه وكانت ولادة ولدى المذكور في نصف الساعة الثالثة من ليلة السبت الثاني  
 والعشرين من شهر ذى الحجة من العام الثلاثمائة والف وحمل أمه اربعة عشر شهرا  
 وسبعة عشر يوما فقد وقع الحمل يوم الثلاثاء من شهر شوال من العام الماضى وقد  
 عرفنا بحمله علامات وقرائن قوية دللتنا على وقوع الحمل في ذلك اليوم بيقين بحيث لم  
 يبق عندنا في ذلك شك وبعد الحمل ينحو أربعة أشهر وهو وقت دخول الروح فيه  
 كما ثبت في الحديث رأت أمه - وهى من الصالحات الصادقات فأنى ما عهدت  
 عليها كذبة قط - رؤيا حق ان شاء الله وهى أنها رأت في منامها ان شمساً  
 طلعت من الشمس مشرقة وعلت في السماء مقدار علوها وقت الصبح ثم نزلت وجسأت  
 ودخلت فيها فتحققت في المنام أنها حملت وأخبرتني بهذه الرؤيا المباركة في صباح يوم  
 تلك الليلة فسررت جدا وكنت عازما اذا ما رزقنى الله ولدا أن أسميه محمداً  
 والقبه ناصر الدين لانه لقب أحد أجدادى فلما قصت على هذه الرؤيا صمت على  
 تلقيه شمس الدين وأخبرت بذلك كثيرا من أصدقائى قبل الولادة وبعد اكمال مدة  
 التسعة الاشهر التى هى غالب مدة الحمل <sup>ظهرت</sup> ظهرت علامات الولادة ثم ذهبت وصارت  
 تذهب وتجيء حتى عجبنا من هذا الحال ولم يزل الامر كذلك الى أن ولد في الوقت  
 المذكور \*

ومما يدل على أن هذا المولود سيكون من الصالحين الاخيار انى حينما  
 قرئت من والدته في المدة التى حملت به فيها كنت أزهد ما كنت في الدنيا وأرغب  
 بما كنت في الآخرة بسبب مرض شديد قصر أمدى وضاعف عملى والحمد لله على زواله  
 وقد نص القطب الكبير عبد الوهاب الشمرانى في كتبه على أن المولود يكون على الحالة  
 التى عليها والد حين ثزول النطفة التى تخلق منها واذ قد وافق وفقه الله سـيدى  
 محمد البکرى بالاسم والكنية واللقب وشهر الولادة ذى الحجة أسأل الله الكريم الوهاب

أن يوفقه أيضا في العلم والعمل والمعارف الدينية والقبول التام عند الله وعند الرسول<sup>(١)</sup>.

تزوج محمد شمس الدين فاطمة بنت الشيخ محمد صادق الجبالي التونسي  
الأصل وهو من أسرة الباهي الادغم رئيس وزراء تونس سابقا .

وتخرج من مدرسة الحقوق في تركيا واشتغل مدعيا عاما في بعلبك ثم قاضيا  
في طرابلس ثم ترك العمل واشتغل محاميا في بيروت<sup>(٢)</sup>.

وتوفي محمد شمس الدين في بيروت في ١٦ آيار ١٩٣٦ وقبره خلف قبر الشيخ  
يوسف النبهاني من الجهة الشرقية وفي القبر نفسه دفن محمد صادق الجبالي  
زوج ابنة الشيخ يوسف النبهاني المسماة عائشة ، دفن مع شمس الدين في القبر نفسه فسي  
٦ شباط ١٩٦٩ والقبر موجود في مقبرة الباشورا في بيروت .

وقد خلف محمد شمس الدين أربعة أولاد وبنيتين أما الأولاد فـهم :

١ - أحمد خير الدين الذي ولد عام ١٩٢١ وقد حصل على الثانوية النهائية سنة  
عام ١٩٤٤ من كلية التربية والتعليم في طرابلس الشام ، واشتغل مدير المخازن  
في شركة نفط العراق - مصفاة طرابلس - ثم تزوج وله بنت وولدان هما بسلا  
وعمر وتوفي ١٩٧١ م .

٢ - محمد نور الدين الذي ولد سنة ١٩٢٥ وحصل على الشهادة الثانوية  
النهائية عام ١٩٤٦ وعمل رئيس قسم فني في الاذاعة اللبنانية وتزوج وله ثلاث  
بنات وولد واحد وهو حي يرزق .

---

(١) افضل الصلوات على سيد السادات ص ١٤٧ - ١٤٨

(٢) مقابلة مع الاستاذ يوسف النبهاني - الحفيد - في بيروت ١٢/١/١٩٧٤ م .

٣ - محمد صلاح الدين الذي ولد سنة ١٩٢٨ . وقد حصل على الشهادة الثانوية

النمائية عام ١٩٤٨ وعمل رئيس قسم في شركة نفط العراق ( مصفاة طرابلس )

وهو متزوج وله ثلاثة اولاد هم قادي ونبيل وسامي وهو حي يرزق .

٤ - يوسف الذي ولد سنة ١٩٣٣ وقد حصل على ليسانس هندسة في الطيران

سنة ١٩٦٠ من ولاية تكساس في أمريكا وعلى ليسانس هندسة في الميكانيكية

في السنة نفسها من ولاية تكساس ايضا وهو يعمل رئيس قسم فني في المديرية

العامة للطيران المدني في بيروت ، ومتزوج وله بنت واحدة وهو حي يرزق (١) .

أما بنات الشيخ يوسف النبهاني فهن تقيّة وعائشة وفاطمة :

أما تقيّة فقد تزوجت الشيخ ابراهيم النبهاني وأنجبت منه الشيخ تقي الدين

النبهاني ورئيس حزب التحرير الاسلامي وقد حدثني الاستاذ امين النبهاني

ابو نبهان بأن الشيخ يوسف أرسل تقي الدين الى مصر للدراسة في الأزهر وكسان

ينفق عليه من جيبه الخاص ولكن الشيخ تقي الدين لم تعجبه الدراسة في الأزهر

وتحول الى دار العلوم ففضب الشيخ يوسف كثيرا وكان يسميه شقي الدين بدل من

تقي الدين (٢) .

أما عائشة فقد تزوجها الشيخ محمد صادق الجبالي التونسي في نصف شعبان

١٣٢٦ وقد وصفه الشيخ يوسف بقوله " . . . الذي صاهرته فحمدت مصاهرته من

كل الوجوه ووجدته على جانب عظيم من الفضل والتقوى ومكارم الاخلاق (٣) .

---

(١) حصلت على هذه المعلومات من الاستاذ يوسف اثناء مقابلتي لــــه

فسي بيروت بتاريخ ١ / ١٢ / ١٩٧٤ م .

(٢) في مقابلة مع الاستاذ امين النبهاني في دمشق في ١١ / ١٠ / ١٩٧٤ م .

(٣) جواهر البحار ج ٤ ص ٣٥٥



وكثيرا ما كان الشيخ يوسف يذكر ابنته فاطمة ورواها للرسول صلى الله عليه وسلم (١)  
أما فاطمة فقد تزوجها الشيخ عبد الواحد الخطيب نقيب أشرف حيفا ، وله منها ،  
الشيخ يونس الخطيب والشيخ محمد بدر الدين الخطيب .

### ( وفاته )

وقد توفي رحمه الله في العاشره أو الحادى عشر من رمضان المبارك سنة ١٣٥٠  
وهذا لك يكون قد عاش أربعاً وثمانين سنة حيث ولد عام ١٢٦٦ هـ ، وقد حدثنى  
الاستاذ يوسف النبهانى - الحفيد - عن وفاته فقال " كانت صحته جيدة ثم  
مرض بالنزلة الصدرية وتوفي في خلال ٢٤ ساعة وفي أثناء مرضه بعث الى أبى يسـلال  
خير الدين وهو حفيده وطلب منه أن ينزع حذاءه - أى الشيخ يوسف - وينسـسل  
يديه ثم لبس لباسه الأبيض وثام ففاضت روحه الى خالقه وكان آخر ما قاله :  
" اللهم لا تغنى ولا تغن أحدا من ذريتى " (٢) وحدثنى فضيلة الشيخ  
مختار العادلى أمين الفتوى فى لبنان قال " وقيل أن ينتقل الشيخ يوسف النبهانى  
الى الرفيق الأعلى رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال له ما معناه : " أخبر  
الشيخ مصطفى نجا (٣) أنى مشتاق اليكما ولما أخبر الشيخ يوسف الشيخ مصطفى  
نجا بذلك انهض بالبكاء وهما متعانقان لمدة طويلة وفلا توفي الشيخ مصطفى نجا  
وفلا

(١) جواهر البحار ج ٤ ص ٣٥٥

(٢) مقابلة مع الاستاذ يوسف النبهانى - الحفيد - فى ١٢/١/١٩٧٤ م .

(٣) هو مصطفى بن محى الدين بن مصطفى بن محمد عبد القادر نجا مفتى بيروت  
سنة ١٣٢٧ الى ان توفي له عدة مؤلفات فى التريسه والتصرف والتفسير وديوان  
شعر راجع ترجمته فى الاعلام ج ٨ ص ١٤٧ - ١٤٨ حدثنى الاستاذ المؤرخ محمد  
جميل بيهم فى بيته فى ١٣/١/١٩٧٥ فى بيروت قال " .. ان جمال باشا  
فى مذكراته قد اراد ان يستميل بعض الطوائف اليه فارسل الى بعض البطارقة مال  
وللشيخ المفتى مصطفى نجا ولما وصلت اليه المفتى رد ها وذكر منها ان مولانا  
السلطان اعلم بالفقراء ما قال جمال باشا وكنت اتوقع هذا من المفتى "

في السنة نفسها التي توفي فيها الشيخ يوسف النبهاني رحمه الله (١) ، وقد وصف لي فضيلة الشيخ مختار الحلايلي جنازة الشيخ يوسف النبهاني كما رآها فكتبت ملاحظات تساعدني على تذكر ما قال ولما عدت الى القاهرة وجدت الملاحظات غير كافية فبعثت رسالة للشيخ محمد نمر الخطيب رئيس الرابطة الاسلامية في بيروت - حيث كان قد حضر زيارتي للشيخ الحلايلي - أرجوه اعادة سؤال الشيخ مختار عما حدثنا به عن تجهيز جنازة الشيخ يوسف النبهاني رحمه الله فبعث لي رسالة مؤرخه في ٢١ ربيع الثاني ١٢٩٥ الموافق ١٩٧٥/٤/٢١ هذا نصها :

" توفي الشيخ يوسف النبهاني في ١٠ أو ١١ رمضان المبارك ١٣٥٠ هـ ١٩٣٢ م مات قبل الشيخ مصطفى نجا الذي توفي في ٢٧ رمضان من العام المذكور وهو الذي هيا القبر وأعد له ترتيب الجنازة بالاشتراك مع الشيخ توفيق الهبري - وقد بدا كأنه شاب عند تجهيز الجنازة والاشراف عليها والشيخ صالح كفتارو امام مسجد قريسة بابيلاء وهو عم الشيخ أحمد كفتارو (٢) وقد كان خليفة للشيخ عيسى الكردي السدي كان شافعي زمانه وكان مرجع أهل بيروت وكان الشيخ صالح يأتي لبيروت يعطي الطريق ويبيت الملم وكان صاحب همة عالية .

دخل المسجد المصري مع الشيخ مختار امام مسجد النبي يحيى ، وبينما كانا جالسين اذ أتى رجل يسأل عن الشيخ يوسف النبهاني فأجيب بأنه توفي فقال سبحان الله لقد أتيت الى هنا لرويا رأيتهما وخلاصتها أني رأيت نفسي ادخلت الجنسه ورأيت أنه وزعت علينا باقات زهور فسألت عن السبب فقليل أنه سيأتي الشيخ يوسف النبهاني .

---

(١) مقابلة مع الشيخ مختار الحلايلي امين الفتوى في بيروت زرتة في ٨ أو ١٠/١٢/١٩٧٤ م

(٢) مفتى سوريا سابقا .

وفي الجنازة حضر جميع مشايخ بيروت ومنهم الشيخ مصطفى نجا الذي صلى على الجنازة وتوفيق الهبري وصباح شتيلو ومحمود محرم وهاشم الخليلي الشريف ومختار العلايلي ، وقد مشوا خلف الجنازة ومشى في آخرها الشيخ الكردي والحاج حمدي الكوي .

وقد أخبر الشيخ الكردي أن الانوار كانت متصلة من السماء للأرض اكراما للشيخ النبهاني ، ولما وصلنا للحفرة وجدنا أحمد فليفل وهو رجل صالح محب للرسول عليه السلام ومحب للنبهاني لمحبهته للرسول وكان يجمع المحبين يصلون على الرسول ، صلى الله عليه وسلم وهنا أخذت الحاج الكوي سنة من النوم فرأى رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أبي بكر وعمر يستقبلون النبهاني ويضعونه في القبر ١٠ هـ .

وفي مقابلة لي مع فضيلة الشيخ عبد الله العلايلي - نابغة لبنان وحجته في العلم وقد كان غائبا وقت تشييع الجنازة قال " .. وقد حضر تشييع الجنازة رهط من العلماء والصالحين منهم الشيخ صالح الكردي الذي كانت له همة عالية وقدم وامخه - واحوال مع الله وقد أخبر بعض المشيعين أنه رأى الانوار متجهة من السماء الى الارض في أثناء الجنازة .

وقد قام بتنظيم الجنازة خير تنظيم الشيخ توفيق الهبري فوضع العلماء في المقدمة والوجهاء من ورائهم ووضع بعد ذلك كل طبقة في مكانها كما أتى بفرق الكشافه وغيرها وكان احتفالا عظيما لم ير الناس مثله وفي أثناء الدفن أخذ جماعته المحبين من أهل الصلاح والتقوى يتلون القرآن الكريم ويرفصون أصواتهم بالإسالة على الرسول صلى الله عليه وسلم وقد تأخر الدفن بسبب أعمال الحفر التي لم تتم بسرعته وفي هذه الأثناء كان رجل صالح من المشيعين قد أخذته سنة من النوم فشهد فيما شاهد الرسول صلى الله عليه وسلم ومعه بعض الصحابة كأبي بكر وعمر يستقبلون الشيخ يوسف النبهاني رحمه الله وهذا يدل أكبر دلالة على مكانة الرجل عند الله تعالى (١) .

(١) مقابلة مع فضيلة الشيخ عبد الله العلايلي في بيته في ٥ / ١ / ١٩٧٥ م .

ودفن رحمه الله في مقبرة الباشورا وقبره يزار وقد أخبرني حارس المقبرة أنه يأتي  
أناس من مختلف الجنسيات لزيارته وقد وجدت على نصية القبر الايات الآتية :

هذا ضريح العالم الرياني	...	حسان أحمد يوسف النبهاني
في دينه والذب عنه ومدحه	...	ستون تأليفا كمقد جمان
يا زائرا فأقرأ له ما شئت من	...	سبع مئتان ثم من قـرآن
وادعوا الله بما تشاء لعلـه	...	لك يستجيب بوابل الاحسان
لما دعاه الله في رضائـه	...	لباه يذكره بخير لسان
ولسان قدرته يقول مؤرخا	...	للخلد أرفع يوسف النبهاني
سنة ١٣٥٠		١٤٩ ١٥٦ ٣٥١ ٦٩٤

تتم بناء هذا الضريح خادم الطريقة الرشيدية الندرأوية في بيروت عبد الله  
اليمني قيم جامع زقاق البلاط غفر الله له ولمن دعا له ١٣٧٤ هـ (١)

اتضح لي خلال الوصف الحي لجنازة الشيخ يوسف النبهاني رحمه الله السدي  
سمعت من الشيخ مختار الحلايلي والشيخ عبد الله الحلايلي أن وقع الوفاة كان شديدا  
ومؤلما في قلوب المسلمين وعلى مختلف الاوساط ولم أسمع أحدا ممن يعرف الشيخ  
يوسف النبهاني الا أثنى عليه موضحا مكانته السياسية والروحية في عصره ولكنني لم  
أجد قصائد شعرية كثيرة في رثائه وكأن محبيه لم يشعروا أرضاء له فيما ارتضاه  
لنفسه أثناء حياته من البعد عن الشهرة والظهور ومن رثاه الشيخ علي داود رحمه  
الله قال في موشية طويلة :

(١) وقد ذهبت الى جامع زقاق البلاط في بيروت وهو قريب من منطقة الصنائع وسألت  
عن الشيخ عبد الله اليمني فاخبرني امام المسجد انه توفي في سنة ١٩٧٢ م.  
رحمه الله!

صفوة الناس من أولى العرفان

خير خير وعالم رياضتي

محبا للمصطفى المدائن

ذو الفضل يوسف النبهاني

بل اماما علا على الأقران

المعيا وأية في البيان

ليس ترضيه ذلة الانسان

ومين المورى كذى سلطان

ليس يحصى بل ليس في الامكان

هل قضى نحيبه حليف المانسي

قدوة العالمين في وقته بسلا

هل مضى خير عالم قد علمنا

ناشر الحق ناصر الدين والامن

رضى الله عنه كان هماما

رضى الله عنه كان ذكيا

كان حرا بين الانام ابيبا

كان في ذلة المساكين للسه

والي كم أقول كان لشئ

الذي ان قال :

واطلبوا العلم عن أولى العرفان

فأحبسوه تظفروا بالاماني

اذن فاعرفوا تتالوا الاماني

من ثنايا صحائف النبهاني

وهي نور من درة الأكنان

انه الحق واضح البرهان

شئتموا قمع زمرة الشيطان

وانشروها في العالم الانساني

وتفوزوا على أولى البهتان (١)

ولاشك ان الضعف الفنى ظاهر عليها بعض الشيء ولكنى لم أجدها غيرها ففى

أيها المسلمون سيروا وجدوا

حب طه أساس كل نجاح

لكن الحب فرع معرفة الحبيب

واطلبوها بالصدق تسرع اليكم

وثقوا أنها شواهد حقيق

كل ما تحتويه لا ريب فيه

ثم فيها أمضى سلاح اذا ما

فانصروها ينصركم الله حقا

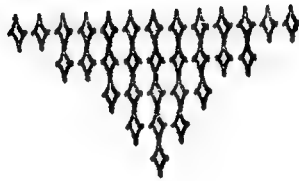
انشروها كي تريحوا كل خير

ولاشك ان الضعف الفنى ظاهر عليها بعض الشيء ولكنى لم أجدها غيرها ففى

رثاء الشيخ يوسف النبهاني .

(١) تفسير جزء عم للشيخ يوسف النبهاني تحقيق وتعليق الشيخ محمد مصطفى ابو

وسألت الأستاذ يوسف النبهاني - الحفيد - هل ترك الشيخ  
يوسف وصية فقال " لم يترك وراءه مالا حتى يوصى منه " <sup>(١)</sup> وأخبرني  
الدكتور أحسان عباس " أن المساجد في فلسطين قد أذنت في  
غير وقت الصلاة للاخبار بوفاة الشيخ يوسف النبهاني <sup>(٢)</sup>  
رحمه الله ورضي عنه وأرضاه .



---

(١) مقابلة للأستاذ يوسف النبهاني - الحفيد .

(٢) الدكتور أحسان عباس رئيس قسم الدائرة المربية في الجامعة  
الأمريكية في بيروت وهو من قرية عين غزال تبعد مسافة  
١٥ كم عن قرية اجزام " مولد الشيخ يوسف النبهاني

## الفصل الثاني

(( ثقافت ))

مصادره الفكرية هي :

١ - قريته : ولد الشيخ يوسف النبهاني في أجزم وسها نشأ وترعرع في جو ديني عام حيث يحرف أهلها بحبهم للعلم والعلماء لكثرة من وفد منهم إلى الأزهر الشريف فهي الأولى بقوى قضاء حيفة من حيث عدد الأزهريين من أبنائها كما أن أسرة النبهاني معروفة بتدوينها وحبها للعلم بالإضافة إلى أن الجو العام الثقافي والسياسي والاجتماعي والاقتصادي - كما وضعناه في الباب الأول - كان مشجعا لكل من يسير في طريق المسلم الشرعية .

كما استفاد الشيخ النبهاني من جمال الطبيعة في قريته مما أدى إلى توضيح الصور الفنية في شعره وقد أكثر منها كثيرا ييسر للفنان أن يرسم بريشته وراء قلمه خصوصا في بسية الذي يفتتح به مدائحه .

ب - والده : كان أول استفاد عرفه الشيخ يوسف النبهاني هو والده الشيخ اسماعيل النبهاني ، يقول الشيخ يوسف " . . . وقرأت القرآن على والدي حفظه الله فانه من الحفظة الماهرين الملازمين لتلاوة القرآن في أكثر الأوقات بحيث أنه يختم في كل اسبوع ثلاث ختمات ثم أرسلني بعد أن حفظني بعض المتن وسني سبع عشرة سنة إلى مصر لطلب العلم فسي الجامع الأزهر فدخلته في فرة محرم سنة ثلاث وثمانين ومائتين الف هـ واقمت فيه نحو سبع سنوات وبعد أن حصلت ما قوره الله لي في العلوم النقلية والعقلية رجعت بأمر والدي إلى الوطن في شعبان ١٢٨٩ هـ " (١)

لقد كان والده المعلم الاول الذى تتلمذ عليه الشيخ النبهانى سواء بالورائيه  
أو الكسب فقد ورث من أسرته الذكاء وحب العلم والتدين كما هو معروف عنهم كما  
ورث الاصله الطرية والمقدرة الشعرية أما والده فقد كان له موجهها تمهيد  
منذ صغره بحفظ القرآن الكريم وحسن المتون مع التوجيه السليم حتى اذا التحق  
بالازهر الشريف ومكث به سبع سنوات رآها والده كافيه لتحصيل العلوم الضرورية  
بالنسبة لولد تعلمه بالرجوع وكان والده كان يحده اعدادا أخرى متأفيا بالامام  
الفزالى (١) خصوصا في نصيحته لأحد تلاميذه في رسالة مرفوعة عنوانها :  
" ايها الولد "

نجد هذا نفسه ظاهرا في مؤلفات الشيخ النبهانى قينا سنلاحظه  
في اخلاقه وافكاره .

ج - شيوخه في الأزهر : يقول الشيخ يوسف النبهانى رحمه الله : وأما  
مشايخي الذين أخذت عنهم العلم في الجامع الأزهر أيام مجاورتي فيه  
فهم سادتي الأئمة الاعلام مشايخ الاسلام محمد الدمشقى المتوفى سنه  
١٢٨٥ هـ وقد حضرت لدروسه في الاجزوميه وشرح القطر لابن هشام وحدثتني  
بالحديث المسلسل بالاولوية وهو أول حديث سمعته منه " الراحون يرحمهم  
الرحمن ارحموا من في الارض يرحمكم من في السماء " والشيخ ابراهيم السقا  
لازمته ثلاث سنوات حضرت فيها لدروسه في التحرير والتمهيد لشيخ الاسلام  
في فقه الشافعى بحاشيتها للشرقاوى والبيجورى (٢) وشطائل الترمذى فى  
رياضان وهذان الشيخان هما من أقران الامام العلامة شيخ اكثر مشايخي الشيخ

(١) راجع احياء علوم الدين ج ١ ص ٣٤ - ٣٧ تحت عنوان " بيان المقدار المحمود  
من العلوم المحموده " .

(٢) هناك فرقا بين عائلة البجيرى في اجزم قد مو اليها اخر حملة ابراهيم باشا  
على فلسطين ومنهم الشيخ توفيق البجيرى والشيخ يوسف البجيرمى .  
• فاضل زبدان



ابراهيم الباجورى المتوفى سنة ١٢٢٧ هـ وأخذوا جميعهم عن الشيخ حسن  
 القومى والشيخ محمد الفضالى والشيخ محمد الامير الصغير وطبقتهم والشيخ  
 راضى الشرتاوى والشيخ صالح الجياوى والشيخ محمد العشماوى حضرت دروس هؤلاء  
 الثلاثة فى شرح ابن قاسم على متن أبى شجاع بحاشية البرماوى والشيخ محمد  
 الانبائى شيخ الجامع الأزهر حضرت دروسه فى شرح ابن قاسم المذكور مع حاشيته  
 المذكورة وفى شرح الخطيب الشربى على أبى شجاع وفى حاشيته الامير على البطوى  
 على السمرقندى وفى حاشية شيخه الشيخ ابراهيم الباجورى على بردة الامام  
 البوصيرى فى المديح النبوى والشيخ عبد الرحمن الشربى حضرت دروسه فى  
 شرح الخطيب على أبى شجاع والشيخ ابراهيم الزرو الخليلى حضرت دروسه  
 فى حاشية شيخه الباجورى على جوهرة التوحيد وفى شرح ابن عقيل على الفيسه  
 ابن مالك بحاشية الشجاعى والشيخ مصطفى الاشرقى حضرت دروسه فى الجامع  
 الصغير للحافظ السيوطى والشيخ أحمد الاجمورى الضربى حضرت دروسه فى  
 تفسير الجلالين بحاشية الجمل وفى حاشية الامير على شرح الطوى على السمرقندى  
 والشيخ عبد الهادى الالبيارى حضرت دروسه فى صحيح البخارى ومقامات الحريرى  
 وحاشية شيخنا الدمشقى الصغرى على الكافى فى علل المروى والقوافى  
 والشيخ عبد اللطيف الخليلى حضرت دروسه فى حاشية الباجورى على الجوهرة  
 والشيخ أحمد البابى - نسبة الى الباب من أعمال حلب حضرت دروسه فى شرح  
القطر بحاشية الشجاعى وشرح الشذور بحاشية الامير وهو هؤلاء كلهم شافعيون .

شرح

والشيخ عبد القادر الرافعى شيخ رواق الشوام حضرت دروسه فى الجزء الثانى  
 من حاشية ابن عابدين على الدر المختار وشقيقه الشيخ عمر الرافعى حضرت دروسه  
 فى حاشية الباجورى ، على السمرقندى ، والشيخ شريف الحلبي حضرت دروسه  
 فى شرح الازهرية بحاشية المطار والشيخ مسمود النابلسى حضرت دروسه  
 فى شرح الدر المختار والشيخ فخر الدين البانيوى حضرت دروسه فى شرح  
 الجامعى على الكافية وهو هؤلاء كلهم حنفيون .

والشيخ حسن المدوني حضرت دروسه في صحيح البخاري والاربعين النووية  
والشيخ حسن الطويل حضرت دروسه في شرح الازهرية بحاشية المطار وشرح  
الشدور بحاشية الأمير وقلائد المقيان للفتح بن خاقان وكان قراءه في بيته لبعض  
تلاميذه ، ثم لم يكمله والشيخ محمد البسيوني حضرت دروسه في حاشية الصبان على  
الهوى على سلم المنطق والشيخ محمد الروي حضرت دروسه في شرح الاشمونسي  
على الالفية بحاشية الصبان والشيخ محمد الحامدي حضرت دروسه في مختصر  
البخاري ، لابن أبي حمزة بحاشية الشنواني وشرح الشيخ خالد على الاجرومية  
بحاشية ابي النجار وهو لا كلهم مالكيون .

والشيخ يوسف البرقاوي الحنبلي شيخ رواق الخنابلة حضرت دروسه في الاجرومية  
وهو أول شيخ انتفعت به نفسي الله ببركاتهم أجمعين وعشرني في زمرة تحسنت وعشرني  
لواء سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم (١) .

بيدوا أن الشيخ يوسف النبهاني رحمه الله لم يحصل على شهادة في دراسته  
لأن التعليم في الأزهر وقتها كان على شكل حلقات يختلف اليها الطلاب لسماع  
الدروس التي يرغبونها من الأساتذة قوالى هذا أشار الشيخ محمود  
أبو الصيون في كتابه الجامع الأزهر تحت عنوان " الدراسة في الأزهر قبل النظام "  
ومنذ أصبح الأزهر مدرسة جامعة كان يسير على نظام سهل يكاد يكون قطريسا  
أساسه التقوى ، وقوامه احترام الدين وأهله . . . كان الطالب يدخل الأزهر  
مختارا بلا قيد ولا شرط ويختلف الى من أراد من العلماء لتلقى العلم عنده  
ويبقى فيه ما شاء الله أن يقيم فإذا آنس من نفسه علما كافيا ومكة يتمكن بها ممن  
أخاته نعمة استاذن أساتذته وجلس للتدريس حيث يجد مكانا خاليا وعرض نفسه على  
الطلبة فكانوا اذا لم يجدوا فيه الكفاية للانفاذة انفضوا من حوله وإذا وجدوه على  
علم وثقوا به واستمروا على تلقى العلم عنه وحينئذ يجيزه شيخ الأزهر اجازة . . . . .

رافادة

وكان عماد الدراسة اذ ذاك النقاش والحوار بين الطلبة وأساتذتهم بما يشق العقول  
ومنى ملكة الفهم ، وظلوا على ذلك مدة طويلة الى أن اقتضى الحال وضع قوانين خاصة  
للأزهر وطلبته وعلمائه وإدارته وإدارته وإدارته فيه (١) .

لم يذكر النبهاني انه حصل على اجازته رسمية من شيخ الأزهر وييد وأن الشيخ  
النبهاني كان يختلف الى حلقات الدرس كما وصف الشيخ أبو الميوني وكما يظن  
من حضوره <sup>دروس</sup> دروس كل شيخ من الذين ذكرهم من أساتذته من المذاهب الأربعة  
والنبهاني يذكر في كتابه " أسباب التأليف " أنه جلس لتدريس النحو لبعض الطلبة  
ولم يذكر غيرها حيث يقول " ٠٠٠ ذكرت في كتابي " هادي المريد الى طرق

الأسانيد " جميع الكتب التي اعتادوا قرائتها في علم النحو في نحو سبع سنوات من  
الاجرومية الى الاشعري بالشروح والحواشي مع حفظ الاجرومية والالفية ومطالع  
الموايل والظهار وكافيه ابن الحاجب بنفسى وليمض الطلبة " (٢) والنبهاني  
لم يوضح في هذه العبارة ان كانت مطالعته هذه العلوم للطلاب في حلقة للتدريس  
في الأزهر أو مجرد مذكراته وييد وأنها كانت حلقة للتدريس . مذكراته

على أي حال غادر النبهاني الأزهر في رجب ١٢٨٩ بأمر والده دون أن يحصل  
على اجازته شيخ الأزهر " وكان اول قانون وضع للأزهر لنيل الشهادة العالمية  
سنة ١٢٨٩ في عهد شيخه الشيخ محمد العباسي ولكن وييد وأن القانون لم يطبق  
من تاريخ صدوره لكن الجامدين من رجال الأزهر كانوا يعادون كل اصلاح وتجديد  
وكان يتزعمهم الشيخ محمد عيش فكانوا يهجمون اصلاحات الشيخ المهدي العباسي -  
وساعدهم على ذلك ان الخديوي اسماعيل كان مشغولا بالجن السياسية والاقتصادية  
وان مصر شغلت كلها بالاحتلال الانجليزي (٣) ولم يوضع القانون موضع التنفيذ

(١) الجامع الأزهر نزهة في تاريخه ص ٣٩

(٢) أسباب التأليف من العاجز الضعيف ص ٣٣٤ - ٣٣٥

(٣) الأزهر تاريخه وتطوره ص ٢٤٧

الا في ١٧ رجب ١٣١٢ في عهد الخديوى عباس الثانى \* (١) وفى هذا يتضح لنا سبب استدعاء والده له - وهو شيخ عالم اذ أنه رأى ولده قد استوعب من العلوم الشرعية القدر الكافى وليس هناك شهادة ينتظر الحصول عليها وربط تكون رغبة الشيخ يوسف مع والده أن يحصل على العلوم الشرعية التى تمكنه من العمل فى القضاء الذى لا يحتاج الى تغلغ فى العلوم الشرعية وانما هى قوانين مخصوص عليها وقد حصل الشيخ يوسف النبهانى رحمه الله على عدة اجازات من مشاهير علماء العصر ذكر هذه الاجازات فى كتابه " هادى المريد الى طرق الاسانيد " بعضها بالتفصيل ، ويمكن الاطلاع عليها بتمامها تذكر منها بالقدر الذى يبين نوعيتها ثقافته العلمية اذ أن هذه الاجازات بمثابة شهادات علمية على أهلية المجاز فيما يجازى به . يقول رحمه الله : " ..... ولما كان من أكبر نعم الله تعالى على من وصل سدى بأسانيدهم - أى العلماء القائمين بخدمة الدين - كما يتوصل بالسادة أحقر عبید هم رأيت أن اثبت من سلسلة أسانيدى فى هذا الثبت الوجيز ما هو أنف من سلاسل الذهب الابريز لأجمع تلك الطرق الكثيرة فى مكان واحد ..... وقد سميت " هادى المريد الى طرق الأسانيد " واقتصر فيه على ذكر أربعين سنداً أو أربعين فائدة وخمس اجازات وخمسة اثباتات انا مجاز بها أحدها يتضمن اثنين وأربعين بيتاً وهى تشتمل على أكثر أسانيد العلماء الاول ثبت الشيخ الامام المحدث عبد الله بن سالم البوصيرى والثانى ثبت الامام المحقق الشيخ محمد الأمير الكبير المصرى اروهما عن شيخنا الامام الصقا والثالث ثبت العلامة الامام الشيخ عبد الرحمن الكزبرى محدث الشام اروه عن العلامتين محمود أفندى حمزه والشيخ محمد الخانى وغيرهما . والرابع ثبت الامام المحقق السيد محمد بن عابد يسن

---

(١) المرجع السابق ص ٢٥١ .

أرويه عن ابن أخيه العلامة أبي الخير أفندي وهو أجمعها وأكثرها فوائد ، وفيه اجازته باثنين واربعتين بيتا بالسند الى مؤلفيها الا أن سندی في الثلاثة قبـله أعلى من سندی فيه من بعض الطرق لذلك نقلت الأسانيد منها وربما استمعت بثبت الشيخ محمد الكزبري والد الشيخ عبد الرحمن وشيخه ، وأما النوائد فقد نقلت أكثرها من ثبت ابن عابدين ونقلت بعضها من ثبت الشيخ محمد الكزبري والبعض من ثبت الشيخ أحمد النخلى المكي الاقادة القاتحه فقد نقلتها من ثبت الشيخ محمد طاب السندی وهو الخاص الذي أرويه عن الاطام المحدث الشيخ عبد الله بن ادريس السنوسي الفاسي المالكي الاثرى قدم بيروت في العام الماضي فقرأت عليه أول صحيح البخاري وأجازني به وسائر مروياته ومنها الثبت المذكور وهو عن الشيخ عبد الغني المجددي المدني عن مؤلفه " ثم أورد الشيخ النبهاني رحمه الله الاجازات الخمس التي حصل عليها وهي :

١ - اجازة الشيخ ابراهيم السقا - أستاذ الشيخ النبهاني في الأزهر - جاء في اجازته " أجزت ولدي المذكور بما تجوز لي روايته وتصح عني درايته من حديث وأثر ومن فروع وأصول ومقول ومقول ~~والمؤمن المؤمن~~ ~~والله أعلم~~ كما أخذته عن الأفاضل السادة الاكابر ٠٠٠ ( يذكر هؤلاء السادة ) فسانيدهم مسانيدى وقد سمع مني المجاز كتباً عديدة معتبرة مفيدة كالتحرير والضمج فما أكرمها من نسبة وأبرها وفقه الله لحاسن طابه أمر أمين بجاء طه الامين في ١٨ رجب سنة ١٢٨٩ (٢) .

٢ - اجازة السيد الشريف السيد محمد أفندي الحمزاوي الحنفي مفتي دمشق الذي جاء في اجازته " فانه رأى النبهاني - بمن لحظته العناية وشملته الهداية وقد حسن طه بي كما هو شأن المؤمن الكامل وطلب عني أن أجزيه اجازة شامة بجمع مزياتي وما تطلعت بجمعه من مستغاثي كالتفسير بحروف المهممـل السنن " بدر الاسرار " ونظم الجامع الصغير للاطام ~~محمد~~ صاحب أبي حنيفة رحمه الله تعالى ، ونظم مرقاة الاصول لملا خسرو واللآلى البهيـة في الفرائد الفقيهية ونغية الطالب في شرح وسالة الصديق لعلى بن أبي طالب

(١) كليه مستعمله شيئا في غير معناها ٠٠ لان اعتبر معناها : القطر د عبد السلام سمرحان  
(٢) هادي المرید الى طرق اسانيد ص ١ - ٢

رضى الله عنهم وقواعد الاوقاف وكشف الستور في المهابة والأجر وضظوم الغريب  
والفتاوى الحمزاوية وشرح بدعية الوالد المسمى كشف القناع ودليل الكمل الى المهمل  
في اللغة والطريقة الواضحة الى البيئة الراجحة فاستخرت الله وأجزته بأن يروى عني  
صحيح الامام محمد بن اسماعيل البخاري وسائر ما تجوز لي روايته وتصح لي نسبته  
ودرايته اجازة عامة شاملة لجميع ذلك بشرطه الصحيح المعتبر (١) عند أهل الحديث  
والاثر . . الخ \* ثم أخذ يذكر أشياخه الذين روى عنهم . .

٣ - اجازة الشيخ محمد أمين البيطار الشامي وقد جاء في اجازته بعد أن عدد -  
المشايع الذين درس عليهم وأجازوه : " . . . واني أجيز سيدي المذكور  
أي : يوسف النبهاني - بما يجوز لي روايته عنهم وأرجوه الا ينسانا من دعائهم  
في عامة اوقاته . . (٢) في ١٩ شعبان ١٣١٥ .

٤ - اجازة الشيخ محمد أبي الخير أفندي عابدين : يقول الشيخ يوسف النبهاني  
رحمه الله \* ثم أجازني مراسلة بجميع مروياته سيدي العلامة محمد أبو الخير  
عابدين أمين الفتوى بدمشق الآن . . . أجازني حفظه الله بجميع مروياته  
وجميع ما تضمنه ثبت عنه محمد الشهير بأبن عابدين صاحب الحاشية الكبرى على  
الدر المختار في الفقه الحنفي ومن جملة ما تضمنه ثبته الاجازة له باثنين واربعين  
ثبته بسنده المتصل الى مؤلفيها وأخذ يذكر هذه الاثبات واحدا بعد الاخر  
الى ان قال " فهذه اثنان واربعون ثبته يرويها السيد محمد عابدين بأسانيده  
الى مؤلفيها ولا يخفى انه يندر شيء تطلب فيه الاجازة من كتاب أو حزب أو ورد -  
أو دعاء أو صيغة صلاة على النبي صلى الله عليه وسلم أو طويقه صوفية لا يوجد  
له ذكر في هذه الانبات ثم ذكر الاجازة الشيخ محمد أبي الخير عابدين جاء فيها  
" . . . قد أجزت حضرة الموطأ <sup>عليه</sup> - أي : ابن عابدين - بجميع مؤلفاته  
ومروياته وما تجوز روايته اجازة عامة مطلقة كما أجازني بذلك مشايخي الكرام . .  
في شهر جمادى الثانية ١٣١٥ هـ بدمشق الشام .

أجازني

(١) خطأ شائع كما سبق قريبا .

(٢) المصدر السابق ص ٨ - ١١

٥ - اجازة الشيخ محمد محمد الخاني الشامي الشافعي النقشبندی خليفة  
 ابيه محمد الخاني الكبير خليفة مولانا الشيخ خالد النقشبندی . ومحمد  
 أن عدد الشيخ يوسف النبهاني رحمه الله الكتب التي أجازها بها الشيخ  
 الخاني أورد نص الاجازة التي جاء فيها " ..... قد أجزت له بأن ،  
 يروى الكتب التي في الرسالة المذكورة - اي : الرسالة المجلونية وهي  
 تحثي على أربعين حديثا من أربعين كتابا من كتب الحديث - من كتب  
 الحديث الشريف وغيره وبقراءة الدلائل المذكورة - أي دلائل الخيرات  
 في الأوقات المناسبة خصوصا نهار الجمعة وليلتها وبقراءة الاوراد المنسوبة  
 الى قطب المارفين وخاتم الأولياء المحمدين سيدنا الشيخ محيى الدين  
 الاندلسي الطائي قدس الله سره وأفاض علينا فيضه وبره بالاوراد المنسوبة  
 الى سيدنا ومولانا الولي المارفي أبي الحسن الشاذلي نفعنا الله ببركاته  
 وأفاض علينا من فيوضاته بالاوراد المنسوبة الى سيدنا ومولانا نور أبصارنا  
 قطب الارشاد ورحلة الابدال والاولاد الشيخ محمد بهاء الدين المشهور بشاه  
 نقشبند قدس سره وجميع ما تجوز لي وعلى روايته ودرأيته خصوصا كتاب المواهب  
 اللدنية المنسوب لسيدنا الشيخ أحمد القسطلاني شارح صحيح البخاري  
 رحمهما الله تعالى ، كما أجازني بذلك مشايخي المظام عليهم رحمة الملك  
 السلام من دمشق ومصريين ومكيين وعراقيين ومن أجلمهم عندي بل عنيد  
 الكل سيدنا وشيخنا المرحوم مسند ومحدث الديار الشامية الشيخ عبد الرحمن  
 ابن المرحوم العالم التقى الشيخ محمد الكزري ... فانه أجاز لي مرارا -  
 بكل ما حواه ثبته المشهور بكل ما تجوز له وعنه روايته ..... وقد وتي وعدتي  
 موسى الميردين مرشد السالكين والواصل الى الله والمنقطع لله والدي المكرم  
 نفعني الله والمسلمين بأمراره وفيوضاته فاني حضرت عليه أكثر دروسه  
 بل كلها فجزاه الله عني ما أحبه وأرضاه وسيدنا الشيخ المحقق المدقق الشيخ  
 ابراهيم السقا شيخ مشايخ الجامع الأزهر الأنور وصوفي زمّنه الشيخ مصطفى  
 الميّلط رحمه الله والعايد الزاهد الشيخ عثمان شطا الدميّطي المجاور في مكة  
 المكرمة والشيخ اسماعيل البرزنجي النقشبندی قدس سره وكذلك أجزت لـ  
 زكريا بأن يروي جميع ما في ثبث شيخنا الكزري المذكور وجميع ما في ثبث محقق زمانه  
 الشيخ محمد الامير الكبير الشهير رحمه الله بشرطه المعتبر عند أهل الانسر  
 وأوصيه ونفسي بتقوى الله في السر والاعلان والاخلاص لله في الاحوال والازمان ،  
 الا ينسانا من دعواته المستجابات في كل الاوقات وصلى الله على سيدنا ومولانا

وعلى الله وصحبه والحمد لله رب العالمين في ١٩ شوال سنة ١٣١٢ (١)

أما الرسالة العجلونية المشتمة على أربعين حديثاً من أربعين كتاباً من كتب الحديث الشريف فاني أوردتها كما أوردتها الشيخ النبهاني لبيان منزلته في علم الحديث يقول الشيخ النبهاني " ٠٠٠٠ " وها أنا ذا أذكر الأسانيد مقتصراً على طريق واحدة أخذنا علمها من الاثبات الثلاثة ثبت عبد الله بن سالم وثبت الأمير وثبت الشيخ عبد الرحمن الكزبري وسندى المتصل اليهم مذكور في الاجازات - فلا حاجة الي تكراره في كل كتاب " ٠ ثم يبدأ الشيخ النبهاني في ذكر الكتب ابتداءً من رايها الاول الذي أخذ عنه الاجازة وانتهاءً بصاحب الكتاب الى المؤلف ولكن أكتفى بذكر الكتب فقط وهي صحيح البخاري وصحيح مسلم وسنن أبي داود - وجامع الترمذي وسنن النسائي وسنن ابن ماجه وموطأ مالك ومسند الامام أبي حنيفة ومسند الامام الشافعي ومسند الامام أحمد ومشكاة المصابيح لولي الدين التبريزي والترغيب والترهيب للحافظ المنذرى ومقبة مؤلفاته والشامائل للامام أبي عيسى الترمزي والشفاء للقاضي عياض وسيرة الشيخ علي الحلبي وباقي مؤلفاته والجامع الكبير والجامع الصغير ودلائل الخيرات وتفسير القاضي البيضاوي وتفسير الجلالين - وتفسير الدر المنثور وتفسير أبي السعود وفقه الشافعية وفقه الحنفية وفقه المالكية وعلم الكلام وتصانيف أبي الحسن الاشعري وأبي منصور الماتريدي امامي أهل السنة والجماعة وتفسير الفخر الرازي وسائر تصانيفه وتصانيف امام الحرمين الجويني وتصانيف أبي منصور الماتريدي محمد بن محمد وهي كتاب التوحيد وكتاب المقالات - وكتاب تأويلات القرآن العظيم وكتابان في الرد على أهل الاعتزال والرسالة القشيرية وقوت القلوب لأبي طالب المكي والاحياء للامام الغزالي وسائر تصانيفه وعوارف المعارف للشهاب السهروردي والفتوحات المكية للشيخ الاكبر سيدي محيي الدين بن العربي الاندلسي مع سائر تصانيفه والفنية للمعارف الكبير الشيخ محيي الدين عبد القادر - أبي صالح الكيلاني وسائر كتبه والاذكار ورياض الصالحين والاربعين حديثاً - وسائر تصانيف الامام ولي الله ومحرر مذهب الشافعي شيخ الاسلام محيي الدين أبي ذكريا يحيى بن شرف الدين النووي ومؤلفات الحافظ ابن حجر التي جتهد فيها فتح الباري بشرح أحاديث البخاري ومؤلفات شيخ الاسلام زكريا الانصاري ومؤلفات المعارف بالله عبد الوهاب الشعراني وتأليف شيخ الاسلام خاتمه المحققين



الشهاب أحمد بن حجر الميمني المكي وتأليف شيخ الاسلام الشمس محمد الخطيب الشربيني ومنها تفسيره وشرحاه على المنهاج ومثن أبي شجاع وتأليف شيخ الاسلام شمس الدين محمد بن أحمد الرملي ومؤلفات الشهاب أحمد بن محمد القسطلاني ومنها المواهب اللدنية وشرحه على البخاري ومؤلفات الشيخ ابراهيم الباجوري فاني ارويها عن جميع من تلاميذه الأئمة الاعلام كالشمس الانبياي والشيخ عبد الهادي الالباري والشيخ ابراهيم الزرو وغيرهم وقد أجازني كثير منهم باجازات خطية ولكني صرفت النظر عنها لكون سندی من طريق شيخنا الشيخ ابراهيم السقا أعلى بدرجة لاني شاركتهم فيه وفي شيخنا محمد الدمهوري (١) .

هذه هي الاجازات التي حصل عليها الشيخ يوسف النبهاني رحمه الله كما ذكرها في كتابه "هادي المريد الى طرق الاسانيد" الذي انتهى من تأليفه عام ١٣١٨ هـ .

وقد ذكر في كتابه جامع كرامات الأولياء الذي انتهى من تأليفه عام ١٣٢٤ وفي كتابه "جواهر البحار في فضائل النبي المختار" (٢) الذي انتهى من تأليفه عام ١٣٢٧ وفي كتابه "اسباب التأليف" (٣) الملحق بكتابه جامع كرامات الأولياء فذكر اجازته من الشيخ أحمد حسن العطاس الملوّي وقد كانت اجازته الشيخ العطاس للشيخ النبهاني مرتين وفي رسالتين ولكن سبقهما مراسلة بينهما ابتداها الشيخ العطاس فأجابه الشيخ النبهاني عليها بطلب الاجازة منه فأجابه الشيخ العطاس بالاعتذار أولاً ثم أعقبها باجازتين منفصلتين وقد وصف الشيخ يوسف النبهاني شعوره لمراسلة الشيخ العطاس له فقال " فلما قرأت مكتوبه حصل لي من السرور والانس وانسراح الصدر ما لم يحصل لي بقراءة مكتوب قط ورد لي في سابق الأزمان من أي شخص كان وبأي سبب كان فعلمت أن صاحب هذا المكتوب لا شك أنه من أولياء الله ..... فصرت من جملة تلاميذ هذا السيد الجليل ومريديه وهو أفضل مشايخي فيما أعلم لانه من السلالة الطاهرة ومن أكابر الأولياء الذين يجتمعون يقظه بالنبي صلى الله عليه وسلم على ما علمته ممن لهم الوقوف على أحواله من ثقات ساداتنا آل باعلوي " (٤)

(١) هادي المريد الى طرق الاسانيد ص ٢٩ - ٣٨ .

(٢) جواهر البحار ج ٤ ص ٣٢٩ - ٣٤٣ .

(٣) اسباب التأليف ص ٣٤٥ - ٣٤٦ .

(٤) المصدر السابق .

ونظرا لافراد الشيخ النبهاني لأستاذة الشيخ العطاس بمعية الافضلية فسوف  
أذكر الرسائل التي بعثها الشيخ العطاس للشيخ النبهاني لمزيد الاطلاع ولأنها  
تعكس الصورة الكاملة لشخصية الشيخ العطاس التي أعجب بها الشيخ النبهاني  
والتي تدل بالتالي على شخصية النبهاني ونوعية ثقافته .

أما الرسالة الاولى فهي هذا نصها :

" بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي جعل في هذه الامة من يكشف  
عنها الغمة ويخرجها من الظلمة ويعرفها بمسالك الطريق ويحقق لهم غاية التحقيق  
وصلى الله عليه هادي كل هاد من كل حاضر وباد وعلى سيدنا محمد ابن عبد  
الله صلى الله عليه وسلم وعلى من تابعه ووالاه ، فيما فعله ونواه ، وعلى الشيخ  
الفاضل الذي أبرزه الله نورا في هذا الزمان يوسف بن اسماعيل النبيه النبهان وسلام  
الله يفشاه وعين الله ترعاه ومن والاه في الله ، وجعلنا له هذا المحرر من اليمن  
من حضرموت من بلدنا حريضة حوطة السيد الشريف عمر بن عبد الرحمن العطاس  
الى بلدة بيروت والموجب لتحريره وتسطيعه السؤال عن الحال واعلامكم بأننا لكم راعون  
ولكم ذاكرون ولكم شاكرون ومن لدينا من اخواننا السادة العلويين وجميع المحبيين  
الساكين في تلك الديار من تريم وسيون وشيام . يشكرون جنابكم الكريم وقد وصلت  
الينا كتبكم الكرام وتاليفكم العظام التي فيها شفاء السقام . منها الانوار المحمدية  
وقد مررنا عليها " وأفضل الصلوات " وقد مررنا عليها " ووسائل الوصول الى  
شمائل الرسول " وقد مررنا عليها " والمهمزة " وكذلك قصيدكم الموزنة لبانست  
سعاد وما أضيف اليها وصورة النعل الشريف " وحال التاريخ " والقراءة  
في كتابكم حجة الله على العالمين بلغنا فيه الى اخلافة صلى الله عليه وسلم . . . . .  
ولما بلغ الينا ذلك الكتاب ورأينا ما احتوى عليه من العجب العجيب قلنا لمن لدينا  
من الأحباب . هذا الكتاب جدير بأن يسمى " هدية الله الى العالمين " . -  
وجعلنا كتابكم هذا شكرا لجنابكم الفخيم ولطلب الدعاء منكم وحررناه على لسان  
العوام وقصدنا المعنى لا الصورة وان سمحتم وتفضلتم بجواب لنا أو ارسال  
شيء من مؤلفاتكم يكون ذلك من طريق جدة الى عند محبنا أحمد بن أبي بكر بن عمر  
باعشر أو أخيه سالم لأن المذكورين لهما اتصال ببعض أهل السبب من أهالي  
بيروت وهذا المسطور من طريقهم وعفوكم أوسع ود متم فوق ما رتم والسلام عليكم وعلى  
أولادكم ومن حواه مقامكم ومن شئتم كيف شئتم منا ومن أولادنا ومن اخواننا العلويين  
ومن جميع المحبين وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وان عثرنا على شيء  
من ديوان الشيخ العارف بالله الثامل من محبته عمر بامخرمه فيه تنويه بكم وبذكركم

نعرفكم بذلك ان شاء الله لأن الشيخ المذكور يتكلم على كثير مما يأتي بمحمد  
قال في بعض قصائده .

أهل وقتي ومن بعدى      وذى من زمن عباد  
أعرف أنسابهم والقابهم      يا ابن حماد  
ساعة اجمع وساعة جيک      بأسمائهم أفراد

وكثيرا ما كان يقول في قصائده " يا ابن نبهان " ولما وصل كتابكم خبيرة  
الله على العالمين وقراءتنا في الدر المنثور مستمرة بلغنا فيه الى سورة الاحزاب  
الى قوله : " يا أيها النبي انا أرسلناك شاهدا آية " ووقفنا  
القراءة على تلك الآية لمناسبات لا تخفى عليكم وبعد ما تكمل قراءة كتابكم نرجع الى  
تكملة الدر المنثور وقراءتنا للجميع قراءة شحصيل لا تفصيل . . المستند للدعاء  
منكم وبإذلة لكم السيد الشريف أحمد بن حسن بن عبد الله بن علي بن عبد الله  
العطاس العلوي الحسيني عفا الله عنه حرر في ٢٣ من شهر رجب الاصب  
عام ١٣١٩ . (١)

يقول الشيخ يوسف النبهاني " فكتبت له مکتوبين شكرته فيهما على ما تفضل  
على به في مکتوبه هذا وطلبت منه أن يديم على أنظاره الشريفه ودعواته المنيفة  
ويتفضل على باجازه يجعلني فيها من جملة تلاميذه ومريديه فان ذلك من  
أعظم النعم على وأكبر الفوائد التي أنتفع بها في الدنيا والآخرة فأجابني رضى الله  
عنه بالمكتوب الاتي وهو هذا بحروفه :

قال رضى الله عنه : بسم الله الرحمن الرحيم وأسأله الفتح المبين  
واليقين والتمكين وإصلاح الدنيا والدين وأن يصلى ويسلم على أشرف المرسلين  
سيدنا محمد والتابعين له بإحسان الى يوم العرض على رب العالمين وأن يحفظ  
بما حفظ به الأولين والآخرين من العباد الصالحين الشيخ الفاضل العالم العامل  
يوسف بن اسماعيل النبهاني شكر الله مسعاه وبلغه ما يتمناه في دنياه وأخراه وسلام  
الله يحشاه ، وعين الله ترعاه ، في صورته ومعناه ومن والاه في الله والمسطور

من حوطة الحبيب عمر العطاس حريضة بعد وصول كتبكم الكرام المؤرخة في ٢٢ جمادى الأولى وكان وصول الجميع في يوم واحد الاثنين ٢٤ شعبان وحمدنا الله على عافيتكم وعرفنا وصول كتابنا اليكم وفرحكم بذلك وسروركم فهنئنا لكم <sup>لها</sup> هناك من قسوة الرابطة بينكم وبين المتبوع الاعظم صلى الله عليه وسلم وبين المنتسبين اليه صـورة ومعنى من أهل الاسلام وشكواكم ما تحملتم من الديوان في طبع الكتب وارسالها الى الافاق ان شاء الله يحصل الفرج بلا حرج وقد أويتم الى ركن شديد ، وفـى حسن الرجاء في ذلك الجنب ما يخفيكم ويكفيكم ، وان تحركت البشرية وضاق الصدر فقولوا ما <sup>مطفي</sup> معطيائكم تبط ، وما هناك الا السلامة ان شاء الله والكتب من طريق جدة وصندوق الكتب الذي من طريق عدن وصل ونحتمد ما عرفتم من تفرقتها فـى ~~مكتبتها~~ في مظانها مع طلب الدعاء لكم ولحضرة عبد الفنى باشا بيضون البسيرونـى ( وهو الذي دفع ثمن تلك الكتب بان الله يبلغكم ويبلغه جميع الامال في جميع الاحوال في لطف وعافيه وايانا آمين ، وقد وصل اليها من طريق السيد احمد شطا نسخته من تأليفكم سعادة الدارين وقد <sup>مر</sup> معنا على جميع ذلك وابتدانا في قسـراءة القصائد التي في آخرها والدعاء لم يزل لكم في الاوقات الشريفة ونسالكم الا تتسونا من صالح دعائكم وعرفتم ان قصدكم اجازة وحملكم على ذلك حسن الظن ونعم المطيعة واما الفقير فما عنده شىء مما تظنون والله لا يخيب الجميع مما لديه وأن يجعلنا في حماه وحمى انبيائه وأوليائه ومن في رضاه وان قدر الله نسعكم بما طلبتم لاجل الارتباط . (١)

ودمتم فوق مارتم صلى الله على سيدنا محمد وكل عبد مصطفى . قال ذلك الفقير الى عفو الله احمد بن حسن بن عبد الله العطاس باعلوى حرر فى ٢٤ شعبان ١٣٢٠ هـ (٢)

ثم أرسـل فضيلته الشيخ أحمد حسن العطاس المكتوب الثالث وفيه الاجازة وهذا نصه :

(١) في هذا ما يدل على ان الاجازات لم تكن تعطى جزافا بل بعد روية وأنـاه لمعرفة حال طالب الاجازة .

(٢) جواهر البحار في فضائل النبي المختار ص ٣٤٥ - ٣٤٦

" بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي فتح لأرباب المودات أبواب  
المواصلات فأرواحهم في وريف ظله قائلات ، وإن كانت أشباحهم متاثيات والصلابة  
والسلام على نقطة بیکار الموجودات ، الشمل من شراب المشاهدات هادی النفوس  
المثالات ، ومغنى الأیدی السائلات ، بالمطایا السنيات ، وعلى آله وأصحابه  
وتابعیه فی جميع الحالات الى حضرة الشيخ الفاضل المتعلی بالفواضل محب رسول  
الله صلى الله عليه وسلم . وأهل بيته يوسف بن اسماعيل النبھانی أجزل الله  
عطاءه وكشف عن قلبه غطاءه وبلغه ما يتناه في دنياه وأخراه السلام عليكم ورحمة  
الله وعلى <sup>من</sup> الأكم في الله صدر المحرر من حوطة الحبيب عمر بن عبد الرحمن المطاسي  
حريضة وباعته طلب الدعاء والسؤال عنكم أرجوكم ومن لديكم في عافيتكما أنا ومن لدينا  
من الإخوان والمعارف كذلك وقد أرسلنا لكم قبله كتابا جوابا لكتبتكم السابقة من طريق  
عدن وأخبرناكم فيه أن السند وقى الذي أرسلتموه إلينا في أثناء الطريق وفي باطن  
شهر رمضان وصل الى طرفنا رياض الجنة ووجدناه كما ذكرتم . ان شاء الله والله  
يشكر سحیکم ويتقبل منكم وفرقناه على أهل الجهة كلها حسب الامكان على السادة  
وطلبة العلم ومن له رغبة في الخير أرسلنا الى تريم نحو ستين والى سيون نحو  
خمسین الى البلدان الاخرى ما تيسر من ذلك واجتمعنا من غالب السادة العلويين  
وغيرهم من أهل الديار والجميع يشكروكم ويمدونكم بالصالح الدعاء وكل مؤلفاتكم  
موجودة واقراءة مستمرة فيها وعرفتم قصدكم الاجازة فتشرح لكم بعض الحال لا يخفى  
على جنابكم أنا فقراء وضعفاء وما لدينا شيء مما ظننتم الا انا نحبيكم في الله اللهم  
الا أن يكون شيء من الارتباط بيننا وبين السلف في الصورة أو في المعنى عسى  
أن يكون ما ظنناه حقا ونقول اغتاما لصالح دعائكم وامثالا لامركم : أجزت الشيخ  
الفاضل العالم العامل يوسف بن اسماعيل النبھانی في جميع العلوم الشرعية من  
تفسير وحديث وفقه وتصوف والالت ذلك وفي جميع الاذكار والاحزاب والاوراد المنسوبة  
الى السلف الصالح وفي جميع علوم الرواية والدراية أجزته اجازة مطلقة وأجزته أيضا  
في الطرائق المنسوبة الى أهلها كالمولوية والشاذلية والقادرية وغيرها من الطرائق  
كما هي مبسوطه ومذكورة في مؤلفاته لاسيما كتاب السيد محمد مرتضى " أبواب السعادة  
وسلاسل السيادة " وهو كتاب عظيم مشتمل على غالب الطرق بأسانيدها وأنسابها  
أرويه بالاجازة العامة والخاصة عن السيد الشريف عيد روس بن عمر العيشي وغيره  
من المشايخ والسادة ومن أجلمهم وأفضلهم وأعلمهم الشريف صالح بن عبد الله  
المطاسي والسيد الشريف أبو بكر بن عبد الله المطاسي بحق أخذها من السيد  
الشريف العامل الكامل عبد الرحمن بن سليمان الاهدل بحق اتصاله بالسيد

فشرح

محمد مرتضى بحق أخذه لذلك عن السيد عبد الرحمن بن مصافى العيدروس كما  
شرح ذلك وبينه في " النفس اليماني في اجازة بنى الشوكاني " له وهو كتاب  
جليل جليل ذكر فيه مشايخه ومشايخ والده ومشايخ جده يحيى والكتاب المذكور  
عندى وأجزتكم به وما احتوى وقد اتصلت به من طرق كثيرة وأجزتكم أيضا بثبت السيد  
الشريف عيدروس بن عمر الحبشى وما احتوى عليه من الطرائف المصرية وغيرها كما  
أجازنى بذلك وأذن لى بما هناك نطقا وكتابة وهو موجود عندى ، وطبع فى مصر  
وهو كتاب عام وسمعنا الكثير منه على مؤلفه ، وأجزتكم أيضا بثبت الشيخ الكبير  
كما أرويه بالاجازة عن سيدنا وشيخنا السيد أحمد زيني دحلان وهو يرويه عن الشيخ  
عثمان بن محمد الدماطى عن الشيخ الامير الكبير ..... وأجزتكم أيضا  
بجميع ما صحت به الاجازة من جمع الطرق الخاصة والعامة كما أخذت بذلك  
عن مشايخ كثيرين يقظة ومنا بالحرمين واليمن ومصر وحضرموت واتصلت بكثير من  
المشايخ الاجله واخذت عنهم بلا واسطة كالشيخ عبد القادر الجيلانى والفقيه  
المقدم محمد بن على الحسينى والشيخ الفزالى والشيخ أحمد بن حجر والشيخ ابن  
الصربى وكثير ممن يطول ذكرهم وتعدادهم وان قدر الله وسمع الزمان بينا لسمعكم  
بعضا من ذلك ولا تتسونا من صالح دعواتكم وما اعتذرت به من بدة الحال والبسالة  
كل معه ما يكفيه وحال املاء الكتاب والمكان ملائ والله يجعل العاقبة للجميع  
خيرا وقد رفصنا حاجتكم الى كثير من اهل التوجيهات وطلبنا منهم الدعاء لكم ولحضرة  
الحبيب عبد الفنى باشا بيضون البيروتى والسلام عليكم وعلى اولادكم ومن شئتم كيف  
شئتم منا ومن اولادنا ومن لدينا ويقروكم السلام كاتبه محبنا محمد بن عوض ابن  
محمد بافضل وادعوله وللجميع من المستند للدعاء عنكم والداعى لكم الفقيه  
الى عفو مولاه أحمد بن حسن بن عبد الله بن على المطاسى علوى حرر منتصف  
رجب سنة ١٢٢١ (١)

يقول الشيخ يوسف النبهانى " وهو كسائر مكاتبيه املاء لانه رضى الله عنه  
ضرب البصر " وقد صرح بأنه أخذ عن الشيخ عبد القادر وعن جده الفقيه  
المقدم والفزالى وابن حجر وابن الصربى رضى الله عنهم بلا واسطة والظاهر

(١) أسباب التأليف من الماجز الضعيف ص ٣٤٦ ، جواهر البحار

التفات

أنه اجتمع بأرواحهم يقظه كما هو المأمول منه فإنه يجتمع كما بلغنى ذلك من الثقات  
بالنبي صلى الله عليه وسلم يقظه وترتيبه إياهم على هذا الوجه الظاهر بحسب ، -  
اجتماعه بهم حسب فضلهم ولا يحسب زمانهم رضى الله عنه ونفعنا ببركتهم أجمعين .  
وقد أجمعت سادات آل باعلوى وغيرهم من اجتمعت بهم من أهل تلك  
البلاد على اعتقاد جلالة قدرة في العلم الظاهر والباطن وعلو منزلته في الولاية  
وانهم لا يعتقدون أعلى منه درجة من علماء الاشراف فضلا عن غيرهم من أهل  
بلادهم ، كيف لا وهو يجتمع بالنبي صلى الله عليه وسلم يقظة فهذه أعلى درجات  
الولاية الخاصة التي لا يصل إليها الا القليل من أغراد الرجال والحمد لله السدى  
وصل حبلى بحبله وأسأل الله أن يزيدنى منه امدادا وارشادا في الحال والاستقبال  
بجاءه حبيبه الاعظم سيد الانام عليه الصلاة والسلام .

ثم ان سيدى العارف بالله السيد أحمد المطاسى المذكور أرسل  
الى أجازة ثانية مطولة كثيره الفوائد وهى :

" بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله الذى لا تزال أعلام دينه  
مشرقة ودرر مواهبه مشرقة وقلوب أهل محبته بمشاهدته معمورة حمدا يجتلى القلب  
نوره وينبسط مدده على المعنى والصوره ويكون سلما للوصول الى حيث المسامحة  
مشكورة والالباب مسرورة والعيون مقررة حيث يرفع الحبيب ستوره فى حضراته المحضرة  
الفتاح أفعالها والقاسم أنفاله حبيبه المحمود فى كل سورة الذى مناقبه مشهورة  
وتعيد بركاته علينا وعلى حبيبنا وصفيها وولينا فى الله الصادق فى المصافاة والموالاة  
المرفوع ذكره والمشرع بنور الايمان والعرفان صدره الرضى المزهو بالمعارف والبحر  
المتدفق باللطائف محبوب الحضرة المحمدية والمهدى الى الاسماع من أوصافها  
الزكية وأسرارها السنية الشيخ يوسف بن اسماعيل النبهانى جعل الله اتصالنا  
به واتصاله بنا محكم الاساس والبناء موصولا بنعيم الاتصال الابدى فى دار الهند  
فى خير لطف آمين .

والى ذلك الجنب الكريم نهدي شريف التعية والتسليم وقد سر قلبى وصول  
كتابكم وتلذذ بسطاع لذيذ خطابكم الحبيب عن خلوص الوداد وقوة روابط الاعتقاد .  
ألى ان يقول . . " وقد قبلت اجازتكم لى بالصلاة الفيزية وأقدت بها  
كثيرا منهم فجزاكم الله عنى وعنهم وعن المسلمين خيرا وطلبت منى ذكر تفصيل  
المرائى بالاجازات التى اجازنى بها أهل البرزخ من الاكابر ومثلى لا يحسن  
الخوض فيه فى هذه الاشياء لما اعرفه من نفسى فى سائر أحوالى وكذلك لا يحسن

ابداً ما هنالك الا ما دعيت الحاجة الى اظهاره وامثال أمركم لدى من أهمل  
الحاجات واكبرها ، واستغفر الله من كل ما لا يرضاه وسيرة السلف الصالحين  
مهيئة على الذبول والخمول ، وستر ما هنالك ان وجد شيء ، وبالجملة فسلم  
أجيبكم الى ما طلبتم الا اغشاماً لدعائكم ولما أرجو من حصول الارتباط بكم ولا سيما  
وقد قويت روابطكم بسيد البرية والحصاة المرضية ممن اتبع وانتفع واهتدى وهتدى  
وأقول مستمعين بالله تعالى سبي :

لى اجازات كثيرة من علماء الباطن والظاهر وأهل البرزخ وذلك امر يفوت  
الحصر وقد ذهب من حفظى الاكثر وأما ما حضرنى الان فساذكره لكم  
انى رأيت الحق سبحانه وتعالى وأمرنى بذكر الهوى ( هو ) سبعا ولسم  
يتبين لى هل أراد سبعا من المرات أو من المثين أو من الآلاف وأنا أفعل ذلك  
شارة بالأقل وشارة بالأكمل .

وأما سيد المرسلين عليه أفضل الصلاة والسلام فلى منه المدد التمام  
والنظر الخاص والعام ورأيت صلى الله عليه وسلم مرات لا تحصى ، منها أنسى رأيتسه  
وهو يصلى العشاء وصليت وراءه وسمعت قراءته ورأيت صلى الله عليه وسلم  
مرة أخرى وقرأت عليه قوله تعالى " النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم " السيسى  
آخر الثلاث آيات (١) قراءة مرتلة وقلت : أهكذا القراءة يا رسول الله قال نعم  
ورأيت صلى الله عليه وسلم وقرأت عليه شيئاً من القرآن مرتلاً فلما فرغت قرأ بصدى  
بالحدرد والادراج على ما اعتاده أنا من الحدرد والسرعة فى الثلاوة وصافحنى صلى  
الله عليه وسلم فاما مرات متعددة وعانقنى وسألته عن المصافحة وفهمت من كلامه  
أن المشابكة أكد وشابكنى مرة أخرى وأمرنى بقراءة سورة الواقعة بعد العصر .

ورأيت صلى الله عليه وسلم مرة أخرى وأمرنى بقراءة ما تيسر من سورة الاخلاص  
بعد صلاة الصبح ورأيت صلى الله عليه وسلم مرة أخرى لما كنت بالأبطح راجعاً  
من الحج متوجها الى حضرموت فقال لى تريد الخروج الى حضرموت قلت نعم  
فقال صلى الله عليه وسلم استودعك الله الذى لا تضيع وداعته فقلت له قبـلت  
الوداعة التى لا تضيع ورأيت مرة مع نبى الله عيسى عليه الصلاة والسلام فى بعض

(١) فى الأصل : الثلاث آيات ، وهو خطأ واضح شاع بين الناس  
والصواب : ثلاث الآيات أو الثلاث الآيات . د . عبد السلام سرخان



الصاجد وتلوت عليهما " ذلك من أنباء الغيب نوحيه اليك " وخطبت بها سيد  
الوجود صلى الله عليه وسلم " وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم ايهم يكفل مريم  
والتفت الى سيدنا عيسى عليه السلام " وما كنت لديهم إذ يخشون " ووقفت  
فقال سيد الوجود صلى الله عليه وسلم " إذ قالت الملائكة " مشيرا الى ان الآية  
متصلة المعنى بما بعدها ولم أقف عليها من بعد .

وفترت ليلة عن قيام الليل فرأيت صلى الله عليه وسلم جاتني بمصلى خرو  
وئالنيه لاقوم للصلاة . رأيته صلى الله عليه وسلم مرة أخرى بعد أن طالعنا  
في كتاب الأغاني فقال لي طالعوا في علم الصوف ورأيت صلى الله عليه وسلم  
مرة أخرى سقاني عسلا في أناء .

ورأيت في المدينة المنورة كأن الخضر أتى الى وأخذ بيدي ومشى بي الى  
المواجهة تلقاء القبر الشريف ونادى يا رسول الله أهذا ولدك قال نعم هذا ولدي  
محسن ورأيت صلى الله عليه وسلم أخرى وسألته عن الشيخ محيي الدين بن العربي  
فقال هو من الجواهر المفردة ورأيت صلى الله عليه وسلم مرة أخرى وعرضت عليه  
الصلاة التي فتح الله بها علي فاستحسنها وهي هذه اللهم صلى صلاة  
كاملة ..... الشيخ .

وفي ذكر هذا القدر من المراثي النبوية كفاية ورأيت سيدي عبد الله ابن  
عمر بن الخطاب رضي الله عنهما وطلبت الاجازة فقال ليس في وقتنا اجازة وانما  
أعلمك صلاة على النبي محمد صلى الله عليه وسلم ولقنني هذه الصلاة اللهم صل  
وسلم على سيدنا محمد زين الوجود وعلى آله خير كل موجود ورأيت سيدنا  
علي بن ابي طالب كرم الله وجهه فقال : أتريد أن أعلمك هيئة وضع الرداء على  
كتفك قلت نعم فوضع طرفا منه على كتفي الايمن مرسلا الى ما يلي الصدر وأدار  
الباقى وراء ظهري والى ما تحت الابط من الجانب حتى وضع الطرف الاخر على الكتف  
الايسر مشرفا على الطهر ورأيت السيدة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها فأمرتني  
بتكرير قوله تعالى " قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم  
ذنوبكم والله غفور رحيم " ورأيت سيدي القطب عبد الرحمن بن محمد السقاف  
بأعلى التريبي فأمرني بقراءة هذا الورد وأجازني به وهو للشيخ الفوت أبي بكر  
بن سالم بأعلى المتوفى بعينات وهو هذا : اللهم يا عظيم السلطان يا قد يسر  
الاحسان يا دائم النعم ..... الشيخ .

ورأيت سيدى القلب الشىخ أبا بكر بن سالم باعلوى فأجازنى بأوراده كلها  
وسأله هل يثاب قارئ القرآن بقلبه قال نعم ووضع لسانه فى فمى حتى أحسست  
بوصوله الى حلقى .

ثم أخذ يورد من رأهم من الأولياء والاقطاب الى أن يقول " وقـــرأت  
يوما فى كتاب المذهب للشيخ أبى اسحق الشيرازى فرأيت مؤلفه أبا اسحق داخلا  
على فأجازنى بمؤلفاته وغيرها وقلت له شكر الله سعيكم فى تأليف المذهب ونعمتم  
ما أودعتموه من البسط وذكر الدليل والتعليل ولكنكم تحكمون القولين أو الوجهين  
وتسكنون عن الترجيع غالبا وإن طلبه العلم الآن ما تطعن قلوبهم الا بحكاية  
ذلك فقال هذه صنعة لآهل التحكم فى الدين ونحن نقلنا لكم كما نقلنا رأيت الشيخ  
أبا حامد الفزالى فأجازنى بجميع مصنفاته وسأله هل يكفى من يريد الصلاة  
بداره الاذان العام بالبلد قال نعم قلت له ان طلبه العلم اذا اخبروا بمسألة  
قالوا : من نص عليها ؟ قال اذا سألك فقل لهم نص عليها الفزالى فى الوسيط  
فلما انتهت أخذت الوسيط وراجعت المسألة فاذا قوله فيه " وأولى بأن لا يؤذن  
اكتفاء بالنسباء العام " ، ورأيت الامام النووى وطلبت منه الاجازة فأجازنى  
بعلم الفقه وجميع كتبه ومؤلفاته ورأيت مرة ثانية وسأله الاجازة فقال أجزتك بشرطها  
المعتبر (١) عند أهلها فقلت له ان سلفنا ما يعتبرون الا الارتباط بين المجيز  
والمجاز فقال وهو كذلك أجزتك .

ورأيت الشيخ أحمد بن حجر الهيتمى المكي فأجازنى بمؤلفاته ومروياته  
وأمرنى بقراءة المصوتين فى أورادى فجعلت وردى منهما كل يوم مائة مرة . وفى  
رويا أخرى قلت له : قد انتفعت كثيرا بكتاب المذهب ولم تشرحه فقال فيه مسائل  
مشكلة فاستفهمت من ذلك فقال بسط النية على تكبيرة <sup>الأحرار</sup> فقلت له سبى عن الله  
اذا رأى الانسان نفسه قائما وذاكرا وصامتا وقال الله أكبر فهل كبر نفسه أو كبر  
ربه فسكت فقلت بل كبر نفسه فقال صدقت ورأيت ندم وود لو انه شرخه .

وايضا قولنا بل كبر نفسه هو أن الانسان اذا قام الى الصلاة مستحضرا  
النية من أول التكبير الى آخره متصورا أفعال الصلاة ملثا قلبه بهذه التصورات

(١) أشرنا موات الى أن هذا التعبير من الاخطاء الشائعة . . . لانه نص " اعتبر "   
معناه : اتعظ . . . والصواب : المذكور عند أهلها . او الملاحظ . أو المقيد   
لها مثلا . . . عبد السلام سرحان

والحركات والسكنات كما أوجبها الفقهاء المتأخرون فمن أين حينئذ وجود التمجيس والتكبير لله في قلبه لأنه إنما عظم أفعال نفسه وملا قلبه بتعظيمها لما رآها بها هذه المثابة وأما حقيقة التكبير لله فإن من ينفي عنه هذه التصورات يمتلك قلبه باستحضار عظمه الله وكبريائه وموجود هذا تتنقح الوساوس وأما النية فانهم شرعت لتمييز الاعمال لا غير . . . . . وأما الذين أخذت عنهم بالإجازة العامة في عالم البرزخ من ذكروا فلا يمكن استقصاؤهم لتقادم الزمان ولما هو غالب على ذهن من النسيان ولم يزالوا بحمد الله يتروءون على إلى الآن واجتمع بهم فسي برازخ الفهوانية والسمام والحمد لله على الإجازة وتلقين الذكر واللباس والمصافحة والاذن بذلك ممن ذكروا جميعا ومن سيدى أبى العباس الخضر عليه السلام مرات متعددة ومن سيدى الامام على زين العابدين بن الحسين السبط رضى الله عنهم وعلى سيدى أحمد بن عيسى بن محمد بن على الميرضى بن جعفر الصادق أول من خرج من العلويين إلى حضرموت وسيدى الاستاذ الأعظم الفقيه المقدم محمد بن على باعلوى وسيدى الشيخ عبد القادر الجيلانى مرات متعددة . . . . . وسيدى الشيخ محبى الدين بن عربى وشيخ الاسلام زكريا الانصارى وابن حجر المصقلانى وجار الله محمود الزمخشري والشيخ عبد العزيز الدباغ والشيخ على عيسى الله باراسى صاحب الخريصة . . . . .

أجزت الشيخ يوسف النبهانى بجميع لما أجازنى وأمرنى وأذنوا إلى بسسه إجازة عامة شاملة وأذنت له أن يجيز ويروى عنى اذنا مطلقا وأجزته ايضا بما أجازنى به مشايخى الذين أدركتهم وانتفعت بهم وأخذت عنهم . . . . . " ثم عـدد مشايخه الذين أخذ عنهم العلم تلقيا أو إجازة ثم يقول " وبالجملة فقد أجزتكم إجازة عامة بكل ما تجوز لى روايته ودرأيته من تفسير وحديث وأصول فقه وتصوف وآلات ذلك ، وكل ما يرجع إلى ذلك وفيما لدى ولد يكمن من الاوراد والاحزاب والاقراء والنفع والانتفاع والافادة والاستفادة وأذنت لكم ان تزولوا ذلك وتجيـزوا عنى من شئتم كيف شئتم والقصد أن يصح الارتباط لنا بيننا وبين من قد ثبتت أقدامهم وعلت همهم وصلحت نياتهم مع السلف الصالح الذى صلحت أحوالهم مع الله ومع خلقه .

ثم ذكر الشيخ أحمد حسن المطاسى ترجمته اجابة لطلب الشيخ النبهانى فذكر تعلمه والعلوم التى درسها وما رافق ذلك من أحوال ومكاشفات إلى أن يقول . . . . . وفيما ذكر كفاية وكان اتصالنا بهؤلاء تأما عاما وسمعنا مذاكرتهم فـسى

العلوم الباطنة والظاهرة وما لا ينبغي افشاؤه كما لا يخفاكم والله يحقق لنسبكم  
ولكم الارتباط بهم في الدارين آمين .

هذا ولم تنزل الآوقات معمورة بالذكر والتذكير والتردد الى الصلحاء والتماس  
بركتهم واصلاح ذات البين في هذه الجهات الحضرمية والقيام باكرام الوافدين  
وايناس الزائرين ورأيانهم على عادة سلفنا في مطالعة العلوم النافعة من كل فن ما دون  
فيه من العلوم الشرعية وآلاتها وقد قرئ علينا وسمعنا منها ما يتعذر حصره  
فذكر لكم بعض ذلك فمن التفاسير التي تأملناها قراءة تفسير الفخر الرازي وتفسير  
ابن جريسر الطبري والدر المنثور للسيوطي وفي الحديث الامهات الست البخاري  
ومسلم والنسائي والترمذي وابوداود والموطأ وشرح مسلم ومسنند الامام احمد ومسنند  
الشافعي ونيل الاوطار للشوكاني والمتقى لابن الجارود والاسماء والصفات لليبهي  
وكنز العمال للمتقي ومنتهى الاختصاص الكبرى والاتقان للسيوطي واليواقيت  
والجواهر للشعراني وتيسير الوصول للديلمي وزاد المعاد لابن القيم والاحياء  
والرسالة والصوارف وقوت القلوب والاذكار والايضاح والضمهاج والمهذب والتبسيط  
والوجيز ونور الابصار مختصر الانوار من الروضة والمحرم الى البيهقي والام ومختصر  
المزني والبلغة في اللغة والمزهر ومقدمة ابن خلدون وتأليفكم حجة الله على  
المالين ، وسعادة الدارين ووسائل الوصول وشواهد الحق والاساليب البديعة  
والجموعة النبهانية ومختصر المواهب وافضل السلوات وافي الرسائل وغيرها  
لا يحضرني ذكره والقراءة مستمرة في الكتب المتداولة في فن الفقه والنحو وكذا المراجعة  
اما كتب المناقب والتراجم للسلف فشيء كثير .

وكل هذه الكتب موجودة عندى بحمد الله تعالى مع كتب جمة غيرها ممن  
التفاسير وكتب الحديث والتصوف والفقه واللغة والادب ونامر من يمثل أمرنا  
أن يقتصر من علم الادب على النثر في المجموعة النبهانية وشرح ديوان ابن الفارض  
ومقامات الحريري والمقد الفريد ونحوها مما لا محذور فيه وأما غيرها فالتسلسل  
الصالح يعرضون عنه ولا يأخذون من علم الاله الا ما يقوم اللسان ويرفع سماعة  
الطبع من الانسان فهذا ما يسر الله ذكره مع تبلبل البال والاشتغال بالصالح  
الحال والمحال .

وفي شريف علمكم ما يغنيكم عن الاعتذار من الزمان وأهل الزمان ونسأل  
الله حفظ الاسلام والايمان وحسن الختام وان يجمعنا ببيد الانام في القبط  
والنظام وفي دار السلام في خير وعافية آمين .

واستروا ما رأيتم من خلل وزلل ، وما رأيتم اصابه أو عدم ذكره فأذنت  
لكم في ذلك والدعاء لكم بمذول ومنكم مستول ، ونسأل الله القبول ، وصدر اليكم  
جبة اللباس وهي التي كانت ملبوسى بمكة المشرفة في العام الماضى وقت ورودى اليها  
للحج وجعلنا مع هذا الكتاب بيد محبنا الشيخ عبد الرحمن بن أحمد بن غمسير  
بأديب الشهابى وهو مسافر الى عدن ، ألزناه يرسلها اليكم وليكن الجواب بوصولها  
في طريقة ونحن لكم داعون وذاكرون والسلام عليكم وعلى حاضرى حضرتكم ومن شملته  
دائرة ودكم منا ومن لدينا من الأولاد وذوى الوداد .

حرر في ٢٧ شوال ١٣٢٦ هـ .

قال ذلك وأمله الفقير الى عفو الله السيد أحمد بن حسن بن عبد الله  
المطاسى المقيم ببلدة حريضة انتهى مكتبته المشتل على اجازته الفريدة رضى  
الله عنه وتحدث اسمه الشريف ختمه الكبير وهذه عبارته " الواثق برب الناس المنصب  
أحمد بن حسن بن عبد الله المطاسى ١٣٢٥ هـ . (١)

هذه اجازة للشيخ أحمد حسن المطاسى الملوى التى يعتر بها وهى  
جامعة لكثير من العلوم التى حصلها الشيخ المطاسى وفيها كثير من الأحوال  
والكشوفات التى حصلت له أما رويته الرسول صلى الله عليه وسلم يقظة فقد أيسد ها  
الشيخ النبهانى بما توصل له من بحث . (٢)

وفي جواهر البحار أيضا ذكر الشيخ النبهانى حصوله على اجازة بالصلاة  
الفيضية للشيخ محى الدين بن عربى يقول الشيخ النبهانى " وانى كما أروىها  
أى الصلاة الفيضية - كسائر مؤلفاته - أى الشيخ محى الدين بن المرسي  
ياسانيدى اليه أروىها أيضا بواسطة رجل صالح من أهل دمشق الشمام  
رواها عنه فى المنام وهو سيدى السيد الشريف أحد فروع السلالة الطاهرة النبوية  
عبد الرحمن بن السيد شاكربن السيد أحمد الشوكى الدمشقى فقد أخبرنى

(١) جواهر البحار فى فضائل النبى المختار ج ٤ ص ٣٢٩ - ٣٤٣

(٢) راجع ما كتبه الشيخ النبهانى فى الباب التاسع فى الكلام عن رؤيته

النبى صلى الله عليه وسلم يقظة وضما " كتاب سعادة الدارين ص ٤٠٩ -

٤٦٥ كذلك راجع ما كتبه العلامة ابن خلدون فى مقدمته بخصوص ما يطلع  
عليه بعض الناس من مدارك الغيب ص ٩٥ - ١١٩ ، ١٠٩ - ١١١ خصها  
بالكلام على مكاشفات الصوفية .

ونحن في بيروت في منزل الحاج خضر بك السجعمان شقيق زوجتي صفية الواقع على ساحل البحر في جوار رأس بيروت بأنه قبل ثلاثين سنة وكان اذ ذاك في أول بلوغه وعمره خمس عشرة سنة رأى وهو في بلده دمشق الشام في ضامه الشيخ الأكبر سيدنا محيى الدين بن العربي رضى الله عنه صلى الفجر في المحراب الموجود في الحجرة التي فيها ضريحه المبارك في سفح جبل الصالحية من دمشق وهو ببقاية رجل مغربي قال السيد عبد الرحمن فاقتديت به وهو بهذه الصفة مع جماعة وبعد تمام الصلاة وانصراف الناس بقيت عنده وحدي بنية أن أسأله عن كيفية تسبيح الخصى في كشف رسول الله صلى الله عليه وسلم - وبعد أن بين الامام الأكبر كيفية ذلك له - ثم قال الامام الأكبر اتريد أن أعلمك الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ثوابها بمائة الف صلاة فقال الامام الأكبر اسمع : اللهم افض صلواتك ..... الخ ثم سمعها له الامام الأكبر مرتين حتى حفظهما "

يقول الشيخ النبهاني " وقد أجازني صاحب هذه الرؤيا السيد عبد الرحمن المذكور بالصلاة الفيضية المذكورة وقرأها على مرتين في مجلسين مختلفين أولهما في احدى ليالى التشريق وثانيهما في بيتي ببيروت في الثالث والعشرين من ذي الحجة المذكور أى بعد ذلك المجلس بنحو عشرة أيام فأجاز بها أيضا ولسدي محمد شمس الدين ووالدته صفية وبناتى تقيسة وفاطمة وعائشة أنبتهم الله نباتا حسنا في يوم الخميس ٢٠ صفر ١٣٢٧ هـ وقد اشتملت من كمالات سيد المخلوقات على ما لم يشاركها فيه غيرها من السلوات ولا يعلمه الا مثل سيدي محيى الدين من أكابر العارفين الذين أطلعهم الله على ما لم يطلع عليه غيرهم من علو قدر سيد المرسلين (١) .

وحصل الشيخ النبهاني على أجازة من الشيخ عبد الله بن السيد درويش الزكاي الشهير بالسكري من ذرية العارف الشهيد أحمد الرقاعي جاء فيهما ..... حضر عندي الشيخ يوسف أفندي النبهاني فحدثني بحديث الرحمة المسلسل بالاولية الحقيقية وأسمعتة اياه وهو أول حديث سمعته مني " ثم يذكر الرواة حتى يصل الى راوى الحديث عبد الله ابن عمرو بن الصاص رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :  
" الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء "

الى أن يقول " ثم أذنت للمجاز أن يجيز به من هواهل لذلك " وكذلك صافحته يكفى هذه التى صافحت بها شيخنا فقيه النفس من يكفى بأبى حنيفة الصغير سيدى الشيخ سعيد الحلبي .

والمستمر الشيخ السكري في رد<sup>ك</sup> من صافحهم حتى رسول الله صلى الله عليه وسلم . يقول الشيخ النبهاني " فحينئذ تكون يد العبد الفقير عبد الله الركابي الشهير بالسكري حادى عشر يدا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأرويه بسند آخر متصل بالعصر أبى العباس الملقب (١)

وقد أورد الشيخ النبهاني في " جواهر البحار " أنه تتلذذ على العلامة الشيخ محمد ابن الشيخ جعفر الكتاني " قال " وقد حضر الى بيروت فى شهر رمضان سنة ١٢٢٦ سيدى الامام العلامة الكبير السيد الشريف الشيخ محمد بن الامام العلامة الشهير سيدى الشيخ جعفر الكتاني القاسى قادمًا من المدينة المنورة بعد حجه من العام السابق وأقامته في جوار جده الاعظم صلى الله عليه وسلم عدة شهور يقرأ العلم وينفع الجمهور وكان حضر الى بيروت قبل ذلك بثلاث سنوات مع جملة أولاده وتلاميذه وشرقى بزيارته لى في منزله مع جماعته وحصلت لى بركته ومركتهم فلما بلغنى قدومه الى بيروت فى هذه المدة زرت فى محل اقامته وفزت بتقبيل يده ودعوته الى منزلى فأجاب دعوتى واستفدت من علمه ومركته فوائد جمة أجلبها أنه عاتقنى وقال " أعانقك كما عاتقنى سيدى أحمد بن حسن المطاسى بأعلى فى المسجد الحرام فى العام الماضى وقال لى أعانقك كما عاتقنى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ثم شابكنى بأصابع يده اليمنى سيدى محمد جعفر الكتاني وقال لى أشابكك كما شابكنى السيد أحمد بن حسن المطاسى وقال لى أشابكك كما شابكنى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ثم ناولنى السيد محمد بن جعفر الكتاني سبحة وقال لى أناولك السبحة كما ناولنيها سيدى السيد أحمد بن حسن المطاسى وقال لى أناولك السبحة كما ناولنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم .

والدراعية التي تدعو إلى تفصيل الحديث  
الطويل عنه فنحن الإجازة

- ١٧٧ -

ثم ان سيدى محمد بن جعفر الكتاني أجازني إجازة تامة بمؤلفات ومروياته  
وكان قد سبق إجازته لي في الاجتماع السابق ومؤلفاته رضى الله عنه كثيرة نافعة  
جدا وهو ممن سمعت منهم أن شيخنا المذكور السيد احمد بن حسن العطاسى  
يجتمع بالنبي صلى الله عليه وسلم يقظة رضى الله عن الجميع \* (١)

كما حصل الشيخ النبهاني على إجازة من الشيخ محمد الطيب جاء فيها  
بعد مقدمة طويلة " ..... كما كان صلى الله عليه وسلم  
يأمر كلا من أصحابه بما يناسبه من شرعه الشريف وقد توهم من توهم من علماء  
الظاهر أن هذه الأوامر المختلفة هي خلاقيات فاحتاجوا إلى تكلف الجمع بينهما  
مع أنه صلى الله عليه وسلم أمر كل واحد بما يناسبه كما تقدم ليس إلا ، فخذوا  
إعانكم الله ببذل النصيحة للامة والدعوة إلى الله تعالى بما أراكم الحق سبحانه  
على حسب الوقت والحال فان ملا يدرك كله لا يترك جله والله ينفع ويجزى كل واحد  
بقصد نيته ، هذا وإنى قد أجزتكم ببذل النصيحة ودوام الدعوة إلى الله سبحانه  
بحسب الوقت وما يقتضيه الحال كما أجازني به مشايخي قدس الله أسرارهم إجازة -  
عامية مطلقة أعانكم الله وقواكم وإنى أرى ان رفع شبهة من قلب معتقدها وتبديل  
بدعة بسنة مأثورة وهدى بىبوى خير من الدنيا وما فيها كما أشار إلى ذلك رسول  
الله صلى الله عليه وسلم بقوله : " لأن يهدى الله على يدك رجلا واحدا  
خير لك مما طلعت عليه الشمس والموء من القوى خير من الموء من الضعيف " فإذا  
حققنا الله بحقائق أهل القرب وسلك بنا صالك أهل الجذب أنفقنا ما افقنا  
الله علينا على عائلة المريدن لينفق \* ذو سعة من سمعته ومن قد رعليه  
رزقه فينفق ما آتاه الله والسلام عليكم مكررا ومعادا ورحمة الله وبركاته حرر في التاسع  
من جمادى الثانية سنة ثلاث وثلاث مائة والف كتب على املاء خادم الفقراء محمد  
الطيب بن محمد المبارك المفسرى الحسينى غفر الله له ولوالديه  
وللمسلمين آمين \* (٢)

(١) جواهر البحار ج ٤ ص ٣٥٢ - ٣٥٣

(٢) جواهر البحار ج ٣ ص ١٩٣ .



وحصل الشيخ النبهاني على اجازة من الشيخ محمد المبارك الحسيني الجزائري جاء فيها " قد اجازني سيدى الفاضل العالم العامل السيد المشرف محمد بن المبارك الحسن الجزائري بكتاب روح القدس في محاسبة النفس بحق اجازة اخيه العارف بالله سيدى الشيخ محمد الطيب له بحق قراءته هذا الكتاب ممن اوله الى اخره في المنام على مؤلفه امام العارفين سيدى محى الدين بن المرسي وهو يذكره فيه مذاكرة تأخذ بالاسباب " (١) بالارباب

هو " هم اساتذة الشيخ يوسف النبهاني سواء كان تلقى عنهم عن طريق التلميم كما في الازهر او عن طريق الاجازات بالمشاهدة او المراسلة ومن هذا يتضح لنا أنه قد تلقى العلم عن أكابر علماء عصره وأن منهجه الديني كان صوفيا مشاركا في أعمال الحياة سواء بوظائفه الحكومية أو عن طريق مهالجبية مشاكل العصر سواء المشاكل الاجتماعية كما في مؤلفاته ورسائله أو بالتصدي للمؤثرات الاجنبية التي كان يخاف منها على عقيدة المسلمين وأما التلقى عن طريق الاجازات فقد كان شائعا في عصره والاجازة لا ترسل الا لمن يعرف في التقوى والاصلاح مع الاهلية العملية لتحمل ما يجاز به ولو أنى ذكرت الاجازات تمامها لطال البحث ولكني أثرت ان اشير الى نص الاجازة بالذات مكتفيا عما يسبقه من مقدمات او يتسلوه من ختام مع أن الاجازة بكل ما فيها تدلنا على منزلة المجيز وعلومه وعلى منزلة المجاز ومكانته من شيخه صاحب الاجازة . وهي صالحة لو جمعت . لتكون كتابا في اساليب الانشاء " (٢) .

أما اجازة الشيخ احمد حسن الصطاس فقد ذكرتها بتطامها ما عدا بعض الادعية والصلوات خوف الاطالة ومن يرغب الاطلاع عليها فليراجع المصدر وأؤكد ما ذكرته سابقا من اني ما ذكرتها بتطامها الا لان الشيخ يوسف النبهاني قد

(١) المصدر السابق ج ٤ ص ٣٥٣

(٢) وهي شبيهة في شكلها وموضوعها بكتاب الوسائل الادبية في الرسائل الاحدية لمؤلفه الشيخ عبد الهادي ابن السيد رضوان نجا الايباري مع الشيخ ابراهيم الاحزاب حيث كانا يتبادلان الرسائل نظما ونثرا ولكن الاجازات تتميز من باب الرسائل البعيدة التكلف حيث لا يقصد منها الا ما تتضمنه من فوائد علمية وذكر مكانه المرسل والمرسل اليه .

أفرد لها مديحا خاصا يفوق غيرها وقد فرح تبها ومعهودة صاحبها فرحا شديدا  
بالإضافة إلى أنى وجدت أن هذه الإجازة جامعة لمختلف العلوم العقلية والنقلية  
والنقلية واللاهوتية كما أن فيها من الروحانيات والمكاشفات التى تعطى صورة واضحة  
لافكار ومعتقدات الشيخ يوسف النبهانى ولعل هذا هو ما حبيبها إليه من بتساب  
حكاية الشـل .

### تلاميذه :

لم يشتغل الشيخ يوسف النبهانى بالتدريس حتى يكون له تلاميذ أما  
تدريسه فى عكة واجزم فلم يعتمد دروسا فى الوعظ والارشاد ولكن الذين طلبوا  
الإجازات منه فى مؤلفاته ومروياته هم فى الحقيقة تلاميذه فقد ذكر الشيخ  
يوسف رحمه الله فى كتابه " أسباب التأليف من العاجز الضعيف " ( الفصل  
الثانى ) حاله مع تلاميذه فقال : " فى ذكر بعض مكاتيب وردت لى من  
بعض العلماء والاولياء من ساداتنا أهل البيت رضى الله عنهم ونفعنا ببركاتهم  
ولم أذكر مكاتيب سواهم من العلماء سوى ما ورد لى بطلب الإجازة ولسم  
أحبهم الى الان أما من أحببتهم فلم أر حاجة لذكرهم هنا مع كثرتهم وقد  
أحببت ان اذكر بعض ما ورد لى من مكاتيب من أولئك السادة الكرام الذين  
لم أجمع بأحد منهم الى الان سوى سيدى السيد محمد عبد الحى  
الكتانى فقد حضر الى بيروت راعيا من الحج فى أثناء تأليف هذا الكتاب  
ولو اجتمعت بهم لخف عليهم الامور كثيرا وارضى كما قيل " سماعك بالمعبدى  
خير من أن تراه " ولكنهم انما مدحوا الكتب واثنوا عليها لما اشتملت  
عليه من العلم النافع وأكثرها فى الحبيب الاعظم صلى الله عليه وسلم وقد  
تفضلوا بمكاتيبهم هذه بدون استدعاء ولا طلب منى لشيء سوى إجازة  
سيدى الحارث بالله السيد أحمد بن حسن المطاس ، فانى طلبتها منه  
مع أنه هو رضى الله عنه الذى تفضل اولا بمكاتبتى من قبل أن أكتبه فله الفضل  
اولا واخيرا وقد ذكرت مكاتيبهم رضى الله عنهم لافى سبيل الافتخار وان كان  
يحق لى أن افتخر بها لافظهار نعمة الله على فى ذلك ولاحق ما قلته من أن ،  
السبب الحقيقى هو خدته صلى الله عليه وسلم وهى التى اقتضت محبته  
هو لاء السادة الاكابر رضى الله عنهم ولكون ذلك من أقوى المبررات فى  
هذه الكتب النبوية جدا اقبال المسلمين عليها وكثرة انتفاعهم بها ولا شك  
انهم تزداد رغبتهم فيها باطلاعهم على هذه المكاتبات مع هو لاء السادات .

اعلم قبل الشروع في ذكر مكاتيبهم أن منها ما يشتمل على الثناء الجميل في حق هذا الفقير بدون استحقاق منى لذلك حقيقة وإنما هو من حسن ظن أولئك السادات وأثبت ذلك منى في كتابي وإن كان قبيحا هو من قبيل قولهم ما دح نفسه يقرئك السلام إلا أني اقتديت ببعض الذين اثبتوا ذلك في مؤلفهم لحسن نياتهم مع أني حذف منها ألفاظا كثيرة من الاطراء والثناء الرائد الظاهر كذبه وعدم موافقته للواقع وحقيقة الامر دائما حملهم عليه حسن الظن وقد أبقى بعض الالفاظ التي تحتل التأويل وأسأل الله العفو والعافية وهو حسبنا ونعم الوكيل .

وقد جعلت لما ورد من كل سيد من المكاتيب فصلا خاصا (١) لقد اثر في ذكر تلاميذه ألا أذكر الرسائل التي وردته لطلب الاجازة بتطامها خوفا من الاطالة واكتفيت بذكر غرضها وتاريخها واسم عنوان مؤلفها مع ما تحمله في مقدمتها وخاتمها من التبجيل والاحترام والتقدير للشيخ يوسف النبهاني مؤلفه بفضل وقبول مؤلفاته في بلادهم التي عن طريقها عرفوا الشيخ النبهاني . والكثير منهم يشرح حالة وطلبه للعلم ومما حصله من العلوم النقلية والعقلية والانتها وذكر مشايخه وكأنه يوضح اهليته لتلقى الاجازة .

وقد جعل الشيخ يوسف النبهاني رحمه الله لكل رسالة فصلا خاصا بها وأنا أبقى هذا الترتيب على حاله كما أراد الشيخ النبهاني .

فصل - ورد مكتوب من السيد عمر بن محمد بافقيه باعلوى وهو مقيم في الهند يطلب فيه الاجازة من الشيخ النبهاني ويعلمه عن وصول كتبه وقرائتها من جميع اطراف تلك الجهات والرسالة محررة يوم الخميس ٢٤ شوال ١٣١٨ في بندر كليمو سيلان وأشار الشيخ النبهاني الى ورود عدة مكاتيب منه والمكتوب الاتي منها يذكر فيه وصول الكتب التي ارسلت

له ثم يطلب قائمة بمؤلفات الشيخ النبهاني لأشرائها وذكر عنوانه في سنخافوره  
هناى ستريت نهرة ٢٩ حرر في الجمعة ٢٩ رجب ١٣٢٠ .

وأورد الشيخ النبهاني مقتطفات من كتب مخطوطة أرسلها له السيد  
عمر بن محمد بافقيه باعلوى وهى :

#### الكتاب الاول :

( ايضاح اسرار علوم المقربين ) والكتاب في حجم مائه ورقم  
الكتاب الثانى :

( رشفات شرب اهل الكمال ونسبات قرب أهل الوصال ) نظم السيد  
الشرىف الفاضل الصلابة عبد الله بن أحمد بن عبد الله بن أحمد  
بافقيه باعلوى .

#### الكتاب الثالث :

( النفحة المدنية فى الاذكار القلبية والروحىة والسرىة فى الطرىقة  
العبدروسىة )

للمعارف عبد الرحمن ابن مصطفى العبدروسى باعلوى .

#### الكتاب الرابع :

( غاية القرب فى شرح نهاىة الطلب ) :  
للسيد الشرىف محىى الدين عبد القادر بن الشيخ العبدروسى

#### الكتاب الخامس :

( شرح صلاة مسىدى أحمد البىدى ) :  
للسيد عبد الرحمن ابن مصطفى العبدروسى .

#### الكتاب السادس :

( الجزء اللطىف فى بىان التحكىم الشرىف ) :  
للشيخ ابن العبدروسى المدنى .

#### الكتاب السابع :

( القول الجمىل فى بىان سوا السبىل ) :  
للشيخ أحمد شاه وللى الله النحدث .

### الكتاب الثامن :

يسمى باسمين الاول ( سلسلة الذهب ) والثاني ( اسباب التوفيق  
في أوراء الطريق ) للشيخ محمد البيهقسي .  
الكتاب التاسع :

( كتاب السير والسلوك الى ملك الملوك ) :  
للشيخ قاسم الخاني الحلبي .  
الكتاب العاشر :

يقول الشيخ النبهاني " ولم نعلم اسمه لكون اوله فيه تقطيع  
من الدور للشيخ أحمد ابن الشيخ محمد بن يوسف المقلب أحمد  
بن علي الشناوي .  
الكتاب الحادي عشر :

عقد اليواقيت الجوهريه وسط الصين الذهبيّة يذكر طريق  
السادات العلوية للشيخ عيد روسي ابن عمر بن روسي  
الحبشي المصلي .

( فصل ) " ورد عدة مكاتيب من السيد ( عبد الله بن عبد الله المطاسي )  
المقيم في بندر بتاوي من البلاد الجاوية بطلب الاجازة . المكتوب محرر  
في ١٤ شعبان ١٣٢٠ هـ .

( فصل ) ورد مكتوبان من السيد علي بن عبد الرحمن الحبشي الحسيني  
يطالب الاجازة لبعض الاوراد والصلوات حرر في ٦ شوال ١٣١٩ هـ .

( فصل ) ورد مكتوب ( السيد عثمان بن عبد الله بن عقيل ) المقيم  
في بلاد الجاوة حرر في بتاوي ٣ رجب ١٣٢٣ هـ . ذكر في رسالته قراءته  
لكتب الشيخ النبهاني التي وردت وكتب الشيخ حسين الجسر والشيخ  
رحمة الله الهندي .

( فصل ) وردت مكاتيب كثيرة من السيد لا عقيل بن عثمان بن عبد الله  
بن عقيل مقيم في بلدة جاوة مدينة تيمور كوقع يطلب الاجازة في مؤلفات  
النبهاني حررت في ١ شوال ١٣٢٢ هـ وما جاء في رسالته " سيدي  
اني سمعت غير مرة والدي المذكور يقول ان هذا الشيخ يوسف النبهاني  
له منة على الامة المحمدية عظيمة بقيامه بـ بها ويدحض حجج أعدائها

نحن معشر أهل البيت أحق بقبول مؤلفاته والاقبال عليها وعليه وكان يقول كثيرا من هذا وكان مفتيها بكتابكم حجة الله على العالمين وكثيرا ما يسبق على لسانه فيقول هاتوا كتاب رحمة الله على العالمين .

( فصل ) ورد كتاب من ( السيد حسن بن علوي بن عبد الله بن شهاب الدين العلوي الحسيني ) يطلب فيه الاجازة تحريرا في بندر سنغافورة في ١٧ ذي القعدة ١٣٢٢ .

( فصل ) ووردت رسالة من ( السيد أحمد أدريس الاهدلي يطلب فيها اجازة عامة حرر في ٢٨ محرم ١٣٢٢ هـ يقول الشيخ النبهاني رحمه الله واما ما ورد من علماء الاشراف في المغرب فضعهم ( السيد الشريف محمد المكي بن عزوز التونسي في غوة جمادى الثانية ١٣١٢ هـ وأرسل له رسالة ثانية من تونس في ١٥ ذي الحجة ١٣١٣ هـ جاء فيها ردا على أبيات ذكرها النبهاني في سعادة الدارين بالابيات الستى وردت في الرسالة هي :-

تجازى به أهل الافادة ياباري	اليه الوري جياز المؤلف خيرا ما
لاحمد كي يرتاح بالدار والجار	وسارك له في العمر واجمل جواره
فأبرز للاخوان مشكاة أنوار	امام تحرى الهدى في قرب مسلك
صبوها غبوقا في عشى وابكار	شففنا به حتى اتخذناه وردنا
فذكراه في الافاق افخر مطار	به ابتهج الاسلام والعلم والحج
تصانيف في الاسلام ينبوعها جاري	وكم من يد بيضا ليوسف ابزررت

ثم طلب الاجازة من الشيخ النبهاني . يقول الشيخ النبهاني " .....  
وفوق ذلك هو شريف من السالة الطاهرة وانا لست بشريف ولذلك ما طالت فسي  
الاجازة فراجعتي مرارا حتى أبجته وانا في غاية الحياء .

( فصل ) وورد مكتوب من السيد محمد الصروسي بن يوسف السمرهيلي الشريف يطلب الاجازة المطلقة في الحديث لان النبهاني الف في الحديث حرر في ١٠ ربيع الاول ١٣٢٢ هـ .

( فصل ) وورد مكتوب من السيد محمد عبد الحى ابن السيد عيسى الكبير الكتاني يطلب فيها الاجازة لنفسه وللسيد محمد بن أحمد بن الشريف العلوي الاسماعيلي وأخري لولده محمد عبد الحى ومبقيه اخوت وأولادهم وأحفادهم .

ثم يقول السيد محمد عبد الحى الكتانى ( وقد كنت عولت على ان —  
استجيز لكم ما هنا من خالى مولاى جعفر شيخ الديار المغربية ووالسدى  
الامام مسند الحصر ومركته الشيخ عبد الكبير فأحجمت ريثما يرد على ان نسكم  
المجاب الطبي فان تفضلتم باستعفاء الاجازة لنا من الشيخ البيطار وابسن  
عابدين فياحبذا أو نمنحت الفائدة ..... الخ ) حرر فى يوم  
الجمعة ٤ ربيع الثانى ١٣٢٣ وقد اجابه الشيخ النبهانى وطلب الاجازة  
منه .

كما ذكر الشيخ النبهانى أيضا انه وردته رسالة من الشيخ محمد عبيد  
الكبير الكتانى منذ عشر سنوات يدع فيها مؤلفات النبهانى وخصوصا  
طبية الفراء وقد فقدت الرسالة منه .

( فصل ) وردت رسالة من السيد الشريف محمد يحيى الصقلى الحسينى  
القاسى فى مدينة فاس وفيها اثنى على الشيخ النبهانى وايقبه ثناء  
جميلا حرر فى مدينة فاس الجمعة ٢ ذوالحجة ١٣٢١ هـ .

( فصل ) ورد مكتوب من ( السيد رشيد الحسينى الملقب عراقى  
فى ١٤ رمضان ١٣٢٣ ومما جاء فى رسالته " وبعد فأنا اثنى على  
الشيخ النبهانى وعلوه مقدارا تأليفه ..... ولا شك أن والدكم  
له بركات قال الله تعالى وهو أصدق القائلين " والبلد الطيب يخرج  
نباته باذن ربه والذي خبث لا يخرج الا نكدا (١) وهو يراسل  
النبهانى لما سمعه عنه من أخبار صالحه .

( فصل ) ورد مكتوب من السيد محمد البخارى بن الصادق بن المبارك  
الشريف الحقبى الجزائرى يطلب الاجازة قسنطينة دائرة بسكرة الجزائر  
فى ٢١ شعبان ١٣٢٣ (٢)

(١)

(٢) لباب التأليف من الحاجز الضعيف ص ٣٤٦ — ٣٧٧ — بالتصرف .

يقول الشيخ النبهاني رحمه الله " ..... وقد ورد لي أيضا  
في هذا المعنى مكاتيب كثيرة من العلماء الاشراف وغير الاشراف سوى  
من ذكرتهم وكثير منهم طلبوا الاجازة فكتبتها لهم في آخر ثبتي " هادي  
المريد " وأرسلتها اليهم مع البريد ولم احفظ مكاتيبهم لانني اجبتهم  
عنها ولم اكن في نية اثبات هذه المكاتيب في مؤلف كما فعلته الآن ولو  
خطر لي هذا أولا لحفظت جميع المكاتيب التي وردت لي في هذا الشأن ولكن  
الخيرة فيما اختاره الله وهكذا الامر كان ولما كان بعض هؤلاء المذكورين  
هنا قد طلبوا الاجازة ولم لي كسلة عن جواب بعضهم ويلزماني أن اجيزهم  
الآن اجابة لطلبهم وتحقيقا لاجازاتهم فأقول قد أجزت بلساني وقلمي  
ساداتي المذكورين الطالبين للاجازة ومن يقبلها من أصحاب المكاتيب  
المذكورة وان كان جلدك او كلمهم بمنزلة مشايخي بأن يرووا عني جميع مؤلفاتي  
وما أجازني به مشايخي وكل ما اشتمل عليه ثبتي هادي المريد الى طريق  
الاسانيد " وما الفتة اورويته بعد طبعه ونشره اجازة عامة شاملة للجميع  
مؤلفاتي ومروياتي التي اشتمل عليها الثبوت المذكور وغيرها وساداتي  
التي ذكر مكاتيبهم مع الذين طلبوا لهم ذلك معهم في المكاتيب ولهم ولم  
اجبهم عليها الان نفعتني الله بهم اجمعين وحشروني اياهم في زمرة  
المحبين بسيد المرسلين وأهل بيته الطيبين الطاهرين وأولادهم ونفسي  
وكل مسلم يتقوى الله تعالى وأقوى أسبابها بعد الايمان وهو حب  
أهل بيت النبوة وكرامهم بالمال والحال والاقوال والافعال لله ورسوله  
لا يتصد ان يكافئوه على فعله الجميل ، ومن دقق في قوله تعالى " قل  
لا اسألكم عليه اجرا الا المودة في القربى " علم ان مودتهم لا يفضلها  
بل لا يساويها شيء بعد الايمان من الاعمال الصالحة على الاطلاق  
لجعلها اجرا على تبليغ الرسالة " (١) .

وأما مكاتيب غير العلماء الاشراف :

فيقول الشيخ النبهاني رحمه الله عنها وأما مكاتيب غير العلماء  
الاشراف التي وردت لي في هذا الشأن واجبتهم عنها فلم اذكر منها



منها شيئا هنا لأنى لم أر لذلك ضرورة وقد مضت وانقضت هي وأجوتها  
 \* غير أنه رحمه الله يذكر رسالة الشيخ رضى الدين بن فخر الدين عضو  
 الجمعية الإسلامية ببلدة اوقا في البلاد الروسية في ٢٨ ذى القعدة ١٣١٩  
 يذكر فيها وصول كتب الشيخ النبهاني إليها ومطالبتهم فيها ويطلب  
 الاجازة منه . كما يذكر رسالة وردت من الشيخ عبد الله بن غازى المسكى  
 مولدا الهندى أصلا بطلب الاجازة ويذكر العلوم التى حصل عليها والمشايخ  
 الذين درس عليهم ويطلب الاجازة ايضا للشيخ محمد عبد الرحمن المسرورف  
 بخادم حسين .

ويذكر رسالة وردت من الشيخ أحمد أبى الخير بن الشيخ عثمان جمال  
 الكلى الحنفى يطلب الاجازة ويذكر شيوخه والعلوم التى حصل عليها فى  
 غرة ربيع الثانى ١٣٢٠ هـ .

( فصل ) وورد مكتوب من السيد محمد بن اسماعيل الكشمسارى  
 ومحمود بن أحمد حسن فضيل من علماء اليمن يطلبان فيها الاجازة فى  
 رسالة واحدة فى ٢٧ رجب ١٣٢٠ هـ وطلبا الاجازة ايضا لكل من عبد الله  
 بن حسين الفشيقى ومحمد بن حسن البطاح والشيخ احمد غشيقى وكلهم  
 من مدينة زبيد .

( فصل ) وورد مكتوب من الشيخ عبد الحفيظ بن الشيخ محمد  
 الطاهر الفهدى الفاسى يطلب فيها الاجازة له ولابنائه أبيه واحفاده فى  
 يوم الجمعة ١٦ جمادى الثانية ١٣٢٣ هـ (١) . ومن الذين تتلمذوا  
 على الشيخ يوسف النبهانى رحمه الله فضيلة الشيخ عبد المقصود محمد  
 سالم فقد قابلته فى جماعه تلاوة القرآن الكريم - قرب مقام السيدة زينب  
 وقد اجتمع بالشيخ النبهانى وحادثه وقد اثنى على الشيخ النبهانى  
 لاخلاقه النبوية وقال من ينظر اليه لا يشك فى أنه من المقربين وقد ذكر  
 الشيخ عبد المقصود أنه تتلمذ على الشيخ النبهانى فى كتابه ( فى ملكوت الله )  
 جاء فيه " وقد تلقيتها - الاسماء الادبسية - من المارف بالله  
 الشيخ يوسف بن اسماعيل النبهانى صاحب التأليف المشهورة وكان

(١) أسباب التأليف من العاجز والضعيف ص ٣٨١ - ٣٨٢ - بالتصريف .

ذلك عام ١٩٢٠ عند ما قابلته في مطبعة الحلبي بجوار الازهر الشريف  
فقد عرفني به صاحب المطبعة وقتذاك حيث كان في ذلك الحين يزور القاهرة  
وكنت شفوقا بمطالعة كتبه الكثيرة فاذن لي بقراءة كتبه ومنها هـ  
( الاسماء الادريسية ) واهدى لي الكثير من مؤلفاته ودامت صداقتنا  
من ذلك الحين فظل يكتاتني واكاتبه حتى انتقل الى رحمه الله تعالى ففى  
عام ١٩٥٠ قدس الله روحه وانا رضيعه • واشهد الله انه اول موجه  
لى من الشيوخ الذين قابلتهم فى مستقبل حياتى وكان لقاءى له سـ  
فى تحول مجرى حياتى الى ما هى عليه الآن ..... اسكنه الله  
فراديس الجنة ، (١)

وأجاز الشيخ يوسف النبهاني الشيخ أحمد بن حسن العطار السالف الذكر (( بالصلاة الفضية )) فأجابه الشيخ العطار بالقبول جاء في رسالته " ..... وقد اجتمعنا ببلدة سيون بأخينا الحارث بالله تعالى الامام المهتم السيد علي بن حبيب محمد بن حسن الحبشي وكثير من فضلاء المصريين وجرى ذكرك لديهم وتلونا مكتوبكم عليهم فطربنا وأرواحهم وتضاعفت أفراحهم والقي الله محبتكم في قلوبهم الطاهرة العاصرة ومخروكم صالح الدعاء وجميل الذكر والثناء فهنئنا لكم بذلك وقد قبلت إجازتكم لي بالصلاة الفضية وأندت بها كثيرا منهم فجزاكم الله عني وعنهم وعن المسلمين خيرا " (٢) .

ومن اجازته الشيخ النبهاني رحمه الله الشيخ امين البيطار الشامي  
 ان يقول " واني طلبت من المذكور - النبهاني - حفظه الله تعالى  
 اجازة بقراءة كتابه الانوار المحمدية فاني قرأته في الجامع بعد صلاة الظهر  
 فاجازني حفظه الله تعالى به والجميع مروياته جزاه الله عن خيرا في شعبان  
 ١٣١٥ هـ (٣)

وممن اجازته : الشيخ النبهاني ايضا الشيخ عبد الواسع بن يحيى  
الواسطي حيث يقول " اجازني - أي الشيخ يوسف النبهاني - في الحرام

(١) في ملكوت الله مع أسماؤه الله الحسنى للشيخ عبد المقصود محمد سالم ص ١٣٩-١٤٠

(۲) جواهر البحار ج ۴ ص ۳۳۰

(۳) هادی البرید الی طریق الاسانید . ص ۱۴

المدني باجازه عامة بما يشتمل عليه ثبته المسمى هادي المريد الى طريق الاسانيد - (١) .

هو تلاميذ الشيخ النبهاني الذين ذكرهم في كتبه مع انه اهل الكثير من الرسائل التي كانت ترد من غير علماء الى البيت ولم يشتمل للاحتفاظ بها لتجمع لنا الكثير من هذا التراث ولكن زهد منعه من اظهار كل ما يظهر فضله وعلمه وكان الدافع الاساسي لاهماله هذه الرسائل . هذا الزهد الذي كان مسيطرًا على الشيخ النبهاني أدى الى ضياع الكثير من تراثه الذي لو اهتمدنا اليه لاستطعنا ان نرسم صورة فكرية اكثر عمقا ووضوحا وسوف يظهر هذا لنا واضحا عند الكلام على شعر النبهاني حيث ان ما قاله لاغراض غير دينية قد امر باتلافه ولم أعثر الا على ثلاث قصائد فقط بعد جهد وبحث في بيروت ودمشق ومغداد وعمان ولكن بنظرة عامة على تلاميذه نجد هم قد امتدوا الى مراكش غربا وبلاد جاوة وسومطرة شرقا والى حضرموت واليمن جنوبا ووسط روسية شمالا وهذا يدل على انتشار أفكاره حتى في هذه الجهات النائية واذا أدركنا ضعف وسائل الاعلان والنقل وقتها أدركنا قوة هذه الافكار التي استطاعت ان تصل الى تلك الارحاء النائية في مدة وجيزة أدركها الشيخ النبهاني نفسه مما دعاه الى وضع مؤلفه الذي سماه " اسباب التأليف من العاجز الضعيف الذي يظهر من اسمه وكأنه يعتذر عن هذه المؤلفات المشهورة انطلاقا من صمت الزهد كما ذكرناه آنفا والذي يستعرض أساتذه الشيخ النبهاني والعلوم التي درسها واجازاته من مشايخه وما أجز به يظهر لمبوضح أنه كان مستغرقا في ورعه وتصوفه استغرقا سخر له كل ما يتصل بحياته من قريب أو بعيد ويظهر لي ان الشيخ النبهاني اقرب الى الامام الفزالي بتصوره وأفكاره نحو الدنيا والآخرة فالذي يقرأ الامام الفزالي في كتبه بعد أن جعل التصوف منهجه وسلوكه يجد أن كلا منهما صورة للآخر . وهذا ما سأوضحه ان شاء الله تعالى عند الكلام على " شخصيته ومبادئه " في الفصل الرابع من هذا الباب وما تجدر الاشارة اليه أن الشيخ النبهاني رحمه الله قد استوعب كل ما أسهم في ثقافته وعكسه على انتاجه ومؤلفاته وهذا ما سنلاحظه عند



هذا هو امام كبيرهم شهير من أفراد ائمة الامة المحمدية للذين تفتخر بهم على سائر الامم ولكنه مع ذلك غير معصوم من الخطأ والزلل فقد أخطأ في مسائل قليلة منها هاتان المسألتان التوسل وزيارة قبر الرسول - خطأ فاحشا خالف فيه جمهور الامة من السلف والخلف كما بين ذلك كثير من المحققين ، ومن أجلمهم الامام السبكي المذكور في كتاب " شفا السقام ففى زياره قبر النبى عليه السلام " وابن تيمية وان اخطأ في هذه المسائل المحدودة فقد أصاب في مسائل لا تعد لا وتحد نصربها الدين المبين وخدم بها شريعة سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم • على أن بعض ما نسب اليه من تلك المسائل أنكر صحة نسبتها اليه بعض العلماء الاثبات وعلى كل حال ان الحسنات يذهبن السيئات • وأنا أسأل الله العظيم رب العرش الكريم أن يحشرنى مع هذين الامامين الجليلين فى جملة المحبين المتحابين الذين قال الله فى حقهم ( ونزعنا ما فى صدورهم من غل اخواننا على سرر متقابلين • ) (١)

والنبهانى رحمه الله لا يدع فرصة لتسويغ موقف خصومه الا ذكرها وهو لا ينتفىس شخوصهم وقوة علمهم وانما رده عليهم فيما خالفهم به فقط وفيسى مكان آخر يقول ( ••• لا يتوهم متوهم من القاصرين أن الامام ابن تيمية أو واحدا من جماعة • ولا سيما ابن القيم والحافظ عبد الهادى يقصدون بصبراتهم التى مضوا فيها السفر لزيارة القبور وتعظيمها حتى قبر النبى صلى الله عليه وسلم مقامه الشريف صلى الله عليه وسلم أو التعرض لعلى رتبته التى تجاوزت رتب المخلوقين على الاطلاق حاشاهم من ذلك فانهم هم من اكابر علماء المسلمين وحماة هذا الدين المبين ولكن لهم مذهب بحسب ما ظهر لهم من الادلة التى قامت عند هم وفهموه من الكتاب والسنة بقدر ما أعطاهم الله فى ذلك من الفهم أما علو مقام النبى صلى الله عليه وسلم فهم قد شرحوه وبينوه فى كتبهم • أما ابن عبد الهادى فلم أطلع له على كتاب غير ( العارم المبكى ) واليته لم يؤلفه أما ابن القيم فمن أحسن كتبه كتاب ( جلاء الأفهام فى فضل الصلاة على سيد الانام صلى الله عليه وسلم )

الصارم

وقد نقلت منه في كتابي ( سعادة الدارين ) فوائد مهمة يعظم له بها ان شاء الله تعالى الثمات وكتابه ( زاد المصاد ) وهو من أجل وأنفع الكتب الدينية وأما الامام ابن تيمية فمن أحسن كتبه ( الجواب الصحيح ) في الرد على من بدل دين المسيح ( وقد نقلت منه في كتابي ( حجة الله على العالمين ) وغيره ما تشرح به الصدور وتكثر له به ان شاء الله تعالى الاجور .

وقد رأيت أن أنقل عبارة له هنا في تعظيم النبي صلى الله عليه وسلم ذكرها في كتابه المسمى بـ ( بيان موافقة صريح المعقول الصريح الدنقول ) ثم أورد الشيخ النبهاني رحمه الله العبارة التي يعظم ابن تيمية فيها الرسول صلى الله عليه وسلم ثم يقول ثانياً عليها " ليس من الصواب ان من يقول هذا الكلام في حق سيد الانام عليه الصلاة والسلام يدعو الناس الى عدم السفر لزيارة قبره الشريف ويجعل ذلك معصية من معاصي الله تعالى ومنصمهم من الاستغاثه الى الله به عليه الصلاة والسلام ويجعل ذلك ممن الاشراك بالله سبحانه وتعالى ، فوالله لولا ان الله تعالى يفصل في خلقه ما يشاء لما كنا نصدق بأن ذلك يصدر من أحد من ضعاف علماء الاسلام فضلا عن هو كاي تيمية امام وأي امام ، وأغرب من ذلك أن يتبعه عليه مثل ابن القيم وهو أيضا من أئمة الملطاء الاعلام وابن عبد الهادي أيضا من أكابر حفاظ الاسلام وسيأتي نقل بعض عباراتهم الشيعة في هذا الشأن فيتحقق بذلك كل من عاظه الله تعالى منها أنها ليست من عملهم وانما هي من عمل الشيطان ولكنهم مع ذلك لحسن نياتهم وكثرة حسناتهم أهل ومحمل للمغو والزحمة والخفران (١) .

ويقول الشيخ عبد الله الماليلي في بيان المكانة العلمية للشيخ النبهاني فقهاً " كان فقيهاً كبيراً ومرجعاً في الاحوال الشخصية ومجلة الاحكام العدلية التي عَصَرَتْ فيها الاحكام الشرعية وللشيخ النبهاني شروح على هذه المجلة ويعد من المراجع بخصوص مجلة الأحكام وكان متضلعا في الاصول يعرف طرائق الاستدلال واستخراج الاحكام التفصيلية من أمثلها الاجمالية

وقد عرفت ذلك عنه من النوازل الحادثة في كثير من القضايا التي دارت بيمينه وبينه نعم انه كان يميل الى كثير من التزمث مثل قضية التأمين كنت اذهب فيها الى الحلية ما عدا التأمين على الاحياء أما النبهاني فيحرم التأمين مطلقا فهو عنده غرر فكان يتمتع بملكة استحصال الى جانب ملكة استحضار وقد انقطع في آخر أيامه للنسيومات .

ويقول الشيخ عبد الله أيضا " كان عنده شمولية في الاعلام وقلما يخطئ في علم وعندي من بعض كتب وتعليقات بخط يده . وكان يملك بعض النواذر في الكتب مثل كتاب " لب اللباب " للإمام السيوطي وهو كثيرا ما يأخذ على الامام السيوطي في بعض تعليقاته وهذا يدل على سعة اطلاعه .

ومما يدل على تبحره أني قرأت له كتاب الكليات لأبي البقاء الكفوي وقد وضع خطأ تحت المهم واشترت من كتبه أيضا كتاب خلاصة الاثر للجبلي وكتاب المرادي الذي هو تنمة للمكتاب المحي وتاريخ الخميس للديار بكرى أربع اجزاء طبع الاستانة وعنده غزارة ووفرة في الاطلاع .

ويقول الشيخ عبد الله الصاملي أيضا في مجال اظهار مكانة الشيخ ، النبهاني الادبية " وقد انقطع في آخر أيامه للنبيات وعظمته من الناحية الادبية تجلت لانه قمة من قمم الادب الرفيع الذي عرفه القرن التاسع عشر لأن الصياغة الاسلمية لم يأخذها من عصر التخلف وانما من منابع الاصلية وشأنه في الادب العربي بمنزلة البارودي بل لعله في مولده من أروع ما قيل يعد أرفع من البارودي لانه أصبح قمة فتح بها باب التجديد شأنه في الاحياء شأن البارودي ، وشأنه في التجديد شأن اسماعيل صبري وهو دون شوقي ويساوي النبهاني شوقي في دور الاسلاميات الدور الاخير - وقد كان النبهاني أطوع وأعمق من البوصيري في الأغراض التي طرقها وفي الأغراض التي لم يطرقها وفي الموازنة بين الهمزيات الثلاث همزية شوقي وهمزية البوصيري وهمزية النبهاني نجد البوصيري يكون قمة بمطالعها ويقرب النبهاني منه وشوقي كان على البركة ، النبهاني جاري البوصيري مع العمق الفكري المولد وقد أهملت شخصية النبهاني على رغم مطالعها من التراث الضخم وقد قفز الشيخ يوسف النبهاني بالشعر العربي قفزة محسوبة الشيخ النبهاني يجيء طبقة بين البارودي واسماعيل صبري وهو يأتي مرحلة انتقالية بين البارودي واسماعيل صبري . ولا يوجد في تاريخ الادب العربي من وقف

شعره على الرسول صلى الله عليه وسلم مثل الشيخ يوسف النبهاني .. نعم  
المرزوقي في المنرب وقف شعره على الرسول صلى الله عليه وسلم  
ولكنه لم يكن بغزارة الشيخ يوسف النبهاني . كان النبهاني رائداً فـ  
المدائح النبوية في عصر النهضة وفي بعض الجوانب " (١)

وما يظهر مكانته العلمية كثرة الاجازات التي تلقاها او اعطاها وللاجازات  
اهميه كبرى عند العلماء حيث بها يتصل سند المرید بمؤلف الكتاب واتصال  
الاسانيد عن طريق الاجازات ميره عالية في حفظ علوم الأمة الاسلامية التي امتازت  
بها عن سائر الامم . وهذه الميزة جعلها الشيخ النبهاني رحمه الله الاساس  
في اثبات صحة ما وصلنا من أحكام الشريعة الاسلامية دون الشرائع السابقة  
اذ أن العلوم الشرعية وصلتنا عن طريق أجيال الرواة المتصلة الاسناد مما  
أدى الى حفظ هذه العلوم صحيحة الى أن وصلتنا كما صدرت عن الرسول  
صلى الله عليه وسلم الى الصحابة " (٢)

يقول الشيخ عبد الله الحليلي " ..... ولا يدع الرواية  
تقيم الصلة الفكرية مع الاجيال عبر التاريخ في نوع من الدقة والتحقيق والثقة  
وفي نوع آخر من الشعور بالنسبة العلمية يختلف عن مثله في النقل عن الكتاب  
والاخذ من هنا وهناك كيفما اتفق "

ويقول أيضا " وهذه القيمة للرواية تظهر أكثر فأكثر لمن دفع في مضائق  
البحث والمقابلة وشهد ما تضع به المخالفات التعليمية من تصحيقات وأوهام  
تجعلك لا تطمئن اليها الا بالأخذ عن الثقة وانا لا أشك في أن شيوخ  
الخطأ ان في اللغة أو في الحديث أو في التاريخ يرجع الى اليوم الذي انقطعت  
الرواية فيه وقام مقامها الاخذ عن الكتاب دون السماع وان سادت القدامى  
بلغ من سوء ظنهم فيمن لا يحفل بالرواية أنهم اشتقوا كله التصحيف " (٣) أي ،  
احالة الشيء عن صوابه - بملاحظة الاخذ عن صفحات الكتاب ، فقالوا " صحف  
الرجل " أي تلقى من صحيفة دون رواية مشهورين بذلك الى توهينه والشك

(١) مقابلة مع الشيخ عبد الله الحليلي في منزلة في بيروت في ٦ / ١ / ١٩٧٥

(٢) راجع ما كتبه الشيخ النبهاني في كتابه " خلاصة الكلام في ترجيح دين الاسلام  
ص ٥٢٢ - ٥٢٣

(٣) جاء في القاموس المحيط ( الصحفى ) حركة من يخطئ في قراءة الصحيفة والتصحيف  
الخطأ في الصحيفة .



في كفايته اعتماداً لتدليل أخيراً على الخروج بالشئ عن وجه الصواب وعلى الخطأ<sup>(١)</sup>  
ويقول الشيخ محمد جميل الشطى " قال الامام أحمد بن حنبل رضى  
الله عنه : انما الناس بشيئين وثقلهم وقال الامام عبد الله بن المبارك الاسناد  
من الدين ولولاه لقال من شاء ما شاء " (٢) وجاء في كتاب التصحيف والتحريف  
عن سعيد بن عبد العزيز عن سليمان بن موسى قال " كان يقال لا تأخذوا  
القرآن من مصحفى ولا العلم من مصحفى " (٣).

وفي هذا تظهر مكانة الشيخ النبهانى العلمية رحمه الله حيث ان معظم  
علومه قد أخذها بالتلقى البائس من أساتذته في الأزهر وعن طريق الاجازات  
المختلفة التى اتصل سنده بمؤلفي مختلف العلوم الاسلاميه العقلية والنقلية  
وقد أطلق الشيخ صفاء الدين آل الشيخ لقب المجتهد على الشيخ  
يوسف النبهانى في موضوع كتبه في مجلة التربية الاسلامية " بعنوان " صلاة  
الاربع قبل الجمعة والاربع بعدها " (٤)

وفي مقابلتى للاستاذ محمد عزة روضة قال " ان تفسير الشيخ النبهانى  
" قرة العين من البيضاوى والجلالين " هو أحسن ما كتب في مثله فهو  
كثيراً ما يضح ألقاظاً قليلة لبعض المعانى القرآنية الواسعة مما يدل على فهمه  
الكامل للقرآن " (٥) قال هذا تعليقا على قول النبهانى في مقدمة تفسيره  
وأجبت - أى مصطفى الحلبي - الى ما سأل من تفسير الالفاظ الغريبات  
ولم أقتصر عليها بل زدت تفسير المبهمات ، وتوضيح ما أشكل من الآيات  
الكريمات فجاء والحمد لله مع اختصاره بغنى اللبيب عن مراجعة المطولات " (٦)

(١) اتحاف ذوى العناية ثبت محمد العزوى الاديسى ص ٥ - و

(٢) المرجع السابق ص ١

(٣) كتاب التصحيف والتحريف للحسن بن عبد الله بن سعيد المسكوى  
ج ١ ص ٨

(٤) مجلة التربية الاسلامية : بغداد العدد السابع ١٤ آذار ١٩٧٢

(٥) قابلته في النصف الثانى من شهر اغسطس ١٩٧٤ في فندق الرفران في مصيف

الزبدانى في مسورة

(٦) قرة العين من البيضاوى والجلالين ص ٢

ويقول صاحب معجم الشيخ في ترجمة الشيخ يوسف النبهاني رحمه الله " عالم مشارك في كثير من العلوم العربية والفنون الادبية مداوم على المظالمه والجمع من غير ملل <sup>ولا</sup> بسأمة محسن ترتيب المسائل وتنسيق النقول وزاده ملكة واقتدارا على الكتابة <sup>والانشاء</sup> بعبارة فصيحة عالية خالية من الركافة اشتغاله مدة بتحرير جريدة الجوائب وتصحيح ما يطبع فيها من الكتب وذلك كله مما أعانه على مؤلفاته العديدة ولا سيما أشعاره النبوية العجيبة الجامعة بين الفصاحة والبلاغة والمحسنات البدعية مع اشتغالها على الأوصاف المحمدية الجلية والاخلاق الكريمة التي اختص بها صلى الله عليه وسلم ولم يشغل بالتأليف في العلوم الادبية مع تبحره فيها وتمكنه منها نظما ونثرا بل اقتصر على الامداح النبوية والموضوعات الدينية التي اختصرها وهذب كثيرا مسن مؤلفات من قبله وجمع فيها ما كان متفرقا " (١)

وقابلت الاستاذ عماد بك الصلح (٢) فقال " ان الشيخ محمد صديق بهادر الهندي كان زوج أميرة هندية . وقد كتب في موضوعات اسلامية عربية مختلفة لا تجتمع لشخص واحد وكان الشيخ النبهاني رحمه الله من الذين اتهموا بالكتابة له في بعض الموضوعات لتشر باسم الشيخ محمد صديق بهادر مقابل مبلغ من المال .

وقد ناقشت الاستاذ عماد بك الصلح في هذا الموضوع وكان ما قلته له " ان الوازع الديني عند الشيخ النبهاني رحمه الله يمنعه أن يبيع مؤلفه لينشر باسم شخص آخر مقابل مبلغ من المال وهو الذي كان يطبع كتيبه دون أن يأخذ شيئا من الربح وجعل حق الطبع لكل المسلمين شرط اجادة الطبع والنبهاني رحمه الله كثيرا ما كان يصح في كتبه أنه يتحمل الديون الكثيرة في طبع كتبه بالاضافة الى ان الاتجاه الديني والفكري للشيخ محمد صديق بهادر ومخالف للشيخ يوسف النبهاني فالشيخ محمد صديق بهادر يشرح على من يتوسلون بالانبياء والاولياء وهو ضد التصوف كما يظهر من كتابه " الدين الخالص " لذلك لا يحقل أن يكون هناك أي تقارب بين الشيخ

(١) معجم الشيخ نفاس ج ٢ ص ١١٦

(٢) هو أخ الاستاذ تقي الدين الصلح رئيس وزراء لبنان السابق وهو يحضر رساله دكتوراه في جامعة السربون عن " احمد فارس الشدياق " قابلته في بيت اخيه مع الصلح الكائن في رأس بيروت مقابل السفارة السعودية ١٩٧٥/١/١



في إحدى قصائده حيث يقول مخاطباً الاستاذ الشدياق :  
 وأعذر فسقى د رست معالم أنفسي      ومشى عليه الدهر وهو مقيسد  
 جمع الأسى جملاً لديه وشملسه      عقد بأيدي الحادثات مبسود  
 أوطانه بمعدت عليه وانمسا      أوطاره وهي المعالي أبعد  
 يبغي اجتماعها ويعلم أنه      هي " يحكم زمانه لا يوجسد  
 ولعل هذا الحكم ينقضه فتنتي      أنت المراد به كرم أمجد  
 فاسلم ودم سندا لمثلي والملا      عن فضلك العالي حديث مسند (١)

الى أن عثرت على ما يزيل تعجبي ويبدد حيرتي في مناقشة بين السيد جمال الدين الأفغاني والشيخ حسين الجسر في الاستانة ذكرها الشيخ عبد القادر المصري في كتابه ( جمال الدين الافغاني ) ذلك أنه كانت تصدر جريدة اخبارية في طرابلس الشام اسمها " طرابلس " وقد خصصت صفحتها الاولى للشيخ الجسر حيث كان يكتب الافتتاحيات المسهبية في الدين والاخلاق والاجتماع بتوقيع منتحل فقال السيد الافغاني للشيخ الجسر ( ما هذا يا أستاذ ان جريدتك " طرابلس " جمعت بين الكفر والايمان أقرأ في صفحتها الاولى الحضر على الفضيلة والخير ومقام الاخلاق وفي باقي الصفحات ضروباً من التملق والتناق : قال الشيخ الجسر : فاعتذرت عن مدير الجريدة بطبيعة الوقت وأن الجريدة لا تعيش في بلاد مثل بلادنا ما لم تتمشى ادارتها على هذه الطريقة من اللين والرق ومجاملة الحكام فليس يقبل الافغاني هذا المذر .

قال الشيخ الجسر : ورجوت الافغاني أن يخفض صوته في حديثه معي كيلا يشمر رجال المابين بأنني صحفي أكتب في صحف الاخبار فامتعض الافغاني وقال : ولماذا يا أستاذ تحاذر هذا وتأبى الانتساب الى الصحافه الصحافه عمل شريف وأنا صحفي وكان لي في باريس جريدة أكتب فيها " (٢)

قال الشيخ عبد القادر المصري " فحصل شيخنا الجسر يحنج عليه باختلاف البيئات وتباين أطوار البلاد وأن مثله " أي مثل شيخنا الجسر

(١) القصيدة موجودة في الفصل الثاني الباب الثالث راجع المرجع السابق ج ٤

ص ١٣١ - ١٣٣

(٢) هي المعريه الوثقى " التي يقال انها من الافغاني والمسلوب الشيخ محمد عبده

" في انتسابه الى علم الدين يزرى به في نظر الناس الاشتغال بالصحافة فلم يقبل الافغانى عذره هذا بالطبع .

ثم يقول الشيخ المغربى : " وقد أيد رأى شيخنا الجسرى الصحافة ومنزلتها يومئذ ما كان بعد ذلك من الشيخ ( أبى خطوة ) القاضى الشومى المصرى الكبير الذى فصل فى ( مسألة الزوجية ) وحكم بأن الصحافى ليس كقوة للمهرقات فقامت قيامة رجال الصحافة المصرية يومئذ وأسموا القاضى لوما وحكمه استكارا . وصهما يكن فقد كان صنيعه مؤيدا للجسر على الافغانى تأييدا لا يقوله الكثيرون من الافاضل (١) .

وبارة الشيخ المغربى الاخيرة تدل بوضوح على أن رأى الشيخ الجسر هو الشائع بين العلماء في عصره . ومن يتصفح كتاب تاريخ الصحافة العربية للكونت قليب طرازى يجد أن غالبية أو معظم رؤساء تحرير الصحف كانوا مسيحيين خصوصا في المدة التى عاشها الشيخ النبهانى كما أن غالبية الصحف كانت تدعو الى التحرر والتجديد وهذا مضاف لافكار الشيخ النبهانى التى تدعو للتقليد والاتباع كما أن رجال الصحافة وقتها هم تلاميذ الافغانى ومحمد عبده وهما المدوان اللدودان للشيخ النبهانى .

كل هذا أبعد النبهانى عن الصحافة ومن هذا يتضح لنا أن الشيخ يوسف النبهانى كان لا يكتب فى صحافة عصره لانه يحط من منزلته العلمية من حيث هو رجل دين ورئيس لمحكمة الحقوق العليا في بيروت وفي هذا دلالة على مكانته العلمية في عصره .

وليس أدل على مكانة الشيخ النبهانى العلمية من آثاره التى تركها والتى بلغت ما ينيف عن ستين مؤلفا وقد شرح حالة العلمية في كتابه " أسباب التأليف من العاجز الضعيف " . وهو كما دته يذكر أنه اقتدى بالامام الشعرانى في جميع تقاريط العلماء في أواخر كتبهم استجلا بالاقبال الناس عليها وانتفاعهم بها " (٢)

ومما ذكره الشيخ النبهانى رحمه الله في بيان حاله العلمية قوله : " اعلم ان صدور هذه المؤلفات عن رجل مثلى قليل العلم والعمل كثير

(١) جمال الدين الافغانى للشيخ عبد القادر المغربى ص ٤٤ - ٤٥ .

(٢) أسباب التأليف من العاجز الضعيف ص ٣٣١ .

الجهل والزلزل لمن أعجب الأمور الدينية في هذا الزمان وأقسم بالله العظيم اني لو كنت أنا أو بعض المؤلفين الآن في الزمان الأول لأدبونا على دعوى العلم فضلا عن التأليف نعم هذا الزمان أبو العجائب وأكرر القسم بالله العظيم أنسى أعلم نفسي علما صحيحا يقينا لا أشك فيه بلا تواضع مـنـي ولا اظهار خلاف ما هو الواقع الذي أتقنه من نفسي أنى غير متقن لعلم واحد من العلوم العقلية أو العقلية فلا أعد فقيها في الفقهاء ولا مفسرا في المفسرين ولا محدثا في الحديثين ، ولا متكلم في المتكلمين ، وهكذا غيرها من سائر العلوم لست ماهرا في علم منها مع قلة محفوظاتي في جميعها . اللهم الا أن تكون مهارتي في جودة الشعر وذلك احسان من الله تعالى في الجبلة مع علم بعض الأدوات اللازمة من العربية والفنون الأدبية والحمد لله على ذلك (١)

ثم يقول الشيخ النبهاني رحمه الله " وإذا كان الامر كذلك وهو كذلك فقد لزم أن أبين الاسباب التي نتجت عنها هذه المؤلفات لاكون قد أزلت من نفوس الناس ولا سيما الذين لم يعرفوني من أهل البلاد البعيدة ما يتوهمونه في بسببها من كثرة العلم والعمل وأكون قد أزلت بعض أسباب التعجب من عرفوني فتعجبوا من صدورها عن مثلي وهي قلما صد رملها عن كثير من أكابر العلماء في هذه الاونة الاخيرة فضلا عن الطلبة الضعاف أمثالى " (٢)

ثم ذكر طلبه للعلم في الازهر ورجوعه منه والقائه الدروس في عكة واجتمع واجتماعه بعلماء دمشق وبيروت الى أن يقول " ثم توجهت الى القسطنطينية مرتين واشتغلت فيها عدة سنوات بتحرير جريدة الجوائب التي ألفيتها بعد ذلك وتصحيح ما يطبع في مطبعتها من الكتب العربية والأدبية وقد ربت على الكتابة حتى صار يتيسر لي بفضل الله تعالى ابراز المعاني المقصودة بعبارة فصيحة خالية من الركافة والفرابة ، ومع هذه الحالة لم أتصور أيضا في نفسي الاهلية للتأليف في العلوم النافعة .

ولم أزل كذلك الى أن ورد على " يوما أحد السادات الكرام من أشرف مكة المشرفة واسمه الشريف علي وهو موجود في القسطنطينية الى الآن نفعنا

(١) المصدر السابق ص ٣٣٢

(٢) المصدر السابق .

الله به وأسلافه الطاهرين وأعقابهم أجمعين وذكر لي حفظه الله تعالى -  
أن بعض المحرومين من محبة السلالة الطاهرة النبوية طبعوا كتاب " نواذر  
الأصول " للحكيم الترمذى في تلك الايام وأن الحامل لهم على طبعه  
وجود عبارات فيه تصرف بعض الآيات والأحاديث الواردة في فضل أهل  
البيت الى غيرهم كقوله تعالى " انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل  
البيت ويطهركم تطهيراً " فقد حصر معناه في الزوجات الطاهرات أمهات  
المؤمنين وشنع على من يفسر أهل البيت فيها بالحسن والحسين وذريتهم  
الطاهرة رضى الله عنهم . أجمعين وكقوله صلى الله عليه وسلم " أهل بيتي -  
أمان لأهل الارض كما أن النجوم أمان لأهل السماء " فسرهُ بأن المراد من  
أهل بيته فيه صلى الله عليه وسلم الأولياء ولو لم يكونوا من السلالة الطاهرة

قال لي الشرف على المذكور ان نشر هذا الكتاب ربما يؤدى الى  
استخفاف بعض الجهال بحقوق أهل بيت النبوة وألج على في تأليف كتاب  
ارد فيه على ذلك وأبين فيه حقيقة ما هناك فأعذرت له بعدم أهليتى وليس  
ذلك من قبيل التواضع بل لم أكن اتصور في نفسى الأهلية لشيء من التأليف  
ولاسيما في الرد على مثل هذا الامام الشهير والولى الكبير الذى ذكره الشيخ  
الاكبر سيدى محيى الدين بن العربى في فتوحاته وأثنى عليه كثيرا وشهد  
له بأنه من أكابر الأولياء وأئمة الاصفياء (١) فلم يقبل عذرى وكرر الاحتجاج  
على في ذلك حتى أجبتهُ واستعنت بالله على ذلك فصرت أكتب في أوقات  
فراغى ما تيسر وأذهب الى خزائن الكتب المعروفة وأنقل منها حتى تم كتاب  
" الشرف الموبد لال محمد " على وجه حسن تكفل برد ما قاله صاحب  
" نواذر الأصول " مع المحافظة على مقامة الشرف والأدب معه كما  
ينبغي ويليق ، ثم خفت مع ذلك من ألا يكون عملى هذا مبرورا ومقبولا عند  
الله تعالى بسبب ردى على هذا الامام فأخرت طبع الكتاب ونشره  
مدة أعوام وكان تأليفه سنة ١٢٩٨ هـ في القسطنطينية وبقي في مسودته الى  
أن استخرت الله تعالى (٢) وأقدمت على طبعه في بيروت سنة ١٣٠٩ هـ .

(١) العبارة الاخيرة تدل على المصادم الفكرية للشيخ النبهانى .

(٢) وفي هذه العبارة دلالة على مصادمة الفكرية . أيضا

ثم مرضت في بيروت مرضاً شديداً يئست به من الحياة فحزنت لكثرة ذنوبي وقلّة أعمالى الصالحة فصرت أفكر في تأليف شيء من الكتب النافعة السهلة ليكون من العمل الصالح الذى لا ينقطع بالموت كما ورد في الحديث الشريف (١) فخطر لى أن التجئ الى سيد الوجود صلى الله عليه وسلم بجعل ما أولفقه من ذلك في شؤونه الشريفة صلى الله عليه وسلم فصممت في آن واحد على جمع كتاب في شمائله وكتاب في الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم فأشتغلت بجمع كتاب " أفضل الصلوات " وكتاب " وسائل الوصول الى شمائل الرسول " صلى الله عليه وسلم وقبل اكمالها خطر لى لزوم اختصار المواهب اللدنية فأعان الله من فضله على طبع هذه الكتب الثلاثة ونشرها مع الشرف المؤبد فوق لها كلها قبول تام في سائر البلاد التى وصلتها من بلاد الاسلام وقبيل أن أكملها خطر لى الشروع في غيرها ولم يزل الامر كذلك الى الان كلما تيسر كتاب أشرع في غيره والفالب أن يكون في يدي عدة كتب أولف فيها في أن واحد (٢)

ثم يعتذر الشيخ النبهاني رحمه الله عن تأليف كتابه " هادى المرشد الى طرق الأسانيد " فيقول : " فأن قال قائل اذا كان الامر كما تقول من عدم اتقائك للعلوم المذكورة فما بالك ألقت هذا اللبث الذى سميت " هادى المرشد الى طرق الأسانيد " فانك بتأليفه جعلت نفسك مثل العلماء الكبار أصحاب الاثبات " أقول عذرى في ذلك أنى لما أظهر الله على يدي من فضله واحسانه هذه المؤلفات وانتشرت في الافاق طلب منى كثير من الفضلاء اجازات ، لحسن ظنهم بى وحرصهم على العلم فلم أجبهم اذ ذاك لعلنى من نفسى خلاف ما ظنوه بى ثم تفكرت في أنى اذا لم أجبهم تبقى هذه المؤلفات منقطعة الاسباب وليس لى تلاميذ يروونها عنى ويروونها عنهم وهكذا ككتب العلماء ومعلوم أن روابط الأسانيد التى توصل روايات الكتب الى مؤلفيها هى من أقوى الروابط الدينية ومن أحسن مزايا الأمة المحمدية التى أمتازت بها على سائر البرية فأن أسانيد الكتب أنسابها ، ورواياتها بالاجازات أحسابها وما خلا منها عن ذلك يعد من المجاهيل فلا يعمل عليه كل التعويل وهكذا نسبة

(١) نص الحديث الشريف " اذا مات ابن آدم انقطع عمله الا من ثلاث صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له " رواه مسلم عن أبى هريرة كتاب منتخب الصحيحين من كلام سيد المرسلين للنبهاني ص ٥٥٠

(٢) أسباب التأليف من العاجز الضعيف ص ٣٣٣



العلماء من المؤلفين وغيرهم الى مشايخهم فانهم في حكم الاباء والاجداد ومن يأخذ عنهم وعن تلاميذهم في حكم الابناء والأحفاد ، والرابط لأنساب العلم بينهم هو الاسناد .

هذا هو الباعث لى على تأليف هذا الثبت وأسأل الله الكريم رب العرش العظيم بجاه ثبته الرووف الرحيم عليه أفضل الصلاة والتسليم أن يتفضل على وعلى كل من اتصلت به أو اتصل بى بنسب أو قراءة أو اجازة بالعفو والغفران ويمن علينا جميعا باتصالنا بسندنا الاعظم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فى أعلى قراديس الجنان ويحسن إلينا بحسن الخاتمة أنه وللى الاحسان \* (١)

### العوامل المساعدة للنبهانى على تأليفه الكثيرة :

يقول الشيخ النبهانى رحمه الله : " فان قلت كيف يتيسر لك التأليف مع عدم اتقانك للعلوم العقلية والنقلية كما ذكرت ؟ قلت : ان الصفات الستى تفضل الله بها من فضله وكرمه وجعلها آله للتأليف هى ما أذكره لك هنا تحدثا بنعمة الله تعالى وبياننا للحقيقة ودفعنا للتناقض ولا أكذب والله فى شئىء مما أذكره على ما أعلمه من نفسى فكما أنى صادق فى ذلك أنى أيضا صادق فى هذا والا لم يمكن صدور هذه التأليف مع عدم اتقان العلوم قطعنا فأقول :

أعلم أن الاصل الأصيب فى الاعانة على هذه المؤلفات هو :

(١) توفيق الله تعالى : (١)

وخلقه فى هذا الحبد العاجز القدرة على ذلك وتسهيله له سبيل هذا الخير العظيم ببركة حبيبه الأعظم عليه أفضل الصلاة والتسليم وله الحمد والمنة مع قلة بضاعتى فى العلم والمعرفة الكافية لتأليف ما ألفته فى الشؤون

(١) اسباب التأليف من العاجز الضعيف ص ٣٣٣ - ٣٤٣ .

(٢) وهو نفس السبب الذى وضعه النبهانى فى تحليل عدم مدح الرسول صلى الله عليه وسلم من مشاهير الشعراء ومثل المتبى وابى تمام والبحترى راجع المجموعة النبهانية للنبهانى ج ١ ص ١٧ - ١٨

المحمدية وغيرها وجلها مجاميع جمعتها من كتب الأدب وتحررت ما قدرت عليه من الاصابة في جمعها وحسن ترتيبها ووضعتها ، وليس ذلك ممن وقائق العلم التي تحتاج الى التبحر وزيادة في التحقيق والتدقيق واتقان جميع العلم على وجه الكمال فأن مؤلفاتي لا تخلو ان تكون نشرها أو نظما في مدحه صلى الله عليه وسلم وقد تفضل الله على بالسلفية الشعرية على الوجه المطلوب وليس هذا من المناقب الكبيرة فان كثيرا من جهال العرب الجاهلية قد كانوا متصفين بذلك فغاية الأمر أن أكون شاركت الجاهلية (١) بوصف سبقوني به .

نعم قد ردت عليهم بمعرفتي من الاوصاف النبوية والمعاني الاسلامية والمحسن البدعية ما لم يعرفوه فكان مدحى له صلى الله عليه وسلم جامعا للفصاحة والبلاغة مع محسنات البيان والبدع مشتملا على الاوصاف الجميلة الجليلة التي اختص بها الحبيب الشفيح صلى الله عليه وسلم ولا يخفاك (٢) ان هذا غير محتاج لاتقان تلك العلوم والتبحر فيها وقد رزقني الله وله الحمد والمنة ملكة قوية في العربية بعد قراءتي في الجامع الزهر على مشايخي الذين ذكرتهم في ثبتي " هادي المرشد الى طريق الاسانيد " جميع الكتب التي اعتادوا قراءتها في علم النحو سبع سنوات من الاجرومية الى الاشمونى بالشروح والحواشى مع حفظ الاجرومية والالفية ومطالعتى العوامل والاظهار وكافية ابن الحاجب بنفسى ولبعض الطلبة ومع ذلك فقد نسيت الانى أكثر قواعد النحو لتركى قراءتها واقراءها أكثر من ثلاثين سنة فلا أعد متقنا لعلم النحو لكن ملكتى التى تعصم قلعى من اللحن غالبا قوية والحمد لله وقد طالعت من كتب الأدب والتاريخ شيئا كثيرا ولا أخلو دائما من المراجعة في كتب اللغز وغريب الحديث . (٣)

الآن

(١) جعل النبهانى عيار الدين هو الاساسى في التقييم حتى في الملكة الشعرية

(٢) الصواب : لا يخفى عليك .

(٣) اسباب التأليف من الما جز الضعيف ص ٣٣٤ - ٣٣٥ .

## ( ٢ ) الفهم الصحيح والذوق السليم :

يقول الشيخ يوسف النبهاني : " وقد رزقني الله وله الحمد والمنة الفهم الصحيح والذوق السليم في كل ما ألفت فيه وهذا الوصف ليس مختصا بأكابر العلماء بل قد يكون في أذكيا العوام فضلا عن طلبة العلم وكثير ممن يقضون أعمارهم في الاشتغال بالعلم لم يرزقهم الله الفهم الصحيح والذوق السليم " (١)

## ( ٣ ) حسن التعبير والترتيب :

يقول الشيخ يوسف النبهاني : " وقد رزقني الله وله الحمد والمنة حسن التعبير عما أريد أن أعبر عنه بعبارتي وحسن الترتيب لما أريد أن أنقله من كتب العلماء مع معرفتي المعتمدين منهم وغير المعتمدين المقبولين على الأمة وغير المقبولين لكثرة ما طالعت في كتبهم ولا سيما كتب الإمام الشمراني رضي الله عنه وعنهم مع حسن اعتقادي فيهم أجمعين (٢) وهذا من أكبر نعم الله علي فانهم أحباب الله تعالى وخاصته من خلقه فلم يعتقد فيهم أحد الا ببيع الدنيا والآخرة ولم ينتقد عليهم أحد الا بخسر الدنيا والآخرة " (٣)

## ( ٤ ) التأليف في مواضع مهمة جدا في شؤون الدين واحوال سيد المرسلين

صلى الله عليه وسلم :

مع عجزى وضعفى وقلة بضاعتى العلمية ولم يلهم ذلك الكثير من أكابر العلماء (٤) الذين لا أصلح تلميذا لأحد هم فضيعوا أعمارهم بتأليف

(١) المصدر السابق .

(٢) من منابعه الفكرية .

(٣) المصدر السابق .

(٤) لقد وقف الشيخ النبهاني . قلته للكتاب حول شخصية الرسول نظاما ونشرا ولم يصل على لالن الى احد مثله حتى ان النبهاني كان يوصى بأتلاف جميع شعوره في غير مدح الرسول مع جودته الفنية العالية .

الكتب المنطقية والنحوية وما أشبهها مما لا حاجة له اليوم لكثرة كتبها التي في عشر معشارها كفاية ومع ذلك فهم مأجورون على حسن نياتهم \* (١)

(٥) توفر الكتب النافعة المطبوعة والمخطوطة :

يقول الشيخ يوسف النبهاني : وقد رزقني الله وله الحمد والمنة كثيراً من الكتب النافعة المعتبرة المقبولة المتفق على جلالته مؤلفيها من الطبع والخط كما يسر لي من فضله سبحانه وتعالى استثمار كثير من كتب الخط النفيسة التي يند وجودها في المواضيع التي الفت فيها ومن اطلع على كثرة النقول التي نقلتها فيها يعلم حقيقة ذلك فقد كان يبلغني ان عند فلان كتاب كذا فأطلبه منه ولو كان في بلدة أخرى فيرسله لي فأخذ حاجتي منه وأرجعه اليه (٧)

(٦) النشاط والمداومة على المطالعة والجمع :

" ..... ومع كثرة الكتب التي يسرها الله لي رزقني النشاط والمداومة (٣) على المطالعة والجمع من غير ملل ولا سآمة مع معرفة مآلان المسائل التي أريد أن أوّلف فيه الى درجة ربما لا تتيسر لكثير من أكابر العلماء من استيعاب كلام المؤلفين وجمع عباراتهم كما وقع لي ذلك في " حجة الله على العالمين " وسعادة الدارين " " ومجموعة المدائح النبوية " وشواهد الحق في الاستغاثة بسيد الخلق " صلى الله عليه وسلم " وجامع كرامات الأولياء " وبعض الكتب الصغيرة التي جمعت فيها أنواعاً منصوصة من الدعوات وغيرها كمفرج الكرب ومفرج القلوب واسماء النبي " صلى الله عليه وسلم " وحزب الاستغاثات " الذي جمعت فيه استغاثات أربعين ولياً بالنبي صلى الله عليه وسلم كل ذلك مع كمال الصدق والأمانة التامة في النقل ونسبت كل شيء الى أصحابه وحسن الاختصار فيما اختصره كالأنوار المحمدية مختصر المواهب اللدنية فأنهها

(١) المصدر السابق .

(٢) اسباب التأليف من العاجز الضعيف ص ٣٣٤ .

(٣) الصواب : البحوث ، والأولى خطأ مشهور . د . عبد السلام سرحان

بحمد الله من المختصرات التي فاقت أصلها ولم أقدم على تأليف كتاب منها  
لمجرد تكبير حجم الكتاب إذا لم أعتقد نفسها ولنزوم اثباتها . . لا والله  
لم يخطر لي شيء من ذلك قط فيما أعلم الآن ولم أشعر في تأليف شيء  
منها إلا بعد أن أتيقن الحاجة إلى التأليف في ذلك الأمر ولا سيما فسي  
شؤون نبينا محمد سيد الخلق وحبيب الحق صلى الله عليه وسلم المستى  
نرى كثيرا من العلماء فضلا عن الصوام مشغولين عنها بقرأة كتب العلوم  
المقلية وغيرها عدة سنين من دون أن يعرفوا شؤونه الشريفة وسيرته  
المنيفة صلى الله عليه وسلم المعرفة اللائقة بأفعالهم فهذا ليس من  
الصواب ، واللائم على المرء أن يتعلم الأهم فالأهم . مما تلزمه معرفته  
في دينه .

#### ١٧ الحوض على رد مفتريات الكفار أو كشف تقولات أهل البدع :

يقول الشيخ يوسف النبهاني " . . . . . " أو يكون الحامل على التأليف  
الرد على بعض الكفار <sup>(١)</sup> وبيان مفترياتهم على دين الاسلام أو كشف  
ثقولات بعض أهل البدع <sup>(٢)</sup> الذين انتشرت بدعهم في هذه الايام ولا سيما  
ما يتعلق منها بسيد الانام الذين يغيرون عقائد هم الدينية وينقلونها  
من النور الى الظلام كما هو واقع في كثير من بلاد الاسلام فالتأليف فسي  
هذه الأبواب لا يخطر في بالي حين الاقدام عليه طلب الثواب بل أجد من  
نفسى داعيا قويا لا أقدر على مخالفته للمحاربة عن هذا الدين البين  
والانتصار لسيد المرسلين صلى الله عليه وسلم والنصيحة للمسلمين واولاد  
المسلمين ولو رأيت غيري من العلماء ألف في ذلك كتباً تغنى عن كتبى لما  
أقدمت على تأليفها وكتب أقول قد حصل المقصود على يد من شاء الله  
من خلقه لا سيما أن التأليف في ذلك يتسبب في كثرة الاعداء من الكفار  
والفجار كما وقع لي وقد قصدوا أن يتي فوقاني الله شرهم ببركة حببي  
الأعظم صلى الله عليه وسلم . <sup>(٣)</sup>

(١) يقصد الاتهامات المتبادلة بين المسلمين والنصارى خصوصا في بيروت التي كانت  
ميدانا للتبشير المسيحي .

(٢) يقصد مدرسة الافغانى والدعوة الوهابية .

(٣) أسباب التأليف من العاجز الضعيف . ص ٣٣٦ .

" ولم يخطر لي التأليف في علم الأدب مع إمكان ذلك نظماً ونثراً لكون النفع الاخرى فيه قليل الآن <sup>(١)</sup> وان كان من وسائل معرفة المسلم الدينية لأن المؤلفات الموجودة منه ليست بقدر الكفاية فقط بل هي أكثر من الكفاية بأضعاف مضاعفة ، ولذلك لا ينبغي لعلامة المسلمين الآن تضييع الاوقات في التأليف في ذلك وما أشبهه من العلوم الآلية والفنون العقلية وترفع المقصود بالذات وهو الأمور الدينية لاسيما التي تناسب هذا الزمان وما طرأ فيه على الاسلام وأهله من هجوم الكفر والأضاليل والبدع والأباطيل فيجب على علماء المسلمين السالمه عقائد هم من الزيف المبادرة الى تأليف مؤلفات تحفظ عقائد العوام وتدفع عنهم الضلالات والأوهام ولا سيما مشايخنا وأخواننا علماء الأزهر والمجمل الانور <sup>(٢)</sup> فان هذه البلايا التي طرأت على الدين هي الآن في بلادهم مصر أكثر منها في سائر بلاد المسلمين فيبعد أن كانت معدن الرشاد ومنها يتفدع الى المباد ، كثر فيها في هذه الايام في الدين الفساد ، وصار ينتشر منها الى سائر البلاد ، فبادروا أيها العلماء بالأعلام حماة الاسلام وجاهدوا بسيف الاقلام ، أهل الضلال والظلام ، فقد صار الدين كما ترونه ملعبة بأيدي الجهال يتصرفون بعقولهم السخيفة في تحليل الحرام وتحريم الحلال فكثرت المفاسد في الدين وتشوشت عقائد بعض جهال المسلمين فأتركوا رحمكم الله الاشتغال بما لا ضرورة له من تأليف الخواشي والتقارير وأنتمبهوا من غفلتكم لهذا الأمر الخطير والحكم لله العلي القدير <sup>(٢)</sup> .

#### (٨) طلب الأجور والثواب :

يقول الشيخ النبهاني رحمه الله " ..... والسبب القوي الذي حملني على الهجوم على التأليف مع عدم أهليتي هو طمعي بكرم الله تعالى في بقاء الآجر بعد موتي لما أولفه من العلوم النافعة الدينية

(١) من ضائقة الفكر

(٢) اسباب التأليف من العاجز الضعيف ص ٣٣٦ . يظهر أسلوب النبهاني في التبرؤ لاصلاح المجتمع .

وكثرة الآجر لمن دل على الهدى وحذر من الضلال " ثم أورد ما ذكر  
الامام النووي في رياض الصالحين في هذا الخصوص (١).

## ٩) وجود كتاب ينقلون المعلومات :

يقول الشيخ النبهاني رحمه الله : " ومن أسباب تسهيل تأليف  
هذه الكتب أن يسر الله لي وله الحمد والله بعض الكتاب النبهاء النجباء  
من كتبة محكمة الحقوق التي أنا رئيسها وهم عبد الباسط أفندي الفاخوري  
ومحمد علي الأنسي وسليم أفندي السروجي ومحيي الدين أفندي عـلم  
الدين غير أن الأول منهم انتقل إلى محكمة أخرى فانقطع عنا منذ سنين  
والثاني لم نزل ننتفع به في بعض الاحايين وهو أنفعهم من جهة تصحيح  
الطبع لانه <sup>من</sup> فضلا الطلبة الصالحين وأنفعهم من جهة المداومة على  
الشغل ، والاثنان الاخيران لانهما ما زالا يلازمانني في كل يوم السي  
الان فتح الله علي " وعليهم أجمعين فتوح العارفين وحشرنا في زمرة  
عباده المؤمنين تحت لواء سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم وممن  
يساعدنا بالتصحيح صديقنا العالم الفاضل الشيخ محمد أفندي طيساره  
عضو محكمتنا الحقوقية ، ومن وقع منه النفع في هذا السبيل كتزويده  
بعض الاغنياء في طبع هذه الكتب الصغيرة على نفقته وتوزيعها مجاناً  
تقبل الله أعمالنا جميعاً ورزقنا حسن القبول وبلغ كلامنا غاية المأمـول  
وصورة التأليف أني أطلب على الكاتب ما أريد أن أنقله من كتب العلماء  
وقد أدله على العبارة اذا كانت طويلة ولا أريد اختصارها وأتركه  
ينقلها وحده ثم أقابلها معه واشتغل بشيء آخر بكتابة أو مراجعة  
ومعد الاملاء أقرأ جميع ما كتبه وأصح ما يحتاج للتصحيح منه في وقت  
انفرادي في ايل أو نهار أطلع وحدي في الكتب التي أريد أن أنقل منها  
وأضع علامات على العبارات التي أريد نقلها هذا ما يتعلق بنقل عبارات  
العلماء ، أما كلامي الذي لم أنقله من أحد من نظم أو نثر فاني أسبـوده  
غالبا بخطي ثم أطلبه على الكاتب وأصلح منه ما يظهر لي اصلاحه  
وقت الاملاء وقد أعطيه المسودة فيكتبها ثم أراجع ذلك النظم أو النثر  
بالتحرير والتهديب حتى أَرْضاه وربما يظهر لي بعد التبييض ترتيب

أحسن من الاول فأرجع عن ذلك وأجعل على الثانى الممول بل حصل لى هذا فى بعض الكتب فعملت المطبوع منها وجددت طبع ما رأيته صوابا والسبب فى ذلك أنى أشغل فكرى كثيرا فى حسن ترتيبها وتهذيبها ما دام فى الامكان اصلاح ما يظهر لزوم اصلاحه منها ولا ينقطع عنى التفكير فى شأنها من جهة التهذيب والترتيب الا بطبعها فتمت طبعتها ينصرف فكرى عنها الى غيرها وانا صاحب رؤية لا صاحب بداهة فقد لا يظهر لى الصواب من أول وهلة ولذلك أكثر التروى فكلما زدت الامر تروية يظهر لى فيه من الصواب ما لم يكن يظهر لى من قبل أن يستقر الحال على الصواب الذى يحسن السكوت عليه والحمد لله رب العالمين (١)

#### (١٠) تيسير طبع كتبه ونشرها :

يقول الشيخ النبهانى رحمه الله \* ..... ومن أسباب أقدامى على تأليف الكتب أن الله تعالى وله الحمد والمنة ببركة حببيه الاعظم صلى الله عليه وسلم قد سهل طبعها ونشرها فى أكثر البلاد الاسلاميه ولولا ذلك لما حصل لى كل هذه الرغبة فى تأليفها لان الكتاب اذا لم يطبع لا يحصل من تأليفه من الفوائد ما يوازي التعب لسببين :

الاول : انى لست من أكابر العلماء المشهورين الذين تبادر الناس الى كتابة مؤلفاتهم ونسخها ونقلها الى البلاد القريبة والبعيدة حتى يحرق النفس بها .

الثانى : أن الهمم فى هذا الزمان قد انصرفت بالكلية عن نسخ الكتب بخط اليد ولو كانت من أكابر العلماء الا فى النادر وذلك بسبب كثرة الكتب المطبوعة من كل العلوم وسهولة الحصول عليها بأيسر قيمة فتصميم نفع الكتاب الان موقوف على طبعه ولذلك كان تيسير الله تعالى طبع كتبه هذه من أكبر النعم وأقوى الأسباب التى حملتنى على ملازمة التأليف وقد كان أقوى أسباب ذلك تقدير الله تعالى أقامتنى فى بيروت بوظيفة رئيس المحكمة الحقوقية (٢) التى هى مع

(١) أسباب التأليف من العاجز الضعيف ص ٣٣٧ - ٣٣٨

(٢) هذه النسبة خطأ شائع لان الجمع لا ينسب له ، بل ينسب الى المفرد الا اذا

كان الجمع علما . د . عبد السلام سرحان .



شرفها أقل المحاكم اشغالا فصرت بهذا السبب أتمكن من الاشتغال في أكثر أوقاتي في بيتي بالتأليف ولا يتيسر ذلك في غير هذه البلدة لكثرة مطالعها وسهولة مخابرات البلاد القريبة والبعيدة منها في نشر الكتب وبيعها لأنها أعظم مدن سواحل البحر الشامي ولها علائق تجارية ومواصلات بحرية وبرية مع جميع الجهات وقد يسر الله وله الحمد والمنة بعض صلحاء التجار في مصر أجلهم صدقنا الفاضل الأمين الصادق الفطين الشيخ مصطفى أفندي البابي الحلبي وأخواه الكرام فطبعوا بعضها ويسر بعض الأغنياء في بيروت فطبعوا بعض مختصراتها ووزعوها مجانا أثابهم الله وأكثرها طبعت على نفقتي وتكلفت فوق طاقتي من الديون لمصاريف طبعتها والكتب يحتاج بيعها إلى وقت طويل لأنها ليست من ضروريات المعيشة كالملبس والسكن والمشرب ولا سيما الكتب الدينية ففى هذا الزمان العجيب الذى انصرفت قلوب أكثر أهله إلى محبة الدنيا وأسبيلها وزهدت في الآخرة وطلابها إلا من سلم الله وقليل ما هم .

ومما لا أراضه لولا الضرورة أن بعض هذه الكتب أرسلنا مقادير منها إلى بعض أصحاب الوجود في بلادنا الشامية (١) وقليل من غيرها فباعوها بطريق التوزيع وذلك ليس من أنواع البيع المشروعة فأما البيع عن تراض وقد يوجد من هؤلاء من يأخذ الكتاب حياء نعم هو متى اطلع عليه وانتفع به هو وأولاده لا شك أنه يرضى بذلك ويشكرنى على هذا الخير الذى كنت السبب في وصوله اليه ..... فأطلب منهم السماح وأن - يجعلونى في حل من ذلك كرامة (٢) لله تعالى ولهذا الرسول الكريم عليه أفضل الصلاة والسلام (٣) .

(١) محبة العلماء والأولياء له ولا سيما أهل البيت الكرام :

يقول الشيخ النبهانى رحمه الله " ومن أقوى أسباب ذلك - أى التأليف شمولي بأنظار العلماء العاملين والأولياء العارفين ولا سيما سادات أهل

(١) لعل الشيخ النبهانى رحمه الله يريد أن يقول " لا كرامة لنبي في وطنه "

(٢) في هذا دلالة تقوى النبهانى واحتياطه من المال الحرام .

(٣) أسباب التأليف من العاجز الضعيف ص ٣٣٨ - ٣٣٩ .

البيت الكرام فان من أكبر نعم الله على ما حصل لى من كثير منهم من  
المكاتبة الدالة على محبتهم للحبيب الاعظم صلى الله عليه وسلم فهم يحبون  
من خدمه بوجه من الوجوه وكلما زاد الخدمة زادت محبتهم وقد اطلعت  
على تلك المؤلفات والمدايح النبوية فأحبوني لذلك وصارت تأتيني منهم من  
أكثر الجهات المكاتبات وهذا ازدادت رغبتى فى الاقبال على العمل ولا سم  
يحصل لى ببركة النبى صلى الله عليه وسلم وبركتهم من هذه الاشغال أدنى  
ملل مع كثرة ما وجدته فى هذا السبيل من أنواع الاتعاب الكثيرة فى تأليفها  
وطبعتها ومصارفها ثم فى نشرها وبيعها فى البلاد البعيدة والقريبة  
ضياح كثير منها وذلك شئ لا يقدر مثلى على القيام ببعضه فضلا عن كله  
لولا أن الله تعالى من فضله أعلننى على ذلك وسهل لى سبيل الخير اليه  
ببركة حبيبة الاعظم صلى الله عليه وسلم وآل بيته الطاهرين ومحبيه  
من الاولياء العارفين والعلماء العاملين وصلحاء المسلمين رضى الله عنهم  
أجمعين (١)

#### النبهاني يعتذر عن أخطائه في مؤلفاته :

يعتذر الشيخ النبهاني رحمه الله عما وقع فى مؤلفاته من أخطاء حيث  
يقول " لعلك تجد يا أخى فى بعض الكتب شيئا مما زل به القلم من حركة  
أو حرف أو كلمة ولا يكون بأكثر من ذلك غالبا أى لا يتمدى الخطأ فيه  
المعانى المخالفة للحقيقة فأنى قد ثبت فيها بالنقل عن العلماء والاولياء  
المعتمدين من أئمة الدين ولم أتجاوز فيما حررته بعبارتى طريقهم المحمود  
وما عليه أهل السنة والجماعة من الدين الخالص والحق الواضح والصواب  
البين فأنا من هذه الجهة مستريح فكري والحمد لله تعالى والذي أطلب  
سماحت أيها القارىء فيه ألا تتخذة سببا للتديد والاعتراض هو ما ذكرته  
لك مما لا بد أن يكون قد وقع بالطبع من البهوى فى بعض الحركات والحروف  
والكلمات على أن ذلك نادرا جدا فأنك لو جمعت ما اشتملت عليه هذه الكتب  
من الحركات والحروف والكلمات لوجدتها ملايين كثيرة فإذا وضعت ما وقع

(١) اسباب التأليف أن العاجر الضعيف ص ٣٣٩ (منابع النبهاني الفكرية)

فيه السهو منها من حركة أو كلمة أو حرف في مقابلة ما وقع فيه الصواب لو وجدت في مقابلة الآلاف الكثيرة من الصواب واحدا من الخطأ فهذا كما انى ارجو من كرم الله تعالى أن يسامحنى به فسامحنى أنت أيضا وانظر الى هذه الكتب نظرا النصف الذى يريد الانتفاع بها فيحصل لك بذلك النفع العظيم والأجر الكثير ويحسن هنا أن أورد ما ذكرته في آخر (١) الفصل العاشر من مقدمة المجموعة النبهانية بعد أن ذكرت بذل جهدى في جمعها - وتصحيحها وهو قولى ومن هنا تعلم ايها الفاضل النصف ما كابدته فسوى جمع هذه القصائد - المجموعة النبهانية - وتصحيحها فضلا عن ترتيبها وشرح غريبها حتى جاءت بفضل الله تعالى وبركة ممدوحه الاعظم صلى الله عليه وسلم على أحسن وجه جميل مقبول تمسقه الطباع السليمة والعقول من كل محب للرسول صلى الله عليه وسلم فتشكر صنيعى ولا تكفرو وتعترف معروفي ولا تنكرو ..... ولا ألومك ان تفعل ذلك اذا لم تسمى الرسول بالاعتراض على تقول ما الذى صنعة وانما هو كلام الناس قد جمعه لانى لسم أفعل ذلك بقصد شكرك ودعائك ومحبتك وولائك وانما ذلك من القوائد الزوائد والمقصود انما هو نشر الثناء الجميل على سيد الوجود وافضل كسل والد ومولود صلى الله عليه وسلم فان حصلت مع هذا الاصل تلك الزوائد فيها حبذا هى من فوائد والا فلا عتاب ولا ملام وقد حصل بحمد الله المرام والحمد لله الذى هدانا لهذا الفضل العظيم في خدمة نبيه الرؤوف الرحيم (٧) فيما تقدم ذكره يتضح لنا مكانة الشيخ النبهانى العلمية والتي كثيرا ما كان النبهانى يحاول اخفاها بتواضعه العلنى دون أن ينس لنفسه فضلا سوى اظهار فضائل الرسول صلى الله عليه وسلم ونشرها ليستفيد بها الناس كما يصرح في أقواله السابقة أنه لم يذكر عبارة بقصد زيادة حجم المؤلف وانما لاعتقاده بفائدتها • وهو يظهر بهذا مظهر الواعظ المصلح الذى لا يلتفت لشيء سوى هداية الناس ولا يقصر في ايراد الحجج المتلفسة في سبيل هدايتهم • وكثيرا ما ينصرف عن تجميل الكلام وترتيبه الرسول

X

الزوائد

(١) أسباب التأليف من الما جـ ز الضعيف ص ٢٤٠ •

(٧) المجموعة النبهانية ج ١ ص ٣٢ - ٣٣ •

ملاحقة المعنى وإتمامه وهو لا يهتم باللفظ بمقدار ما يهتم معناه • وهو في كتبه - كما يصرح - لا يذكر شيئاً يذكر اسم الكتاب الذى نقل عنه ولكنه لا يذكر رقم الصفحة أو تاريخ الطبعة ومكانها وذلك راجع الى أن هذا لم يكن شائعاً في عصره خصوصاً في وسطه العلمى الدينى بالاضافة الى الكتب التى أعتد عليها قديمه وبعضها لا يوجد عليه مكان الطبع وتاريخه وبعض هذه الكتب لا يدون فيه فهرس اضافة الى أن قسماً كبيراً منها كان مخطوطاً • ولم يخطر بباله أن القارى قد يحتاج الى الرجوع الى مصدر النص على سبيل التأكد لم يخطر بباله هذا لأنه يعد أن الأمانة العلمية هى من الدين والتبصير من النقل أو عدمه هو كالصدق أو الكذب في نفسه ثواب وعقاب • ومن هذا تلاحظ أنه في طريقة تأليفه انما ينهج منهج العلماء السابقين الذين لا يذكرون المصادر التى نقلوا منها ومن يذكر منهم المصدر لا يذكر رقم الصفحة اما لقلة الكتب المتداولة وجل اعتمادهم فى الكتابة على ما حفظوه أو لانهم يحسبون أن المؤلف محاسب أمام الله فيما يكتب لذلك يولونه الثقة الكاملة • وهو ما ظهر لنا من أقوال النبهانى من أنه ثقة فيما يكتب وهو يدقق في كل ما ينقله ويراجعه وقد يلغى ما طبعه اذا تبين له الصواب فى غير •

ويظهر واضحاً في كل مؤلفات الشيخ النبهانى أنه لا يقصد بتأليفه سوى وجه الله ومحبة الرسول صلى الله عليه وسلم وخدمة المسلمين • وهذا واضح فيما كتبه في كتابه " أسباب التأليف من العاجز الضعيف " الذى يشرح فيه خطاه العلمية في مؤلفاته • ونحن أمام هذه المؤلفات الستى التى بلغت أكثر من الخمسين لا يسعنا الا أن نكبر هذه المقدرة العلمية الضخمة خصوصاً أن الشيخ النبهانى لم يكن منقطعاً للتأليف فقط بل كان كثيراً التطواف في البلاد وله صلات اجتماعية متبادلة مع الناس بالاضافة الى عمله رئيساً لمحكمة الحقوق العليا في بيروت ، وهذا يدل على مقدرة خارقة وقوة علمية • فذة •

أقول لو عاش الشيخ يوسف النبهانى في عصر الذهبى للعلوم الاسلامية لكان من أكابر العلماء المسلمين أمثال الطبرى والرازى وابن تيمية والنعمانى والسيوطى وابن هشام وغيرهم من الذين تركوا تراثاً ضخماً في العلوم لا يسعنا اليوم الا أن نقول - ما قاله النبهانى - ما كانوا يقومون على هذه المؤلفات لولا توفيق الله تعالى لهم • علماً بأن كثيراً من العلماء العظام

الذين حووا كثيرا من العلوم ولم يصلوا الى التأليف كالامام أبى الحسن الشاذلى الذى رغب اليه ان يضع كتابا فى العلوم المختلفة فقال " تلاميذى هم كتبى من بعدى " والى هذا أشار الشيخ النبهانى رحمه الله الى أن كثرة المؤلفات ليست الدليل الوحيد على قوة العلم فى الملة اذ هناك من العلماء الاعلام من لم يضع كتابا مع الاتفاق على فضله وعلمه فهو بعد أن أورد رسالة صغيرة للامام السيوطى اسمها " التعريف بأسباب التأليف (١) " ذكر فيها بعض آداب التأليف .

يقول النبهانى رحمه الله " ..... ورأيت فى " خلاصة الاثر فى أعيان القرن الحادى عشر " للمحبى فى ترجمة الامام الحافظ شمس الدين محمد البابلى الشافعى المصرى ما نصه :

ومن تبحوه أى البابلى فى العلوم <sup>انه</sup> لم يعتن بالتأليف والجبى من الوزير الاعظم أحمد باشا الفاضل الى تأليف كتاب فى الجهاد وفوائده فألف فيه فى أيام قليلة كتابا حافلا أتى فيه بالعجب من الاثار الواردة فيه وأحكامه المختصة به وكان ينهى عن التأليف ويقول التأليف فى هذه الايام مسن ضياع الوقت فإن الانسان اذا فهم كلام المتقدمين ~~الصح~~ واشتغل بتفهمه فذاك من أجل النعم وأبقى لذكر العلم ونشره والتأليف فى سائر الفنون مفروغ منه واذا بلغه أن احدا من علماء عصره ألف كتابا يقول لا يؤلف أحد كتابا الا فى أحد أقسام سبعة ولا يمكن التأليف فى غيرها وهى أما أن يؤلف فى شىء لم يسبق اليه يختره أو شىء ناقص فيتمه أو شىء مستفلق بشرح أو طويل يختصره دون أن يخل بشىء من معانيه أو شىء مختلط يرتب فيه أو شىء أخطأ فيه مصنف يبينه أو شىء مفرق يجمعه قال المحبى رحمه الله ويجمع ذلك قول بعضهم شرط المؤلف أن يختص معنى أو يبتكر مبنى (٢) "

(١) أسباب التأليف ص ٣٤٠ - ٣٤٢ .

(٢) أسباب التأليف ص ٣٤٢ .

أما عن الأمانة العلمية والتدقيق العلمي :

فيقول الشيخ النبهاني رحمه الله " أعلم أنني قد نسيت جميع ما ذكرته في كتيبي من الاحاديث والاحكام والفضائل والمعجزات والفتاوى والكرامات وجميع ما احتوت عليه من منقول العبارات الى الكتب المعتمدة التي نقلتها منها ورويتها عنها ونسيتها على ذلك في خطيبها وعند النقل عنها ومع ذلك فأكثر الاحاديث مخرجه منسوبه الى روايتها مع عزوها الى أصولها فالمسحح والقدرح في شيء من ذلك راجعان لأولئك العلماء الاعلام أمه الاسلام (١) وأما أنا فان نسيت أحد الى قلة العلم والتقوى (٢) فوالله انه لصادق في ذلك وأنا أقربه ولكني لمين فيما نقلته في هذه الكتب عن غيري محق فيما ضمنتها من نظمي ونثري ولم أضح شيئاً فيها الا بعد الثبوت والتثبت وهي لعمري بشهادة النصفين من المسلمين وغير المسلمين تعد من محاسن الاسلام في هذا العصر ولا أقول ذلك على سبيل الفخر بل لبيان حقيقة الحال في هذا الشأن وانظر هذه الجمعيات النصرانية الدينية تجد لها لم يظهر على يد جمعية منها في مدة مائة سنة أو أكثر مع كثرة أموالها وأعوانها مقدار هذه الكتب وقد أظهرها الله تعالى بفضله وكرمه على يدي وأنا واحد من أمة محمد صلى الله عليه وسلم مع قلة بضاعتي وعجزتي وفقصري وكثرة أشغالي وتشويش بالي في هذه المدة الوجيزة وهي خمس عشرة سنة وظلها عدة مؤلفات كبيرة وصغيرة لم يتيسر طبعها الى الان .

فان قلت ليس الفضل في ذلك لك وانما الفضل لله تعالى ثم لسيد الانام ودين الاسلام فان مجال الكلام واسع ورأس المال كثير فمهما نظمت ونشرت ومهما صنعت ونقلت تجد من المعاني الحققة والعلم الصحيح الكثرة ما هو أكثر من آناه الدهر وأغزر من مياه البحر وما أنت في ذلك الا كما قال القائل :

لقد وجدت مكان القول ذا سعة      فان ملكت لساناً قائلاً فقل

والامر في تلك الجمعيات ليس كذلك وانما هي كما قيل " ضاق شبر عن مسير " فمن اين يأتون بالمعاني الحققة وليس هناك حق وانما هي أباطيل

(١) يروي ان الشيخ النبهاني رحمه الله لما أخبر بأن الاستاذ محمود شكرى الالوسى قد كتب كتاباً ضخماً في الرد عليه وهو غاية الامتن في الرد على النبهاني قال النبهاني " هذا رد على العلماء وليس على " روى هذه الحادثة الشيخ محمدر الخطيب سمعتها منه في ١٩٧٥/١٠/٥ (٢) تواضعه العلمى .

يلفقونها وأكاذيب يجمعونها ويفرقونها .

قلت نعم لاشك أن الأمر كذلك ولكن سعة مجالنا وكثرة رأس مالنا لا تمنعان من أن تعلم أن ظهور مثل هذه الكتب على يد من شاء الله من خلقه هو من أكبر النعم علينا معاشر المسلمين فلتتفق على الخير ونتق الله ونحمده سبحانه وتعالى على ما أنعم به وأولاه .

وبعد هذا كله فلا شك أن هذه الكتب المجموعة في النضائل والسير لا تخلو من بعض الاحاديث التي قيل فيها أنها موضوعة أو أهمية وان قل ذلك جدا فضلا عن الاحاديث الضعيفة التي هي في السير والفضائل أكثر منها في غيرها ومع ذلك لا يخلو مؤلف مهما كان صاحبه عالما من الخطأ قل أو كثر فقد أبى الله العصمة لكتاب غير كتابه وإنما ينظر في الأشياء كلها لكثرة المحاسن والمساوي فإن غلبت المحاسن كان ذلك الشيء حسنا وإذا غلبت المساوي كان ذلك الشيء سيئا سواء الكتب وغيرها . . . . . ثم أورد ما كتبه في آخر آخر الباب الثاني من كتابه سعادة الدارين في شأن العمل بالحديث الضعيف (١) " وفي هذا يرى النبهاني ذمته ما قد يوجد في كتبه من الاحاديث الضعيفة جاعلا ممن سبقه من العلماء قدوته . فمنهجه في مؤلفاته يشبه الى حد كبير منهج الامام محمد بن جرير في تاريخه " تاريخ الامم والملوك اذ يقول في المقدمة " . . . . . فما يكون في كتابي هذا من خبر ذكرناه عن بعض الماضين ما يستنكره قارئه أو يستشعره سامعه من أجل أنه لم يعرف له وجهها في الصحة ولا مفسني في الحقيقة فليعلم أنه لم يوت فيه من قبلنا وإنما اتى من قبل بعض ناقليه وإنما ادينا ذلك على نحو ما أدى إلينا (٢) .

مكانته الاجتماع :

احتل الشيخ يوسف النبهاني مكانة مرموقة في عصره نتيجة لمكانته العلمية حيث أن كثرة أساتذته الذين تلقى عنهم سواء في الأزهر أو عن طريق الاجازات الكثيرة التي حصل عليها . وكثرة تلامذته الذين كانوا يطلبون

أسباب التأليف من الحاجز الضعيف ص ٣٨٦ - ٣٨٧

تاريخ الطب - ج ١ ص ٥٥

الاجازات منه ممن منحهم اجازات خاصة أو عامة • كل هذا يشير الى أن الرجل كان مشهورا في عصره •

ولعل هذه الشهرة قد آتت نتيجة لطبيعة العلوم التي تداولها ممن الاقتصار على دراسة شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم مما أدى الى تعاطف عامة الناس معه اضافة الى أن مدحة لوجهاء عصره في بدء حياته أعطاه مكانا ليقول منه ويسمع صوته •

ومن مظاهر مكانته الاجتماعية زيارة السلطان عبد العزيز سلطان المغرب له : •

يقول الشيخ النبهاني رحمه الله :

(( أعلم أنه ورد أن التحدث بالنعم شكر وأن من أسديت اليه نعمة فذكرها فقد شكرها ومن سترها فقد كفرها ولذلك أقول : بينما كنت في شهر شعبان في العام الماضي ١٢٩٨ هـ مقيما في حيفسة بمائتي (١) ورد الى • " تلفراف " من بيروت من صهرى الشمرى السيد محمد الصادق الجبالى التونسى قال لى فيه : ان مولاي عبد العزيز سلطان فاس السابق الموجود في بيروت يوجه السياحة سيمر بحيفسة في " الوابور " وقد أمرنى أن أخبركم بذلك لتقابلوه ولم أكن اجتمعت بسيادته قبل ذلك فانتظرت قدم الباخرة حتى اذا وصلت توجهت اليها مع جماعة من العلماء فلما تشرقنا بمقابلة هذا الملك الاصيل السيد النبيل قابلنا بالقبول التام وعاملنا بأخلاق أمثله من السادة الكرام أبناء الكرام طبقة بعد طبقة الى سيد الانام عليه الصلاة والسلام فقبلنا يده الكريمة وتممنا بمحاسن خلائقه الجميلة واخلاقه العظيمة التي تجل عن أن توصف بوصف أو تقوم بقبیحه • وكان من أفضل أخلاقه الدالة على أصالة أعراقه أنه طلب منا قبل أن نطلب منه النزول الى البر ليشرف منزل الحقير (٢) فيحصل لى به الود والسور العظيم والشرف الكبير فنزلنا وقبل

---

(١) شاعت هذه الكلمة في فعنى الاسرة وهو خطأ د • عبد السلام سرحان

(٢) أى منزل الشيخ يوسف النبهاني



من فضله وتواضعه أن نتشرف بوجودنا معه على الطعام وأن نخوض معه في بعض الأبحاث (١) الدينية ومحاسن الاسلام ، ومن ذلك عزمه حفظه الله في رحلة أخرى على زيارة جده سيد الانام عليه الصلاة والسلام لعروض أسباب منعه منها في هذا العام ثم لخوف سفر الباخرة لم يتمكن من طول المقال وفارقنا بعسرة بعد أن خلف لنا مع الاسف لفراقة الفخر التام الذي لا ننساه على مرور الايام ثم بعد مرور نحو ثمانية أشهر جائني منه كتاب صادر من محل أقامته مدينة طنجة وهذا نصه :

البقاء

(( الحمد لله وحده والصلاة على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم  
الفقير الاجل الاستاذ الاكمل الشيخ يوسف النبهاني ))

سلام عليك ورحمة الله وبركاته وبعد

فموجبه تجد يد العهد بكم والسؤال عن أحوالكم أجراها المولى جل جلاله وفق مرادكم آمين ولا زلنا متذكرين متشكرين للمصوبات التي اجتمعنا فيها ونحن على نية المودة أن شاء الله لتلك البلاد والاجتماع بكم جمعنا الله كما تحب ونحب ويصلك صحبتك حق مختوم تذكرة منا لسمكم ولا تنسانا من صالح أدعيتكم والسلام

فى ١١ ربيع الثانى ١٣٢٩ هـ التوقيع  
عبد العزيز (٢) ((

الخد يوى عباس :

زار الشيخ يوسف النبهاني الخد يوى عباسا الثانى بعدما أُقيل من وظيفته ولم يكن التقاعد الذى جعل له يكفيه يقول الشيخ يوسف رحمه الله :

” ..... فقد قصدته في ربيع هذا العام ١٣٢٩ هـ حينما بلغنى من بعض جلسائه الكرام أنه أثنى على وأعجبت مؤلفاتي في سيد الانام وكذلك لم اتخذ عنده وسيلة من الشفاعة سوى سيد الانام صلى الله عليه وسلم فهو الذى توسلت به لفضله فقضى حاجتي لاجلله

(١) خطأ شائع والصواب : البحث د . عبد السلام سرحان

(٢) المبشرات النامية حق الشيخ يوسف النبهاني ص ١٥ - ١٦ .

وقد أذن له حبا به صلى الله عليه وسلم بالاجتماع اليه والمثول بين يديه ولو لا نسبتي لخدمته عليه الصلاة والسلام لما تواضع لي كل هذا التواضع ولا أكرمني كل هذا الاكرام ..... ومما لا طغنى به هذا الملك الجليل قوله لي : ما سألت عنك احدا الا أثنى عليك الثناء الجميل وقد بلغني من بعض حاشيته الامناء أنه سأل عن كثير من العلماء والفضلاء فأجابوه بالمدح والثناء حتى بالغ بعضهم فقال له هو حسان زمانه فالحمد لله على فضله واحسانه على أنى والله كثير العيوب والاوزار ولكن سبحانه الكريم السنتار (١) .

### عادل بك الصلح :

اجتمعت بالاستاذ عماد بك الصلح وهو أخ رئيس وزراء لبنان الاسبق الاستاذ تقى الدين الصلح . وكان الاستاذ منع بك الصلح حاضرا وهو أخ الاستاذ عماد بك الصلح . قال الاستاذ عماد بك الصلح : " ان والده عماد بك الصلح كان يهتم بشخصيات قليلة في استقباله للناس منهم الشيخ يوسف النبهاني ومحمد عبده والامير عبد القادر الجزائري (٢) .

### الدكتور احسان عباس :

وأخبرني الاستاذ الدكتور عباس - رئيس الدائرة العربية في الجامعة الأمريكية ببيروت . وهو من قرية " عين غزال " التي تبعد ١٥ كم عن قرية أجزم " قرية الشيخ يوسف النبهاني . اخبرني فقال : " ان والدته اخبرته أن المساجد في فلسطين قد أذنت في غير وقت الصلاة أخبارا بوفاة الشيخ يوسف النبهاني " ويقول الدكتور احسان عباس وهذا لا يحدث الا عند وفاة أحد العظماء

(١) المقوود اللؤلؤية في المدائح النبوية ص ٢٢

(٢) اجتمعت به في منزله في بيروت الكائن في منطقة الحمرا مقابل السفارة السعودية في ١/١/١٩٧٥ علما بأنه يحضر رسالة الدكتوراه عن الاستاذ احمد فارس الشدياق في جامعة السوربون في فرنسا .

## الشيخ عبدالله العاليلي :

واخبرني الشيخ عبد العاليلي في ٥ / ١ / ١٩٧٥ حيث اجتمعت به في بيته قال " كثيرا ما كان الشيخ يوسف النبهاني يحكم مفضبه مركزه الاجتماعي يخلص المسلمين من أيدي النصارى ويقف معهم في خصوماتهم الدينية وكثيرا ما كانت تحدث هذه الخصومات خصوصا في بيروت حيث كانت مركزا للتبشير المسيحي . كما كان لا يتأخر عن مساعدة كل شخص يعلم أن قضيته على حق أو في سبيل الله .

وهناك قصة اشتهرت في بيروت في وقتها وهي أن اثنين كانا يلعبان الورق في أحد المقاهي في بيروت وقد اختلفا فشم أحدهما الآخر فورد عليه الآخر بأن شتمه وشم دينه ونبيه والهه ويبدو أن الشاتم الأول كان مسلما . وكان إلى جانب المقهى جزار مسلم فلما سمع من شتم الله والاسلام والرسول صلى الله عليه وسلم هجم على الشاتم وأخذ يطمئه بالسكين حتى مات وألقى القبض على القاتل وأغلق دكانه . وحكم عليه بالاعسداء وأرسل الحكم إلى السلطان عبد الحميد ليصادق على الحكم ولما علم الشيخ يوسف النبهاني بالقصة أحضر أخا القاتل وكتب له استدعاء بأسلوب حسن مدعوم بالأدلة الشرعية بأن من قتل دافعا عن دينه لا يجوز قتله بالمقابل . كتبها بصيغة التماس بأسم أخ القاتل وطلب منه أن يتوجه بها إلى استتبول وحمله برسائل توصية إلى أصدقائه هناك حتى يوصلوه إلى السلطان عبد الحميد وبعد مدة جاء الرد باطلاق سراح القاتل وعدم اعتبار فعله جريمة قتل . وقد زاعت هذه القصة وانتشرت وكانت حديث الناس من مسلمين ومسيحيين لفترة طويلة واشتهر بها الشيخ يوسف النبهاني فزادت محبته في قلوب المسلمين . وأظن أن المقتول كان نصرانيا .

## يوسف النبهاني الحفيد :

وحدثني الاستاذ يوسف النبهاني ( الحفيد ) قال : (( كان من الناس الذين يكثر من زيارته كل يوم الشيخ الحريري وكان يجتمع عنده جميع وجهاء البلد أمثال عبد الحميد كرامي والسيد رشيد كرامي رئيس وزراء لبنان حاليا ووالد تقى الدين الصلح رئيس وزراء لبنان السابق وهو

عادل بك الصلح والشيخ مصطفى نجا مفتي لبنان • وغيرهم من الوجوه والاعيان ويقول أيضا تحدثنا والدتي أن العلماء والوجهاء كانوا يقدمون لزيارة الشيخ يوسف النبهاني من مختلف أنحاء العالم الاسلامي وبعضهم كان يأتي بيروت خصوصا لزيارته وكان لا يخلو يوم من ضيف • وكان يقدم اليسير من الطعام قدر استطاعته وكان يدعو الي عدم المبالغة والتكليف في اطعام الضيف حتى لا يحدث حرج في استقبال غيره وكان الكثير من الوجوه ورجال الحكم في بيروت يزورون الشيخ يوسف ليأكلوا من طعامه على سبيل البركة • وكان لا يدور الحديث في جلسة الا في العلم والاولياء وفي كيفية حماية امة المسلمين من التبشير المسيحي الذي نشط في زمرة خصوصا في بيروت (١) •

جله

هماء

### الشيخ عبد الرزاق البيطار :

ترجم له في كتابة حلية البشر وما قاله " ..... أقول ان هذا الامام والشيخ الاديب الهمام قد طلعت فضائل محاسنه طلوع النجوم / الزواهر وسعدت مطالع شمائله بأدابه العجيبة البواهر ، فهو اللمعي المشهود له بقوة الادراك واللوعى المستوى مقامه على ذروة الاملاك وله ذكاء أحد من السيف اذا تجرد من قرابه وفكر اذا أراد البحر أن يحكيه وقع فسي اضطرابه وتضريرى بالعقد الثمين والد ر العثور وشعريدل على كمال الادراك وتنام الشعور فهو فارس ميدان البراءة والصفاح وصاحب الرماح الخطية والاقلام الفصاح .. الخ (٢) •

### الشيخ أحمد حسن العطاس :

ووردت رسالة من الشيخ أحمد حسن العطاس رضى الله عنه الى الشيخ يوسف النبهاني رضى الله عنه وبعد ذكر ما اجيزه من علوم فيض يسه وظاهرية قال : (( ..... واستروا ما رأيتم من هلال وزلل (٣)

- (١) قابلته عدة مرات في مكان عمله في مطار بيروت الدولي وهو مهندس طيران ٢٤/١٢/١
- (٢) حلية البشر تاريخ القرن الثالث عشر الشيخ عبد الرزاق البيطار ج ٣ ص ١٦١٢
- (٣) يقصد تلبية عن كبار العلماء والاولياء مثل الشيخ عبد القادر الجيلاني وابن حجر وغيرهم واجتماعه بأهل البرز يقطه •

وما رأيتم اصلاحه أو عدم ذكره فأذنتكم في ذلك والدعاء لكم بمداول ومنكم  
مسؤول ونسأل الله القبول وصدر اليكم جبة الباس وهي التي كانت ملبوس <sup>صليبو سي</sup>  
بمكة المشرفة في العام الماضي وقت ورودى اليها للحج وجعلناها مسج  
هذا الكتاب بيد محبنا الشيخ عبد الرحمن بن أحمد بن عمر يا ذيب  
الشبابي وهو مسافر الى عدن الزمناه يرسلها اليكم وليكن الجواب بوصولها  
عن طريقه ونحن لكن داعون وذاكرون والسلام عليكم وعلى حاضري حضرتكم  
ومن شملته دائرة ودمكم وعنايتكم منا ومن لدينا من الاولاد وذى الوداد .

حرر في ٢٧ شوال ١٣٢٦ هـ قال ذلك وأملاه الفقير الى عفو الله  
السيد / أحمد بن حسن بن عبد الله ابن علي بن عبد الله المطاس  
المقيم ببلدة حريضة (١) .

### الشيخ محمد نصر الخطيب :

يقول (( ..... اشتغل - الشيخ يوسف النبهاني - في أول أمره في الجوائب  
وعن طريق الجوائب صارت له صلات متعددة . وقد سمعت حكاية عن الشيخ يوسف  
النبهاني أنه عندما كان في الاستانة في أول زيارته لها سمع به أحد الكبار فاستدعاه  
لتعليم أولاده ولما عرف أنه كان في مصر يطلب العلم في الأزهر قال له لقد كنت فسي  
تلك المدة في مصر فلماذا لم تتعرف علي فقال الشيخ يوسف النبهاني : يا سيدي  
لو عرفتني في مصر لما عرفتني في الاستانة يعني أنه كان طالبا صغيرا وفي الاستانة  
أصبح علما كبيرا .

ويبدو أنه في أول تخرجه من الأزهر لم تسعه فلسطين ولم تتحمله فانطلق الى  
عاصمة الخلافة الاستانة . وقد كان يهادية أساطين الملوك من المغرب والهند  
وكان رجلا معتقدا محبوبا من طبقات العلماء والفقراء والصوفية . وقد اتخذ ممن  
مديحه للشخصيات الكبيرة في عصره سلما للوصول أمثال أبي الهدى الصيادي والسلطان  
عبد الحميد وعزت باشا العابد (٢)

(١) جواهر البحار الشيخ يوسف النبهاني ج ٤ ص ٣٤٣ علما بأن الشيخ أحمد حسن  
المطاس المذكور هو من السلافة النبوية الطاهرة وهو بأهدائه الجبة للنبهاني  
انما يقاد بجدد الرسول صلى الله عليه وسلم الذي اهدى ثوبه ايضا الى كعب  
بن زهير رضي الله عنه .

(٢) مقابلة مع الشيخ محمد نصر الخطيب في بيته في بيروت ٥ / ١٢ / ١٩٧٤ م .

### الاستاذ أمين النبهاني :

حدثني الاستاذ أمين النبهاني " أبو نيهان " عندما زرته للمرة الرابعة لاجل الاستفسار عن أخبار الشيخ النبهاني في بيته مقابل السفارة الفرنسية دمشق في ١٨ / ١٢ / ١٩٧٤ وكان ما حدثني به قوله : (( ..... زار انور باشا بيروت وهو وزير حرية تركية فزوج ابنة السلطان محمد رشاد وقد حضر جمال باشا قائد الجيش الرابع مع مفتي الجيش المذكور الشيخ أسعد الشقيري - الى بيروت لاستقبال أنور باشا وكان من المستقبطين الشيخ يوسف النبهاني وعندما حضر أنور باشا وشاهد الشيخ يوسف النبهاني تقدم لتقبيل يده ولكن الشيخ يوسف سحبها ثم قلده جمال باشا في تقبيل يد النبهاني فسحبها أيضا . وكان هذا المشهد بحضور أسعد الشقيري .

يقول الاستاذ أمين النبهاني : (( قد سمعت هذه الحادثة من الشيخ يوسف في العريشة في أجزم )) .

### الشيخ نديم الجسر :

يقول : كان الشيخ يوسف النبهاني رئيس محكمة استئناف الحقوق أعلى سلطة قضائية في الولايات وليس أعلى منها الا استنبول . وكان من أهل العلم المتشددين وله تأثير كبير في الاوساط الرسمية والاهلية (١) .

### النبهاني يرفض منصب " مفتي فلسطين " :

حدثني السيد محمد مصطفى النبهاني قال : رفض الشيخ يوسف النبهاني رحمه الله أن يكون مكان انمفتي عندما نفى المفتي الى الأردن من طيف الانجليز وكان أخوه كامل الحسيني مفتي القدس وهو عالم والافتاء ورائه ولما مات وضعوا الحاج أمين الحسيني فرفض المسلمون لانه لم يكن متعلما فذهب ومكث قريبا من ستة أشهر في الزهر بمصر وفي مدة غيابه عين مكانه الشيخ حسام جار الله ورجع الحج أمين

---

(١) مكالمة تليفونية أجراها الشيخ طه الولي المستشار الثقافي والصحافي بسفارة تشاد في بيروت مع الشيخ نديم الجسر في ٥ / ١ / ١٩٧٥ م .

الحسيني من الأزهري وكان رئيس المجلس الاسلامي الاعلى الاستاذ راغب النشاشيبي وهو الطائفي لآل الحسيني على الرامة فذهب مع الحاج أمين الى حسام جار الله وطلبا استقالته فاستقال واستقال الاستاذ راغب النشاشيبي وذهب الى وظيفته سابقا مفتشا للمعارف وأصبح الحاج أمين مفتي القدس ورئيس المجلس الاسلامي الاعلى ومضى ثلاث سنوات في الاقتداء وعند تجديد المدة بالانتخاب جاء زملاء فلسطين الى اجزم وطلبوا من الشيخ يوسف أن يكون مكان الحاج أمين ورغبوه بالمال حيث أن راتب الاقتداء ١٥٠ ليرة فلسطينية وراتب المجلس الاعلى ٢٠٠ ليرة فلسطينية فرفض الوظيفة لانها ستكون المنفعة لا واما الانجليز وكان ما قاله لهم : لو ان فلسطين اليوم يحكمها حاكم مسلم لمشيت اليها - الوظيفة - بدون مقابل . وكان لا يتدخل في السياسة وانما يتدخل في النواحي الدينية (١) .

ومن مظاهر مكانته الاجتماعية نفاذ كلمته في قلوب عامة المسلمين وحرمهم على قراءة ما يكتبه حتى اعتقدوا أن سريان أي فكرة على قلم الشيخ يوسف النبهاني كان كافيا لاشهارها وذيوعها .

ويحدثنا الشيخ النبهاني رحمه الله عن شيء من هذا فيقول " فخطر لى أن أكتب شيئا في بيان مراد الشيخ عبد الفتى النابلسي رضي الله عنه من تسلك العبارات الموهمة (٢) لمن لم يكن له العلم في معرفة كلام مثله من السادات ثم رجعت عن ذلك لئلا أكون سببا لاشهارها فيقع المحذور وتزيد الشور وقلت لعل هذا الكتاب وبعض عباراته الموهمة مدسوس على الشيخ كما وقع مثل ذلك للامام الشحراني رضي الله عنه في بعض كتبه وذكر أنه وقع لغيره أيضا (٣) "

وفي مثل هذا يقول أيضا ( ( ..... مع أني كنت قبل هذا المنام - الذي رأيت فيه الامام ابن تيمية والامام السبكي - كتبت شيئا في الرد على ابن تيمية نقلت فيه جملا جميلة من كلام العلماء ثم ترجعت عندي ألا افعل لئلا أخدش افكار عوام المسلمين بتبسيهم الى رأيه القاسد في ذلك وهم عنه غافلون (٤) ) .

ترجم

(١) اجتمعت بالسيد محمد مصطفى النبهاني في بيته في دمشق يوم ١٧/٧/١٩٧٤

(٢) في مصاحبه القلم

(٣) المجموعة النبهانية في المدايح النبوية ج ١ ص ٢٥

(٤) المصدر السابق ج ١ ص ٢٤

فالتبهاى بما كتبه عن شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم نظما ونثرا كان يمثل الامام الفزالى (١) في عصره حيث أن حالة العصر الثقافية والاجتماعية كانت تساعد على رواج مؤلفات التبهاى في الاولياء الصالحين ولعل طبيعة الموضوعات التى طرقها التبهاى في مؤلفاته تجد في الكثير من مفكرى المسلمين من يرد عليها بالاضافة الى الجو الملائم الذى سببهو المسيحيون عن طريق صحافتهم لاشغال هذه الحركة التى هي أقرب الجدل الذى يعتمد عنه التبهاى بالاضافة الى ظهور رأى الخصم واشتهاره ثم ان علوم التبهاى في الكرامات والاولياء والتصوف ليست من الامور العقلية التى تنجلي وتتضح بالنقاش والجدل الذى يعتمد على المنطق . وانما هي أمور غرامية ذوقية قلبية ومن هنا نجد أن الصوفية كثيرا ما يرددون في وجه خصومهم قول الامام الجعيد البغدادى " نحن أصحاب حلال ولسنا أصحاب مقال " ومن هنا أيضا نعرف سر هجوم الفزالى على العقل وجعله قاصرا عن ادراك المعرفة التى موطنها القلب وهذا كان موضوع كتاب " الحقيقة في نظر الفزالى " للدكتور سليمان دنيبا .

لعل هذه الاسباب تكون كافية في تفسير عدم شهرة التبهاى عن طريق مستحق صحافة عصره واشتهاره بين عامة المسلمين وخاصتهم حتى وصلت شهرته الى أواسط أفريقيا حيث أصبح بعض المسلمين يسمون أولادهم " يوسف التبهاى " تبركا بصاحب الاسم الاول كما هو ظاهر بنشرة وكالة الانباء السمودية .

### تفاعله مع أحداث عصره :

حدثني الشيخ عبد الله الملايلى قال : (( لم يستطع الشيخ يوسف التبهاى أن يكون صدى الأحداث عصره اذ كان منزويا لخلجاته الخاصة جدا في الجوانب الذوقية فهو رجل طيب في علاقته بمجتمعه عاش في برج عاجي لم يكن زين الأحداث يجد لديه التجاوب وهو قد عاش الأحداث الكبرى في عصره فقابلها كأنه في الجيل الماضى وكان لسان حاله يقول " وفيت قسطنطينك للعلاقم " كأنه كان واجبا

---

(١) قيل أن الامام الفزالى قد هدم الفلسفة في كتابه تهافت الفلاسفة ولم تقم للفلسفة بعده قائمة ولم تفلح محاولة ابن رشد في كتابه " تهافت التهافت " يقول علماء الفرنجة " ان الفزالى طعن الفلسفة في الشرق المربى طعنه قاضية وكاد يكون نصيبها في الغرب كذلك لو لم تلق في ابن رشد حاميا لها احيائها قرنا من الزمن رجال الفكر والدعوة في الاسلام ابو الحسن الندوى ص ١٨٨



أن يحمل هذه سوءاً .

ان الاحداث التي كان ينبغي لمثله أن يبصرها كانت تجد صدًى عند حافظ وشوقي أما عنده فلم تجد أى صدًى . كان عنده الاقتصار على الذوقية وكان ما يعده قربى الى الله يسفر عن مدائح نبوية . والنبهاني قد تحدث في العهد الاخير من حياته (١) .

في كلام الشيخ عبد الله العلايلي مجانفة للحقيقة نوعاً ما لان الشيخ النبهاني قد تفاعل مع أحداث عصره فتكلم عن التبشير المسيحي وعن التصوير وعن حركات الافغانى ومحمد عبده ورشيد رضا وسخر قلبه وفكره في تحذير المسلمين من الدعاوى الاجنبية الوافدة وقد حرم الربا والتأمين . . . . . بجميع أشكاله وهذه مثل بيــــــــــــــــح الضرر . ومن يطلع على مراسلاته التي وصلت من اطراف العالم الاسلامى لا يشك في مشاركته الاجتماعية ويذكر الاستاذ رشيد رضا في المنارة تحت عنوان " شكوى المنار من أحد علماء المبار " كلمة يذكر فيها أن أحد العلماء المسلمين في مقاطعة مليار في الهند يذكر أن افكار كتب الشيخ النبهاني قد انتشرت في مقاطعته ويطلب من السيد رشيد رضا بيان رأيه في الشيخ النبهاني وأفكاره (٢) .

ومجلة المشرق تهجم الشيخ يوسف النبهاني لانه طبع كتاباً في هجوم النصارى ومدارسهم التي يفضلون فيها المسلمين وتقد مزاعمهم في الوهية السيد المسيح ومدى صحة الانجيل المعتمدة لديهم (٣)

أما اعتزاله الحياة كما يقول الشيخ عبد الله العلايلي فهي نظرة موضعية لعدة وجيزة من آخر حياة الشيخ يوسف النبهاني . فالشيخ عبد الله العلايلي قد عاش مع الشيخ النبهاني في آخر حياته وقد نيف عن السبعين . وفي هذه السن

== ذلك لان تقبل المسلمين لما يقوله الامام الفزالي اوقع في النفس لما يقوله

ابن رشد للمكانة القدسية التي كان يحتلها في قلوب المسلمين .

(١) مقابلة مع الشيخ عبد الله العلايلي في بيته في بيروت بتاريخ ٦ / ١ / ١٩٧٥ م

(٢) المنار ج ١١ ص ٤٧

(٣) مجلة المشرق ج ١٢ ص ٧١٨ - ٧١٩ .

يشعر المسلم بقرب أجله وأن الموت ينتظره فلا يكون منه إلا أن يترك الدنيا والناس  
ليستمد للحياة الأخرى بكثرة الصلاة والصوم والذكر .

ثم مؤلفات الشيخ النبهاني التي زادت على الستين لمن كان يوافيها ؟ ألم  
يستفد منها جميع المسلمين وهو يعاني العجز المادي طيلة حياته ويوصي أن يكون حق  
طبع كتبه لجميع المسلمين بشرط <sup>منها</sup> خص الثمن وجودة الطباعة ومجيز قراءة كتبه  
لجميع المسلمين بشرط الأهلية ومن يقف في وجه التبشير المسيحي في بيروت التي كان  
يخطط لها طيلة القرن التاسع عشر لتكون عاصمة لدولة مسيحية - ومؤلف الكتب  
في بيان محاسن الاسلام ليقابل به دعاوى المبشرين في محاسن المسيحية لم يرصد  
فكره وقلبه لترسيخ الجوانب المنطقية لشخصية الرسول في أذهان المسلمين ليتزودوا -  
بها أمام الدعاوى التبشيرية التي تظهر المسيح بأنه المنقذ الوحيد للبشرية والداعى  
للسلام . كالدعاوى

ومن يصد رغبته كل هذا كيف لا يكون مشاركاً في الأحداث عصرية ؟ والنبهاني  
وقد وجه فكره لابرار الجوانب الرئيسية في عقيدة المسلمين أما الشهادة بانتصار الدول  
العثمانية في أحد حروبها أو يوصف الحالة الاجتماعية أو الاقتصادية السيئة لفئة من  
الناس أو التشكي من ظلم أحد الولاة فلم يكن هذا يسترعى انتباه الشيخ النبهاني  
ليشغله عن تثبيت عقيدة المسلمين أمام التيارات الفكرية الدينية التي كانت تملأ سمع  
الناس وأبصارهم بما تتزود به من قوة مادية ضخمة وإذا كان الشئ بالشئ يذكر فإن  
ما ذكره الاستاذ احمد الشقيري في مذكراته موضحاً الاهتمام بالقواعد الأساسية  
في العمل الوطني أولى من الاهتمام بالمظاهر .

وقد ضرب مثلاً على ذلك بزيارة السيد شكري القوتلي لعكة وفاقى مدن فلسطين  
في حزيران ١٩٣٨ يقول الاستاذ الشقيري فاحتفلنا لقدومه وتجمع الناس لسماع  
كلمته في الأحداث العربية الجارية وقلوبهم تحترق حماساً وطنياً وهم يأملون منه أن -  
يزيدهم حماساً وإذا به يفصح عن هدف زيارته فيقول أنه يطوف في فلسطين لبيع أسهم  
مضخ للكونسرو - العمليات - في دمشق فأصيب الناس بخيبة أمل وانفضوا من حوله  
وهم يتمتمون وكأنهم يقولون تباك هذا جمعتنا ؟! وتوالت الايام وتبين لنا ممسا  
حدث أن الحماس والوطنية وحدهما لا يكفيان إذا لم يدعمهما اقتصاد وطني (١) ((

(١) أرى من عاماً في الحياة العربية والدولية الاستاذ احمد الشقيري ص ٤٣

كذلك أقول ان المشاركة الاجتماعية من الشيخ يوسف النبهاني لم تكن تغير من الواقع شيئا اذا لم يكن في قلوب الناس من العقيدة والمبدأ ما يجعلهم يقومون مما يحدث في مجتمعهم بوعي ومصيرة واتهام الشيخ عبد الله الحلالي للشيخ النبهاني بالانتمائية وعدم المشاركة في أحوال مجتمعة • هو نفس الاتهام الذي وجهه الاستاذ رفيق التميمي الى الامام الخزالي (١) وهو الطريق الذي سلكه الاستاذ احمد حسين في حياته السياسية فقد تكلم عن موقفه السياسي عقب حريق القاهرة الذي أدّى الى تأزم الموقف سياسيا وترقع حدوث كارثة فعقد مؤتمرا صحفيا في البيت الاخضر مقر حزب مصر الفتاة ووزع مساء الخميس ٢٤ يناير بيانا على الصحف حلل فيه الموقف من الناحية السياسية والعسكرية وحذر في ختامه من أن كارثة توشك أن تحل بالبلاد وقال " لما كنت غير قاد رعلى منع هذه الكارثة فاني أعلن اعتزالي للعمل المصمم وسوف انم بيتي رثما تتضح الامور وتستقر على وجه من الوجوه (٢) " •

### رحلاته وأسفاره :

ذكر الشيخ يوسف النبهاني أسفاره في ترجمته لنفسه فقد دخل مصر أول مرة لطلب العلم وسنه سبع عشرة سنة في غرة محرم سنة ثلاث وثمانين ومائتين تـ لـ • ثم عاد الى فلسطين في شعبان ١٢٨٩ بعد أن مكث سبع سنوات في الازهر وأقام في عكة يقرأ الدروس في جامع الجزائر • وفي سنة ١٢٩٣ توجه الى دار الخلافة القسطنطينية وبقي فيها سنتين ونصفا • ثم خرج منها قاضيا الى بلدة كوى سينجق في ولاية الموصل شمال العراق وهي من أمهات بلاد الاكراد وفي طريقه اليها مر بحلب وديار بكر والموصل وشهر زور وخرج منها بعد خمسة عشر شهرا أي سنة ١٢٩٦ متوجها الى بغداد وأقام فيها أقل من شهر وزار فيها الامام موسى الكاظم والامام الاعظم أبا حنيفة والفوت عبد القادر الجيلاني ومعروفا الكرخي وحبيبا المعجمي وأبا بكر الشبلي وسريا السقطي والجنيد البغدادي وأبا النجيب السهروردي وغيرهم ثم توجه الى سامرا وزار فيها الحسن العسكري ثم عاد الى بغداد ومنها الى الشام عن طريق الدير وتد مر ثم الى مسقط رأسه اجزم حيث والداه وأرحامه ثم توجه الى

(١) الحروب الصليبية للاستاذ رفيق التميمي ص ٧٦ - ٧٧

(٢) جريدة الجمهورية الخميس ٢٩ يناير ١٩٧٦ مقال بعنوان " من حريق القاهرة الى ثورة يوليو " " الرئيس السادات يكشف حقائق " •

دار الخلافة سنة ١٢٩٧ هـ وأقام فيها نحو سنتين ثم عين رئيساً لمحكمة الجزاء ففى  
اللائقية وأقام فيها نحو خمس سنوات ثم تولى رئاسة محكمة الجزاء فى القدس وفى أقسل  
من سنة رقى الى رئيس محكمة الحقوق فى بيروت وصلها فى رجب ١٣٠٥ وبقى فيها  
الى أن أحيل على المعاش . ثم حج الى بيت الله الحرام لأول مرة سنة ١٣١٠ هـ (١)

هذا ما ذكره من شؤونه سفره مع ترجمته فى كتبه (٢) وفى أماكن مختلفة فى كتبه  
ذكر أسفاره الكثيرة الى دمشق وحكة وحيفة والمدينة المنورة أما قرية اجزم فجميع سكانها  
يذكرون أنه كان يقضى فيها فصل الصيف حيث كانت تقام له عريشه على ظهر بيت ابن  
عمه وزوج ابنته تقيه الشيخ ابراهيم النبهانى وكثيرا ما كان يقضى بعض أشهر الصيف  
فى قرية عالية من جبل لبنان لتبديل الهواء لعرضه (٣) .

ويبدو أنه زار المدينة المنورة عدة مرات بعد أن أصبح رئيساً لمحكمة الحقوق  
وكان ينزل فى بيت قرب باب البقيع من ابواب المدينة المنورة وهو بيت رجل صالح  
من المجاورين اسمه الشيخ محمد كامل بن عبد الرحمن الجبرتى (٤) .

وكثيرا ما كان يأتى معه زائرا وينزل فى بيت الشيخ مصطفى البابى الحلبي وفيه  
من كبار علماء مصر وقد سجل الشيخ النبهانى فى آخر العقود اللؤلؤية " عدة لقاءات  
تمت له مع كبار العلماء مثل الشيخ سليم البشرى شيخ الأزهر والشيخ بكرى الصدفى  
مفتى مصر والشيخ بخيت المطيعى مفتى الاسكندرية والشيخ يوسف البد رشومسى  
والعلامة أحمد بك الحسينى فقد كان يذهب الشيخ يوسف النبهانى معه الى بيتته  
فى حلوان أو الى عزته قرب المحلة الكبرى وفى أحد المرات أقام معه فيها خمسة  
عشر يوما . وكذلك الشيخ سعيد الموجى وسعادة حسن باشا مذكور والشيخ عبيد

(١) وقد أخطأ صاحب معجم الشيخ فى ترجمة النبهانى أثناء ذكر وظائفه وتنقلاته  
ج ٢ ص ١٦٣ - ١٦٥ .

(٢) راجع هادى المرشد الطرق الاسانية ص ٥٦ - ٥٨ افضل الصلوات على سيد  
السادات ص ٢٦٣ واسباب التأليف من العاجز الضعيف ص ٣٣١ - ٣٣٥

(٣) دلائل الخيرات ص ٣ .

(٤) دلائل الخيرات ص ١٤١ .

الرحمن عيش وهو لا<sup>١</sup> جميعهم متفقون على ضلال محمد عبده الافغانى ورشيد رضا<sup>(١)</sup> وفى إحدى زياراته لمصر زار بلاد الصعيد برفقة شاب مصرى اسمه الشيخ محمود من أهل أبى تيج فزار ضريح الشيخ محمد الفرقلى فى بلدة أبى تيج وفى بلدة دير سمادة زار ضريح الشيخ أبى شرقاوى ثم ألى بلدة قنا وزار ضريح الشيخ عبد الرحيم القناوى ومنها الى الاقصر حيث زار فيها ضريح أبى الحجاج الاقصرى وزار المعالم الاثرية الفرعونية فيها<sup>(٢)</sup> وفى ربيع عام ١٣٢٩ زار الخديوى عباس حلمى الثانى فى قصره ، وقد وصف ما تم بينهما فى اللقاء<sup>٣</sup> وترتيب الخديوى له معاشا شهريا<sup>(٤)</sup> .

ويهد وأن الشيخ يوسف النبهانى كان كثيرا ما يزور مصر ويتجول فى ريفها نتيجة للدعوات التى كان يكلف بها من أحبابه .

حدثنى الشيخ محمد مصطفى أبو العلا قال زار الشيخ يوسف النبهانى قرية المرج من محافظة القليوبية يرافقه الاستاذ على أفندى جازم وصلى الجمعة فى جامع الشيخ سنجر بالمرج وكان الشيخ محمد عبد الغنى امام المسجد أمره وبعد الانتهاء من الصلاة قال الشيخ النبهانى معلقا : سبحان الله فى بعض المذاهب من يرى عدم صحة امامة الامرد . يقول الشيخ أبو العلا . كانت هذه عادة الشيخ النبهانى اذ كثيرا ما كان يعلق برأى فقهى على ما يراه مما لا يرتاح اليه<sup>(٥)</sup> .

ورغم كثرة اسفار الشيخ يوسف النبهانى كان يحن الى بلاده فلسطين وقريته اجزم ولا بد أن تكون قد خطرت فى ذهنه وهى مسقط رأسه وملعب صباه ففاضت قريحته بوصفها والحنين لها ولكن لم يصلنا شئ من هذا عن طريق كتبه المطبوعة مع كثرتها وكل ما عثرت عليه لا يزال مخطوطا لا يتجاوز الثلاثة قصائد نساذكرها فى أغراضه الشعرية أن شاء الله .

(١) المبشرات النامية ص ٣٥ - ٣٩

(٢) البشائر الايمانية فى المبشرات النامية ص ٣٧ - ٤٠

(٣) العقود اللؤلؤية فى الدائع النبوية ص ٢ - ٥

(٤) مقابلة مع الشيخ محمد مصطفى أبو العلا فى بيته بتاريخ ٢٥ / ٢ / ١٩٧٦ -

فى القاهرة .

## حبسته :

المنورة

ذكر الشيخ يوسف النبهاني قصة حبسته في المدينة المنورة قال " قد حضرت من المدينة الى دمشق في أول رجب سنة ١٣٣٠ هـ بعد أن حبست في المدينة المنورة أسبوعاً ولكن بالاكرام والاحترام وذلك بناء على تعصب الكافرين والمنافقين للثام الذين أوقفوا الفساد بيني وبين الحكومة بايهاهم اياها أنى أفرق بينها وبين رطايها يكتبون وقصائدى التى دافعت بها عن دين الاسلام ونافحت بها عن سيد الانام عليه الصلوات والسلام ولا سيما الرائية الكبرى في وصف المله الاسلاميه والملل الاخرى التى أشبعت بها الكلام في الرد على النصارى في مقابلة تعرضهم لدين الاسلام والرائية الصفري في ذم البدعة ومدح السنة الفراه التى أشبعت فيها الرد على أهل البدع والضلال اللثام الذين يدعون الاجتهاد ويسعون في الارض الفساد ثم تحققت الحكومة ما أنا عليه من الصدق في خدمة دين الاسلام والمنافحة عنه وعن النبى عليه الصلاة والسلام فأمرت بتخلية سبيلى وأظهر لى كبار رجالها الندم وعلى ما كان فحضرت الى الشام فأستقبلت علماءها وأعيانها وغيرهم بغاية الاكرام والاحترام (١) .

ويبدو أن الشيخ يوسف النبهاني قد سجن في المدينة المنورة بعد خروجه من من وظيفته حيث كان رئيساً لمحكمة الحقوق في بيروت وزارته للخديوى عباس حلمى فسى ربيع ١٣٢٩ هـ حين أصبحت الحكومة العثمانية بيد حزب الاتحاد والترقى لذلك كان من السهل على أعداء الشيخ النبهاني تحريض الحكومة الاتحادية عليه بعد أن زال عهد السلطان عبد الحميد الذى كان يعد من أكبر أنصار الشيخ النبهاني في أفكاره ومعتقداته .



## سورة الباب الثاني

### " الفصل الرابع "

(( شخصية ومبادئ ))

#### مفتاح شخصيته :

تسير حياة الشيخ يوسف النبهاني في نسق واحد متكامل دون انكسار أو تحسول منذ نشأته حتى وفاته وفي قول الرسول صلى الله عليه وسلم (( كل مولود يولد على فطرة حتى يكون أبواه هما اللذين يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه )) خير ما يفسر لنا شخصيته . فالشيخ النبهاني رحمه الله نشأ في بيت والده العالم الشيخ اسماعيل النبهاني . فحفظه القرآن وبعض المتون وتخرج في قرية " اجزم " المعروف بين قري قضاء حيفة بكثرة علمائها . وفلسطين البلد المقدس بمبعث الانبياء والرسول ومهد الحضارات ومركز تجمعها فتوسطها بين مصر والعراق وسورية واليونان ورومية جعلها ملتقى هذه الحضارات التي تفاعلت فوق ترابها فأثرت في أهلها وظهرت في عاداتهم وسلوكهم وإذا كان هناك ارجاس حضاري يسبق بمبعث أي رسول ليمهده له ويهيئ الانهال لسماعه وفهمه فقد حظيت فلسطين بجميع هذه الازهات الحضارية لان جميع الانبياء والرسول كان لهم في فلسطين مقام أو طريق . " واجزم " واقعة في منطقة الجليل التي هي من أكثر المناطق الفلسطينية خصبا وجمالا في موقعها الجبلي الذي تحيط به سهول كانت تكسوها الغابات قدما . وقد بقيت اجزم محافظة على ثقافتها الدينية فلم يسكنها مسيحي أو يهودي .

كل هذه الظواهر كانت مميزات أساسية في شخصية النبهاني الوراثة البيئية فنشأ مفطورا على الدين وحب متابعة علماء السلف دون نظر أو اجتهاد ثقافية فيهم فهم أقرب لمصادر الشريعة وأكثر تفهما لها ولحل شخصية والده الصوفية الذي كان يداوم على أوراده حتى كان يختم القرآن كل ثلاثة أيام والذي يحدثن عنه والدي فيقول :

(( كان لا يفارق المسجد خصوصا في فصل الصيف )) هي التي انطبعت في الشيخ يوسف النبهاني فأثرت فيه وراثيا < ونشأ في بيت وتخرج منه وعمره ١٧ عاما بعد أن أصيب بعوده وبلغ الرشد حافظا للقرآن وبعض المتون فلما زمة

الشيخ يوسف له والده هذه المدة هي الموتر الاقوى في شخصية الشيخ يوسف أما والده فقد كان ملازما لقرية اجزم لم يخرج منها فكان القرية بجغرافيتها وتاريخها وعاداتها متجسده فيه وهي بالتالى متجسده في ولده وفي أثر النشأة والتربية في سلوك الطفل يقول أبو بكر الأندلسى :

وطنبور مليح الشكل يحكى	بنغمته الفصيحة عند ليل
روى لما ذوى نغما فصاحا	حواها في قلبه قضيب
كذا من عاشر العلماء طفلا	يرى بشيابه شيخ أديب

وإذا كان التاريخ يعيد نفسه فقد أعيد تاريخ اجزم السياسى والاجتماعى والجغرافى في شخص الشيخ يوسف النبهانى ، فتاريخ اجزم سياسيا ان سكانها مفطورين على ولائهم للدولة العثمانية لم يتغيروا عنه وجميع سكان اجزم يتناقلون أخبار مقاومة أجدادهم لحملة ابراهيم باشا وهو في أوج انتصاره على الدولة العثمانية وقد حدثت موقعة كبيرة بين عسكر ابراهيم باشا وأهالى اجزم واج ضحيتها عدد كبير من عساكر الباشا فانتقم منهم وشرد الاهالى وهدم معظم القرية .

يقول الاستاذ محمد عزة د روضة (( ..... )) ولقد روى لنا صد يقنا المرحوم معين الماضى أن بنى الماضى قادوا في منطقتهم حركة الثورة ضد ابراهيم باشا وأنه وقعت في اجزم بينهم وبين جيش ابراهيم معركة شديدة وأن أحد أجداده سليمان هو الذى حرض على الثورة وأن ابراهيم باشا قتل الشيخ مسعود (١) وابنه والقى القبض على عبد الرحيم وسعد الدين وعبد المالك وغيرهم من أبناء الاسرة وأن سليمان ومحمد الماضى اختفوا في الطيطورة ثم استطاعوا أن يهربوا بطريق البحر الى الآستانة وأن السلطان محمود اقبلهم وأنهم علبهم بلب البيكوية وعين لهم ( آيدى ) محل إقامة في ضيافة الحكومة وأنهم عادوا الى البلاد مع الجيش العثمانى وأن الحكومة عينت محمد بك متسلما على اجزم حينما تم جلاء الحملة المصرية وكانت حيفة تابعه لحكمه (٢) .

يقول الدكتور فاضل زيدان (( وكان من أثر مقاومة أهالى منطقة اجزم أن استوطنها بعض المصريين الذين يعرفون الى اليوم باسم أسرة " المصرى " وهناك عائلة أخرى عرفت باسم أسرة البيجرى " وقد تعلم اثنان من أبنائها في الأزهر وهما الشيخ توفيق البيجرى والشيخ يوسف البيجرى " وقد ذكر الشيخ يوسف النبهانى

(١) يقول الاستاذ محمود العبادى " أن الشيخ مسعود الماضى شيخ مشايخ =



أنه - في الأثر - حضر د روس الشيخ ابراهيم السقا في التحرير والمنهج للشيخ الاسلام في فقه الشافعي بحاشيتها للشرقاوي والبيجيري في شمائل الترمذي (( (١) .

لعل الشيخ البيجيري الذي ذكره الشيخ يوسف النبهاني من عائلة البيجيري المصرية نفسها التي استوطنت " اجنم " كما ذكر الاستاذ محمود أبو الميوني في كتابه تاريخ الازهر والمعدودين الشيخ ابراهيم البيجيري " (٢) .

وتاريخ اجنم اجتماعيا يدل على انهم كانوا متمركزين فيما بينهم لروابط النسب المتشابكة بينهم ولا يوجد شخص واحد لا تربطه بأي شخص آخر رابطة من قرابة أو نسب وكثيرا ما تحدث بينهم المشاكل الكبيرة التي سرعان ما تحل بعد أن تهدأ النفوس ويتوسط العقلاء منهم علما بأن اجنم لم يكن بها مركز للشرطة على الرغم أن سكانها أكثر عددا من بعض القرى التي فيها مراكز للشرطة .

والشيخ النبهاني على الرغم مما بلغه من علو المقام ورفعة الشأن لدى الحكومة العثمانية لم ينس بلده مسقط رأسه وطمع صباه فقد كان غالبا يقضي فصل الصيف من كل سنة - فيها في بيت الشيخ ابراهيم النبهاني زوج ابنته ثقية ويقول والسدي " كان الشيخ يوسف اذا حضر الى اجنم في فصل الصيف يحضر معه من الهدايا التي يغلب أن تكون من نسيج الملابس الى جميع نساء أقاربه وأقارب أقاربـــــــــــــــــه " وفي شعره لم ينس بلده فهو كثيرا ما يذكرها معرضا بشوقه وحنينه اليها - سنوضح الشواهد في اغراض شعره - وكان له رحم في نابلس علمت خبر زيارته في رسالة وخطوطه أطلعني عليها الاستاذ أكرم وميتير سفير الاردن في لبنان في ١٩٧٥ / ١ / ٥

===== جيل نابلس قتله ابراهيم باشا في نابلس اثر معركة طاحنه دارت فيها قتل

فيها نحو ٧٠٠ من النابلسيين وقد هرب من المشايخ قاسم الاحمد ووعيسى

البرقاوي وعبد الله الجرار " من تاريخنا ج ١ ص ٢٠٣

(٢) كتاب العرب والعروبة في حقبة التغلب التركي الاستاذ محمد عزتة روزه - ٢ ص ٣٤٣ .

(١) هادي المرشد الى طرق الاسانيد ص ٥٨ .

(٢) تاريخ الجامع الازهر ص ٧٣ .

موجهة من الاستاذ عوني عبد الهادي الى الاستاذ محب الدين الخطيب .

ومن وفاءه لطفولته ما حدثني به الاستاذ محمد خير النبهاني في ١٢ / ١١ / ٧٤ قال " ومن قصص تواضعه ووفائه - أي الشيخ يوسف - أنه بينما كان جالسا مع أصحابه إذ سمع أن أحد أصدقائه قادم لزيارته ويدعى " أبو خريش " وهو من أصدقاء طفولته - فنزل دج " العلية " التي كان بها ونزل يعانقه وعاد به الى المجلس وأجلسه بجانبه وفي اليوم الثاني بعث وراءه وأعطاء مبلغا من المال وقال له هذا دين عليك حتى تستطيع سدا دة وذلك حتى لا يكون احراجا له علما بأن عمله في اجزم كان حراشا " .

وأما صورة اجزم جغرافيا فقد وصفت في شعر الشيخ <sup>النبهاني</sup> وهو كثيرا ما يصف الاشجار والجمال متغنيا به ولعل قوته في الوصف والاتيان بالصور الملموسة نابغ من المناظر الطبيعية لجبال وسهول وأودية ومنايع الماء في بلده فهذه المواقع الجغرافية قد أسهمت في تفتح شاعريته عن صور مختلفة لا يعجز عن التفتن في رسمها وزخرفتها خصوصا وهو قد عاش السبع عشرة سنة الاولى من عمره فيها وفي هذه المرحلة من العمر يكون الانسان في قمة تأثره بما حوله من مؤثرات توجهه في سلوكه .

ومن العوامل التي أثرت في شخصية النبهاني مكانة أسرته الاجتماعية فهو ينتسب الى أسرة " آل النبهان " وهي وان كانت عريقة في عروبتها كما وضحنا ذلك في الفصل الاول من هذا الباب لم تكن ذات مكانة اجتماعية مرموقة في فلسطين فان عند أفرادها قليلون ولم يشتهر منهم الا من تعلم في الأزهر وكان لهم مكانة دينية عاطفية في قلوب سكان اجزم . ويبدو أن الشيخ يوسف النبهاني رحمه الله كان طموحا تواقا للمعالي فهو لم يكف بأن يكون شيخا للوعظ والارشاد في مسجد اجزم أو عكوة كما كان في السنة الاولى بعد رجوعه من الأزهر بل تردد الى دمشق وبيروت عسدة مرات واجتمع بعلمائهم . ويبدو أنه لم يجد ضالته فيهما (١)

وفي هذا المعنى صور الشيخ النبهاني رحمه الله حقيقة مشاعره وطموحه الى المعالي معتذرا الى وطنه وأهله لاغترابه عنهم . وهو في كل هذا يضرب الامثلة الكثيرة التي تسوغ فعله هذا لانه طريق سلكه الانبياء من قبله صور ذلك في قصيده

(١) اسباب التأليف من الما جز الضعيف ص ٣٣٢ .

مدح بها الشيخ محمد أبو الهادي الصيادي جعل طموحه وأسفاره ومناذرة الأهل  
والأوطان مقدمه للمدح جاء فيها :

فواصل سفح الدمع في خده دما  
فكان يفيض النفس لما تشبها  
تألق في جو السما فتألمها  
فأذكر من ليلي سوارا ومعضما  
سطا ورمى عن ذلك القوس أسهما  
طوت من غرامي ما رجا متضرما  
ولم أرضلما من ضلوعي تقومما  
أرى وصلها قبل الممالي محرمما  
يجوز عليه أن يهان ويظلمما  
لك الله سافر تلق في الأرض مفنما  
لأرجح عن عزم سوى أن أتمما  
الا بعد بعدى يا جيبى فاسلما  
فما هي الان تسير فتدما  
عن السير الا أن أرى الدهر أحجما  
من الصر بعد وبي وآخر أدهما  
حميدا وقد أبدلت عيشي المذمما  
فسوف تراني ضاحكا متبسما  
نعم والقصارى ان يعزوبكرما  
لما جاءت الرسل الأكابر منهمما  
لمكة لم يظفر بما كان صمما  
لعمري لم يرجع رسولا مكرمما  
أما صار في مصر العزيز المعظمما  
طريقا اتاه الرسل فيما تقدما  
فقلت وان عدتم فلن أتكلما (١)

تذكر دهرنا بالعقير ~~شعر~~  
وهبت عليه من ريا الشام نسمة  
وبأن له من جانب الحسى بارق  
وأبكاه قوس السحب لما بدا إليه  
كان الهوى منه عليه بصما  
كان احمرارا فيه محنى أضلج  
يقولون طبع النار تقويم ما أنحنى  
وانى على وجدى بليلى وأرضها  
وما أنا ممن يرتضى موطننا بـ  
ورب نصوح قال لي وهو هممتى  
فطابت عزى بالرحيل ولم أكن  
وودعت أوطانى وأهلى قائلا  
وقالت لي اللوام اياك والنـ  
فقلت لهم كفوا فليست بمحجـ  
دعوني فلن أنفك أركب أدهما  
الى حين ادراك الامانى فأنثنى  
وان كانت الاخرى التى عبثوا لها  
وقالوا اغتراب المرء هون وذليـ  
فلولا فراق الخلد حسوا وآدم  
وأحمد خير الخلق لولا فراقـ  
وموسى كلیم الله لولا رجـ  
وفى غربة الصديق يوسف عبـ  
وما ضرني لدم اذا كمت بالـ  
فقالوا دعوه انه غير سامـ

(١) قصيدة مخطوطة بخط يد الشيخ عبد الهادي عبد الهادي راوية شعر الشيخ

يوسف التيهانى

فقصد الآستانة عاصمة الملك ومركز السلطنة حيث توزع المناصب كراسي الحكم •  
وأول وصوله اشتغل في تحرير جريدة الجوائب وكان مضطرا لقبول هذا العمل — وان  
كان لا يرضاه — لايجاد مصدر رعيشة له •

ويبدو أنه وجد في عمله الجديد بعض المتنفس لطموحه فظهر من بينه وقد رتبته  
الادبية واللغوية ما جعل رئيس تحريرها — الجوائب — وهو الاستاذ اللغوي أحمد  
فارس الشدياق يتمسك ببقائه لمساعدته في اصدارها حتى كان يمد وجود الشيخ  
النبهاني بجواره من أكبر نعم الله عليه فقضاء ذلك لان يعرض عليه زيادة أجره  
أو مشاركته في الجريدة ولكن النبهاني رفض لانه عين قاضيا في " كوى سنجق " في  
العراق • نفسه الطموحه الى المعالي ومكانة أسرته المتأخرة اجتماعيا (١) • دفعته  
لان يتخذ من قدرته العلمية والادبية واللغوية سلما للوصول • عن طريق مدح  
شخصيات عصره والتقرب بل والتزلف اليهم ليساعده على تحقيق طموحه • في المناصب  
المالية فلم يكن المدح هو فنه وادبه وإنما الجنى اليه للضرورة ولهذا كان نراه كثيرًا  
ما يتنكر لشعره الذي قاله في هذا الغرض فيأمر باتلافه ويوصي رايه شعره الشيخ  
عبد الهادي عبد الهادي زاجرا اياه عن رواية أي شعر في غير مدح الرسول صلى الله  
عليه وسلم معتذرا عن مدح هؤلاء فيقول : (( أعلم أنه قد سبق مني قصائد  
مدحت بها بعض الاكابر من أهل العصر ولم أدونها لاني أن لم أكن أثما بها فلا  
أحسبها من أعمال البر فكان الحامل عليها الدنيا لا الدين في استعطاف بعض اكابر  
المسلمين لقضاء حاجاتي ومساعدتهم • بهماتي ولم آخذ من أحد منهم جائزة  
على شيء من ذلك ولست بمحمد الله ممن يتخذون الشعر صنعه ويأخذون عليها  
الجوائز فقد أغنانى الله بفضلته عن استجداء الناس بالشعر وغيره • فقد سهل لى  
تعالى للرزق منذ نشأتى ولم يحوجنى الى شيء من ذلك اذ قام والدى بحفظه اللبس  
وجزاه عنى خير الجزاء بكفايتى في صفرى ومدة مجاورتى في الجامع الزهرى ثم توجهت  
الى القسطنطينية مرتين أقمت فيها في كل مرة أكثر من سنتين فيسر الله لى مطامع  
جريدة الجوائب فكنت آخذ منها في كل شهر عشر ليرات أجرة التحرير والتصحيح  
ولا أستغل بذلك الا نحو ساعتين أو ثلاث غالبا وكان ذلك يطلب صاحبها أحمد

دلا

(١) في عصره كانت المناصب توزع حسب المكانة الاجتماعية في الدرجة الاولى وليس  
للمكانة العلمية •

أفندي فارس والحاجة بحيث كان يعدنى من أكبر النعم عليه وأظهر الاسف الشديد لخروجه حينما توظفت فى الحكومة ، وقد عرض على أن اشركه فيها أو يزيد فليسى أجرته فلم أقبل مع أنى كتبت فى مدة اقامتى فى القسطنطينية فى احتياج الى النفقة فيسرها الله لى بنفاية الإعزاز والاكرام .

الى أن سافرت منها فى المرة الاولى الى العراق بقضاء كوى سنجق فى ولاية الموصل ثم رجعت وسافرت منها فى المرة الثانية سنة ١٣٠٠ هـ لرياسة محكمه الجزاء فى الالافقية من سواحل الشام ثم بعد الاقامة فيها خمس سنين نقلتنى الدولة نصرها الله بوساطة (١) من قد رآه لى الخير على أيديهم بدون طلب ولا علم منى اللى رياسة محكمة الحقوق فى بيروت وذلك فى سنة ١٣٠٥ هـ مع زيادة المعاش نحو ٢٠٠٠٠ على كالى حال ولقلة أشغال هذه الوظيفة الهمنى الله الاشتغال بالتأليف وقد صار لى فيها تسعة عشر عاما بهذه السنة ١٣٢٤ هـ وفى أثناء هذه المدة عاد انى وآذانى بعض أكابر الاشرار فسدوا فى عزلى والمبالغة فى ضيىررى وتكرر منهم ذلك حتى فى هذه المدة فحمانى الله من شرهم بفضلهم وكرمهم لحبيبة صلى الله عليه وسلم والحمد لله رب العالمين .

فان قال قائل ان قصائدك التى ذكرت أنك مدحت بها بعض الاكابر ولم تلتزم فيها الصدق والحق سيأت لاحسنات فى صحيفة أعمالك مرقومة ومثالب لا مناقب فى جملة آثارك مرسومة ، قلت نعم . . . لو كان القصد منها وصف الممدوحين بحقيقة تلك الاوصاف لكان الامر كما ذكرت ولكن الشعر صنعة من أدق الصنائع والماهر فيمنه يجتهد فيه بقدر حذقه فى بهرجة الفاظه والمبالغة فى معانيه ويقدر استطاعته يجتهد فى تحسين صناعته ليظهر المهاره والحدق لا ليخبر بالحق والصدق ومثل هذا يعفى عنه ان شاء الله تعالى وضع ذلك اقر وأعترف بأننى لا ورنى عندى بهجرتى عن المحام والشبهات ولو كان لما نظمت تلك القصائد فانى لو تحررت فيها الصدق فيما أصف به الممدوحين لكانت من أبرد الشعر وأركه اذ الشعر صنعة لا يحسنها الا الكذب والمبالغة فيه فقد قيل " أكذبه أعذبه " الا أن يكون فى مدح الانبياء والاولياء والمصلحين ولا سيما اذا كان فى مدح سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم فانه مهم

(١) فى الاصل : بوساطة . . . وهو خطأ شائع . . . وجوابه ما أثبتنا . د . عبيد السلام سرحان .

بالغ الشمرء لا يصلون الى ما يجب له عليه الصلاة والسلام فضلا عن أن يكذبوا أمسا مدائح غيرهم فلا يحسنها الا المبالغة في الكذب .

ولخوفى من تبيعة تلك القصائد لم أجمعها في ميوان كملدة الشمرء ولم أذكر شيئا منها في كتاب من هذه المؤلفات الدينية التى أعدها ان تقبلها الله بفضله من الاعمال الصالحات غير أنى أرجو أن تكون من المباحات لا من الحسنات ولا من السيئات وهى لا تتجاوز خمس عشر قصيدة سوى المقاطيع وكلها أو جلها طبعتم كل واحدة منها وحدها ولم يكتفى شىء منها فى مدح أحد من الكفرة ولم أهج أحدا ممينا من المسلمين بل ولا غير المسلمين الا أن يكون ذلك فى القصائد النبوية فى ذم أعدائه صلى الله عليه وسلم ومكان فيها من وصف الخمر فهو جار على عادة الشمرء والا فوالله الذى لا اله الا هو لم يدخل فعى ولا جوفى شىء منها ولا ممين غيرها من جميع أنواع المسكرات وقد كنت فى صفرى أنظر الى من يقال عنه انه يشرب الخمر كنظري الى الكفار أو قريبا منهم والحماية حماية الله والحمد لله رب العالمين حمدا يوافى نعمه ويكافى مزيده .

وقد ذكرت هذا البحث هنا لئلا يسمى الظن بى من أطلع على شىء من تلك القصائد المطبوعة ومبالاتى فيها فيحسبها من الاباطيل التى لا تقال والمورات التى لا تقال فيقل الاقبال على كتبى النافعة فيحرم القارى خيرا كثيرا وأحرم انا الاجر الذى يترتب لى على انتفاعه بهيئها .

ولاجل تمام الفائدة أنقل هنا ما قاله فى ذلك بعض أئمة الاسلام ..... السخ " ثم ذكر ما كتبه الامام ابن حجر المصقلانى فى الزواجر الكبيرة الستون والحادى - والستون بعد الاربعمائة فى أحكام المدائح التى تصدر من الشمرء فيها مبالغات (١) )

اذن ما أقوله بعد هذا : أنه مدح بعض الشخصيات فى عصره ليعوض ما فقده من تأهرأسرته اجتماعيا ..... يظهر هذا فى مدحه لاحمد عزت باشا العابد الكاتب الثانى للسلطان عبد الحميد ، وهذه القصيدة بلفت خمسة ومئة بيت وهى

(١) أسباب التأليف من الماجز الضعيف ص ٣٩٠ - ٣٩٣ .

مطبوعة ضمن اطار مزخرف بيد وفيه انها كانت تعلق في البيوت اعتزازا بمصدرها  
وقد جاء في ختامها :

يا بهجة المصري زين الزمان ويا  
أتمبتنى فاتئد لا تولنى نعمما  
عجزت والله عن شكرى لسالفها  
هذى مكارمك الاولى وقت وكفت  
بحر المكارم لا تنفك توليها  
جديدة قد كفانى منك ماضيها  
كيف امكان شكرانى لايتها  
والان نفس التفات منك يكفيها (١)

ومثل هذا قوله في مدح الاستاذ أحمد فارس الشدياق :

نمتك فأعطف بالقبول مؤكدا  
ودونك منى غادة عريضة  
دوت أننى مهد يكها قتبسمت  
نفغرا حماك الله ما أنا واصلا  
وحسبك أنى فى اغترابى لم أجسد  
تكامل فيك الفضل لازلت حائسرا  
ليدلى دهرى النايا أمانيا  
أتت لك عجا بالمدح تهاديا  
فقال بنى ما للملوك وما ليا  
علاك ولو صفت النجوم قوافيا  
سواك امرا ما جنى الدهر واقيا  
كمالا على كرا الجديد ين باقيا (٢)

ومثله قوله في مدح الاستاذ الشدياق أيضا .

واعذر فتى درست معالم أنسسه  
جمع الأسى جملا لديه وشمله  
أوطانه بعدت عليه وأنسها  
يبغى اجتماعها ويعلم أنسه  
ولعل هذا الحكم ينقضه فسسى  
فأسلم ودم سندا لمثل والملا  
ومشى عليها الدهر وهو مقيسد  
عقد بأيدى الحادثات مبسد  
أوطاره وهى المعالى أمسد  
شىء يحكم زمانه لا يوجسد  
أتت المراد به كريم أمجد  
عن فضلك العالى حديث مسند (٣)

فهو في القصيدة الاولى التى مدح بها الشدياق يصرح في البيت الذى قبل  
الأخير بأن الاستاذ الشدياق كان المنقذ والملجأ للشاعر فى اغترابه فى الاستانسة

(١) قصيده مطبوعة وحدها المطبعة الادبية بيروت ١٠ جمادى الثانية ١٣٢٠

(٢) كز الرغائب فى منتخبات الجوائب ج ٤ ص ١٤٠

(٣) المصدر السابق ص ١٣٣

وفي القصيدة الثانية يصرح بأن الاستاذ هو محط آمال الشاعر وعليه يعلق طموحه للوصول الى الملا ء فالشعور بالضعف الذي يبد وعلى الشاعر فيما يؤمله من مدد وحيه يدل على طموح الشاعر وبعد آماله وأنه ما كان يرضى بما يصل اليه بل يتطلع الى المزيد وكأنه كان يرسم لنفسه مكانة لا بد أن يصلها فاذا أنهى مرحلة منها طلب ما بعدها حتى يصل الى مطمحه ويحقق آماله ولكنه يملك الوسيلة اذا لا بد أن يوجد لها من ذاته عن طريق مدح وجهها عصره .

فمفتاح شخصية النبهاني أنه من أسرة آل نبهان المريقة في عروبتها ولكن لم تكن لها مكانة اجتماعية مرموقة فأضطر الشيخ يوسف لان يستخدم مقد رته العلمية في مدح شخصيات عصره لارضا طموحه في الحصول على الوظائف العالية وهو مخلص للدولة العثمانية خصوصا السلطان عبد الحميد ورجاله . وهو متدين بل متبتسل في تدبينه وقب مقد رته الادبية لخدمة الرسول صلى الله عليه وسلم نظما ونثرا وكان حريصا على ألا يؤثر شئ من أدبه في غير مدح الرسول صلى الله عليه وسلم لأنفسه لا يعد غيره جديرا بمدحه .

### أخلاقة :

كان الشيخ يوسف النبهاني رحمه الله ملتزما بالقرآن والسنة لا يلتفت الى سواهما مما قد يقتضيه العصر ولعل نشأته في " اجنم " وتربيته وتعلمه على والده الشيخ اسماعيل النبهاني ثم تعلمه في الازهر على نظام الحلقات على مشاهير علماء عصره كان له أكبر الأثر في تكوينه الخقي والارجح أن يكون للشيخ النبهاني قد تحدثت معاه الخليفة قبل أن يخرج من اجنم لانه عاش طفولته وبواكير شبابه في بيت والده العالم الزاهد الملتزم بالشريعة الاسلامية أما الحقبة التالية من حياته في الازهر فقد كان مشغولا في التحصيل والمطالعة .

ويذكر الشيخ يوسف أنه كان يحضر حلقات جمال الدين الافقاني وكان الافقاني يظهر نحوه الميل والقبول ولكن الشيخ يوسف ترك مجلسه لما رأى أنه يسي الظن بالصوفية والشيخ يوسف رأى الشيخ الشربيني يطرد الافقاني من الازهر ويضربه بمص (١) .



فأنفضاض الشيخ يوسف النبهاني من حلقة الافغانى يدل على أن خلقه وتفكيره قد  
تحدد سابقا لذلك يرفض أى فكر يمارضه .

ومن معالم أخلاقه وتواضعه ما حدثنى به الشيخ عبد الله الملايلى بمنزله فسى  
بيروت يوم ٥ / ١ / ١٩٢٥ - قال " كان من أصدقاء الشيخ يوسف النبهاني  
المقربين الشيخ محمد المصطفى أمين الفتوى فى لبنان وهو محدث كبير  
وصوفى وحافظ وقد عنم الشيخ النبهاني على الطعام ودخل عليهما رجل اسمه  
أبو محمد الجزائى وكان دلالا ولما رأى الشيخ النبهاني أخذ يتناوله بالسباب  
والشتائم والشيخ النبهاني مطرق برأسه لا يتكلم بشىء وهذا يدل على حلمه " ويقول  
الشيخ عبد الملايلى أيضا :

" وقد كان الشيخ يوسف قليل الكلام ومن يجلس معه يشعر بروحانية اذا تكلم  
عن شؤونه الخاصة تكلم ببطىء . وكان فى لسانه تأتأة واذا تباحث أحد معه فسى  
أحدى المسائل وأحوجه لبيان وجهه نظرة يفيض كالبحر . " .

كما حدثنى المهندس يوسف النبهاني الحفيد - بتاريخ ١٢ / ١ / ١٩٢٤ قال  
حدثنى والدتى قالت " كان من عادات الشيخ يوسف أنه اذا اجتمع فى بيتهم  
نسوة وجاء وقت مغيب الشمس طلب منى أن أخبر النساء بوجوب ذهابهن السنسى  
بيوتهن أزواجهن . " ومن أشهر معالم خلقه الاسلامى : الحكم بالشريعة  
الاسلامية :

يقول الشيخ النبهاني رحمه الله " . . . . . قد فصلت من وظيفتى رئاسة  
محكمة الحقوق فى بيروت سنة ١٣٢٧ هـ (١) بعد أن أتمت ثنتين وعشرين سنة متواليه  
وكت فيها كما قال الشيخ مصطفى البابى الحلبي وكان من قضاة عصره وأفضلهم  
وأشهرهم :

وليت الحكم خمسا وهي خمس	لعمري والصبا فى العنقوان
فما وضع الاعادى قد رشأنسى	ولا قالوا فلان قد رشأنسى

(١) نفس السنة التى قامت فيها الثورة على السلطان عبد الحميد ١٩٠٨ م .

سوى أنه قد ولي الحكم خمسة أعوام ووليته ثلاثين عاما منها في بيروت اثنتان وعشرون والباقي في بيت المقدس واللاذقية وكوى سنجد من بلاد الاكراد ، والله أنسى لا أذكر أنى حكمت في هذه المدة حكما مخالفا للشريعة المطهرة او لفرض سوى اتباع الحق بحسب مقد رثى ومعرفتى ولذلك رأيت في منامى وأنا في المدينة المنورة أن محكمتى في جانب محكمة سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه وكأننا معه أحياء والحمد لله رب العالمين .

وقد كان فصلى من وظيفتى المذكورة نعمة من أكبر النعم التى أنعم الله على فأته سبحانه وتعالى وفقنى من حين فصلى منها الى الان لزيرة النبى صلى الله عليه وسلم والاقامة في جواره مدة سبع سنوات ما عدا أيام الصيف عند شدة الحر فكت أرجع الى بلاد الشام فأقيم فيها مدة الصيف ثم أرجع (١) "

أود أن أضيف أن الحكم بالشريعة الاسلامية كان هو السائد في زمنه والذى قبله فقد جاء في مرسوم تسليمه الشيخ عيسى الماضى لياقة الموح في ١٤ محرم ١٢٤٧ قوله : " ..... فككنا متسلمية يافة من عهد الشيخ سعيد المصطفى المتسلم السابق وقد فوضناها لعهد الشيخ عيسى المومأ اليه فلزم اخباركم بذلك لى تعلموا أن المومأ اليه منصوب متسلما من طرفنا ..... ونخبر متسلما المدعى المومأ اليه أن يلزم منك أولا وذائما أن تكون مطابق كافة أمورك للشرع الشريف والقانون المنيف " ..... الخ (٢) "

وقد أشار الاستاذ مصطفى مراد الدباغ لهذه المتسلمية فقال " الشيخ عيسى الماضى من " أجزم " من أعمال حيفة امتدت متسلميته أى تولى منصب قضا' يافسة من ٩ محرم ١٢٤٧ الى ١٥ جمادى في السنة نفسها (٣) "

(١) دلائل الخيرات ص ٥ - ٦

(٢) الاصول الدرية : لتاريخ سوريا في عهد محمد على باشا الدكتور

أسد رستم ج ١ ص ٢٧ - ٢٨

(٣) بلادنا فلسطين مصطفى الدباغ ج ٤ ق ٢ ص ١٨٢ .

والى عقبه فى القضاء أشار الأستاذ أدهم الجندى فقال :

..... " اشتهر بالعفة والنزاهة خلال مدة أعماله فى القضاء كان مضرب المثل فى الجرأة وقوة الإرادة ولا يقبل شفاعة أحد فى أحكامه ~~التي~~ زانه الله بالحصافة والعزة والهيبة (١) " .

استعماله الألفاظ النابية فى وصف الخصوم :

يقول الأمير شكيب أرسلان فى وصف الشيخ يوسف النبهانى رحمه الله ".....

الا أنه كثير الوسواس عظيم الاعتقاد فى الأولياء والصالحين قائلا بخوار ~~في~~ المسادات والكرامات الى حد القلوفكان يكره كل من يشك فى شئ منها (٢) " .

وجاء فى مقدمة رسالة الشيخ النبهانى بعنوان " حسن الشريعة فى مشروعية صلاة الظهر اذا تعددت الجمعة " ....

اعلم أن كلامى فى هذه الرسالة إنما هو مع المسلمين المحافظين على الصلوات المنقادين لأحكام الشريعة الشريف ما ورد عن سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم وأئمة دينه المبين أما التاركون للصلوات من أولئك الفساق الجاهل الذين يدعون الاحتجاج (٣) ويسمعون فى الأرض بالفساد فلا كلام لى معهم لليأس من سلوكهم سبيل السداد ، وكيف يمكن اقناعهم بصلاة الظهر بعد الجمعة وأكثرهم لا يصلون الجمعة ولا ظهرا ولا فرضا ولا نقلا فهو لا يقنعهم كلام ولو كان صادرا من أكابر أئمة الاسلام ، إذ هم ليسوا من العلماء ولا الصالحين بل هم من الجاهل المجانين ولو كان جهلهم بسيطا كان الأمر سهلا ولكن جهلهم مركب من جهلات تراكت على قلوبهم ويعترضون على تدوين هذه المذاهب الأربعة ويؤمنون بجهلهم أن ذلك تشتيت لأمر الدين وتحكم للآراء فى شريعة سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم وعلى آله وسلم وما علموا فى جهلهم الذى وصل الى درجة الجنون أن المذاهب الأربعة إنما هى

(١) اعلام الادب والفن الأستاذ أدهم الجندى ج ٢ ص ٣٤٢

(٢) كتاب السيد رشيد رضا وانحاء اربعين سنة ص ٧٥

(٣) متى استعمل الشيخ النبهانى هذا المصطلح فالمقصود مد رسة الافغانى ومحمد عبده ورشيد رضا لانه ذكر مناسبة جمعة مع محمد عبده ولم يصل راجع كتاب

البشائر الانبائية فى البشائر الانبائية ص ٣٢ - ٣٥ .

شرح للكتاب والسنة لم يخرج شي\* منها عنهما اما صراحتهما دلالة ولا يقدر على استنباط الاحكام منهما الا أولئك الائمة المجتهدون اجتهاداً مطلقاً ..... حتى استنبطوا الشريعة المحمدية من الكتاب والسنة وما ألحق بهما من الاجماع والقياس وضبطوها أحسن ضبط لا يمكن الوصول اليه لولا أمانة الله تعالى لهم عليه ودونوها على هذا الوجه المشهود المشهور الذي تكفل بحفظها من الزيادة والنقص والتبديل ومن ثلاعب الناس بأرائهم الفاسدة وأفهامهم الكاسدة مثل هؤلاء الحمير الذين لو سلم الامر اليهم لانحلت عرا الدين وضلت هذه الامة كما ضل غيرها من امة الانبياء السابقين ولكن الله تعالى وله الحمد والمنة قد قال \* انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون \* ومن تمام حفظه أن يسر لفهمه أولئك الائمة الاعلام نواب خاتم الرسل الكرام سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام (١)

ويذكر الشيخ يوسف النبهاني في كتاب دلائل الخيرات رسالة وردته من الرسول صلى الله عليه وسلم وما ذكر قوله : - " قد اجتمع العلامة الأوحى السيد محمد بن جعفر الكتاني القاسي وهو مجاور بأمرته (٢) في المدينة المنورة في يوم الأربعاء السادس والعشرين من شهر شوال سنة ١٣٣٢ هـ بالشيخ الجليل بركة الله عبيد الرؤوف القندهاري الخراساني السليماني وسنه نحو السبعين عاماً الحاج الى بيت الله على قدم التجريد احدى وعشرين مرة ما شيا حافيا من قندهار الى بيت الله الحرام فقال لسيدى محمد بن جعفر المذكور رضى الله عنهما انه القى الى من الحفرة النبوية القاء صحيحا لاشك فيه وهو وقت نزوله بي يكون أشد على من حمل الجبال أن أقرأ السلام على الشيخ النبهاني من رسول الله صلى الله عليه وسلم مع الرحمة والبركة وقل له على لسانى - أى على لسانه صلى الله عليه وسلم - ان احتياج الناس الى العلم أشد من احتياجهم الى المال وقل له أيضا وصية منى له : " طهر لسانك وقلبك "

انتهت رسالته على الله عليه وسلم للفقير يوسف النبهاني مع هذا الولي الجليل رضى الله عنه وقد أخبرني بها سيدى محمد بن جعفر رضى الله عنه في ١٧ محرم ١٣٣٢ هـ فنى منزله بالمدينة المنورة كما أنه هو تلقاها من الشيخ عبد الرؤوف الخراساني في هذا الفضل الواقع في جوار سيدنا عبد الله والد النبى صلى الله عليه

(١) حسن الشهادة في مشروعية صلاة الظهر اذا تعددت الجمعة الشيخ يوسف النبهاني ص ٣٣

(٢) في الاصل : بدائلته ، وهو خطأ شائع .

وسلم والحمد لله رب العالمين .

ثم اجتمعت بالعالم الفاضل الصوفي الكامل الشيخ محمد أعظم الهندي المجاور في المدينة ولأن الشيخ عبد الرؤف القندهاري المذكور كان ضيفا له نازلا في داره - فذكر أنه قد سمع منه ذلك كما أخبرني به سيدي محمد بن جعفر بذلك وقال - أخبر به الشيخ يوسف النبهاني ولم أكن في المدينة المنورة في ذلك الوقت بل كنت في بلاد الشام ولذلك لم أقرب بالاجتماع بالشيخ عبد الرؤف رضي الله عنه (١) .

ومن يقرأ قصيدة الرائية الصفري في ذم البدعة ومدح السنة الفرا للنبهاني التي هجا فيها كل من الأفقاني ومحمد عبده ورشيدا والالوسي . يجد أنه استعمل ألفاظا نابية جدا (٢) .

### حسن الظن :

كان الشيخ النبهاني رحمه الله يحسن الظن بالغير محاولا تخريج الأمور على أفضل وجه لهما استطاع إلى ذلك سبيلا فهو يقول بعد أن دافع عن الشيخ عيسى الفني النابلسي رضي الله عنه وفند الأقوال التي تتهمه بحب الفلمان وقال : " والله الذي لا إله إلا هو أني أقبل بأشراج صدرى نسبة العيب لنفسى ولا أقبل نسبته إلى أولئك السادة الكرام . شمس الإيمان وورد الإسلام حشر نفسى الله في زمرة ولا حرمنى في الدارين ثمرة بركتهم وهكذا ينبغي أن يكون كل مسلم لأنهم أئمة قدوة لجميع المسلمين ويرجع إلى الدين ما ينسب إليهم من التقييس والتحسنين (٣) .

ومما يظهر حسن ظنه حتى فيمن يخالفونه في الرأي والمذهب كالامام بن تيمية فيعد أن سرد الشيخ النبهاني رؤية رأى فيها ابن تيمية والامام تقي الدين السبكي في المنام قال " ..... ولم يخطر لي في المنام شيء مما وقع من ابن تيمية فسي سألتني زيارة النبي صلى الله عليه وسلم والاستفاضة ورد السبكي عليه

(١) دلائل الخيرات شرح الشيخ يوسف النبهاني ص ١٤٣ - ١٤٤

(٢) الديوان ص ٣٤٩ - ٤٠٠ .

(٣) المجموعة النبهانية ج ١ ص ٣٠

ذلك أنى كنت قبل هذا المنام كعبت شيئا في الرد على ابن تيمية نقلت فيه جملا جسيمة من كلام العلماء ثم ترجع عندى الا أفضل لثلاث أفكار عوام المسلمين بتبنيهم الى رأييه الفاسد في ذلك وهم عنه غافلون وابن تيمية هذا هو أمام كبير وعلم علم شهير من افراد أئمة الامة المحمدية الذين تفتخرونهم على سائر الامم ولكنه مع ذلك غير معصوم من الخطأ والزلل فقد أخطأ في مسائل قليلة منها هاتان المسألتان خطأ فاحشا خالف فيه جمهور الامة من السلف والخلف ..... وابن تيمية وان أخطأ في هذه المسائل قد اصاب في مسائل لا تعد على أن بعض ما نسب اليه في تلك المسائل انكر نسبتها اليه بعض العلماء الاثبات وعلى كل حال ان الحسنات يذهبن السيئات وأننا أسأل الله العظيم رب العرش الكريم أن يحسننى مع الامامين الجليلين في جملة المؤمنين المتحابين (١) .

### الأمانة العلمية في النقل :

من يقرأ في كتب الشيخ النبهاني يلاحظ أنه لا ينقل عبارة الا ويشير الى مصدرها فهو يتحرز أن ينسب كلام غيره لنفسه فهو في أثناء كلامه عن التنبيه الثانى في فوائده جمع شمائله صلى الله عليه وسلم يقول " ..... فجزاه الله عنا أفضل ما جسرى مرسل عن أرسل اليه فانه أنقذنا به من الهلكة وجعلنا من خير أمة أخرجت للناس دائنين بدينه الذى ارتضى واصطفى به ملائكة ومن أنعم عليه من خلقه فلم نمن بنا نعمته ظهرت ولا بطننت لنناجها حظا في دين ودنيا أرفع بها عنا مكروه فيها أو في أحد منهما الا ومحمد صلى الله عليه وسلم سببه والقائد الى خيرها والهادى الى رشدها .

وهذه العبارة من قوله " فجزاه الله الى آخرها " عبارة أمانة الشافعى رضى الله عنه نقلتها من رسالته التى رواها عنه صاحبه الامام الربيع بن سليمان رحمه الله (٢) وهذا يدلنا على مدى احتراز الشيخ النبهاني من أن ينسب لنفسه قولا ليس له والشيخ النبهاني رحمه الله يذكر في كل كتاب له المصادرات التى رجع اليها في كتابه موضحا طريقته في نقل المعلومات من مصادرها وظروف تأليف الكتاب . مثلا في كتابه " وسائل الوصول الى شمائل الرسول صلى الله عليه وسلم يقول الشيخ النبهاني

(١) المجموعة النبهانية في المدائح النبوية ج ١ ص ٢٤

(٢) وسائل الوصول الى شمائل الرسول صلى الله عليه وسلم ص ٩

” ..... فجمعت هذا الكتاب من آثاره وشماله الشريفه صلى الله عليه وسلم وأدخلت فيه جميع الشائل التي رواها الامام الحافظ أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذى رضى الله عنه بعد حذف مكررها وأسانيدها ، ولم أتقيد بترتيبه وتبويبه بل سلكت أسلوبا غير أسلوبه واضفت اليها من كتب الائمة الا ترى ذكرها أكثر منها بكثير وألحقت بغريب الالفاظ ما تدعو اليه الحاجة من ضبط او تفسير فجاء كتابا حافلا ليس له في بابه نظير وسميته ” وسائل الوصول الى شمائل الرسول ” .

وهذا بيان الكتب التي نقلت ورويت منها (١) ” ..... فهذه أصوله لم يخرج عنها شئ منه اللهم الا أن يكون ذلك في تفسير الغريب فأني قد رجعت فيما لم أجده فيها كتب اللغة وذلك نزر يسير وقد ذكرت في بعض الشائل اسم الصحابي راوى الحديث والامام مخرجه وفي بعضها اسم الصحابي فقط ولم أذكر في بعضها غير متن الحديث تابعا في جميع ذلك الاصول المذكورة وقد رتبته على مقدمة وثمانية أبواب وخاتمه (٢) ثم أخذ في ذكر الابواب والفصول ..

### المبشرات النامية :

اهتم الشيخ النبهاني رحمه الله بمرائيه النامية التي سماها المبشرات النامية وهي تضم ما رآه هو بنفسه أو ما رآه الناس له وقد سجل هذه المبشرات في كتاب خاص سماه كتاب البشائر الايمانية في المبشرات النامية ملحق بديوانه ” المعقود اللؤلؤي في المدائح النبوية ” ذكر فيه ستين مبشرة نامية رآها أو رويت له وفي كتابه جواهر البحار ذكر احدى عشر مبشرة أخرى (٣) .

وفي كتابه الدلالات الواضحات شرح دلائل الخيرات ذكر عشرين رؤيا نامية (٤) وقبل اعادة طبع شواهد الحق ” للمرة الثانية أخبر الشيخ النبهاني بزيادة طبع كتابه من شركة مصطفى البابي الحلبي فأرسل لهم مبشرة نامية لتذكر في آخر الكتاب

(١) ثم يذكر الكتاب

(٢) وسائل الوصول الى شمائل الرسول ص ٢ - ٤

(٣) جواهر البحار في فضائل النبي المختار ج ٣ ص ٤٣٧ - ٤٣٨

(٤) الدلالات الواضحات شرح دلائل الخيرات ص ١٤٥ - ١٤٧

فيكون مجموع المبشرات النامية التي رآها الشيخ النبهاني والتي روّيت له اثنتي عشرة  
وتسعين مبشـرة .

وقد اهتم الشيخ النبهاني بها حيث كان يكتبها في الوقت الذي يستيقظ فيه من  
النوم حتى لا ينساها وقد تكلم في كتبه كثيرا عن الروى النامية وأدلتها في الشرع ففى  
كتابه البشائر الايمانية المذكور (١) ونقل فيه ما قاله الامام القسطلانى في المواهب  
اللدنية من حيث اعتبار المرائى النامية في نظر الشرع الشريف مستشهدا " بالكتاب  
والسنة ثم تكلم عن رؤيا الرسول صلى الله عليه وسلم في المنام واليقظة ثم تكلم فيما ورد  
في حق الكذب في الروى . وفي آخر كتابه الاساليب البديعة في فضل الصحابة واقناع  
الشيعية " الملحق بكتاب شواهد الحق تكلم عن الروى شروفا وفيما ورد في حق  
الكذب في الروى (٢) وفي كتابه سعادة الدارين تكلم كثيرا عن الروى النامية وعن  
رؤية النبي صلى الله عليه وسلم يقظة ومنا ما مستشهدا بما قاله العلماء في كتبهم وتكلم  
عن تفسير رؤياه صلى الله عليه وسلم ثم أورد رسالة الشيخ محيى الدين بن العربي  
يتكلم فيها عن الروى النامية وسندها من الشرع . ذكر فيها عدة معرا نبوية له وبعد  
أن انتهى رسالة الشيخ محيى الدين بن العربي رضى الله عنه قال " ورأيت كتابا  
كبيرا لسيدى أبى المواهب الشاذلى كله في رؤيته للنبي صلى الله عليه وسلم ورأيت  
رسالة فيها خصمون رؤيا نبوية للسيد محمد المحفوظ المشرقى ابن باباس رضى الله  
عنهما (٣) وكان الشيخ النبهاني يدل على شرعية المرائى النامية وأنها في حكم المتفق  
عليها عند علماء الشريعة وهذا <sup>٤</sup> المرجع من الشيخ النبهاني على شرعية المرائى النامية  
يشير الى وجود من ينكر صحتها بالحقيقة في عصره وهذا لا يستبعد حيث كثرت النظريات  
الشرعية الفكرية الوافدة من الغرب وكان لها من يروجها خصوصا في بيروت موطن الشيخ  
النبهاني .

لذلك يطيل الشيخ النبهاني في الكلام عن الروى النامية ويكثر الاستدلال على  
شرعيتها من الكتاب والسنة وأقوال الصحابة والعلماء من بعدهم .

والشيخ النبهاني رحمه الله يؤمن بما يراه في المنام أو يراه الناس له أيمانا مطلقا

(١) كتاب البشائر الايمانية في المبشرات النامية ص ٢ - ٨

(٢) شواهد الحق للنبهاني ص ٥٦٣ - ٥٦٥

(٣) سعادة الدارين ص ٤٠٩ - ٤٧٨ في كتابه هذا ذكر الشيخ النبهاني ٤٠ -

فائدة لرؤية الرسول صلى الله عليه وسلم في المنام ص ٤٨٤ - ٨٩٣



ربما يستدل به على شوعية بعض ما يستريب من أمور عارضه لم يطمئن اليها . مشال  
 ذلك ما ذكره الشيخ النبهاني في المبشرة الرابعة من مرائيه النبوية قال " كنت ألتجى  
 بعض الاحيان لتمشية أمور الدينوية الى بعض أكابر الناس الذين ليسوا على قدم  
 التقوى والصلاح وكان يحصل لي من ذلك بعض تشويش خوفي من أن يكون ذلك غير  
 مرض لله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم وكنت أستدل لنفسى على جواز بدخول  
 النبي صلى الله عليه وسلم الى مكة في جوار المطعم بن عدي عند عودته من الطائف  
 لما توجه اليها بعد وفاة أم المؤمنين سيدتنا خديجة رضى الله عنها ووفاته عمه أبى  
 طالب فقايلوا بهما يكره فصاد مكروبا فلم يمكنه الدخول الى مكة الا بجوار كبير منهم فأرسل  
 الى المطعم بن عدي ليدخل في جواره فقبل ذلك ودخل صلى الله عليه وسلم ففى  
 جواره وبعد أن طاف بالبيت توجه الى منزله وكان معه موله زيد بن حارثه رضى الله  
 عنه فكنت اذا تخطرت ذلك يسهل على الأمر ففى سنة ١٣١٧ هـ جئنى رجل فقال  
 انه فلان بينما كان يشرب المسكرات فى مجلس لهوه بلغه الخبر بأذيتك الاذية البالغة  
 من طرف رجل آخر فقام واجتهد وهو فى تلك الحالة لدفع الاذية عنك فوفقه الله لذلك  
 فسررت من جهة وحصل لى قبض شديد من جهة أن هذا الرجل الذى استدل اليه ففى  
 أمور ~~هذه~~ وهو فى هذه الحالة السيئة من التهنيت بالمعاصى ، واستمر معى القبض -  
 لذلك عدة ساعات من النهار والليل الى أن نمت على تلك الحال من القبض لهذا  
 السبب فرأيت فى منامى كائن فى محل مرتفع فى جهة مكة وهو الجبل الذى هو فوق  
 مقبرتها المعلاة وأنا ناظر الى جهة مكة والنبي صلى الله عليه وسلم داخل اليها من  
 جهة المعلاة وقد سار فى أوائل العمران وخلفه شخص آخر تابع له وبينى وبينه نحو  
 مئتين خطوة وأنا من خلفه أنظر اليه وإلى الشخص الذى معه وهو صلى الله عليه وسلم  
 يسرع بدخوله اليها على هذه الحالة وأهلها جميعا مشركون على ما هم عليه من  
 مخالفة صلى الله عليه وسلم ثم انتبهت وتذكرت أن هذه حالة دخوله صلى الله عليه  
 وسلم الى مكة ومعه زيد حين رجوعه اليها من الطائف فكان لى بذلك أعظم اعتبار  
 والحمد لله رب العالمين (١)

والمرائى الضامية تكون فى حياة الشيخ النبهاني جانبا مهما لدراسة شخصيته

والوقوف على حقائقها كما أن فيها انعكاسا لشخصية النبيانى لدى الناس المصريين الذين يعرفونه بالشخص أو بالاسم وفى كل هذا أكبر دلالة على مكانة الشيخ النبيانى فى مجتمعه فهو يرى نفسه واقفا على منزلة من منازل أهل بد رأتنا توجههم للملاقاة قرش ويرى الشيخ محبى بن المربى رضى الله عنه ويقبل يده ويرى نفسه يتلو آيات قرآنية كثيرة فى وصف بعض الانبياء ونصرة الله لهم <sup>على أعدائهم وتكرار هذه الآيات مرة</sup> بعد مرة ولما استيقظ فهم أن المقصود من هذه الرواية الإشارة الى هؤلاء المبتدعين محمد عبده ورشيد رضا والافغانى ويرى الرسول صلى الله عليه وسلم يقول أنا لا أقدر على قيام الليل فيفسر ذلك أنه هو المقصود ويعتذر لعدم التوفيق ولاعتلال الصحة ويرى نفسه مع رجل اسمه بشير وهو يبين له فضل الرسول على سائر الانبياء ويرى نفسه وهو يشنع على رجل اسمه عبد الحليم لحيته كالسار وصار يوبخه بسب لحيته ويرى جبريل عليه السلام وهو يد له ويلعبه يقول الشيخ النبيانى (( صار يعانقنى على كفى الايمن ثم على كفى الايسر بخاية الدلال واللفظ الذى لم أعهد فى يقطى من أحمد )) وفى المدينة المنورة يرى الامام أحمد بن حنبل رضى الله عنه وسبط جماعة ويقبل الشيخ النبيانى يده ، يفسر الشيخ النبيانى أن هذه الجماعة هم المنتحون مثله وأنه قد حصل له ما حصل لهم حيث حبس فى المدينة المؤر أسبوعا قبل هذه الرواية ستة أشهر ويرى الامام تقي الدين بن تيمية قادما لزيارته فيستقبله فى ساحة الدار ويقبل يده وقد كان الامام بن تيمية فى حالة صحية سيئة جدا وهو متكى على أنسان آخر وبعد أن يقبل النبيانى يده صار الامام بن تيمية يدعو لسه كما صار الشيخ النبيانى يدعو لابن تيمية وهو يؤمن على دعائه ويرى الرسول صلى الله عليه وسلم فبعد أن يقبل يده يبشره بالجنة ولكنه يحلقه على شىء ومعاتبه على عدم اعطائه د راحم لرجل • ويرى الرسول صلى الله عليه وسلم وأمامه قلم فيطلبه منه ليوضح فى قبره فيقول له الرسول صلى الله عليه وسلم أنت تدفن فى الشيخ سعيد ويفسرها له أحد أصدقائه أنها إشارة الى قول النبيانى :

سعد بن مسعود بخدمة نبي الله وأنا السعيد بخدمة نبي الله

وهكذا يستحضر الشيخ النبيانى رحمه الله فى بيان رواة المنامية مع ذكر مكان وتاريخ وقوعها فيذكر الليلة والشهر والسنة

وقد ذكر الروى المنامية التى رأتها زوجته السيدة صفية السجحان وبناته فاطمة وعائشة وتقيه مما له فيها إشارة وذكر •

وجميع ما رآه الشيخ النبهاني أو ما رآه أفراد أسرته كان له صلة مباشرة بحياته  
لذلك كان من السهل تفسير هذه الروى تفسيراً لا لبس فيه .

ثم يذكر الشيخ النبهاني الروى النامية التى رآها له بعض الصالحين فمنهم من  
رآه جالسا مع الرسول صلى الله عليه وسلم . ومنهم من رأى الرسول صلى الله عليه  
وسلم وسمعه يقول (( الشيخ يوسف النبهاني من رفقاء موسى بن عمران فى الجنة ))  
ولما أخبر الشيخ النبهاني بالروية تأكد من لفظ " الشيخ " فى قول الرسول صلى الله  
عليه وسلم . وبعضهم كان يرى الرسول صلى الله عليه وسلم فى صورة الشيخ النبهاني  
المبشرة الرابعة والثلاثون - وبعضهم رأى الرسول صلى الله عليه وسلم يقول :  
النبهاني حساني . وهناك بعض الروى تتخذ طابعا آخر إذ يرسل الرسول عليه  
السلام الرائي الى الشيخ يوسف النبهاني ليحل له مشكلته وقد ذكر الشيخ النبهاني  
مبشرين من هذا النوع .

الاولى وهى : " المبشرة الثالثة والثلاثون " يقول الشيخ النبهاني  
" حضر عندي فى أحد الربيعين سنة ١٣٢٥ رجل من أهالى بيروت اسمه عبد الباسط  
أفندي الفندور خال زوجتى صفية وكان قد حصل له شدة كرب عظيم لخلاف وقهينته  
وبين أولاد أخيه قال الرجل : فأكثر الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فرأيت  
عليه السلام فى منامى وشكوت له حالى فقال لي اذهب الى يوسف النبهاني يكون تفريج  
كربك على يده وذكر الرجل لفظا فيه تعظيم حذفته أنا ، قال : وها أنا ذا جئت  
وحلف الايمان الموكد بأنه ما زال حرقا وما جأني الا بأمر رسول الله صلى الله عليه  
وسلم فأجتمعت بأولاد أخيه وعظمتهم ونصحتهم فقبلوا نصيحتي واشتروا منه حصته المشتركة  
معهم فى العقارات وزال الخلاف وفن كربه والحسد لله رب العالمين (١) .

أما المبشرة الثانية فهى المبشرة الخامسة والثلاثون - يقول الشيخ النبهاني  
" أخبرني الحاج عمر حمور الدمشقي التاجر المقيم فى بيروت وهو شيخ صالح فى ستمين  
الستين تقريبا : بأنه قد كرب كربا عظيما فصلى على النبي صلى الله عليه وسلم  
كثيرا بنية تفريج كربه ودعا الله تعالى وسأله الفرج ونال فى آخر شهر ربيع الثاني  
سنة ١٣٢٦ فرأى نفسه فى المسجد النبوي ورأى النبي صلى الله عليه وسلم وشكا له

كرهه وغض طرفه عن النظر اليه صلى الله عليه وسلم قسماً قائلاً يقول له انظر فتنظر  
فترآني في المسجد النبوي قريبا منه وانتبه من نومه ففهم من هذا المنام أن تفريج  
كرهه يكون على يدي فجاءني وأخبرني بذلك وقال لي : أنا مرسل اليك وحكي لى  
هذا المنام وقص لي قصة كرهه فلم أجد لي قدرة على تفريجه بوجه من الوجوه ولكنسى  
استبعدت تفريجه شككت في صدقه ومع ذلك قلت له أنا ليس لي عمل في تفريج كريك سوى  
أنى أشور عليك بكثرة الاستغفار والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في أكثر أوقاتك  
فاذا فعلت ذلك فلا شك في أن الله يفرج عنك وخصصت له صيغة (( اللهم صل  
على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد قلت حيلتي أدركني يا رسول الله ه وهى  
المنسوبة لحامد أفندي الحمادى مفتى الشام في عصره المذكورة في كتابي أفضل  
الصلوات المجربة لتفريج الكرب وقد كتبت جريتها أنا بنفسى فرأيتها مثل فلق الصبح  
وكتبتها له فأخذها وذهب فلم تضر مدة يسيرة حتى فرج الله كرهه والحمد لله رب  
العالمين (١) .

وكانت آخر رؤيا رآها الشيخ النبهاني وهى الثانية والتسمون قد جاء فيها  
" رأيت في منامى في آخر شعبان سنة ١٣٤٨ هـ في بيروت رأيت في تلك الليلة  
قبيل الفجر أنى أسمع صوتاً من جهة الجنوب ومن مكان يقرب منى نحو خمسين خطوة  
وتحقت أن ذلك الصوت من الله تعالى بدون أن أرى شخصاً يقول لي ذلك الصوت  
وهو : أنى أحبك . وفى جانب المكان الذى جاء منه الصوت مثل النار المشتعلة  
والضوء الأصفر . وذلك مقدار ذراع بالطول ( وأقل منه بالعرض ) كما رأى سيدنا  
موسى النار وسمع الصوت من الشجرة " أن ياموسى انى أنا الله " فحصل لى  
بذلك فرح كبير فتحقت أنه من الله تعالى وأنه دليل على رضاه تعالى عنى وقبوله  
موالفتى وخدماتى التى وفقني تعالى لطاعته بهما . وخدمة دينه المبين وحبيبه  
الاعظم سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم والحمد لله رب العالمين .

ملحوظة : وكان قصدى كتم هذه المبشرة ثم رأيت كثيراً من الأئمة ذكروا مثلها  
فاقتديت بهم . وليس قصدى المدح والله على ما أقول وكيل (٢) .

(١) المصدر السابق ص ٢٣

(٢) شواهد الحق في الاستغاثة بسيد الخلق يوسف النبهاني ص ٥٦٧ .

وقد استرعى علم الرويا انتباه علماء المسلمين وأهملوا به وكتب فيه كثير منهم ومن شهر بتفسير الرويا الامام ابن سيرين من التابعين والشيخ عبد الفتى النابلسى من المحدثين ولكل منهم تصنيف فيه وقد تكلم الشيخ يوسف النبهانى وأفاض شفى شريعة علم الرويا وأنها من الكرامات الالهية لبنى الانسان فى المواضع التى ذكرتها أنفنا (١)

كما أن هناك تصنيفات كثيرة وضعت فى هذا العلم أشار لبعضها كتاب " الاشارات فى علم العبارات " الشيخ خليل بن شاهين الظاهرى من علماء القرن التاسع الهجرى وفى مقدمة مصنفه المذكور ان يقول " . . . . . " واعتمدت فى ذلك على كتب التقديمين وأقوال المشايخ المعبرين مثل كتاب " الاصول لدانيال الحكيم وكتاب " التفسير لجعفر الصادق وكتاب " الجوامع " لمحمد بن سيرين وكتاب " الدستور " لابراهيم الكرامانى وكتاب " الارشاد " لجابر المغربى وكتاب " التعبير " لاسماعيل بسن الاشعث وكتاب " كنز الرويا " للمأمونى وكتاب " بيان التعبير " لعبد روس وكتاب " جمل الدلائل " وكتاب " مبادئ التعبير " وكتاب " كافى الرويا " وكتاب " التعبير " للطاووسى وكتاب " مقرط الرويا " وكتاب " تحفة الملوك " وكتاب " منهاج التعبير " لخالد الاصفهانى وكتاب " مقدمة التعبير " وكتاب " حقائق الرويا " وكتاب " الوجيز " لمحمد بن شاموية وكتاب " التعبير " لابي سعيد الواعظ وكتاب " كامل التعبير " للشيخ أبى الفضل جيش بن ابراهيم ابن محمد النقيشى وكتاب " الاشارات الى علم العبارات " لابي عبد الله بن أحمد ابن عامر السالى وكتاب " الدر المنظم فى السر المعظم " لمحمد القرشى النصيبى وغير ذلك مثل الشيخ أحمد الدين عبد اللطيف الدمياطى والشيخ عبد القادر الاشمونى والشيخ يوسف الكريونى السكندرى والشيخ محمد الفرعونى والشيخ حسن الرملى والشيخ نور الدين الكرخى الفزاوى والشيخ تقى الدين المقدسى والشيخ شرف الدين الكركسى والشيخ شمس الدين عمرون الصفور وغير ذلك (٢) .

ثم أورد الأدلة الشرعية على الرويا - أورد بعض ما ذكر فى قوله تعالى " (( وكذلك مكنا يوسف فى الارض ولنعلمه من تأويل الاحاديث )) قال الواحدى هو تأويل الرويا

(١) سعادة الدارين شواهد الحق " البشائر " الايمانية فى المبشرات الضاممة

الملحق بكتاب العقود اللولؤية فى المدائح .

(٢) كتاب الاشارات فى علم العبارات ص ٤ - ٥

وقوله تعالى (( لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة )) قال بعض المفسرين  
يعنى الرويا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة قال الشهرزورى فى شرحه  
للأربعين ، وكذا زين العرب فى شرحه للمصابيح : ان مدة ابتداء وحى الرسول عليه  
السلام الى مفارقة الدنيا كانت ثلاثا وعشرين سنة . وكانت ستة أشهر منها فى أول الامر  
يوحى اليه مناما وهو نصف سنة فهى جزء من ستة وأربعين جزءا من جملة أيام الوحى  
لانه عاش ثلاثا وستين سنة على أكثر الروايات وأوحى اليه بعد أربعين سنة ومنها قوله  
عليه الصلاة والسلام (( من لم يؤمن بالرويا الصالحة لم يؤمن بالله واليوم الآخر ))  
ومنها قوله عليه الصلاة والسلام (( لم يبق فى النبوة الا المبشرات ، قالوا : وما  
المبشرات يا رسول الله ؟ قال : الرويا الصالحة يراها المسلم أو ترى له )) -  
وقوله عليه السلام (( أصدفكم حديثا أصدفكم رويا وإذا اقترب الزمان لم تكذب  
رويا المؤمن )) .

ولا ينبغى لاحد أن يكذب فى روياه ويحكم أنه رأى غير ما رأى فان الرويا وحى  
يوحى الله له فى المنام ومنها قوله عليه الصلاة والسلام فى صحيح البخارى (( ان من  
تحلم بحلم لم يره كلف أن يعهد بين شعيرتين ولم يفعل )) ومعنى الحلم هو مصسنى  
الرويا ولكن غلب استعمال الرويا فى المحبوبة والحلم فى المكروهه <sup>(١)</sup> أما الشيخ عيسى  
الفنى النابلسى فله كتاب " تعطير الانام فى تعبیر المنام " جعل مقدمه طويلة  
لكتابه تحدث عن الايات والأحاديث والآثار التى فيها دلالة على علم الرويا كما أنه  
ذكر بعض القوانين التى يجب أن يراعيها من يفسر الرويا <sup>(٢)</sup> أما الامام ابن سيرين  
فى كتابه (( منتخب الكلام فى <sup>تفسير</sup> الأحلام )) فقد جعل لكتابه مقدمة وخطبه استوعب عشرين  
صفحة <sup>(٣)</sup> أورد فيها الأدلة من القرآن والسنة والآثار فى علم الرويا . وقد رتب  
كتابه حسب المواضع أما الشيخ النابلسى فقد رتب حسب الحروف الهجائية .

ولفضيلة الشيخ محمد حسنين مخلوف العدوى كتاب (( المطالب القدسية ))  
تحدث فيه عن الرويا المنامية قال : (( انها من خواص النفس الانسانية لا يخلو عنها  
أحد من البشر غالبا وقد جعلها الشارع من المبشرات فقال لم يبق من النبوة الا  
المبشرات )) قالوا وما المبشرات يا رسول الله ؟ قال : الرويا الصالحة يراها الرجل

- (١) كتاب الاشارات فى علم العبارات الشيخ خليل بن شاهين ص ٦  
(٢) تعطير الانام فى تعبیر المنام الشيخ عبد الفنى النابلسى ص ٢ - ٨  
(٣) منتخب الكلام فى تفسير الاحلام ابن سيرين ص ٢ - ٢٠

الصالح أو ترى له )) وما يقع منها للبشر غالبا انما هو من غير قصد ولا قدرة عليه وقد تكون بقصد الشئ عند النوم وشغل النفس به ، وقد تكون بسبب أدعية وأذكار أو آيات تتلى عند النوم فيرى الانسان ما يتشوق اليه ويقصده اما بيمينه أو بمثاله فان كشف النفوس في عالم الخيال - كما في احياء العلوم وغيره - قد يكون بحكاية الخيال وتمثيله ، وقد يكون بحكاية المعنى المتلقى صريحا من المبادئ المالية كما يقع خارجا فلا يحتاج الى تمثيل وقد يكون كذلك فيحتاج الى التعبير وتأويله يختلف باختلاف الازمنة والامكنة والفصول وأحوال الاشخاص وما اعتاده الرائي ففى تصور المعانى بصور ثلاثتها أو تباينها وما أخذ من عالم الخيال وتأليفه تارة يصدق ، وتارة يكذب فيكون أضغاث أحلام (١) وفى كتاب " الروح " لابن القيم : الروى على ثلاثة أنواع : روى من الله ، وروى من الشيطان ، وروى من حديث النفس والروى الصحيحة أقسام : منها الهام يلقيه الله سبحانه وتعالى فى قلب العبد وهو كلام يكلم به الرب عبده فى المنام كما قال عبادة بن الصامت وغيره : أى يلقى به فى نفسه من غير اسماع له بحرف أو صوت ، وهو فى الانبياء وحى لا مره فيه ولا مزاحمة قطميا وفى غيرهم ليس كذلك ومنها مثل يضربه له ملك الروى الموكل بها ( ومنها ) روح النائم بأرواح الموتى من أهله وأقاربه وأصحابه وغيرهم . ( ومنها ) عروج روحه الى الله سبحانه وتعالى وخطابها له ( ومنها ) دخول روحه الى الجنس ومشاهدتها . ( ومنها ) أن يرى النائم غيره من الاحياء يحدثه ويخاطبه وبينهما مسافة بعيدة ، بأن يضرب ملك الروى للنائم مثلا أن يكون حديث نفس من الرائي تجر له فى منامه وقد تتناسب الروحان وتشتد علاقة احدهما بالآخرى فيشعر كل منهما ببعض ما يحدث لصاحبه وان لم يشعر بما يحدث لغيره لشدة العلاقة بينهما (٢)

وقد شاهد الناس من ذلك عجائب لا تحصى قال بعض السلف : ان الارواح تتلاقى فى الهواء فتتعارف وتتذاكر فيأتيها ملك الروى بما هو لاقىها من خير أو شر قال : وقد وكل الله بالروى الصادقة علمه وألهمه كل نفس بيمينها واسمها ومقلبها فى دينها ودينها وطبعتها ومعارفها لا يشتبه عليه منها شئ ، ولا يغفل فيها فتأتيه نسخة من علم غيب الله من أم الكتاب ما هو مصير لهذا الانسان من خير وشر فى دينه ودينه ، ويضرب له فيها الامثال والاشكال على قدر عاداته ، فتارة يبشره بخير قدمه أو يقدمه وتارة يحذره من معصية ارتكبها أو هم بها وتارة يحذره من مكروه انعمت

(١) المطالب القدسية ص ١١٨ - ١١٩

(٢) من هذا القبيل ما حدث به فضيلة الشيخ أحمد حسن العطاس رضى الله عنه من لقائه بأهل البرزخ من أمثال الشيخ عبد القادر الجيلانى والرفاعى وابن حجر والفزالي وغيرهم فى أجارته الكبرى للشيخ النبهانى رحمه الله

أسبابه ليعارض تلك الأسباب بأسباب تدفعها الى غير ذلك من الحكم والمصالح التي جعلها الله نعمة منه ورحمة وإحساناً وتذكيراً أو تحذيراً وكم من كانت توبته وصلاحيته وزهده واقباله على الآخرة من مقام رآه أو روى له ؟ وكم من استغنى وأصاب كماً دفيناً من مقام ؟ وكم ترفت نفوس مریدین على أيدي شيوخ عارفين بسبب الرويا الصالحة التي يراها المرید السائر الى الله تعالى أو يراها شيخه الصالح الصالح وهو وارث من أنوار النبوة كما قال صلى الله عليه وسلم : (( الرويا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة )) وكلما صفا الباطن انكشف في حدة القلب ما سيكون في المستقبل كما انكشف دخول مكة لرسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم حين نزل قوله تعالى (( لقد صدق الله رسوله الرويا بالحق لقد دخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين )) وبالجمله فعالم الخيال والرويا عالم واسع لا تنتهي أطرافه وأقول بأن العلوم كلها كانه في النفس وإنما اشتغالها بعالم الحس حجبها عن مظاهرها فإذا تجردت كل التجرد كما في الموت أو بهضه كما في النوم رأيت منها ما يحسب استعدادها (١) ليس على إطلاقه فإن اجرد النفس لا يطلعها على علم الله الذي يمثله رسوله وعلى تفاصيل ما أخبر به عن الرسل الماضية والامم الخالصة وتفصيل الميعاد وأشرط الساعة وتفاصيل الامر والنهي والاسماء والصفات والافعال وغير ذلك مما لا يعلم الا بالوحي انظر كتاب الروح لابن قيم وأحياء العلوم للقرظي (٢)

أما فضيلة الشيخ حسنى حلمي آيشي فقد تناول الروي الصالحة في جانب أخسر فهو مع اقتناعه بصحة العلوم الواردة عن طريق الكشف - مناما أو يقظه - لا يوجب الاعتماد عليها فهو يقول (( ..... فان قلت فلا شيء لم يوجب العلم بالسماء بالله تعالى العمل بما أخذه العالم من طريق الكشف مع أنه ملحق بالنصوص بالصحة بالصحة عند بعضهم فالجواب ليس عدم إيجاب العلماء العمل بالعلوم الكشف حيث ضعفها ونقصها عما أخذه العالم من طريق النقل الظاهر وإنما ذلك للاستغناء عن عده في الموجبات بصرائح أدلة الكتاب والسنة عند القطع بصحته أي ذلك الكشف فانه حينئذ لا يكون موافقاً الا لها أما عدم القطع بصحته فمن حيث عدم عصمة الأخذ لذلك العلم فقد يكون دخل كشفه للتبليس من ابليس فان الله تعالى قد اقر ابليس كما قال الغزالي وغيره على أن يقيم للمكاشف صورة المحل الذي يأخذ علمه منه من سماء أو عرش

(٢) المطالب القدسية الشيخ محمد حسنين مخلوف ص ١١٩ - ١٢١

(١) صاحب القول هذا هو الامام الغزالي وهذه الفكرة هي الاساس الذي أقام عليه - الدكتور سليمان دنيا كتابه " الحقيقة في نظر الغزالي " .



أو كرس أو لوح أو قلم فربما ظن المكاشف أن ذلك العلم عن الله فأخذ به فضممه وأصل فمن هنا أوجبوا على المكاشف أن يعرض ما أخذه من العلم عن طريق كشفه لعل الكتاب والسنة قبل العمل به فإن وافق فذاك والا حرم عليه العمل به فعلم أن مسنن أخذ علمه من الشريعة من غير تلبس في طريق كشفه فلا يصح منه الرجوع عنه أبدا مسما عاش لموافقته الشريعة التي بين أظهرنا من طريق النقل ضرورة أن الكشف الصحيح لا يأتي دائما إلا موافقا للشريعة كما هو مقرب بين العلماء والله أعلم (١) .

من هذا نفهم أن المكشف سواء كان يقظة أم نياما لا بد أن يوزن بميزان الشرع فما وافقه كان ذلك الكشف تخصيصا من الله لصاحبه على اتباع هذا الوجه فلا يجوز له أن يحسد عنه والا فلا .

والشيخ يوسف النبهاني رحمه الله في جميع مرائيه النامية لم يذكر شيئا مخالفا للشرع بل كانت مبشرات النامية جميعها ليست أكثر من ترجمه لواقع حاله في مرائيه التي رآها أو انعكاسا لصورته في قلوب الناس في المرائي التي رؤيت له .

أما مكاشفات الشيخ النبهاني يقظة فلم يذكر لنا منها شيئا وإن كان أقاربه وأهالي قرنت يذكرون الكثير له ، ومن هذا القبيل ما أخبرني به الاستاذ محمد مصطفى النبهاني في ١٢ / ١١ / ١٩٧٤ من أن الشيخ يوسف كان إذا رأى جمالا قادمة من بعيد يعرف ما على ظهورها ونحن لا نكاد نراها بأعيننا .

هذا هو موقف علماء المسلمين في الروى النامية وقد اعتنوا به ووضعوا له التفاسير الكثيرة ونحن يقرأ في هذه التفاسير يجد أنهم كثيرا ما يفسرون بعضها مما ورد في الكتاب والسنة وقد أفاض العلامة عبد الرحمن بن خلدون في الكلام على حقيقة النبوة وحقيقة الكهانة ثم الروى ثم شأن العرافين وغير ذلك في مدارك الغيب )) ولم يخرج بكلامه عن مفهوم غيره من علماء المسلمين سوى أنه زاد عليهم بربط الأسباب بالمسببات وهو يضح يد القارىء على كيفية حصول الروى وكيف يعرف الكاهن والعراف والمصوفى ما لا يعرفه غيره وهو في كلامه عن هذه العلوم يجعلها أبعد ما تكون عن الوهم والخيال (٢) .

(١) علماء المسلمين والوهابيون حسين حلى آيشق ص ١٣

(٢) راجع مقدمة ابن خلدون ص ٩٥ - ١١٩

أما علماء الغرب فقد نظروا للأحلام والروى الملامية نظرة مختلفة عن علماء المسلمين وبعد سيجموند فرويد أشهر من درس الأحلام وحاول تفسيرها في كتابه المشهور وما جاء في مقدمته (( ..... )) فقد كان من المسلم به عندهم - المشهور الكلاسيكية (١) - أن للأحلام علاقة بعالم الكائنات فوق الانسانية التي كانوا يؤمنون بوجودها وأنها - أعني الأحلام تحمل كواشف من عند الآلهة والجن (٢) )) ويقول أيضا (( ما من شك أن نظرة القدماء قبل العلمية الى الحلم كانت تتسق ومجمل نظرتهم الى العالم بوجه عام أكثر اتساقا وهي نظرة تسقط على العالم الخارجى - فى صورة واقع - لا وقوع له الا فى باطن النفس .... ونخطئ بعد حين تظن أن نظرية الأصل الطبيعى تعد أنصارا فى أيامنا فأنا قد تغض الطرف عن الكتابة التى ~~تتضمن~~ والمتصوفين فهو لا يحق لهم أن يتعجبوا بالمواقع القليلة المتبقية من المجال فسوق الطبيعى الذى كان متسع النطاق يوما مادام نور العلم يفرزوها ولكننا نلاقى بعد ذلك رجالا ثاقبين ولا ولع لهم بالفرائب يحاولون أن يتخذوا من هذا الامتناع على التحديد وأعنى به امتناع ظواهر الحلم على التعميل - سنداء يدعون به ايمانهم الدينى بوجود قوى روحية تفوق الانسان بتأثيرها (٣) وفى مكان آخر يقول (( هناك على الاقل حقيقة لا نزاع فيها تلك هى أن المادة التى تكون محتوى الحلم إنما تستمد جميعها من الخبرة على نحو أمر آخر ٠٠ أى ٠٠ أن الحلم إنما يستحضرها أو يتذكرها (٤) ويقول أيضا : (( ان د راستا العلمية للحلم تبدأ من ذلك الفرض وهو ان الحلم نتاج لنشاطات النفس الخاص (٥) )) .

من هذا نلاحظ أن فرويد يجمع مادة الحلم فى النوم ناتجة عن الخبرة فى اليقظة وفى هذا مخالفة صريحة للنظر الاسلامى البسيط للحلم اذ بمقتضاه يكون ما أوحى بل الى الرسول صلى الله عليه وسلم فى النوم طيلة الستة اشهر الاولى من بعثته كان نتيجة خبرته الشخصية وكأنه حديث النفس . وفى هذا طمأن فى عصمة الرسول صلى

(١) أى البدائىة

(٢) كتاب تفسير الاحلام سيجموند فرويد ص ٤٤

(٣) المصدر السابق ص ٤٥ - ٤٦

(٤) المصدر السابق ص ٥٠

(٥) كتاب تفسير الاحلام فرويد ص ٨٣

الله عليه وسلم إذ أن الخبرة الشخصية للانسان قد تكون مبنية على خطأ أو صواب  
وعليه يكون صحة ما يأتيه في النوم ، وغيرها من ملاحظات كثيرة يجدها كل من يطلع على  
كتاب فرويد .

من هذا نلاحظ حقيقة من هجموا النبهاني لايمانه بالقيبيات والخوارق -  
النابعة من ثقافته الاسلامية البحتة وهم قد تثقفوا بثقافة غربية تختلف عن الثقافة  
الاسلامية في نظريتها للكون والحقيقة .

### تقديم لثقافة الاسلام السياسي :

لقد كان من الطبيعي أن يقف الشيخ النبهاني رحمه الله مع الخلافة العثمانية  
داعيا لها بالبقاء والحفظ وداعيا للسلطان عبد الحميد بطول العمر والنصر وغيرها  
ما يناسب الحال . وقد كان للمؤثرات الثقافية المختلفة في شخصية النبهاني السبب  
الاقوى لسيره في هذا المنهج وقد كان هذا هو الشعور العام في أوساط الشعب على  
اختلاف طبقاته باسم الدين وكانت الدولة العثمانية تجد لها مكانا في قلوب الناس وقد  
كانت معارضة الدولة العثمانية كافية لاتهام المعارضين بضعف الدين ومولات الغرب  
المسيحي .

يقول الأستاذ عبد الله النديم : (( لو كانت الدولة العثمانية مسيحية  
الدين لبقيت بقاء الدهرين تلك الدول الكبيرة والصغيرة التي هي جزء منها فليس  
الحقيقة ولكن المغايرة وسعى أوروبا في تلاشي الدين الاسلامي أوجب هذا التحاميل  
الذي أخن كثيرا من ممالك الدولة بالاستقلال أو الابتلاع . وانا نرى كثيرا ممن  
المفيلين الذين حنكتهم قوايلهم باسم أوروبا يذمون الدولة العلمية ويرمونها بالعجز  
وعدم التبصر وشو الادارة وقسوة الاحكام ولو أنصفوها لقالوا انها أعظم الدول ثباتا  
وأحسنها تبصرا وأقواها عزيمة فانها في نقطة ينصب اليها تيار أوروبا العدواني لأنها  
دولة واحدة اسلامية بين ثمانى عشر دولة مسيحية غير دول أمريكا وتحت رعايتها جميع  
الطوائف والاجناس والاديان وكثير من اللغات والفتن متواصلة من رجال أوروبا الى من  
يماثلهم مذهبيا أو يقرب منهم جنسا ، وكل دولة طامعة في قطعة تحتلها باسم المحافظة  
على حدودها ووقاية دينها ، مع اتساع أراضيها ، وعدم وجود السكك الحديدية  
المسهلة للتنقل والتجول وعدم وجود أنهر مستمرة الفيضان في غالب أراضيها ووجودها  
تحت رحمة الله تعالى ان شاء أمطرها فأخصبها أو منعمها فأجدبها وهذه أمور  
لو ابتليت بها معظم دول أوروبا ما قاومت هذه الصواعق أكثر من عام أو عامين وتسقط -

العلمية

وتتسلاشى (١) )) .

وقد كان بقاء الدولة العثمانية في عصر الشيخ النبهاني متجسدا ببقاء الاسلام  
وقد كان مفهوما أن من يحمل لتقويض هذه الدولة انما يعمل لتقويض بنيان الاسلام  
وقد أشار الى هذا الاستاذ أنور الجندى حيث يقول :

(( ..... لذلك كان رأى المصلحين دعم هذه الروابط ---  
الدولة العثمانية وتقويتها على الرغم من كل أخطائها من أجل القضاء على مؤامرة  
النفوذ الاجنبى وقد كان على هذا رأى جمال الدين الأفغانى والشيخ محمد عبده  
فقد كانا يريان ان فى ضياع الدولة العثمانية وتمزقها قضاء على دولة الاسلام الكبرى  
التي تحمل لواء الخلافة هذا فضلا عن أن الحملات العنيفة التي وجهت الى الدولة  
العثمانية انما كان مصدرها ذلك الاتجاه الذي خلقه النفوذ الاجنبى وجند له  
عددا من الكتاب والمفكرين وأغلبهم من متعصبى اللبنانيين والأتراك ورجال الدبلوماسية  
من هاجروا الى مصر وكانوا يعملون فى قصر عابدين والسقارتين البريطانية والفرنسية  
وهو مخطط معروف يوصل الى القضاء على الاسلام واللغة العربية ووحدة الدولة  
العثمانية ومن ذلك أن أول جمعية سرية تألفت لمقاومة العثمانيين عام ١٨٢٥ أنشأها  
قامت فى الجامعة الأمريكية فى بيروت وقد حملت لواء الجهاد العربى كوسيلة للقضاء  
على فكرة الجامعة الاسلامية فى ناحية ولتمزيق الدولة العثمانية واسقاط دولة الخلافة  
الاسلامية (٢) ))

ويقول الاستاذ مصطفى كامل : (( والذي ييغض الانجليز على الخصوص فى  
جلالة السلطان الحالى هو ميله الشديد الى جمع كلمة المسلمين حول رؤية الخلافة  
الاسلامية ومن ذلك يفهم القارى سبب اهتمام الانجليز بالافراد القليلين الذين  
قاموا فى المسلمين ضد جلالة السلطان الأعظم وسبب مساعدتهم لهم بكل ما فى وسعهم  
فان مشروع جعل الخلافة الاسلامية تحت وصاية الانجليز وحمايتهم هو مشروع ابتكره  
الكثيرون من سواهم منذ عهد بعيد وقد كتب كتاب الانجليز فى هذا الموضوع ومنهم  
مستربلانت المعروف فى مصر فقد كتب كتابا قبل احتلال الانجليز لمصر فى هذا المعنى  
سماه ( مستقبل الاسلام ) وأبان فيه أغراض حكومة بلاده وأمانى الانجليز

(١) الاستاذ عدد ١٧ يناير ١٨٩٤

(٢) عبد العزيز جاووش الاستاذ أنور الجندى ص ١٩ - ٢١

في مستقبل الاسلام وقد كتب في فاتحه كتابه :

لا تقنطوا قاله رينشر عقده ليعود أحسن في النظام وأجملا  
أى ٠٠ أن : هدم السلطنة العثمانية لا يضر بالمسلمين بل ان هذا العقد  
العثماني ينشر ليعود عقدا عربيا أحسن وأجمل ولكن ما لم يقله المستر بلانت هو  
أن قومه يريدون هذا العقد العربي في جيد بريطانية لا في جيد الاسلام .

وبين المستر بلانت أيضا (( أن مركز الخلافة الاسلامية يجب أن يكون مكية  
وأن الخليفة في المستقبل يجب أن يكون رئيسا دينيا ، لا ملكا دنيويا (١) )) .....  
أى : أن الامور الدينية تترك لانجلترا لتدبر أمورها كيف تشاء ، ويعقب المستر بلانت  
على ذلك بقوله (( ان خليفة كهذا يكون بالطبع محتاجا لحليف ينصوه ويساعده وما ذلك  
الحليف الا انكلترا )) .

والجملة فحضرة المؤلف لكتاب ( مستقبل الاسلام ) يرى - وما هو الا مترجم  
عن آمال أبناء جنسه - أن الأليق بالاسلام أن ينصب أنكلترة دولة له ولهم يبق للمستر  
بلانت الا أن يقول بأن الخليفة يجب أن يكون أنجليزيا )) .

وقد كان الولاء للخلافة العثمانية هو الطابع العام للعصر حتى أن الاحزاب  
الوطنية كانت تضع الولاء للسلطنة في أول بنودها وأنها لا تستطيع البقاء بدونه .

يقول الاستاذ أنور الجندى (( ..... وأغلب الظن أن الحزب الوطنى الأول  
تأسس عام ١٨٧٩ وكان يقود حركة المعارضة داخل مجلس شورى القوانين وكان طابع  
برنامج هذا الحزب هو (( ولاء الوطنيين للسلطان العثمانى وخذ يوى مصر ))  
والحفاظة على العلاقة الحسنة بين مصر والسلطنة وقد أعلن أنه حزب سياسى يضم  
كل من يرث مصر ويتكلم لغتها .

وهكذا برز التيار القومى المصرى فى خلال الاتجاه الاسلامى العام غير منفصل  
عنه ولكنه متميز بملامحه ، ولقد أكد الحزب الوطنى ثلاثة أمور تأكيذا حازما وجعلها  
اسمه التى لم تتغير وهى :

- ١ - ايقاظ الامة المصرية من حيث هي كيان له طابعة الواضح الكامل .
- ٢ - مقاومة الانجليز ومخاصمتهم خصومة كاملة حادة لا تسامح فيها ولا صهانة .
- ٣ - تأكيد الروابط الثقافية والروحية والسياسية مع الدولة العثمانية ودولة الخلافة (١)

وقد كان الزعيم المرحوم مصطفى كامل من أكبر الدعاة للتمسك بالرابطة العثمانية وكثيرا ما يجعلها والعقيدة الاسلامية متلازمين فيقول : - (( أما : اوجب العثمانيين والمسلمين أمام عدوة ائكترة لئلا دولة العلية فيبين لا ينكره الا الخونة والخوارج والدخلاء فواجب العثمانيين أن يجتمعوا جميعا حول راية السلطنة الستية وأن يدافعوا عن ملك بلادهم بكل قواهم ولو تفانى الكثيرون منهم في هذا الغرض الشريف حتى يعيشوا أبد الدهر سادة لا عبيدا وواجب المسلمين أن يلتفوا حول راية الخلافة الاسلامية المقدسة وأن يعززوها بالاموال والارواح ~~فحفظ~~ كرامتهم وشرفهم في بقاء مجدها رفعتهم ورفعوا العقيدة الاسلامية (٢) )) .

وقد كان المصريون من أكثر الناس تمسكا بالرابطة العثمانية التابعة مسن العقيدة الاسلامية لذلك لم ينجح الانجليز في قطع العلاقة بين المصريين والخلافة العثمانية ومصور كرومر في كتابه " مصر الحديثة " سعة انتشار فكرة الرابطة الاسلامية بين المصريين واعترف بما تتمتع به الخلافة التركية من نفوذ واسع في مصر حيث تكلم عن الحجاب الكثيف من التعصب الديني الذي يقوم به الانجليز الراغب في اصلاح مصر (٣) وتكلم عن تمسك المصريين بعقيدتهم الاسلامية المتغلبة على الوطنية بمعناها الاقليمي والتي تؤمن بالوحدة الكاملة بين المسلمين في سائر أقطار الارض (٤) وتكلم في موضع آخر من كتابه عن هيبة المصريين المركزة في أعماق نفوسهم للترك المستعمرين (٥) وعن عطفهم على الخليفة التركي كلما وقع في محنة مستشهدا على ذلك بما حدث سنة ١٨٩٢ حين عارضت انجلترا حدود القومان التركي ، وفي سنة ١٩٠٦ حين اختلفت انجلترا وتركيا على حدود مصر الشرقية في سيناء فقد أثار شعور المصريين - كما يقول - أن -

(١) عبد العزيز جاويز الاستاذ أنور الجندی ص ١٢ - ١٣

(٢) المسافة الشرقية ص ٣٣

تدل دولة مسيحية خليفة المسلمين (١)

أما بلاد الشام فقد كانت تابعة للدولة العثمانية لذلك لم يكن هناك داع لظهور عاطفتها نحو الخلافة بالإضافة إلى أن مصر كانت مستعمرة للإنجليز ومن قبلهم للفرنسيين الذين بقوا غرباء عن مصر على رغم ما جلبوا معهم من معالم الحضارة الجديدة (٢)

ما أجمع في قلوب المصريين محبة الخلافة العثمانية والتمسك بها لأنهم البديل عن الولاة لهمؤلاء الغرباء الفرنسيين والإنجليز حتى أن الوالى محمد على باشا لما كان له أن يبقى في مصر لولا رضا السلطنة العثمانية عليه لذلك بقي هو وأسرته من بعده على ولاء كامل للسلطة العثمانية وقد كان هذا الشئ واضحاً في مصر حتى أن كل من أراد أن يجرى تغييراً لا يضمن نجاحه إلا بعد موافقة الآستانه فصرابي كان أول بيان له في ثورته هو الولاة والطاعة للآستانه والآنجليز كانوا يحاربون عرابيا بحجة أنه خرج على الباب العالي ( ) وقد فزع سفارتهم ففى الآستانه ألف ليرة انجليزية ١٨٨٢ للأستاذ أحمد فارس الشدياق - فنشئ الجواب - نيطيح صورة المنشور الذى صدر من الباب العالي بإعلان عصيان عرابى باشا لاثارته نار الفتنة فى وادى النيل فكان ذلك سبباً لانكسار عرابى وسقوط مكانته فى عيون المسلمين عامة والمصريين خاصة (٣)

وقد كان للخليفة العثمانى كل المحبة والولاة سواء فى مصر أو بلاد الشام وإذا كان الشعب هم الناطقين بلسان حال مجتمعهم فنحن نجد الكثير من القوائد التى قيلت تظهر المحبة والولاة للخلافة العثمانية فهذا شوقى يقول :

أيـه عبد الحميد جل زمان أنت فيه خليفة وامام  
عمر أنت بيدك أنك ظـل للبرايا وعصمة وامام (٤)

ويقول حافظ فى قصيدته له فى عيد تأسيس الدولة العلية سنة ١٩٠٦ :

لقد مكن الرحمن فى الأرض دولة لعثمان لا تنفخ ولا تتشمب  
بناها فظنتها الد رارى منزلاً لبث رالك بجن تبني وللسمد تنصب  
وقام رجال فى الإمامة بعده فزادوا على ذاك البناء وطنبوا  
أسود على البسفور تحمى عرينها وتبى نيام الشرق والغرب يرقب (١)

(١) مصر الحديثة ج ٢ ص ١٣٩

(٢) المرجع السابق ج ١ ص ١٣٢-١٣٣

ويقول محسن

وأى شعب يساوى الترك والعرب  
لا مجد من بعده أن ضاع أو ذهب  
فجدد العهد واللق الحب والرغب  
على سواك لقينا الحين والغطب (١)

يال عثمان من ترك ومن عرب  
صونوا الهلال وزيدوا مجده علما  
ياتاج عثمان ان اليوم موعدا  
لوضاع عهدك أوحام الرجاء بنا

وقال أيضا :

والأرض تشرف فوقها الاعلام  
والناس فيهم منسم وسنام  
للملك ما وهبت له الايام  
وكذاك يحصى غيله الضرفنام (٢)

إنا بنى عثمان أعلام السورى  
انا السنام اذا الانام تفاخرت  
عبد الحميد أتاح فى أيامه  
ما زال يحصى حوضه مذ جاءه

ويقول الناكش فى قصيدة له فى عيد جلوس السلطان عبد الحميد سنة ١٩٠٠ :

بك صار فى عزوى اسسبتكبار  
كم للحوادث فيه من أد وار (٣)

يا ناصر الاسلام ان زماننا  
ومعيد أن وار الشباب لموطن

ويقول نسيم فى قصيدة له فى تهنئة السلطان عبد الحميد بعيد الفطر :

فزاده الله تثبيتا الى الابد  
وأنت تحصى ذمار القانع الخصد (٤)  
حتى زهى بك واستدري الى سند (٥)

أقمت عرشك بين الحق والسدد  
فكيف تفرغ فى الدنيا لطائفة  
وقد أعدت الى الاسلام نفرتيه

نشرت

ويقول عبد المطلب فى قصيدة له فى تهنئة السلطان عبد الحميد بعيد الدستور :

عبد الحميد بدولة الاحرار  
لرأيتها خيرا من الاخيار (٦)

ياعيد حى وأنت خير نهار  
لولا أمير المؤمنين يحوطها

(١) الديوان ج ٢ ص ٤

(٢) الديوان ج ٢ ص ٣٣

(٣) الديوان ج ١ ص ٨١

(٤) الخصد الما جزعن النهوض

(٥) الديوان ج ١ ص ١٦

(٦) الديوان ص ٩٣ - ٩٤



ويقول الشيخ يوسف النبهاني في تقديمه لديوان الشيخ محمد أبي الهدى الهادي:

( ويقول الشيخ الهادي من قصيدة له في السلطان عبد الحميد رحمه الله :

حتى أتى ملك الملوك أمامنا	عبد الحميد الظافر المنصور
ورث الخلافة بانعقاد البيعة	الفرى بها التمهليل والتكبير
وهي به الكرسي وهو معظم	وبه تفاخر منبر وسرير
والملة السمحان ملة أحمد	مختار يهشعها وسرور
والكعبة الفراء وزمنه والصفنا	والبيت حتى زائر ومزور
والجود والاقطار والاكشاف	سبر الفسيح وسحرها المسجور
بلسان حال للخليفة كلهم	يدعو وكل حامد وشكور

..... فجمعت هذا الديوان ليكون أثرا في أعتاب الملك المجاهد العظيم الاعظم والسلطان الفاروق الأفخم ، شيد مآله المحروسة على الأساس الأقوي من العدل والفضل والتقوى ظل الله الظليل في أرضه ، المنوط به اجراء سنته وفرضه المتصل سببه بالخلافة العظمى الى سيد المرسلين نائبه عليه السلام في حماية الاسلام والمسلمين من مكن الله له في البلاد واقترض طاعته على المباد ، وجعل مخالفة مناهية وأوامره حجرا محجورا ، والخروج عليه أو على أمرائه بغيا محظورا ، وناط به كثيرا من أحكام دينه القويم دين الاسلام ، وتوجه بتاج الامامة الكبرى التي عليها مدار صلاح الخاص الخاص والعام وجعله أكثر الملوك عدلا ، وأغزهم فضلا ، وأحسنهم اخلاقا وأصلهم أعراقا ، وأكرمهم أبا واجدادا ، وأشرفهم ممالك وبلادا ..... الا وهو السلطان الامجد والخليفة الاسعد المقتدر بالقدره الربانية المعترز بالعرزة الالهية ، ناصر الشريعة المحمدية ، أمين الله على البرية ، فرع الشجرة العثمانية التي أصلها ثابت وقومها في السماء حامى الملة الاسلامية التي فاقت سائر الامم سنا وسنا ، خادم خادم الحرمين الشريفين المقتدى بسيرة المهديين أمام المسلمين أمير المؤمنين .

أجل الوري عبد الحميد مليكتنا	مجدد هذا الدين أحسن تجديده
أتى وعاد الملك واه لحكمه	فشيده بالحزم أرفع تشييده
وأذكرنا عبد الحميد وعد له	فقلنا سليمان أتى بعد داود
شهدت ولم أشهد على الغيب أنه	أجل ملوك الارض بالعدل والجود
وأشرفهم اصلا والا فقل لهم	ليأتوا بأبائهم كما يأتى الصبيد
فمن منهم في الاولين كفاتنج	ومن منهم في الآخرين كمحمود

لئن حمد الحساد مظهره فمسا  
علا في سرير الملك بالعدل والتقوى  
فلا زال بالحفظ الالهى قائما  
ولا ريب أن الله ناصر حزبه  
فدام له في ربه خير مسعد  
وأنا شرفا غيره غير محسود  
وباب لابعاد المظالم مسرور  
بعرز على هام السعادة مسدد  
وأن له من لطفه خير تأييد  
وطالعه في العز أشرف مسعود

فله دوه من سلطان عظيم القدر والشأن منذ جلس على سرير الملك وفوض اليه  
أمر الحرب والروم والترك لم يزل لصيانته دولته من الحوادث وحماية رعيته من الكوارث ،  
يعمل رأي السديد وتدبيره الحميد بقرحة صائبه وأفكار ثابتة في ليله ونهاره ويكوره -  
وأسحاره ومسائة وصباحه وغدوه ورواحه ، رافضا طريقة الاستبداد ، غير مكثف برأيه  
وان كان في غاية السداد ، مشاورا رجال دولته في كل أمرهم وحادث ألم ، حتى  
غدت الدولة ولن تزال ثابتة الاساس والروايا متممين بكمال الراحة والامن على اختلاف  
الاحناس ، هذا مع رغبته أيدى الله في الفنون والمعارف ، وبذله عليها الرغائب  
والموارف ، وتوجهه الى نشرها في أقصى ملكه وأدناه وعمومها في جميع رعاياه وحبسه  
نصره الله للعلم والعلماء والفضل والفضلاء لاسيما العترة النبوية والسادة الصوفية  
كشيخنا صاحب هذا الديوان فان أمير المؤمنين أدام الله نصره ورفع في الدارين  
قدومه لما أطلع على حقيقته وعرف صفاء سريرته غمره بنعمه الوافرة وشرفه بجعله مسامره فلا  
شك أنه هو السلطان المثلثي بقول حبيب الرحمن " السلطان العادل المتواضع  
ظل الله وروحه في الأرض يرفع له عمل سبعين صديقا " فنسأله تعالى أن يحفظه  
في دولته وفريقته ونفسه ويديم له أسباب فرجه وأنسه ويجعل مستقبله خيرا من ماضيه  
وينصر عساكره ويقهر أعاديته ، ويوفق عماله ورعيته لما فيه رضاه ويبلغه في كل فتح ونجح  
غاية مناه انه جواد كريم رؤف رحيم وصلى الله على سيدنا محمد النبي الامي وعلى  
آله وصحبه أجمعين والحمد لله رب العالمين (١)

ولم يكن هو " وحدهم الذين مدحوا الدولة العثمانية والسلطان عبد الحميد  
بل لم يخل ديوان لشاعر عاش زمن السلطان عبد الحميد وعنده شيء من العاطفة  
الاسلامية الا ومدح السلطان عبد الحميد وجعله محط الامال والمنقذ أو اشاد  
بالدولة العثمانية داعيا لها بالبقاء لاعدائها بالقضاء ، ولا شك أن ارتباط الدولة  
العثمانية بالاسلام وجعله تشريعا جعل قلوب المسلمين وعواطفهم تتضامن وتتكتل لها  
مما جعل السلطان عبد الحميد يعلن الجامعة الاسلامية سلاحا يشهره في وجهه  
أعدائه .

والسلطان عبد الحميد رحمه الله كثيرا ما يذكر الشرع الشريف ووجوب العمل

به في كتب التكليف التي يوجهها لوزرائه كما في الكتاب الموجه الى مدحت باشا الذي جاء فيه " وزيرى سمير المطالى مدحت باشا ان التدنّيات المارضة منذ زمان على قوّة د ولتقا العملية قد نشأت من الفوائىل الخارجيه ..... فلذا كان والدى الماجد الفرحوم عبد المجيد خان أعلن مقدمة للإصلاحات خط التنظيمات الذى منج فيه للعموم الامن على نفوسهم وأموالهم وأعراضهم وناموسهم كما يوافق أحكام الشرع الشريف المقدسة ..... الخ "

ومع الاحداث التى توالى بعد خلع السلطان عبد الحميد ومجى أخيه محمد رشاد وخيبة الامل التى منى بها الناس فى الإصلاح والتى صورت بقصيدة قالها فارس الخورى بعثتوان " ايها العدالة " . جاء فيها :

فبين الناس جور وأعتسدا	عزيز القوم يعبت بالذليل
وسوق النور راعجه وفيها	يباع الحق بالثمن القليل
لقد حلفوا اليمين وأخرجوه	على الاخلاص والحنم الاصيل
الا سرعان ما حنثوا وما نـ	وعادوا للخيانة والخمـ
ومدوا للرها كفا خـ	وباعوا بالنضار دم القتيـ (١)

وقد بقى الاتحاديون مسيطرين على الخلافة منذ عام ١٩٠٩ - ١٩٢١ حيث قاد مصطفى كمال أتا تورك الانقلاب الذى أظهر عداهم للإسلام سافرا حيث أوردت مجلة الفتح ما نصه :

" نشر حضرة صاحب الفضيلة العلامة الكبير الاستاذ الشيخ محمد شاكرا الكلمة الآتية فى صحيفتنا ( الاخبار ) الفرا : وجه الينا خطاب مفتوح فى " اشبار " الثلاثاء أول نوفمبر سنة ١٩٢٧ ( فيما يجب اخذاه حول مخلفات المصطفى صلى الله عليه وسلم التى كانت وديعة عالية لى دولة الخلافة الاسلامية بعد ما أنقلبت جمهورية لا دينية وبعد ما صرح رئيس تلك الجمهورية علنا وعلى رؤوس الاشهاد بأن لم تبق لتركيا علاقة بالدين الاسلامى الحنيف وبعد ما أعلن الحرب على الاسلام فألقى بالقرآن الكريم من يده فى غرفته التى هو فيها وحرش المرسلين المسيحيين (٢) على التبشير بانجيلهم فى الجامعات الاسلامية لحمل المسلمين على اعتناق الدين المسيحى

(١) شعراء الحماسة والحروية فى بلاد الشام ص ٣٤ - ٣٥  
(٢) مجلة الفتح عدد ٧٠ السنة الثانية ١٠ نوفمبر ١٩٢٧ ص ٧ وقد تتبع الاستاذ محب الدين الخطيب هذا الموضوع فى مجلته فليراجع

كل هذه المتغيرات التي حدثت بعد السلطان عبد الحميد تجعل كل من عنده شعورا اسلاميا يترحم على السلطان عبد الحميد وعهده الذهبي وقد وضع الكاتب اليهودي اليا هو جرانيت هذه المتغيرات بالنسبة لفلسطين فقال أنظروا اليها اليوم ليخبركم الذين أوتوا العلم عن حالها كيف كان قبل الحرب العالمية أى آدمى يقول بإمكان المقابلة بين الامس واليوم ، لقد كان التركى رجلا حالما كان شاعرا أو فيلسوفا بل كان قد يسا اذا قول ببعض الذين يطلقون عليهم لقب " رجال الدولة " أولئك الفضوليين الذين عرفتهم البلاد في العشرين السنه الاخيرة أقرأوا ، كتب الرحلات لخمسین أو مئة سنة قبل ١٩١٧ وتأملوا في العوائق المتعددة والقدر الحقيق والمادية السفبة التي كان يلقاها الرحالة في طريقه ومع أدلائه ثم قابلوها بولايات الادارة الاوروبية السيئة في السنوات الاخيرة بفلسطين ان تلك الجزئيات والصفائر التي كانت تقع في سنى ما قبل الحرب لا شبه شىء بحيث الطيور المستضعفة بالنسبة لما تقوم به الانمار والضباع والطيور الجارحة (١)

وقد وضع الكاتب اليهودي نفسه جانبا اخر من هذه المتغيرات فقال مخاطبا الانجليز : " ان احد أبنائك وهو موظف في ناحية من البلاد أخبرنى أن أحسدى مهماته أن يحوكل أثر لبيوت الضيافة في القرى تلك المواطن المتواضعة للاخسوة والديمقراطية لانه يمد لها متعده وضارة بالامبراطورية (٢) "

وفي مكان آخر يقول " هل الفلسطينيون شعب غير صالح ؟ هل تعتقدون حقا ان هؤلاء الفلاحين ارحابيون ؟ أتذكرون التمجيد الذي استقبلوكم به واستقبالهم رسالة العدل والسلام فيكم سنه ١٩١٧ ان بعض اشرائكم يذكرون ولكن ليس فيكم عدد كاف من الاحباء الذين يذكرون أو يتقون أو يفهمون ؟ (٣) "

من هذا المفهوم نفس سبب تعلق الشيخ يوسف النبهاني بالدولة العثمانية فهو ولد وترعرع في قرية اجزم المعروفة بولائها للدولة العثمانية ثم درس في الأزهر وعاش في مصر المعروفة بولائها للدولة العثمانية في خلال عاطفتها الدينية المفطورة عليها . والنبهاني قد عاش شبابه وشيخوخته في عهد السلطان عبد الحميد

(١) يقصد الانجليز حاضره فلسطين اليا هو جرانيت ترجمة منير الهمليكي ص ٢٩

(٢) حاضره فلسطين ص ٢٣

(٣) المرجع السابق ص ٢٧ .

المعروف بتصرفه .

تقديم

كل هذه العوامل أسهمت مع ثقافته الدينية البحتة في تقديمه لنظام الاسلام السياسى المتمثل في الخلافة العثمانية المتمثلة في شخص السلطان عبد الحميد حتى اذا قام الاتحاد يون بالانقلاب على السلطان المذكور وخلعوه خلع معه في نفس السنة الشيخ النبهاني فكان المصائب قد وجدت بين الاثنين ثم ما كان من سيطرة الاتحاديين على الخليفة وابتعادهم عن الاسلام شيئا فشيئا ثم ضياع بلاد الشام ووقوعها تحت الاستعمار الفرنسى والانجليزى ثم وعد بلفور وتصاد وكثرة الهجرة اليهودية الى فلسطين ثم قيام الزعيم التركى مصطفى كمال اتاتورك بالانقلاب والفساد الدين الاسلامى من دولة الخلافة كل هذا وفيه عمق في نفسية النبهاني تقديمه للنظام الاسلامى السياسى بديلا لكل هذه المصائب التى لم تقو على الظهور ففى ظله ومن الجدير ذكره ان الشيخ النبهاني رحمه الله لم يكن يرى له وطنا محددا وان كان يحن الى مسقط رأسه وملاعب صباه ، ولكنه كان يرى أن جميع المسلمين حيثما وجدوا هم اخواته حيثما وجد الاسلام فهو ملتمم بالاسلام معننى ومبنى وهو الذى يقول :

” ..... ووجه ذلك أن الحسن عندنا معاشرا المسلمين ما وافقناك الشرع والقبيح ما خالف الشرع والعصر الذى يستحسنه الشرع هو الذى تجرى فيه أحكامه ويطلب على الناس فيه الدين ولطاعة الله تعالى واجتناب مناهية (١) ”

فالشيخ النبهاني كان وطنه الاسلام حيثما وجد ، وقد تكلم عن وطنية الايمان والحركات الوطنية في العالم الاسلامى التى جعلتها مبدأها بدلا من الوطنية الاقليمية الضيقة ، وقد تكلم عن هذا الموضوع الاستاذ محمد عطية خميس في كتابه مؤامرات ضد الاسرة المسلمة (٢)

وفي قصيدته التى قالها في مدح أبى الهدى الصيادى مصورا تغير الاحوال في دار الخلافة والزراية التى تلحق بالعرب الذى كان يكرم في زمن السلطان عبد الحميد لكون الرسول صلى الله عليه وسلم عربيا في هذه الابيات التى أصبحت

(١) شواهد الحق ص ٣٨

(٢) مؤامرات ضد الاسرة المسلمة ص ٤٧ - ٥٠

مثلا يستشهد به كل من يورن لتفسير الاحوال بعد السلطان عبد الحميد وهذه -  
الابيات هي :

وتمت دار الملك أحسب أنها	الى الان لم تبح الى المجد سلما
فألفيتها قد أفترت في ربوعها	ولم يبق فيها الفضل الا توهمها
حوت قوم سوء أسلموا أي نفوسهم	الى الكفر الا من له الله سلما
وألفت فيها أمة عريضة	يرى القوم منها أمة الزنج أكرما
وما تقموا منابتى المرب خصلة	سوى أن خير الخلق لم يك أعجما
ولكن حجاب الحقد أعمى قلوبهم	فلم ينظرونا من وراء حجب العمى
بنو اللؤم أنى ما تكلمت هاجيا	ولكن قلبي من جفاكم تكلمها
ولو لم يكن قصدي مدح أبى الهدى	لجرتكم لو ذقتم الهجو علقما
فأنى على رأى لزوم هجائكم	أرى المدح في فرع النبوة الزما (١)

هذه التسمية أبيات كل بيت منها هو خلاصة معان لو فصلتها لاستوعبت صفحات كثيرة ، كل بيت فيها كاف لان يكون قصيدة طويلة في موضوعة ، وقد كانت هيذبة الابيات نفاذة فقد شاعت وانتشرت بين الناس لقوة صياغتها وعاطفها فقد خرجت من قلب مقروح اعتصره الالم وأصيب بخيبة أمل مريرة كما في البيت الاول والثاني كمسا أن من أسباب انتشارها أنها جاءت معبرة عن مشاعر الناس وأحاسيسهم وكأنهم وجدوا فيها ما يعبرون به عن مشاعرهم والامهم المكبوتة التي وجدت في هذه الابيات ضالتها المعبرة عنها .

ولو أن الشيخ يوسف النبهاني رحمه الله اكثر من شمه في هذا الموضوع لكان أمامنا ثروة قيمة ناطقة بما في قلوب المسلمين ازاء هذه التفسيرات . ولكنه رحمه الله كان يميل الى الايجابيات في معالجة القضايا التي يتعرض لها بدلا من السلبيات وهذا واضح في البيت الاخير حيث يقول :

(( وانى على رأى لزوم هجائكم ..... أرى المدح في فرع النبوة اعظمها ))

(١) قصيدة مخطوطة بخط الشيخ عبد الهادي عبد الهادي راوية شعر الشيخ يوسف النبهاني حصلت عليها من الاستاذ اكرام وعيتر عفيفير الاوردن في بيروت عام ١٩٧٤ م .

فهو مع اقتضائه بهجائهم يرى أن مدح أبي الهدي الصيادي الذي هو من آل البيت أفضل من تعداد مثالب لأتراك • وهذا الاتجاه يسير عليه الشيخ يوسف النبهاني طيلة حياته مع مؤلفاته فهو يدل أن يشغل وقته وفكره ببيان السبل والخطأ في عصره في مختلف المجالات ينصرف إلى الكتابة حول شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم فقط • ولسان حاله يقول : هذا هو البديل وهذا المنهج في الإصلاح هو أحدث ما توصلت إليه مناهج التربية الحديثة التي تقوم على أساس أن تعلم الطفل الفضيلة بدلا من أن تنهيه عن الرذيلة فالشيخ النبهاني رحمه الله بفطرته الإسلامية النقية وفقى إلى الأسلوب السليم لإصلاح مجتمعه •

### حالته المالية :

لقد كانت أسرة " النبهاني " في " أجزم " مغمورة من الناحية المادية ولكنها مشهورة بالعلم والفضل إذ توجه الكثير من أبناءها إلى الأزهر الشريف لتلقي العلم فيه وهي الأولى بين الأسر الأخرى في هذا الغرض • ويبدو أن المقصد المادية للشيخ إسماعيل النبهاني والد الشيخ يوسف كانت تسمي له بإرسال ولده للأزهر •

سمع

فقد ذكر الشيخ يوسف أن والده قد كفاه مؤنة العيش في مصر (١) ويبدو أن ما كان ينفقه عليه والده كان قليلا إذ روى لي الشيخ محمد نصر الخطيب كما حدثته الشيخ تقي الدين النبهاني سنة ١٩٤٠ في خيفة قصة مفادها : أنه عندما كان الشيخ يوسف النبهاني في استنبول سمع به أحد الكبار فاستدعاه لتعليم أولاده ولما عرف أنه كان في مصر يطلب العلم في الأزهر قال له لقد كنت في تلك الحقبة في مصر فلماذا لم تتصرف علي ؟ فقال الشيخ يوسف : لو عرفتني في مصر لما عرفتني فستبين الاستانة يعني أنه كان طالبا صغيرا وفي الاستانة أصبح عالما كبيرا " وفي فترة وجوده في الاستانة اشتغل في تحرير جريدة الجوائب وتصحيح ما يطبع فيها وكان يتقاضى مرتبا لا بأس به وقد وعده الأستاذ أحمد فارس الشدياق بزيادة مرتبه أو مشاركته فيها مقابل بقاءه معه ولكنه رفض إذ عين قاضيا في كوى سنجق في شبيل العراق ونظرا لعدمه في القضاء موظفا فقد كان يتقاضى مرتبا لا بأس به خصوصا أنه

(١) أسباب التأليف من العاجز الضعيف ص ٣٣٣

سرعان ما ترقى في سلم القضاء فأصبح رئيس محكمة الحقوق في ولاية بيروت فكان مرتبه ٣٥ ليرة ثم خفضت رواتب القضاة فأصبح ٢٤ ليرة (١) ولكن كثرة مؤلفاته واحتياجه الى طبعتها أوقعه في ضائقة مالية لان كتبه كانت تطبع اما على نفقته الشخصية أو على نفقة بعض المحسنين وتوزع مجاناً أو يطبعها التجار وى الرسالة التي بعثها الشيخ أحمد حسن العظامى رضى الله عنه الى الشيخ النبهانى اشارة لذلك حيث يقول " . . . . . وحمدنا الله على عافيتكم وعرفتم وصول كتابنا اليكم وفرحكم بذلك وسروركم فهنوا لكم بما هناك من قوة الرابطة بينكم وبين المتبوع الاعظم صلى الله عليه وسلم وبين المنتسبين اليه صورة ومضى ٠٠ من أهل الاسلام ، وشكواكم مما تحملته من الديون في طباعة الكتب وارسالها الى الافاق ان شاء الله يحصل الفرح بلا حرج وقد أوتيت الى ركن شديد وى حسن الرجاء من ذلك الجنب ما يغنيكم ويكفيكم وان تحركت البشرية وضاق الصدر فقالوا يامعط لا تبطل وما هناك الا السلامة ان شاء الله والكتب فى طريق جدّة وصندوق الكتب الذى من طريق عدن وصل وسنمتمد ما عرفتم فى تفرقتها فى مظانها مع طلب الدعاء لكم ولحضرة عبد الفنى باشا بيضون البيروتى " وهو الذى دفع ثمن تلك الكتب " بأن الله ييلفكم ويبلغه جميع الآمال فى جميع الاحوال فى لطف وعافية وايماناً أمين (٢) " .

ويبدو أنه كان معروفا لدى من لهم صلة بالشيخ النبهانى أنه يتحمل الديون لأجل نشر مؤلفاته التى لم يتخذ لنفسه حق التأليف والنشر فيها بل جعلها لجميع المسلمين بشرط جهود الطابعة ورخص الثمن . لذلك أرسل له السلطان عبد العزيز سلطان المغرب مساعدة مالية ذكرها الشيخ النبهانى فقال : " أعلم أنه ورد أن - التحدث بالنعم شكر وأن من أسديت اليه نعمة فذكرها فقد شكرها ومن سترها فقيدها كبرها " ثم ذكر تفصيل زيارة السلطان عبد العزيز لحيفة قادما من بيروت لأجل زيارة الشيخ يوسف النبهانى ثم قال " . . . . . وفارقنا بسرعة بعد أن خلف لنا مع الاسف لفراقة الفخر التام الذى لا ننساه على مرور الايام ثم بعد مرور نحو ثمانية أشهر جاتنى منه مكتوب صاد رعن محل اقامته بمدينة طنجه وهذا نصه

(١) اسباب التأليف من العاجز الضعيف ص ٣٣٤

(٢) جواهر البحار ج ٤ ص ٣٤٥ - ٣٤٦



" الحمد لله وحده وصل الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم • التقيته  
الاجل والاستاذ الاكمل الشيخ يوسف النبهاني سلام عليك ورحمه الله وبركاته ونعميد  
فموجبه تجديد العهد بكم والسوء الى عن أحوالكم أجراها المولى جل جلاله وفق  
مرادكم آمين ولا زلنا متذكرين متشكرين للسويحات التي اجتمعنا فيها ونحن على نية  
المودة ان شاء الله لتلك البلاد والاجتماع بكم جمعنا الله كما تحب ونحب ويصلك  
صحبته حق مختوم تذكرة منا لكم تسنا من صالح أدعيتكم والسلام في ١١ ربيع الثاني  
عام ١٣٢٩ "

وقد استلمت الحق المذكور فوجدت فيه مقدار من الطيب وساعة ذهبية ذات  
قيمة •

وهي وان لم استعملها تعد هدية فاخرة ومع ذلك ورقة بنك بجائه ليرة انكليزية  
قيمتها وأوفيت بها دينا كنت عاجزا عن وفائه (١) فهذه الهدية وان كنت أشكره  
عليها الشكر التام لكونها بلا طلب ولا سبب ولا اشارة ولا عبارة ولا وجه من وجوه الكلام  
أعدها من مكارم أكرم الخلق وحبيب الحق جعلها الله على يد من اختاره من عترته  
النبوية وسلالته الزكية جائزة لشاعر جده الاعظم صلى الله عليه وسلم •

كما ذكر الشيخ النبهاني أنه ارسل من مؤلفاته الى السلطان عبد العزيز  
ليبيها له في طنجة يقول الشيخ النبهاني :

" فأرسل الي من قيمتها مائة ليرة وفرقها مجانا (٢) " كما أرسل له السيد  
حامد بن علوي البار الحضرى يقول الشيخ النبهاني " هو من أعيان ساداتنا  
بالعلوي وعلمائهم ومن أكابر تجار عدن وفضلائهم أرسل الي هدية هذا العام بسدود  
طلب خمسا وستين ليرة مصرية (٣) • "

وحي بيروت شاهدت لدى الاستاذ خير الدين الزركلى أوراقا مخطوطة من ضمنها  
ورقة بعنوان " الشيخ النبهاني " مكتوب فيها " بعث اليه المولى عبد الحفيظ  
مع الشيخ عبد الحى الكتاني بخمسين لويزا ذهبيا فاستقلها وكتب اليه بعد الافتتاح

(١) البشائر الايمانية في المبشرات النامية ص ١٥ - ١٦

(٢) الدلالات الواضحات ص ٣

(٣) المرجع السابق •

الى مولاي عبد الحفيظ ملك فاس السابق حفظه الله ووفقه لنا بحبه ومرضاه  
من كل خير تمناه وكفاه شرعناه آمين :-

اعبد الحفيظ ملك البورى	وأنت الكريم ونسل الكرام
أتتني خمسونك المرسلات	على يد ذاك الامام الهمام
تناولتها مثل شرب الدواء	بدون ابتهاج ودون ابتسام
أخوك العزيز <sup>(١)</sup> حبانى النهى	بدون سؤال مئات جسام
سأبقى لاحسانه شاكرا	وتشكره بعد موتى العظام
وأنت كذلك أهل الثنا	ولكن عطاؤك أهل الملام

قالها بغمه ورقمها بقله يوسف النبهانى في غرة رجب ١٣٣٢ سأوجه الى بيروت  
وأبقى فيها مدة الصيف ثم أرجع الى المدينة المنورة في عيد الاضحى أن شاء الله .

وأنا أشك أن يكون الشيخ يوسف النبهانى قد قال هذه الابيات لعدة أسباب  
منها :

١ - أنى لم أجد هذه الابيات في كتبه ولم يشر لها ولا للمولى عبد الحفيظ  
بأى إشارة كما أشار الى السلطان عبد العزيز والسيد حامد بن عيسى  
البار الحضرى .

٢ - لا يعقل أن يستقل الشيخ النبهانى خمسين لويزا ذهبيا ثم يرسل قصيدة  
لمعاتبه المرسل لأن هذا ليس في طبيعه وهو الذى تحمل الديون لأجل  
طباعه كتبه التى لم يحصل منها على أى فائدة مادية بالاضافة الى أنه  
لم يجعل لنفسه ولا لذريته حقوق الطبع بل جعلها ملكا لجميع المسلمين  
وقد أخبرنى الاستاذ يوسف النبهانى الحفيد أن جده الشيخ يوسف  
رحمه الله كثيرا ما كان يدعوا الله " ألا يفتيه ولا ولا يفتنى أحدا من  
ذريته " .

٣ - هذه الابيات مؤرخة في عام ١٣٣٢ . والشيخ النبهانى كان قد أقيل من  
منصبه في رمضان ١٣٢٧ وفي عام ١٣٢٩ كان قد توجه الى مصر لمقابلة  
الخدوى عباس الثانى الذى رتب له راتباً شهرياً يقول الشيخ النبهانى  
فى ذلك :-

(١) أى السلطان يوسف بن الحسن الذى ذكره في ص ١٦ من المبعثات النامية .

" وفي هذا العام توجهت الى مصر واجتمعت بحضرة الخديوى أفندينا عباس  
الثانى وشكوت له أمرى فرتب لى ألف قرش معاشا فى كل شهر وذلك يكفينى مع  
ما آخذه من خزانة دولتنا العلمية العثمانية حسب قاعدة المستخدمين عندها وهو  
معاش التقاعد لمن يبلغ ثلاثين سنة فى خدمتها وقد بلغت مع زيادة وهو يزود  
على ما رتبته الخديوى ومذلك لم يبق لى حاجة فى وظائف الدولة العلمية ولو كلفت  
بها لا أقبلها والحمد لله رب العالمين (١) "

وفى هذا دلالة كافية على انكار هذه الابيات لان الشيخ النبهانى كانت أحواله  
المالية ميسورة .

٤ - أخلاق الشيخ النبهانى وزهده يأتى على أن يستقل أعطيه ثم يكتب  
أبياتا من الشعر عتابا لصاحبها والشيخ النبهانى يقول " . . . وقد  
يسر الله وله الحمد والمنة بعض صلحاء التجار فى مصر وأجلهم صدقنا  
الفاضل الأمين الصادق الفطين الشيخ مصطفى أفندى البابى الحلبى  
واخوانه الكرام فطعموا بعضها ويسر بعض الأغنياء فى بيروت طبع بعض  
مختصراتها وورثوها مجانا أثابهم الله وأكثرها طبعت على نفقتى وتكلفت  
فوق طاقتى من الديون لمصاريف طبعها والكتب يحتاج بيعها الى وقت  
طويل لانها ليست من ضروريات المعيشة كالعيش واللبس والسكن والمشرب  
ولا سيما الكتب الدينية فى هذا الزمان المجيب الذى انصرفت قلوب أكثر  
أهله الى محبة الدنيا وأسبابها وزهدت فى الآخرة وطلابها الا من سلم  
الله وقليل ما هم ، وما لا أرضاه لولا الضرورة أن بعض هذه الكتب  
أرسلنا مقادير منها الى بعض أصحاب الوجاهة فى بلادنا الشامية وقليل  
من غيرها فباعوها بطريق التوزيع وذلك ليس من أنواع البيع المشروعة فانما  
البيع عن تراض وقد يوجد من هو لا من يأخذ الكتاب حيا - نعم هو  
متى اطلع عليه وانتفع به هو وأولاده لاشك أنه يرضى بذلك ويشكرنى على  
هذا الخير الذى كنت السبب فى وصوله اليه . . . . . فأطلب منهم  
السماح وأن يجعلونى فى حل من ذلك كرامة لله تعالى ولهذا الرسول

## الكره عليه أفضل الصلاة والسلام (١) .

٥ - لم يذكر في الورقة المخطوطة كيفية الحصول على هذه القصيدة سوى أنها من مخلفات الاستاذ عونى عبد الهادى وهو المعروف باختلافه فكرا مع الشيخ النبهانى مما يجعلنى اعتقد أن الاستاذ عونى عبد الهادى لم يتحرر الدقة في صحة نسبتها للشيخ النبهانى .

٦ - من الناحية الفنية هذه الابيات ضعيفة الصياغة ضحلة المعانى خالية من الصور الفنية التى تظهر في شعر النبهانى بوضوح والقصيدة عبارة عن ستة أبيات ولا يعقل أن يرسل الشيخ النبهانى قصيدة عتاب وسلام لقلعة المبلغ مع أن الفرض يحوجه الى مقدمة طويلة ليعرض الموضوع ويختتمه بقصيدة طويلة كما فعل في القصيدة التى مدح بها أحمد عزت باشا الماعبد والتى بلغت خمسة ومائة بيت وقد سألت فضيلة الشيخ محمد نمر الخطيب في هذا الفرض - فقال " لقد اعتاد الشعراء طلب من الملوك والأمرأ وهذا لا يعد عيبا في عرفهم خصوصا أن المعطى هو أحسن الملوك فضلا عن عامة الناس (٢) وسألت الاستاذ محمد عزت د روضة ففسال " على فرض صحة نسبة هذه الابيات للشيخ يوسف النبهانى رحمه الله فان هذا لا يعيبه ولا ينقص من مكانته وهو الذى عاش حياته زاهدا ولم يكن يتقاضى أى مقابل لحقوق تأليفه . ولو كان هناك أى ثلم في أخلاقه لأصبح من أغنياء عصره المعدودين لانه كان يشغل منصبا خطيبا كرئيس لمحكمة الحقوق العليا في ولاية بيروت (٣) أما الاستاذ أكرم زعيتر سفير الأردن السابق في بيروت فهو يقول " نسبة هذه الابيات للشيخ يوسف النبهانى رحمه الله مرفوضة شكلا ومعنى ، فلا يعقل أن يكون الشيخ النبهانى الذى رشحه الأستاذ اسماعيل النشاشيبي ليشترك شوقيا فى اماره الشعر لا يعقل أن يكون هو القائل لهذه الابيات الضعيفة (٤)

٧ - وعلى فرض صحة نسبة هذه الابيات للشيخ النبهانى نرى أنها لا تنزل من قدره اذ اعتاد الشعراء أن يطلبوا من الملوك بلا حق ولم يكن ذلك

(١) أسباب التأليف من العاجز الضعيف ص ٣٣٨

(٢) قابلته في بيته في بيروت في ١٢ / ١١ / ١٩٧٤

(٣) قابلته في بيته في دمشق في ٢٥ / ١٢ / ١٩٧٤

(٤) قابلته في مكتبه بالسفارة في ١٠ / ١٢ / ١٩٧٤

يمد عند العرب عيباً أو منقصاً .

ذكر صاحب الاغانى أن الوليد بن عقبه أرسل مائة من الابل الى ليبد لينحرفها  
وأرسل له معها أبياتا مطلعها :

أرى الجزار يشخد شفرتيه إذا هبت رياح أبى عقىل

فلما بلغت الابيات ليبد قال لابنته أجيبه فلمصرى لقد عشت برهة وما أعيسا  
بجواب شاعر فقالت أبنته قصيدة أخرى :

أبا وهب جزاك الله خيراً نحرناها فأطعمنا الشريد

فعد ان الكرم له معاد وطنى لا أبا لك أن تمودا

فقال لها ليبد : قد أحسنت لولا أنك استطعته . فقالت ان الملوك لا يستحي  
من مسألته . فقال وانت يابنية في هذه أشعر (١) .

#### مع الخديوى عباس :

قابل الشيخ يوسف النبهانى الخديوى عباس حلى الثانى وذكر تفصيل المقابلة  
في مقدمة كتاب " المقود اللؤلؤية في المدائح النبوية " وهو ديوان شهرة الذى  
أهداه للخديوى عباس وقد توجه اليه - أى الشيخ النبهانى - عندما سمع من  
بعض حاشية الخديوى ثناء عليه وقبل مقابلته للخديوى ذكر الشيخ النبهانى بعض  
أحواله فقال في " المبشرة الرابعة عشر " رأيته - أى المبشرة - في منامى  
ليلة الجمعة الثامن من شوال سنة ١٩٢٧ بعد أن عزلوني في رمضان من رئاسة  
محكمة الحقوق في بيروت ظلما وعدوانا وكراهة للحق وأهله ولم يكن لى وجه لمعيشتى  
غير هذه الوظيفة وكانت تعيننى على هذه المؤلفات ونشرها . . . رأيت في منامى  
رجلا اسمه عبد القادر من أعيان بيروت فقال لى : انه رأى النبى صلى الله  
عليه وسلم في منامه فقال صلى الله عليه وسلم " أفدى النبهانى " بهذا اللفظ  
بصيغة المضارع يعنى هذا العبد الفقير وكنت قبل منامى أكثر من قولى اللهم  
صلى وسلم على نبينا محمد قد ضاقت حيلتى أدركتى يا رسول الله فقرحت بهـــــ  
المبشرة وعلمت أنها تبشرنى بقرب الفرج فان النبى صلى الله عليه وسلم لا يفدى الموالم

(١) الاغانى ج ١٤ ص ٢١٩ - ٢٢١ منشورات دار الفكر ودار مكتبة الحياة بيروت

كلها بنفسه الشريفه وانما فد انسى بشىء من الأشياء كما يفدى الاسير بشىء من المال ونحوه ليخلصنى به من هذا الكرب الذى ألم بى وفى هذا العام سنة ١٣٢٩ توجهت الى مصر واجتمعت بحضرة الخديوى أفندينا عباس باشا الثانى وشكوت له أمرى فرتب لى ألف قرش (١) معاشا فى كل شهر وذلك يكفينى مع ما آخذه من خزانة دولتنا العلية العثمانية بحسب قاعدة المستخدمين عندها وهو معاش التقاعد لمن يبلغ مدة ثلاثين سنة فى خدمتها وقد بلغت مع زيادة وهو يزيد على ما رتبته الخديوى وذلك لم يبق لى حاجة فى وظائف الدولة ولو كلفت بها لا أقبلها والحمد لله رب العالمين (٢)

وقد ذكر لنا ما جرى بينهما من حديث فقال " ..... فانستنى بشاشته وملاطفته هيبه ذلك المقام التى كادت تمنعنى الكلام وشرحت له بأمره قصتى وأسباب غصتى وأنى بسبب عدم حكى بالربا عزلت من وظيفتى ، ولو لا قلة المعاش الذى رتبوه لى الآن لمددت ذلك من النعم الحسان فقد كفانى حكم نحمدو ثلاثين سنة فى مثل هذا الزمان وان كانت وظيفتى فى الظاهر كانت رئاسة محكمة الحقوق فى بيروت وفى الباطن تشرفضائه صلى الله عليه وسلم بين الانام والرد على أعدائه الكفرة والمبتدعة اللثام ، فقال نعم نعم أنا أعرف ذلك وسترجع ان شاء الله قريبا مسرورا فأدخل على غاية السرور بهذا الكلام ..... وصدر أمره الكريم بجباة معجل وترتيب معاش وافر كل شهر على الدوام (٣)

وعلى هذا لو فرضنا أن راتبه التقاعدى الذى كان يتقاضاه من الدولة العلية من ١٤ - ٢٠ جنيها يكون مجمل دخله الشهرى من ٢٤ - ٣٠ جنيها وهذا المبلغ يعد ممتازا فى عصره إذ أن المرتبات التى كانت ضئيلة فميزانية الأزهر والمعاهد الدينية حتى عام ١٨٩٢ كانت ٤٣٧٨ جنيه وفى عام ١٩٠٢ / ١٤٠٠١ جنيه وفى عام ١٩١١ كانت ٥٢٤٧٠ جنيه (٤) وعن مرتبات العلماء يقول الاستاذ محمود أبو

(١) وهو المبلغ نفسه الذى رتبته رياس باشا رئيس الوزراء فى مصر عام ١٢٨٨ -

للسيد جمال الدين الافغانى الاعلام الشرقية ج ٢ ، ص ١٥٥ .

(٢) البشائر الایمانية فى المبشرات النامية ص ١٤ - ١٥

(٣) العقود اللؤلؤية ص ٤ - ٥ .

(٤) الجامع الأزهر نبذة فى تاريخه الاستاذ / محمود أبو العيون .

العيون " كانت قمرتها العلماء ضئيلة في ذلك العهد فكان مرتب ندى الدرجة  
الاولى خمسين ومائة قرش وندى الدرجة الثانية مائة قرش وندى الدرجة الثالثة  
خمسة وسبعين قرشا وفي ذلك العهد رلم يكن فيه اجالة على المعاش فاعالهم  
يتقاضى مرتبه الى الوفاة وفي الحال كذلك الى سنة ١٩٠٩ (١)

---

(١) المرجع السابق.

(١/٢٨٠)  
الفهرس

رقم الصفحة

الأهداء

قبس من آي الذكر الحكيم

شكر وتقدير

المقدمة

أ-ب

أ-ب

الباب الأول عصره وميثقه

٦-١

الفصل الأول : الصورة الجغرافية لوطنه

٢٣-٧

الفصل الثاني : الحياة الاقتصادية

١٠

الاقتصاد الفلسطيني قبل الاحتلال الانجليزي

الاقتصاد الفلسطيني بعد الاحتلال الانجليزي

٥٥-٢٤

الفصل الثالث : الحياة الثقافية

٢٤

التعليم

٣٨

الطباعة

٤٠

الصحافة

٤٢

الاندية والجمعيات

٤٥

الاذاعة

٥٣

اثر الارساليات التبشيرية في الحياة الثقافية  
 بفلسطين \*

١٢٣-٥٦

الفصل الرابع : الحياة السياسية والاجتماعية

٥٦

النظام الاداري

٥٩

المسألة الشرقية

٦٦

الجامعة الاسلامية

٧٤

السلطان عبد الحميد

٨٥

السلطان عبد الحميد ضحية فلسطين  
 وشهيدها الأول \*

١٠٦

الحركة العربية الحديثة

١٢٣

ضياح فلسطين

الباب الثاني نشأته وحياته

١٥١-١٣١

الفصل الأول : مولده - أسرته وفاته

١٣١

مولده

١٣٤

نشأته

١٣٦

قبيلته

١٤٠

أسرته

١٤٦

وفاته



رقم الصفحة

١٨٨-١٥٢

١٥٢

١٧٩

٢٣١-١٨٩

١٨٩

٢١٦

٢٢٥

٢٢٨

٢٣١

٢٣٢

٢٣٢

٢٤١

٢٤٤

٢٤٦

٢٤٧

٢٤٨

٢٦٠

٢٧٢

الفصل الثاني : ثقافته

مصادره الفكرية

تلاميذه

الفصل الثالث : مكانته في المجتمع الاسلامي

مكانته العلمية

مكانته الاجتماعية

تفاعله مع أحداث عصره

رحلاته وابنه

جسده

الفصل الرابع : شخصيته ومبادئه

مفتاح شخصيته

اخلاقه

استعماله الالفاظ النابية في وصف الخصوم

حسن الظن

الامانة العلمية في النقل

البشورات للنامية

تقديمه لنظام الاسلام السياسي

حاله الماليه